

إراءة عرائس شموس فلك الحقائق العرفانية

بأصابع حق ماهية التربية بالطريقة التجانية



الطبعة الثانية بتونس

تأليف الحاج الأحسن البعقيلي السوسي أصلاً البيضاوي وطنًا

متّع الله بعلومه المسلمين والإسلام آمين

الجزء الأول

الإراءة

الجزء الأول

المؤلف: الحاج الأحسن البعقيلي

تونس – رمضان 1440 هـ الموافق لجوان 2019م

الجُزْءُ الأَوَّلُ

من

إِرَاءَةِ عَرَائِسِ شُمُوسِ فَلَكِ الحَقَائِقِ العِرْفَانِيَّةِ بِأَصَابِعِ حَقِّ مَاهِيَّةِ التَّرْبِيَةِ بِالطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَّةِ

لعلاّمة الزمان، قطب مركز دائرة العرفان

أبي علي مولانا الحاج الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي

السوسي أصلاً البيضاوي وطنًا، متّع الله بعلومه الإسلامَ والمسلمينَ

آمين

حقّقه وخرّج آياته وأحاديثه مجموعة من طلبة العلم

تحت إشراف الزاوية التجانية باب الخضراء

الطبعة الثانية بتونس العاصمة لسنة 1440 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما

قال العبد الضعيف الذليل الغنيّ بالله عمّا سواه الفقير لمولاه المبجّل بسيادة سيّده القديمة الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي أمّنه الله ممّا سواه وجرّده من الغير والغيريّة ميلاً وشوقًا وخطورًا وسدّ عنه باب غير العبودة والعبودية والعبادة واصطفاه بالاجتباء له خالصًا مهذّبًا من رقّ غيره وأحياه الله ببحر حاء حياته وبعين معاينته ممّا يمكن أن يعاينه ما دون النبيئين بعد المشاهدة الدائمة له به وملاحظة المراقبة وجعله حرًّا من ربقة الأغيار والأكوان وزيّن له الله شكر نعمه بالقيام بأتمّ آداب العبودة وأجلسه بحبوحة حضرة قدسه محاطاً بأنواره محجوبًا عن حجب صور الأكوان محدودقًا بأمان جماله مشربًا بحار جلاله من مرآة وليّه المبايع له ونبيّه سيّدنا محمّد مظلّ الخلق وأساسه صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وخصوصًا خليفته القطب المكتوم مظهر أنواره صلاةً وسلامًا دائمين بدوام نعم الجنان على عدد معلومات الله وعلومه وقدرته؛ لما منّ الله عليّ بالارتباط ارتباطًا كليًا بالقطب المكتوم الخليفة عن النبي صلّى الله عليه وسلم إطلاقًا وغاص نور الفراسة الإيمانية في ظواهر طريقته وبواطنها وفي الإشارات العرفانية التي لا تعرف إلا بالوهب ورقائق رموز الجواهر والعرائس المخدّرة فوجدتها بحرًا محيطًا غير محاط وأن جواهره بعيدة القعر ولا يستخرجها إلا تاجر مخاطر فأحببت إخراجها تقريبًا من شاطئ خزائن النفوس والأرواح كاشفًا نقاب محيّاها ليرغب ويفنى في ماء شامات وجناتها بعبارة سهلة وأمثلة واضحة قريبة للفهم وسميته "**إراءة عرائس شموس فلك الحقائق العرفانية بأصابع حق ماهية التربية بالطريقة التجانية**".

فبعد اسم الله وحده شاكرًا لأنعمه والصلاة والسلام على الحجاب الأعظم بين بحر الألوهية وبين بحر الخليقة وعلى آله وأمّته غرر الأمم أقول وإن كنت لست من أهل ميدان السباق ولا من أجناس العارفين السبّاق[1] معتمدًا على بحر السيادة والإمداد معترفًا بربوبيته متعلّقًا بأذيال كرمه معرضًا

[1] سُبّاقٌ: جمعُ سَابِقٍ (معجم المعاني).

عن الأعمال المخلوقة بأيدي حضرة المالكية من أن أطلب جزاءً ما حرّكتني قدرته الباهرة لأنه الفاعل وأنا وما تحرّكت به مفعول له والمفعول سهم رحمة الفاعل بالقهر متبرّئًا من كل حظّ دنيوي وأخروي وبرزخي معوّلاً على السيادة المستلزمة الإمداد والإنفاق فانيًا عن القول والفعل بجمال سطوة المالكية وسيوف جيوش أنس نظرة الجلالية متكلمًا بلسان صدر الحقائق التجانية قاصدًا أكوار شرح الورد اللازم راكبًا متون بحار غوص سيّال[2] جواد جواهره مبينًا أن الطريقة التجانية مركّبة كلّها من مقام الإحسان المستلزم ما دونه من المراتب والمواقف بحيث لا يسلك سالكها إلا في سلك الإحسان ابتداءً وانتهاءً وأن أول مقامات منتظم فيها أول موقف منه ولا نهاية له وأن ما ذكره البعض من تركيبها على مراحل أهل الإرادة من الإسلام والإيمان ثم الإحسان غير مصيب ودج[3] اقتناصها مصرحًا بالتحرير على مقتضى الإلهام الإلهي بما صرّحت نصوص صاحب الطريقة رضي الله عنه وأن ما ذكره الشيخ رضي الله عنه من الإشارة إلى طريقة الإرادة وتبيين مصطلحهم ورموزهم وما خفي عنهم في طريقتهم وكذا ما شرح به الآيات والأحاديث بقوانين إرادتهم وأن ما ذكره من مراتب النفس ومراتب الروح باعتبار الحضرة واعتبار العلاقة بالمكونات وكذلك ما ذكره من كيفيات التوجهات بالأسماء بما يشير إلى إيثار الحظوظ بملاحظة خواصّ الأسماء مما يوصل المراتب العلية وفهم أسرار وفتوحات مكونات الرزق والولايات والتصريف والتصرف وإزالة الحجب النفسية مقصوده رضي الله عنه وأرضاه بتقديس أتباعه من الحظوظ المهلكة باستعمال ما أظهره الله من أسماءِ مراتبه العليّة في غير التعبد على وجه العبودية الإيماءُ إلى ما انطوى عليه باطنه من علوم أهل الإرادة الطريقة الثانية لأنه سلكها في ابتدائه عقبةً عقبةً حتى جرّده صاحب الشريعة منها صلّى الله عليه وسلم الإشارة إلى ذكر هممهم العليّة في طلب مقصودهم الذي هو الحظ النفسي في ابتدائهم وأفنوا أرواحهم عليه وهو حقير تنبيهًا منه أنّ ما كانت عليه أركان طريقته من الصفاءِ التام والعبودية لله لا غير أولى بالاجتهاد الجهاد الأكبر الذي هو عين التجريد من الحظوظ فأهل الطريقة أجدر بعبادة مولاهم لمقام المعاينة لشدة أدب

---

[2] شَديدُ السَّيْلِ، سَلِسٌ، طَلْقٌ، سَهْلٌ، مُتَدفِّقٌ.

[3] وَدَجَ: (اسم) الجمع منه: أوداجٌ، والوَدَجُ هو الوسيلة أو السبب.

أهل المعاينة عن غيرهم لأنهم غرقى في محبوبهم وأهل الثانية غرقى في طلب حظّهم الفاني وأن من كان مقامه المشاهدة لحضرة سيّده جل علاه وحضرة نبيّه وحضرة وليّه خليفة نبيّه على الإطلاق منبع الأقطاب والأولياء بمحض الفضل لا بتعمّل وتسبّب فأهل طريقته منزّلون كلهم في مقامه الذي هو عين التجريد مما سوى الله جلّ وعلا فهم وإن تولّهوا بملاحظة الإرادة فمقامهم عند ربهم قيّدهم ومنعهم من الإرادة ومن مخالطة أهلها فإن مخالطتهم بالمحبة لما هم عليه تؤثر حظًا وهو مزبلة أهل القطع ومسكن إبليس ومزرعه ومغرسه وغرضه الذي إن رمى به أصاب فطريقته طريقة شكر وهو أداءُ العبودية على وجهها من غير غرض يشوبها بل يقومون بوظائف النبوة أقوالاً وأفعالاً وحركةً وسكونًا وتقريرًا اتّباعًا لأمر الله على يد نبيه صلّى الله عليه وسلم وهذا إرشاد الساري بالطريقة التجانية بالتخلي عن أحوال الطريقة الثانية.

((مقدمة تميّز أساس الطريق))

فالطريق في اللغة[4] سبب يوصل للمقصود والمقصود عند العارفين الذين كتب هذا في أذواقهم الوقوف بحضرة سيّدهم على وفق مراد السيّد لا غير مع قطع النظر عن نفوسهم اعتمادًا على حضرة السيادة مع تمام الفناءِ في معاينةٍ ومشاهدةٍ ومراقبةٍ ذاهلين عن الرضى وعن السخط وعن نتائج الأعمال فيعملون بسيّدهم له متبرئين من الحول والقوة حاكمين بأن السيّد يفعل في ملكه ما يشاء بعمل وبغيره وأن السيّد له أن يأخذه عن زلّة واحدة في عمره لأنه بزلّة واحدة سقطت مشاهدة جلال سيّده فلو شاهده ما تحرّكت قوته لها مباشرة ولذا يؤخذ المكره بقتل نفس ما لم يلجأ والزاني المكره بالانتشار فيرى أن السيّد له أن يكلّفه بما لا طاقة له به غير ظالم له لأنه تصرّف في ملكه لكن العبد العارف يحصل له الأنس بسيّده معه له فالعارف بكيفية الوقوف بباب الله يتجرّد من نفسه ولوازمها ومصالحها ولا يرى ولا يحبّ إلاّ سيّده ولا همّ إلاّ فيه ولا نظر إلاّ فيه ولا حركة إلاّ له ولا سكون إلاّ فيه به ويأكل ويشرب ويكتسي ويركب وينكح بالله امتثالاً له لا غير لأن الله جعل الذات الترابية

---

[4] مذكورة في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "لغة"

أمانةً عند العقل نائبًا عن الله في أمر البدن فلا يترك بدنه المؤتمن عنده للضياع وكذلك لا يقذف به المهالك اتّكالاً على الله لأن المؤمن في ذمّة الله ما لم يغرّر بنفسه بمخالفة أمر الله فالله أمره بالحفظ والقيام بمصالح البدن فإن خالف الشريعة خرج من ذمة الله وبقي مع نفسه إمّا أن يتفضل عليه سيّده وإمّا أن يهلكه فهو في حيز الهلاك ومقصود العارف الوفاءُ بوظائف السيّد ممّا صرّح له به أو لوّح له به والتصريح الشريعة والتلويح الإلهام ولا يكون إلاّ عين الشريعة وإنما يلهم الفهم من الشريعة لأن القرآن مشتمل على ما كان وعلى ما يكون من جميع تفاصيل ذرات العالم من حركة وسكون وسعادة وشقاوة وأسماءِ جميع العالم وخواصّه وأوّله وآخره وجميع دقائق الأزمنة بحيث يقع كذا في دقيقة وساعة وعام وشهر كذا وعلى جميع الأمكنة الفاضلة وغيرها وعلى وقائع بين الله وعباده العارفين وما في القرآن إلا ما تلقاه سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم في حضرة الله ليلة الإسراء وهو رموز إلى تفاصيل القصص الإلهية ودقائق الإشارات بينه وبين حبيبه وهو اللوح المحفوظ فما في اللوح هو عين القرآن لكنه حفظ كما حفظ اللوح فلا يدركه إلا عارف بآداب الوقوف بتذلّل بين يدي بساط السيد فبساط الظهور ظواهر القرآن وبساط المراد الإلهي ما بطن منه يفهمه من علّمه الله فضلاً لا بتعلّم وإنما يقف العارف عند مرادات الحق فلا يحب إلا ما برز في حضرة الحق أيّا كان من رخص وغلاء وصحة ومرض وهناءٍ وفتن فالعالم عنده بمنزلة كتاب فالسطر الذي قرأه القارئ قد فرغ منه وانتقل إلى السطر بعده ويعطي قوته لفهم سطره الذي هو فيه ويعرف ما يقوله فيه الكاتب الحاكم عليه المحسن له به؛

ثم اعلم أن النبي صلّى الله عليه وسلم ظهر في وسط الغفلة فلم يكن للعرب نبيّ من سيدنا إبراهيم وإسماعيل على وجه العموم فسقط عنهم التكليف لأن الله رحمهم بعدم التكليف فصاروا من زمن إسماعيل مثل الأنعام في كونهم سهم الرحمة فتفرقت آراؤهم في كيفية العبادة فمنهم من اجتهد وأصاب وجه الحق بعقله ومنهم من اجتهد وأخطأ فعبد غير الله ليرقّيه إليه وهو معذور لأن العقل غير مستبدّ برأيه فظهر فضل الله عليهم بسبب نور نبيهم فحرّرهم ربهم به لينبني على اجتهادهم أن الحكم كله لله وأن العقل إنما هو شيء ضعيف لا يعقل إلا ما علّمه الله فحصلت لهم السعادة كما حصلت للبهائم لأن من لم يعلّمه الله يستوي هو وأضعف النعم فصارت عبادتهم كلّ ما تحركوا له من قول

وفعل فلما قرّر الله الشريعة على يد نبيه ظهر للعقلاءِ حمقهم وسفههم وتبين الحق أن الله هو الفاعل وأن العقل وحده لا يحسّن ولا يقبّح ففرحت ظواهرهم وبواطنهم بالنبي صلّى الله عليه وسلم وصار مرادهم مع مراد النبي صلّى الله عليه وسلم فكل ما أمر به عرفوا بأنه رضى الله وكل ما كرهه شاهدوا غضب الله فيه وحكّموا رسول الله على أنفسهم وفني مرادهم في مراده صلّى الله عليه وسلم وأسلموا على يديه أي انقادوا لأحكامه انقيادًا محكمًا لا مزيد عليه فاختبرهم الحق بالجهاد فصار جنّتهم وصارت دماءُ أولادهم وآبائهم ألذ وأشهى عندهم من الماءِ البارد للعطشان فهاجروا بلادهم وأولادهم وديارهم في طلب الحق بسياسته صلّى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم من يقول بعقله ولا من يروّض نفسه بسياسته لأنهم ظهر لهم فساد سياستهم قبل البعثة فلم يكن فيهم من يريد شيئًا ولا من يفعله حتى يشاهد فيه قول أو فعل صاحب الأمة له فسمّوا صحابةً له فلم يعرج أحد إلى ما ظهر له من أنوار صدقه من العلوم والأسرار وجعلوا ذلك للنبي صلّى الله عليه وسلم وجعلوا نفوسهم وأولادهم وأموالهم من بركة صاحب الوحي فصاروا كالموتى بين يديه يحرّكهم كيف شاء يؤمّر من شاء ويترك من شاء ويجرّد من يشاء ويزوّج ويطلق ويضرب ويقتل بأمر إلهي ومن قتله جعلوا ذلك رحمة من الله وتحركوا بحركته وانصبغوا بصبغه فما منهم من أحد لم يشاهده في باطنه أعظم من قلبه وأقرب من روحه وجعلوه روحًا ممتزجًا بظواهرهم وبواطنهم وتلقّوا أمره على السمع والعين فما أباحه فلهم وما حظره حرموه ففنيت عقولهم بعقله وسرى معهم سر عقله فصاروا أيمةً صلحاء فما من واحد إلا وصلح للإرشاد واكتسبوا سر نبوته واقتحموا مخاطر هلاك نفوسهم في مرضاته وذكر لهم الجنة والنار فأعرضوا عنهما وذكر لهم الأسرار وخواص الأسماء والأدعية والعبادات وسائر القربات فما من قربة إلا وذكر لها نجوم ثوابها وما من تابع إلا وذكر له جواهر بحر صدقه حامدين لله على فضله ورأوا نفوسهم عبيدًا لا يستحقّون أجرًا بل شأنهم العبودية وشأن السيد الإمداد فأعرضوا عما ينافي العبودية وثبتت أقدامهم على متن العبودية والعبادة آناء الليل وأطراف النهار وسبرهم الحق جل وعلا وهو أعلم فعلم بثباتهم فأزال الحجاب لبعضهم فأراهم نتائج صدقهم ومنهم من خلّفه ومنهم من ولاّه ومنهم من سمع الخطاب من الحق بلا حجاب فكل ذلك لم يزلزلهم ولا ركنوا إليه بل حالتهم كحالة الحجاب لأنهم عرفوا أنما ذلك نور نبيهم ظهر في صفاء

صدقهم ورجعوا كل الرجوع إلى نبيهم فعرفوا مقصود نبيهم في ذكر الأجور على العمل وأنه ما ذكر ما رتّبه الله على العمل إلا تنشيطًا لهممهم باعتناءِ الحق بشأن العبيد حيث خلق العمل ونسبه لهم ورتّب عليه ما لا يخطر على قلب أحد ولا رآه بصره وخلق العبد ملكًا له وجعل يرتّب له ثوابًا على خلاف الملوك فضلاً منه وكرمًا فلما صفت مرآة قلوبهم وعرفوا ببركة نبيهم مقصود الشارع خجلوا عند سماع الثواب لأنهم ما عملوا شيئًا وإنما حركهم الحق له ووفّقهم له قطعوا النظر عن الجزاء فاكتفوا بجمال سيدهم فأغناهم عن الجنة ونعيمها ولذّات الدنيا وكبّروا نعمة الله عليهم فأكلوها وعظّموها بالترحاب وتسارعوا إلى بركات ما أباحه الشارع وجعلوا سورًا من نحاس المنع بينهم وبين المحرمات فأذعنوا لمولاهم على وفق ما طلب منهم وهو الوقوف دائمًا ببابه بتذلّل وخضوع وجزموا بأنهم عبيد لا أجرة لهم فما أراده الله فيهم من جنة ونار ويسار وعدم هو عين مرادهم فصفت لهم العبودية بالله ووقع الوصل وانتفى الفصل فحمدوا سيرهم بسير شيخهم ومربّيهم ومنقذهم من ورطة الهلاك فصارت علوم واحد منهم لو اجتمعت علوم أهل الطريقة الثانية لصار نقطة في بحارهم لأنهم ممتلئون بمعرفة الله والفتح عندهم فتح أبواب بحار معرفة الله وأهل الثانية فتح كون وفكر وعقل فأهل الأولى تجرّدوا من عقولهم ما آل إليه أمر عقلهم فأناخوا في خيمة مرضاة ربهم ولم يطلبوا بدلاً من الكتاب والسنّة ومن خدمة حضرة السيد فنفس منهم على وجه المعاينة خير من اجتهاد أهل الثانية لأنه لنفوسهم والجلوس بين يدي واحد منهم حلب شاة خير من خلوات أهل الثانية لأن نفسهم يتنفس فيك بسر الحضرة الإلهية وخلواتهم ترشد إلى غير الله من طلب الثواب والمراتب وشتّان من عبد بالله ومن عبد له وشتّان من عبد لله ممن عبد لنفسه فسبحان المتفضل عليهم بسيد الخلائق مرشدًا وكان لهم كافلاً فهم يعبدون بكل ذكر ورد من غير تعرض لشيءٍ بعملهم فجزاهم ربهم بالصفاءِ التام وفضّلهم بالخيرة وجعلهم غرّة[5] الخير وأنزل فيهم أي كمال يقينهم كتابًا يقرأ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ

[5] الغُرَّةُ من كل شيء: أَوَّلُهُ وأَكرمُه (معجم المعاني)

بَيْنَهُمْ﴾[6] إلخ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[7] فوصفهم بالخيرة التامة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[8] إلخ وإنما كانوا خير أمّة لأنهم يأمرون بالمعروف وهو التعلق بالله تعلقًا كليًا تعلق العبد بسيده وأن يقابل سيده بمثل مقابلة العبد سيده فكما أن السيد لا يحب عبدًا بطّالاً عن العمل ولا غير أديب ونظيف ولا يحب منّانًا بعمله ولا طالب أجرة لأنه مملوك كلّه وعرقه وماله ولا ملك له مع سيده وكذلك لا يحبّ عبدًا جسورًا على مخالفته فإن مخالفة السيد عين السمّ ولا بكّاءً وهو من لا يرضى بحكم سيده بحيث يكون قلبه متكدّرًا وحاقدًا على سيده لأنه لم يرض بالعبودية وإنما يحب أوصاف السيادة من كبر وعجب وعظمة وأنانية فيحمله باطنه على الحسد والحسد على الرياسة والرياسة على المشاحنة والمشاحنة على المشاجرة والمشاجرة على المدابرة والمدابرة على المقاطعة والمقاطعة [على][9] الوحدة والوحدة على الوسواس والوسواس على سوء الظن وسوءُ الظن على الهلاك والهلاك على السقوط من عين الله ولا يحب عبدًا شكايًا كثير الشكاية بعبيد الله ولا يحب ملاّلاً ولا مجردًا من عمل الدنيا والآخرة ولا يحب أن يراه إلا في خدمته التي عيّنها له سيّده فكما أن العبد إذا وجدته في بستان وسألته من أنت إنما يقول أنا عبد فلان وإذا سألته عن البستان إنما يقول للسيد وإذا سألته عن الغارس يقول أنا وهو وغرسه في قبضة السيد وإذا قلت بل الجنان جنانك يكذّبك ويتبرّأ منك فكذلك فعل الصحابة مع ربّهم فخدموا أكثر ممن بعدهم متجرّدين منه فلذلك أكرمهم بما لم يكرم به غيرهم وصارت الأمة كلهم عالة لهم لأنهم صحبوا النبي على لباس العبودية لا غرض لهم مع ربهم ولا تدبير لهم معه بل تديّنوا بالشريعة وتردّوا[10] بالطريقة وشربوا بحر الحقيقة وشرّفوا لياليهم بصفاءِ التوحيد فلم يحتاجوا إلى قواعد التوحيد لأنهم غرقوا في أصداف بحور الحقائق وتنعّموا بلذيذ المشاهدة والمعاينة مع رجوعهم إلى أصلهم الضعف متبرّئين مما يدعيه مَن

---

[6] الفتح 29.

[7] البينة 8.

[8] آل عمران 11.

[9] غير مذكورة في الطبعة الأولى بدرب غلف.

[10] تَرَدَّى بِالرِّدَاءِ: لَبِسَهُ.

بعدهم من الولاية وإظهار خرق العادات لأنهم متمكّنون في غاية الإحسان وغيرهم متعمشون في مواقف الإسلام أو الإيمان في اصطلاحهم؛ والحاصل أن أحوال الطريقة الأولى التجرد من غير الوقوف بباب سيدهم بما أمرهم به من أسباب الدنيا والآخرة مفرّغين قلوبهم من نتائج أعمالهم ولا يرون إلا نتائج المعاصي ولا يرون حسنةً منهم أصلاً فبذلك أدّبهم من أدّبه الله. ((**أدّبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق**))[11] ((**صل من قطعك واعط لمن حرمك واعف عمّن ظلمك**))[12] مشاهدًا أنك عبد بين يدي سيدك ينظر فيك في كل نفس من أنفاسك فكلّ ما أصابك فمن الله وإن ضربهم أحد ينظروا فعل الله فحمدوه له وإن أكرمهم أحد شاهدوا فعل الله وحمدوه وشكروا الواسطة وصوّروا بين أعينهم صورة الدنيا كلها فوجدوها نعمة مقهورة للعبد أتحف الله بها عبده ليستعين بها على الوقوف ببابه وأمره أن لا تشغله عنه فإنما هي نعمة فإن شغلته نعمة صارت قاطعة حسن جمال سيده وصوّروا الجنة فوجدوها نعمةً مقهورةً للعبد أهديت له من حضرة الله السيد في حضرة قدسه ليتقوّى بها عن حمل سر أنوار الجمال فالجنة طرف من رحمة الحجاب يسكن بها العبد بين يدي مولاه ينعّمه بها لطفًا به منه جل علاه فافهم. فلما رأوهما مدفوعتين للعبد حمدوا الله على نعمه فقيدوهما وأعرضوا عن الدنيا والآخرة إعراضًا كليًا وأقبلوا على ربهم إقبالاً كليًا وأقبل الله عليهم وأقبل معه جميع خلقه لأن السيد إذا أظهر إعظام أحد أكبرته كل العبيد لأنهم مأمورون بتعظيم من عظّمه فزكت سريرتهم وسيرتهم وطابت أسواق عطرهم وربح من اقتفاهم في كل قرن وإنما فضّلت القرون الثلاثة[13] بصفائهم من

---

[11] أخرج العسكري في الأمثال من طريق النسائي عن علي رضي الله عنه وتخريج السيوطي في الجامع الصغير (ابن السمعاني في أدب الإملاء) عن عبد ابن مسعود رضي الله عنه.

[12] عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: كنتُ أمشي ذاتَ يومٍ معَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقال لي ((**يا عقبةَ بنَ عامرٍ صِل من قطعَك وأعطِ من حرمَك واعفُ عمَّن ظلمَك**)) ثمَّ قال لي ((**أمسِك عليك لسانَك وابكِ على خطيئتِك وليسعْكَ بيتُكَ**)).

الراوي: عقبة بن عامر | المحدث: البيهقي | المصدر: الشعب | الصفحة أو الرقم: 2750/6.

[13] قال صلى الله عليه وسلم: ((**خيرُ النَّاسِ قَرْني ثمَّ الثَّاني ثمَّ الثَّالثُ ثمَّ يجيءُ قومٌ لا خيرَ فيهم**)).
الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة: 339/3.

كدرات الغير والغيرية فالصحابة اغترفوا على حسب ما شاهدوه من العابد الأكبر صلّى الله عليه وسلم والتابعون شاهدوا إخلاص الصحابة فأخذوا منه على طاقتهم مع نقصان إخلاص الصحابة فيهم وصلّوا مثل ما رأوا كيفية صلاة الصحابة ونقصوا من كمال الصورة لمقام المشاهدة والتابعون ألبسوا تابع التابعين بعض حلتهم فوجدوهم مائلين إلى بعض لذّات الدنيا وحسن إسلامهم أحسن ممن بعدهم فلما كثرت الفتوحات الإيمانية واستولى من بعدهم من أهل القرن الرابع على الأمصار فمنهم قاض وحاكم وجاب وعون ورجعت الخلافة ملكًا عضوضًا[14] بموت أهله فتولاه من لا يستحقه وتنوفس فيه أولاً لإقامة السنّة لا غير لا لأنفسهم وتنافس أهل القرن الرابع فيه للحظوظ النفسية وتقدم أن الصحابة ومن دخل في لباسهم متبرئون من الحظوظ أصلاً لسطوة تربية المؤدب بالله وتقابلوا عليه لغرض الطمع لا غير تكدرت القلوب وتوسخت بأدران الحظ الذي هو زبالة إبليس ومسكنه تاقت نفوسهم إلى حب الدنيا وأهلها وجعلوا رأس مالهم ورأس عزهم عبادة البطن والفرج وأدبرت القلوب عن الله فأوعلت[15] وبكت بقية الوارثين للسلف الصالح على ذهاب روح الدين الذي هو الإخلاص وإفراد العبادة لحضرة سيادة المالك الحق فاجتمعوا رضي الله عنهم على أن يتحيّلوا في كيفية خلوص القلوب من حب الدنيا والآخرة فأجمع رأيهم على أن يذكروا أحوال الصحابة على ما هم عليه من الفتوحات والأسرار والعلوم والأذواق والثبات التام فكتبوا مناقبهم وذكروا أن أبا بكر مثلاً يذكر لا إله إلا الله كثيرًا وذلك هِجّيراه[16] فمن أراد أن يصل إلى ما وصل إليه فليكثر مما يكثر منه ويقاس على أحوال الصحابة كأبي ذر الذي هو إمام الزاهدين وأبي هريرة الذي هو إمام المحدّثين وعمر الذي هو إمام أهل الغيرة على دين الإسلام وعثمان الذي هو إمام الكرماء وإمام أهل الوقر والحياء وعائشة التي هي إمام المدرّسين حديث الرسول

---

[14] قال صلى الله عليه وسلم: ((**إنَّكم في نُبُوَّةٍ ورحمةٍ وستكونُ خلافةٌ ورحمةٌ ثمَّ يكونُ كذا وكذا ثمَّ يكونُ مُلكًا عَضُوضًا يشرَبونَ الخُمورَ ويلبَسونَ الحريرَ وفي ذلكَ يُنصَرونَ إلى أنْ تقومَ السَّاعةُ**)).

الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة: 345/6.

[15] لعل أصل الفعل "أوغل" بمعنى بالغ، مثاله: أوغلت القلوب في الإدبار عن الله تعالى. لكن ترك اللفظ على حاله لعدم تغيير المعنى.

[16] الهِجِّيرَى: كثرة الكلام. ويقال: ما زال هذا هِجِّيراهُ يعني ما يولع بذكره.

صلّى الله عليه وسلم وأبيّ بن كعب الذي هو إمام القرّاء وزيد بن ثابت الذي هو إمام الفرضيّين وابن سيرين الذي هو إمام المرائي ولسان القرآن ابن عباس الذي هو إمام المفسرين وذكروا لكل واحد منهم سبب وصوله إلى مقامه اعتمادًا على ما أجراه الله على أكثر أحواله من غير قصد منه وأما هم فلا قصد لهم في عبادتهم غير أنهم واقفون عابدون كما أمرهم به نبيهم مع قطع النظر عن العوارض كلها؛

فلما سمعت عقول الغافلين إلى قول كبرائهم فرحوا بكلامهم وأخذوا على أشياخهم عهودًا على أن يذكر كل واحد طريقة أحبها عقله ومقصود الأيمة رضي الله عنهم ترقيق حجابهم بأنوار الأذكار ليقدروا على تجريدهم آخرًا فإذا رأوا قلبه رقّ بيّنوا له أن هذا العمل كله فاسد وإنما سلّكوه عليه لغرض السياسة نصيحة للأمة رضي الله عنهم فالرؤساءُ أهل الطريقة الأولى في كل عصر فالمشايخ إلى القرن الحادي عشر كلهم محمّديون بالوجه الأخص والأعم لأنهم تجرّدوا كما تجرّد صلّى الله عليه وسلم فكل من عبد من غير غرض فهو محمّدي وإنما سلّكوا غيرهم لقصد الرياضة لا غير وهم عارفون أنهم في سلوكهم مسيؤون ظالمون حيث استعملوا الأذكار من القرآن وغيره لطلب أغراضهم من الأسرار والفتح واستخدام الروحانيين والركون إلى غير الله من المراتب لكن فعلوا ذلك نصيحةً للأمة لما جمدت القلوب عن الظواهر وصارت الشريعة رسمًا بلا روح وامتلأت وتمالأت الناس على طلب نيل حظ من مراتب الصحابة واجتهدوا بالصيام وأنواع العبادات والتقشّف حتى فنيت قواهم التي هي سبب المعاصي وتلاشت أركانهم بالعزوبة والعزلة والصمت والإخلاص الذي يناسبهم فظهرت رجال بالاجتهاد ومنهم السائحون في الخلوات والبراري وظهرت العشاق وأهل الأحوال والمجاذيب الساقطو التكليف ووصلوا إلى مقصودهم من الفتح في المكونات وصارت الأكوان طوع يدهم يتصرفون بهممهم وتجلت لهم خدّام الأسماء بالبيّنات والكرامات وزادت قواهم وهممهم في طلب الأسرار بأنواع الأسماء وظهرت خزائن القرآن التي تناسب الكون وقرروا في كتاب الله أوقارًا وصنفوا تصانيف من خزائن الأسرار التي لا مطمع فيها للعلماء الغير المرتاضين فحكّمت العلماءُ سيف الانتقاد عليهم وزاد ظهورهم على العلماء ففشي القول في الأولياء بسبب شطحاتهم حيث يقولون أمرًا مستغربًا عند علماءِ الرسوم واستحلوا المراتب وزادت هممهم في طلب الزيادة وطلبوا زيادة علم مقصود لهم وصاروا يخبرون

بالمغيّبات ويتشكّلون في أي صورة شاؤوا كالروحانيين بسبب رياضتهم ومنهم من جعل الأرض في قبضة يده وتنافست الأقوام في نيل فتح كوني وكنوزه وأخبروا بخواصّ النبات من السيمياء[17] والكيمياء فانبنى عليه السحر وتقليب الأعيان وركّبوا الجداول في الأسماء لغرض التصريف بها في المكونات فظهر لهم تأثيرات الطلاسم[18] في العالم فمنهم من قتل بإحراق نور الأسماء عددًا من ملوك الجن لطاعته واستخدموا الجن في أغراض نفوسهم زاعمين أنه رجولة وقتلوا بالأسماء عددًا كثيرًا من بني آدم ليدخل في طاعتهم فخافت الناس منهم والجنون واستخدموهم وصار ملكهم ملكًا عضوضًا[19] ظالمين غيرهم بأنوار الأسماء فخدمتهم الناس رغمًا فيقولون لهم إما أن تعطيني كذا وإما أن أتصرف فيك بهمتي فانقادت لهم السلاطين والأمراء ثم إن المشايخ لما رأوا قلوبهم رقاقًا أخذوا عهدًا من تلاميذهم وهو بيعة رضوان عندهم على التجريد مبيّنين لهم أن ما كانوا عليه في حال سلوكهم ليس بإخلاص محض ولا كائد له فمن أراد أن يصل إلى حضرة الله فليتجرّد عن جميع غيره في ما مضى وينسلخ عن الأكوان متبرّئًا مما سوى الله فقرروا لهم أن الأكوان وفتوحاتها عين الحجاب وأن ما ظهر لهم في سلوكهم قواطع عن الله وبيّنوا لهم أنهم ما أرشدوهم إليه إلا لغرض السياسة[20] فمن أراد حضرة الحق فليتّبع طريقتنا الأولى السليمة من الأكوان والغير والغيرية فانجابت بعض العقول الذين سبقت لهم الحسنى[21] وقليل مّا هم لكن العارف يقنع بواحد من الألف إذا خلّصه لله لكثرة الغفلة فخالف الجلّ على أشياخهم باستحلاءِ ما ظهر لهم في الطريق فبقوا مع الأكوان أمراء في وسط الكون ولا حظّ لهم في معرفة الله فلما تجرد من تجرد وصل في الحين فصار يستقذر ما هم عليه من مشاهدة أسرار الكون ورأوا انقياد الأكوان من

---

[17] السِّيمِياءُ: السِّحر، وحاصلُه إحداث مثالات خياليّة لا وجود لها في الحسّ. والسِّيمياء كذلك: الكيمياء القديمة وكانت غايتها تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، واكتشاف علاج كلّي للمرض ووسيلة لإطالة الحياة.

[18] طِلْسَم: (اسم) الجمع: طِلَسْمات وطَلاسِم. طِلْسَمٌ، طِلَّسْمٌ. والطِّلَسْمُ (في السحْر): خطوط وأعْدادُ يَزْعُمُ كاتبُها أنهُ يربطُ بها روحانيّات الكواكب العلْوية بالطبائِع السفلية لجَلب مَحْبُوب أو دفع أذًى، وهو لفظٌ يوناني لكل ما هو غامض مُبهَمٌ كالألغاز والأحَاجي.

[19] مُلْكٌ عَضُوضٌ: فيه عَسْفٌ وظُلْمٌ.

[20] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "السياسية".

[21] الأنبياء 100.

أكبر العوائق عن الحق فعدّوا كل من بقي في تلك المرتبة الكونية جاهلاً لا عقل له حيث زيّن الوقوف بباب الأكوان من بساتين الدنيا والآخرة مع الانقطاع به عن حضرة مولاه فيا خسارة تجارته حيث تجر[22] مع نفسه لنفسه بنفسه وهو يعتقد أنه وصل باب الله وهو بمعزل عنه بل أضعف العامة أهل الاستسلام أقرب منه وأعز منه لأنه تجرد من الدعوى ومن انقياد الأكوان له فصار يحترف معوّلاً على مولاه معتقدًا انقطاعه فإذا رآ من كان مجتهدًا يخدمه فيربح بنيّته فيا بعد من استبدل الأكوان الفانية بحضرة سيده ويا حمقه ولو تمالأت عليه الخلائق بالتعظيم فإنه غير معظّم شرعًا وعقلاً لأنه ما خلقه ربه إلا لخدمته فقدّم غيره فلما سحر الكون برياضته انقلبت له الأعيان فظنّ أنه على شيء ولو انفتحت له شعرة واحدة من مسام المعرفة بالله لاستقذر ما هو عليه وصار يذمّه لكراهة رائحته ففطن من قوّمه الله في علمه في الطريق المستقيم؛ فاعلم أن الطرق ثلاثة طريق معوجّة إلى جهة اليمين وهي طريق الجنة وطريق معوجّة عن شمال القلب وهو طريق النار والغضب والتطهير وطريق مستقيمة ظاهرة واضحة منجورة ممتدة من القلب لحضرة السيد وهي طريق التجريد الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم فما أعدلها وأقومها وما أسهلها وأحلاها وما أنقاها من كل غير وغيرية واستمرت التربية بالطريقة الثانية من القرن الرابع إلى حدود الخمسين من القرن العاشر انقطعت لغلظ القلوب وقلّة رجالها وانكبت الناس على شهوات ظاهرة من أكل وشرب ومعصية وشهوة خفية من الحظوظ وكثر المدّعون لها وظهرت الدجاجيل وبنيت بناءات عجيبة للزواوي لاقتناص الحظ الدنيوي بها ويستعطون بها وسمّوه الزيارة زيارة الأجداد فيقرّبون من أكثر العطاءَ من أهل الوفر وينحّون من كان قليل المال أو العطاءِ ويسمّونه مسخوطًا لأجدادهم وأنه لا محبة فيه وإن كان يبكي في محبة أجدادهم زمنه كلّه فترِد عليهم الهدايا من ظلاّم الملوك ينزع للمساكين ويعطي لهم لتكون بركة أجدادهم وفرح إبليس وزغرت بحصول غرضه الذي هو عين الانقطاع عن الله لأنه مكلّف بالإغواءِ وليس له إلا التخليط لمن كان قلبه على شفا الهلاك فيعينه عليه وتكلمت أيمة العلماء في إطفاءِ نار القطيعة وتصدّروا لإطفاءِ حر ما الناس

---

[22] تَجَرَ: (فعل) تجَرَ يَتجُر، تِجارةً وتَجْرًا، فهو تاجِر. تَجَرَ التَّاجِرُ: مَارَسَ البَيْعَ وَالشِّرَاءَ.

عليه فعادتهم أهل الزواوي ويقرؤون التدمير فيعينهم شيطانهم عليه فربما ينخَش[23] الشيطان بعض العلماء فخبله لإطفاءِ همة الناهض لله بالله فيقال فلان أهلكه سيدي فلان فتناقل حكايته لغيره من العلماء فخاف كل واحد على بدنه وعلمه وماله وولده وأذعنوا لهم كل الإذعان فحصل مراد اللّعين فنزلت فتنة على الكل على العلماء لسكوتهم حيث لم يعلموا أنه لم يكن إلا شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه ((**لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يضروك بشيءٍ لم يرد الله أن يضرك به ما قدروا**))[24] فسقط جهاد العلماء الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونزع منهم سبب الخيرة فتساهل القضاة والأمراءُ في تنفيذ الأحكام الشرعية فعمّ الهلاك وصارت السحرة تبنى عليهم القباب وينسى قبور العارفين ومجالسهم واستمر الناس عليه فصار كل عالم يصدع بالحق يقال إنه يبغض الأولياء ويقطعون مجالسه لأنه يتكلم بالحق.

فلما وقع ما وقع وأشرف كل الدين على الاضمحلال الذهاب بالكلية رسومًا وأطلالاً خلق الله في حدود الخمسين من القرن الثاني عشر خليفة النبي الأكبر سيد الأولياء وممدّهم محي الدين وناصره وعابد لله على مقتضى كسوة النبي صلّى الله عليه وسلم وربّاه بدار آبائه بعين ماضي بالصحراء وتوّجه بتيجان ملوك الحقائق العرفانية من الأنبياء والعارفين ممن قبله ونشأ نشأةً حسنةً وظهرت معجزاته يوم رضاعه وولادته بإظهار الله كمّال العلماء يحدّثون به وأنه في هذا القرن ودوّنت فيه وألّفت الدواوين والتآليف وصارت العلماء لا يتكلّمون إلا به وهو في المهد فبايعت له العوالم صغيرًا وضمن له النبي صلّى الله عليه وسلم الخلافة عن الله عمره كلّه ثمانين عامًا وصارت تربية العارفين تتزين به وقرأ القرآن وتعلّم من العلوم الرسمية العجب العجاب وأفتى وقضى ودرّس وجمع بين المعقول والمنقول وبنى مذهبه على

---

[23] نَخَشَ: (فعل). نَخَشَ نَخْشًا. نَخَشَ فلانا: آذاه. نَخَشَ فلانا: حثّه وحرّكه. نَخَشَ الشيءَ: أخذ نُقَاوته.

[24] عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومًا، قال: ((**يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألْتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، (رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ**)))
الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2516.

مذهب إمام الأيمة مالك ويحرّر العلوم النقلية حتى حرّرها ونصر به الله علوم الظاهر بعد ما كان إشفاءُ فيه للاضمحلال فاشتدت عروة العلم كزمان الصحابة ثم لـمّا حرر العلوم النقلية انتقل إلى تحرير طريقة الإرادة الطريقة الثانية فتلقّاها من بقية كنوزها وذخائرها فلما حصّلها وأتقنها انتقل للاجتهاد بها فاجتهد وحرّر للناس أركانه وأسّس ما كان منهدمًا وبيّن مراد الأيمة في إنشائها وأنه ما قصد بها إلا التوصّل لحضرة الله لا غير وأما أمر العبد فهو عبد وإن أفيض عليه الكون فحدّه مقامه وهو الملك وأن الولي في الحقيقة هو الله[25] لا غير وأن ما فسد من عقول أهلها إنما نشأ من عدم اتّباع السلف الصالح لهم فنفّر عن غير الله في الطريقة الثانية ولقّنها وربّى بها ونتج كل من ناوله أو ساعده ثم إنه وصل زمان سعده مع جده فاجتمع مع النبي صاحب الطريقة الظاهرة والباطنة وباطنة الباطن فأفاض عليه رسول الله حلّته ونزّله منزلته في الطرق الثلاث وعلّمه كيفية السلوك بهنّ ثم أمدّه النبي صلّى الله عليه وسلم في حدّ الرابع عشر من القرن الثالث عشر بالعلوم الثلاثة التي علمها ليلة الإسراء وأطلعه الله على ما كان وما يكون من المغيّبات عنّا وصار بحرًا لا يرام قعره وأظهر الجواهر الحسية والمعنوية فجرده النبي صلّى الله عليه وسلم من الغير والغيرية فقال له ((**خذ هذه الطريقة بلا مشقّة ولا حرج ولا عزلة ولا خلوة حتى تصل مقصودك الذي وعدت به في علم ربك**)) وقال له ((**واجتهد في أمرين في النفس وهو عدم الخطور من غير وغيرية في قلبه وعدم القصد وإياك أن تطلب بعملك فتحًا وأنت مفتوح عليك فإن طلب الفتح عويق الفتح**)) أي مبعد لأن الفتح في طريقة الصحابة هجوميّ بقهر إلهي من غير تعرّض له وقال له ((**إن للحضرة الإلهية بابين بابًا مفتوحًا وبابًا مسدودًا فإذا برزت العبادة من صاحبها بقصد شيء معها تمر عبادته في الطريق الموصلة إلى الباب المسدود فتحجب عبادته ويحجب صاحبها وإذا برزت من صاحبها من غير قصد شيء معها بأن أتقنها وأحسنها بإفرادها لحضرة مولاه من غير غرض بل بمحض العبودية تمرّ عبادته إلى الطريق الموصلة إلى الباب المفتوح فتجد الباب مفتوحًا فتدخل وتقبل ويدخل صاحبها ويقبل ويمهّد له فرش القبول بأدبه حيث أتقن عبادة بإفرادها لحضرة سيده وهو العارف بكيفية العبودة**)) فلما جرده صلّى الله عليه وسلم من القصد والغير والغيرية

[25] الشورى 26.

وقع له الوصل بربه على وجه المعاينة معرضًا عن الأكوان معظّمًا لها لوجه سيده لا غير فحصل له الأنس ووقع ما وقع وكان ما كان بينه وبين ربه ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[26] فما زاغ بصره إلى المكونات وأقبل على الله إقبالاً كليًا وهو عين التوحيد الخالص وظهر ما ظهر اغترف ما اغترف وشرب ما شرب وتدلّى له جمال وجلال سيده فرآه من مرآة النبي صلّى الله عليه وسلم الذي هو إمامه وشيخه وإسوته اتّباعًا ولباسًا وولايةً وخلافةً فهنئَ المساغ وصفي الشراب وحلي[27] ورجع ما كان آفلاً من شمس الحقائق فقال له النبي شيخه صلّى الله عليه وسلم ((**أنا شيخك ومربيك وكافلك فلا منة لمخلوق عليك فاقطع عنك العلائق كلها**)) فانقطعت وزالت وبقي بحر الصفا وزلال الوفا ونما الحال وزكت وظهرت المحاسن وانسدلت شعور العرائس وتبهجت طريق الوصال فلما حازه صلّى الله عليه وسلم إليه وألبسه بظاهره وباطنه وأودع فيه سره الإلهي وسر نبوته وربّاه بما ربّاه به مولاه في حضرة القدس وصار عين الشريعة واندرجت فيه الشرائع كلها والطرق كلها.

فلما أخرجه النبي صلّى الله عليه وسلم مما كان عليه وساسه بسياسته وبيّن له صلّى الله عليه وسلم بأنه مقصوده في الأمة وأنه هو القطب المكتوم المشار إليه في الأحاديث والأخبار فقال له "**ما معنى القطب المكتوم**" فقال ((**هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء فأنت برزخ عظيم حزت البرازخ كلها والولاية كلها والصفاءَ كله**)) فمشربه مع الأنبياءِ في الحقيقة المحمّدية ظاهر عند الأنبياءِ ومشربه الخاص به مكتوم عن الأنبياء والملائكة والأولياء فلذا سميّ مكتومًا وطريقته ورجالها مكتومون وأسرارها وكل ما عنده مكتوم لأنه منطو على الدين كله وعلى علم الغيب وعلى علم الظاهر والباطن وعلى سر النبوة ومعه يخفى مقامه بكتمه حتى لا يعرفه إلا من فتح الله بصيرته ممن سبق في علم الله أنه يكون من خلاّص أتباعه وضمن له النبي صلّى الله عليه وسلم أمورًا عظامًا لا تفي به الأقلام ولا العقول لأنه وهب إلهي ومن بعضه أنه نزّله منزلته وقال له ((**أنا شيخك ومربيك ولا منة لأحد عليك**)) ومنه أنه

---

[26] النجم 16.

[27] حَلِيَ: (فعل). حَلِيَ، يَحْلَى، مصدر حَلاَوَةٌ، حُلْوانٌ. حَلِيَ الطَّعَامُ: كَانَ حُلْواً.

ضمن له أن يكون هو وأتباعه في أعلى الجنة الثامنة في جواره صلّى الله عليه وسلم وضمن أن يحضر جميع أصحابه أينما كانوا عند الوظيفة بقصد التربية والإرباح ومنه أنه ضمن له حضوره صلّى الله عليه وسلم عند الاحتضار وعند السؤال ومنه أنه ضمنه أن يموتوا على الإيمان ومنه أنه ضمنه أن يظلّه الله هو وأتباعه في ظل العرش ومنه ألا يروا هولاً من أهوال الآخرة من الموت إلى المستقر في أعلى الجنان ومنه أنه ضمن أن يؤدي الله عنهم تبعاتهم من فضله لا من حسناتهم يوم القيامة ومنه أن من أخذ ورده حرّم الله جسده على النار هو [ووالداه][28] وأزواجه وأصهاره وذريته المنفصلة عنه لا [الحفدة][29] ومنه أن يجوز هو وأصحابه على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة ومنه أن يشربوا جميعًا من حوض النبي صلّى الله عليه وسلم ولا يذاد واحد عنه ومنه أن الله خصّهم ببرزخ مخصوص فلا يدخل معهم غيرهم ومنه أن يدخلوا الجنة ومن أحبّهم في أول الزمرة الأولى مع الصحابة ومنه أن النبي صلّى الله عليه وسلم جعل لهم في وسط الصحابة مقامًا عاليًا: ((**أصحابك أصحابي وفقراؤك فقراءي وتلامذك تلامذي**))، وقال في بعض منهم ((**اكتبا هذا في ديوانكما**)) خطابًا لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومنه أن كل واحد منهم عنده سهم عظيم من اسم الله الأعظم وهو في الورد اللازم فمن عرفه منهم فله ثوابه ومن لا فله نصفه ومنه أن جلّهم يرى وجه النبي صلّى الله عليه وسلم ومنه أنه ينزّلهم الله في مقام شيخهم الذي انتقل منه فكلّما انتقل من مقام إلا ورثه جميع أصحابه ويأخذون ثواب مقامه لكل واحد منهم بالفضل ومنه أن الله حفظهم من الفتن ومن أعظمها الدجّال فلا يتّبعه أحد منهم ومنه أنه جعلهم الله جيوشًا للإمام المنتظر المهدي فلا يضلّ واحد منهم ومنه أنهم حفظوا من الاعتقاد الفاسد في التوحيد ومنه مغفرة جميع سيآتهم كبائرها وصغائرها بمحض الفضل ومنه أن الله كتم مقاماتهم فلا يدّعي أحد منهم دعوى مع أنهم لو اجتمعت أكابر الأقطاب ما وزنوا شعرة واحد منهم ومنه ضمانه صلّى الله عليه وسلم التربية بطريقته إلى قيام الساعة وأن أقل ما

---

[28] ورد في الطبعة الأولى بدرب غلف هذا التعليق في الهامش للمؤلف رضي الله عنه وفيه: **فالوالدان أصوله وذريته فروعه إلى قيام الساعة وهو عمود نسبه.**

[29] ورد في الطبعة الأولى بدرب غلف هذا التعليق في الهامش للمؤلف رضي الله عنه وفيه: **فالحفدة الخدمة** ا.هـ

يكون بطريقته من المربّين أهل الإرشاد الذين سمعوه من الحضرة المصطفوية أو الحضرة الإلهية تسع مائة ستمائة من الإنس وثلاث مائة من الجن وأنه صاحب الطريقة قال ستفترق هذه الطريقة إلى ألفي ألف طريقة وكل طريقة تتفرع منها طرق كثيرة وكلها مني وإليّ وكل طريقة بمربٍّ لها خاص وكلهم في مشرب واحد في الورد اللازم ولا يضر التخالف في الأحوال على أحوال الأنبياء والمشائخ فما من مربٍّ إلا وقدمه على قدم صحابي وقدم صحابي على قدم نبي فعبد الله ولله الحمد في طريقته على أنفاس الأنبياء والأولياء ولأصحابه اتّصال عظيم بالنبي صلّى الله عليه وسلم وطريقته محمّدية على الوجه الأخص ولا تكون التربية إلا بطريقته فما من طريقة إلا وتدخل في طريقته كما ضمن له من الحضرة المصطفوية ومنه أن ولد الزنى إن تعلّق به يخلّصه من سخط الله إلى السابع من أولاده ومنه أن من رآه يوم الجمعة أو يوم الإثنين حرّم الله جسده على النار ولو كان كافرًا ومن رآه في بقية الأيام حرّم الله جسده على النار إلى أحد عشر مرتبة بشرط الإسلام وعدم البغض ومنه أن من رآ أصحابه يوم الجمعة بعين التعظيم حرّم الله جسده على النار ومنه أن النبي صلّى الله عليه وسلم رتّب له أذكارًا خاصةً فمن داوم عليها يشفّعه الله في جميع من رآه ومنه إذن النبي صلّى الله عليه وسلم في الاسم الأعظم الخاص به وتعليمه كيفياته وتلقينه له وأذن له أن يلقّنه لكل من ظهر له ومنه اطّلاعه على مفتاح القطبانية ومنه ما اختص به هو في ثواب الاسم الأعظم مما لا يشمّ له أحد رائحةً ومنه إفاضة النبي صلّى الله عليه وسلم عليه وعلى جميع أصحابه مرتبةً عظيمةً وهي أن الله تفضّل على كل واحد منهم بسبعين ألفًا من الملائكة يتبعونهم ويذكرون الله بذكرهم وكل ملك لسانه بعشر ألسنة البشر خدمة لكل واحد منهم ويكتب ثوابهم في صحيفة كل واحد منهم ومنه أنهم يأخذون مؤونة شيخهم بلا نقصان بالإفضال قديمًا في الطريقة أو حادثًا عالمًا أو شريفًا طائعًا أو غيره فتستوي مرتبة أصحابه في مقامه هو ثم يفيض عليهم مؤونته إهداءً لهم أخوة بينهم وبينه للصحبة النبوية ثم تفيض عليهم مرتبة مراتب ذواتهم ومراتب صفاتهم واجتهادهم ونيّاتهم ومحبّتهم ومنه أن الله جل علاه يتجلّى في كل واحد في كل نفس من أنفاسه التي عددها أربعة وعشرون ألف نفس اثنا عشر صاعدة واثنا عشر هابطة في كل يوم كذا وكذا من التجليات ما لا يعلمه إلا الله لاختلاف المظاهر فيلبسه في كل تجل كذا وكذا من

الأحكام من سعادة بقرب ويعطيه الله في كل حكم مثل ما أعطى للخلائق من يوم خلقهم إلى وقته بزيادة ستمائة ألف ضعف فإنه جل علاه ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[30] فيبيت كل واحد منهم بثلاث مؤونات في كل يوم وهو قوله رضي الله عنه: **"كل من عمل لله عملاً وتقبل منه يعطينا الله** يعني ولأصحابه **مثل ذلك العمل وزيادة ستمائة ألف ضعف ونحن رقود"**، ومنه أن الله أفاض الاسم الأعظم بجميع تراكيبه على عدد كثير من أصحابه غير مقيّد بألوف مؤلفة لأنهم صالحون له لأنه لا يذكر لغرض. ((**إنه لا يصلح يا عائشة لأهل الدنيا والآخرة**)) مع قلّته في الزمن الأوّل بل حتّى الكنز المطلسم الذي اختصّ به النبي صلّى الله عليه وسلم الذي هو مقامه أفاضه على صاحب الطريقة وأمره بإفشائه وتلقينه لكل من ظهر له ففشا في طريقته مع فقدان ذكره في الصدر الأول ولو عند الأنبياءِ والملائكة لأنه من خصائصه صلّى الله عليه وسلم ومنه أن النبي صلّى الله عليه وسلم اعتنى به وبهم غايته فإنه يسأل عنهم في كل وظيفة ترغيبًا في الربح ومنه أنهم يجالسون النبي صلّى الله عليه وسلم جلوسًا حسيًا من السابعة في الجوهرة إلى أن يفرغ ولو سائر عمره ما فارقه ومنه أنهم أكرمهم الله بالسبع المثاني وأعطوا فيها ما لا يذكر ولا تسعه الأزمان والأمكنة ومنه أن كل من أحبهم أو خدمهم أو صاهرهم أو أكل معهم أو قضى لهم حاجة أو اعتنى بأمرهم وبأمر طريقتهم يدخله الله الجنة بلا حساب ولا عقاب من جملة الجماعة الأولى دخولاً ومنه أن الله أكرمهم باتّباع شيخ في عالم الذر خليفة النبي صلى عليه وسلم في عالم الذر وهو نائب عنه في كل حكمٍ حكمٍ من إمداد وإنفاذ فلم تكمل صورة النبي صلّى الله عليه وسلم في أحد ولا علومه ولا أخلاقه من جميع الأكابر إلا فيه رضي الله عنه وهو رجلها من قاف القيومية إلى قاف القيومية معناه رجل العدم ورجل الدنيا والبرزخ والآخرة ولم يعط لأحد من الأولياءِ أن يشفع في جميع أصحابه إلا هو رضي الله عنه ولو بلغوا في المعاصي ما بلغوا ما لم يلبسوا حلة الأمان من مكر الله فهو عين الكفر ولا يلبسه واحد منهم لأنهم مأمونون من السلب وأعظم السلب سلب الإسلام فقد أمنهم مولاهم من الكفر ومن شر المعاصي ومنه أن طريقته سفينة نوح من ركبها نجا ومنه أن الله شفعه في أهل عصره وزيادة عشرين سنة فهو مائة عام وهو دار ضمانة على الحقيقة ومنه أن

[30] آل عمران 73.

الله شفع كل واحد من أولاده في ألف ألف رجل وامرأة وضمن الله لكل واحد من أولاده ذكورًا وإناثًا الفتح الأكبر بمجرد البلوغ ومنه ضمان طائفة عظيمة يقع لها الفتح الأكبر في آخر الزمان أربعون ألفًا في ليلة ثلاثون ألفًا من الرجال وعشرة آلاف من النساء ومنه أن كل واحد منهم يصلح لكمال التربية بأن يربّي غيره ولو كان من العامة لأن كل واحد مجرد من الغير والغيرية بفطرة الإذن في الطريقة لأن كل واحد لا يحب من ينتسب لغير الله من الولاية والأسرار والإفهام بعقله لأن الفهم بالعقل مع نسبته لنفسه عين الهلاك ومنه أن النبي صلّى الله عليه وسلم يجعلهم في حجره كما تجعل الأم ولدها فيه فمن أكرمه في حجره فقد أكرم محتجره ومن أهانه فقد أهان من احتجره فعند التلقين يتلقى مرتبة شيخه ولا مزيد عليها لأنه لو اجتمعت مؤونة جند الله ما وصلت قليلاً من مؤونة القطب المكتوم لأنه خليفة النبي على الإطلاق فغير الأنبياء يستمدون منه وهو يستمد من ذوات الأنبياء وأحاط بذواتهم ومراتبهم وأخلاقهم بحيث لا يظهر معنى من معانيهم ولا سر منهم إلا بواسطته فهو صهريج الأنبياء تستمد منه الأولياء والملائكة فهو أصل الولاية وينبوعها وكنز السر وذخيرته وهو كوثر العلوم والمعارف لأنه جرّد بمحض الفضل في عالم الغيب من شهود غير الله بلا خلوة فلم يسبقه أحد بالعبادة ولا بالعبودية ولا إلى تمام الحمد والشكر ما عدى شيخه الذي رباه الله به في الطينة فهو أحمد أفعل تفضيل من الحمد أكثر الناس من الأولياءِ والملائكة حمدًا وأسبقهم حمدًا فكل من عبد الله إنما عبد الله بما لبسه من عبوديته رضي الله عنه المفاضة عليه من شيخه النبي صلّى الله عليه وسلم من رب كريم رحيم له به بلا سبب ومنه أنه جعله الله رحمة لآخر الأمة التي لم يبق فيها من الدين إلا رسمه واسمه ولم يبق من العلم إلا الرقم في الكتب ولا من العمل إلا عمل خال من الحضور وخال من الإخلاص فهذّب الله به آخر الأمة وجعله سراجًا في ظلمة الحظوظ من الإرادة وغيرها فأسقط الله به رحمةً منه حجاب الإرادة ولم يبق بعده إلا صفاء العبودية فظهرت منه ما غرسته الصحابة وأينعت عراجين عملهم فهو من جملة إخلاصهم وثمرة وراثة نبيهم فهو رضي الله عنه وإن كان ممدًا للصحابة بالوجه الأخص لكنه من جملة حسنتهم وعمله وعمل أصحابه يكتب في ديوان كل واحد من الصحابة بدلالتهم على الله لا غير فهو يدل على الله وينفّر مما سواه ويبيّن أن من شرّك عمله لله بغرض نفسه من طلب الثواب يردّ عليه

عمله لأن الله أغنى عن الشركة والشركاء فافهم بنور إيماني لا بعقلك ومنه أن الله جل جلاله فتح هذا الدين بنبيّه خليفته في كل مملكته وختمه بخليفة خليفته سيدنا ومولانا أحمد بن محمّد التجاني رضي الله عنه وهو خاتم بحر المشيخة بحيث لا يظهر أحد بما ظهر به من الصفاء إلا إذا كان من أتباعه ومنه أن الله جل علاه طوى ولاية التصريف في المكونات في دائرته بحيث يكون رئيسهم منها ومنه أن من جالسهم يكتسب منهم طيب إخلاص ومنه أن من نزل من أصحابه في موضع وقرأ الوظيفة فيه تنزل به الفقراء وأتباعه أهل باسم الفقراء لأنهم تفقّروا أي تجرّدوا من الغير والغيرية فكمل اضطرارهم والتجاؤهم إلى الله أكثر من غيرهم إلا ما كان من رؤساء الطريقة الثانية فإنهم من أهل الأولى بعد وصولهم وكل من وصل حضرة الحق فهو من أهل الأولى يعمّه ما يعمّها ويعمّ أهلها فافهم ومنه أن شيخهم على الحقيقة حقيقة النبي صلّى الله عليه وسلم والشيخ نائب عنه وهو مقدّم من النبي صلّى الله عليه وسلم على جميع العارفين من أتباعه فما من واحد من أتباعه إلا وله باع عظيم في المعرفة بالله ولا سيما إن أمعن فكره إيمانًا ومحبةً فيما سطرنا في كتابنا **(سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار)** فإن فيه غنية لكل لبيب مراد له الرضى؛

والحاصل من المقدمة أن الطريقة التجانية الطريقة الأصلية النبوية المجردة من الحظوظ التي هي حجاب عن حضرة الحق فهي الإبراهيمية الحنيفية السمحة الشكرية قال الخليل الأعظم عليه السلام **علمه بحالي يغني عن سؤالي** عند قول الملك **ألك حاجة** فقال **أمّا إليك فلا** فذهب فأتى بأكبر الملائكة إسرافيل عليهما السلام فقال له **ألك حاجة** فقال **أمّا إليكما فلا** فقالا **فادع ربك** فقالها حينئذ وهو الذي سمّانا مسلمين ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً﴾[31] فاتبعتها أهل الطريقة الأولى وأهل الثانية عند نهايتهم في الوصول بعد التجريد وخالفتها أهل الثانية بعبادتهم لغرض نفوسهم فلولا الجنة والنار لظهر من يعبد الله على الوجه الأكمل ممن لا يعبده لأن الجنة شوّقت كل متبع لهواه مدّع في دعواه فهي حجاب وإن كانت حضرة القدس لكنه تفاض على من طلبها بعملها على وجه الإفضال وهو مسيءٌ وكفاه عذابًا

---

[31] النحل 123.

عتاب الله له على ذلك وإن تفضّل عليه بعده فهو من الغافلين وإن قال له يا عبد السوء عبدت لغيرنا ما عبدتنا لأجلنا وإنما عبدت لأجلك يكسى[32] من أردية الخوف والحياء ما النار أيسر منه.

وهذه الطريقة هي الحنيفية المستقيمة الغير المائلة عن الحق وغيرها من الطرق الموصلة للجنّة والأسرار والكشوفات بقصد قاصد ملحدة عن الحق لأن العابد طلب وتعرض للأجرة وهو سوءُ أدب عقلاً وشرعًا لأن العبد لا يؤجّر نفسه لسيده ولا لغيره إلا بإذن سيده وإلا فهو ظالم ومن تعرّض بعمله للثواب أو رآ أنه أهل للعمل فهو غير معدّ من الأدباءِ بل من البهّل[33] والغمر[34] الذين لم يجربوا الأمور فعليك بالطريقة الأصلية السمحة فالأصلية معناها أن الطريقة الثانية مفرّعة عنها بقصد ترقيق الحجاب ولا ترجع إليها إلا بعد التجريد في الانتهاء ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[35] فافهم كله ولا تغتر مع المغترين فأنت في حضرة الحق أبدًا ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[36] وهو عرق متصل بالقلب وهو أقرب إلينا معشر الخلق من قلوبنا وهو معك بذاته وبعلمه مع ظاهرك وباطنك ومع كل ذرة من ذرات الوجود فالمحجوب أنت لا هو[37] وإن حجبت بنفسك فأنت في مرءًا منه وكفاك شرفًا فكيف يصوّر لك عقلك أن تستحسن غيره من الحظوظ الموبقة أم كيف يقبل عقلك الحجاب عنه وهو الظاهر والباطن أم كيف ترى السفر إليه من عقبة لعقبة وهو معك أم كيف يخطر ببالك أنك تزهد من الدنيا وأنت خلقت منها وهي أمك أم كيف تزهد عن الجنة وهي دار للعبيد أم كيف تشغلك النعم عنه وهو مهديها لك للتوصل بها ولتستعين بها لتكون لك حجابًا في بعض الأوقات لئلا تذوب من جلاله فالنعم إنما أهديت لك لتحجبك عن رؤية الجمال فلو رأيته بلا وساطة النعم لتلاشت

---

[32] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يكس".

[33] بُهَّلٌ وبهاليلٌ: جمع بُهلول. البُهْلُولُ: السيّدُ الجامع لصفات الخير، المَرِحُ الضحّاك. وهو كذلك المعتوه، الأحمق، المجنون.

[34] رجلٌ غَمْرٌ: لم يُجَرِّب الأُمور.

[35] النجم 41.

[36] ق 16.

[37] المطففين 15.

أركانك فلو رأيت سر القدر لتمّ أمرك ورجعت عين العدم أم كيف تشاهد النعم من غيره وهو الخالق لها أم كيف تميل لغيره وهو سيدك وعزك أم كيف تتبع هواك وفيه عطبك أم كيف تصل بصيرتك إليه وهو قدم وأنت حدوث أم كيف تستدل عليه وهو الظاهر في كل شيءٍ أم كيف تشير إليه وهو حاضر أم كيف تناديه وهو غير غائب أم كيف تطلبه زيادة وقد فرغ من أمرك أم كيف تشاهده وهو نور قاهر أم كيف تحبه وهو الفاعل فيك أم كيف توحده وهو واحد أحد قبل وجودك أم كيف تخدمه وهو غني عن كل شيء أم كيف تعصيه وأنت بمرءًا منه أم كيف تغفل عنه وهو سيد قاهر أتحسن الغفلة منك عن سيادة المالك أم كيف تنهمك بلذّات النعم منقطعًا بها عن مولاك فالدار داره والعبد عبده والعز عزه والفعل فعله وإنما أسدى إليك النعم لتشاهد سره فيها وإنما صحّحك لتكمل قواك للوقوف بين يديه وإنما أمرضك لترجع إليه وإنما أعطاك لتشكره وإنما منعك الإجابة محبةً لكلامك وإنما ولاّك على نفسك لتحسن معها بمشاهدة سر القدرة فيها وإنما كلّفك لتحمل زادك من رضاه وإنما أغناك ليكمل افتقارك له وإنما أعدمك لتفرح بإمداده وإنما خالف بين الخلائق ليظهر تفاوت فضله وإنما أوقفك ببابه لتشاهد جماله وإنما أظهر مراتبه لتتعلق بها وإنما ملكك عزًا لك وإنما سماك عبدًا تشريفًا لك وإنما فتح لك باب الفهم لتفهم عنه لا عنك وإنما أمرك بالتوحيد لتخلص من الشرك وإنما نهاك عن المحرمات لتكمل عبوديتك وإنما أحل لك المباحات لتشاهد ربطك به وإنما أباح لك النظر لغيره للانقطاع إلى حلاوة جماله وإنما برّج لك المكونات لتشاهد بكل ذرة فاعلها فتكمل عبادتك بعبادتك الله بألسنة المرئيات والخواطر وإنما أجال فكرك ووسّع لك المجال ليكمل إقبالك فهل غاب عنك حتى تطلبه أو بعد عنك حتى تسافر إليه أم حجبته الأكوان حتى تهدمها بالرياضة وسر الأذكار أم خفي عنك وهو الظاهر فيك أو تريد أحسن منه بالميل إلى الجنة أو أردت الانفكاك من ملك رقّه حيث طلبت الولاية فهل يحسن منك طلب الولاية وأنت مولّى عليك فالعبد عبد وإن ولاك والسيد سيد هو الولي الحميد أم يحسن منك ترك الأسباب المعاشية وهو آمر بها أم يحسن الاتّكال عليها وهي حادثة مثلك كيف تعوّل على طبيب يداويك والله آخذ بناصيته أم كيف تعبد غيره وأنت تأكل رزقه أم كيف تحبّ الغير والغيريّة وهما عين الانقطاع أم كيف يزيّنك عقلك غير التعلق بسيدك أم كيف تحسد عبدًا

مثلك عن نعم مولاه أم كيف تحقد عنه وهو مملوك لسيدك ألا تعرف أنك تحارب ربك في عبيده أتُبكي عبدًا له وأنت تريد أن يحبك أتظلم عبدًا وأنت تقول يا رب ما رأيت أقل حياءً من عبد يتجسّر على عبيد سيده ويغشهم ويعاديهم ما أكذب من ادّعى محبة الله وهو يكره أهل محبة الله وما أكذب من ادّعى محبة نبي وهو يكره واحدًا من أمته وما أكذب من ادّعى محبة ولي وهو يكره واحدًا من جماعته فكن عبدًا عارفًا سطوة المالك فأحبّ الخلق لله وأحبّ ما أحبه وابغض ما بغضه فأنت عبد لا غير لا تزيّن ولا تقبّح واصبر لمجاري أقدار سيدك فيك ولا ترد شيئًا فإنها عين الهلاك ولا تدّع معرفةً ولا عبادةً ولا توحيدًا فالله محرّكك ومسكّنك فكن صاحيًا فطنًا عابدًا به له راضيًا بمقام العبودية فإنك عين العزّ إن فعلته خلق لك هاديًا يدعوك إليه وينصرك من ربقة الشكوك والظنون ويوصلك إلى حضرة حق اليقين والعلم وهو نبيّك أمين سيّدك على النصح فيا سعد إن أفنيت عمرك في ما اهتدى به وهدى ويا خسارة إن تركت لك شيئًا من إشاراته وخلق لك هاديًا إلى حضرة غيره داعيًا مكلّفًا منه بتخليط من كان إيمانه على ظن أو شك أو وهم فمن أحب الدنيا كان عبدًا لها والآخرة كان عبدًا لها وهو في ركب السائق إلى حضرة الغضب وهو إبليس فكلّ من زين لك غير الله من نفس وغيرها من المدّعين للتصوف بحيث يقول لك أذكر كذا لتصل كذا أو بركتنا توصلك وادخل الخلوة لتشاهد الروحانيين والأسرار فهو ضال مضلّ إبليس لأن إبليس حده مخلوق عرضه الله لتضليل الضالين فكل من زين لك غير الله فهو هو فأهل الطريقة الثانية في الابتداء لا يزيّنون إلا غير الله لأنهم يقولون أذكر كذا ليكون لك كذا من الولاية والكشوفات فدلّوا على غير الله لكن المشائخ منها مجتهدون فلهم أجر لأنهم ما فعلوه إلا لترقيق الحجب لا غير فرجال الطريقة الأولى يجردون من أول وهلة فلا يدلون على غير الله ورأوا الرياضة من أكبر الدواهي التي نزلت بالناس حيث لم يدلوا على ما دل عليه الشارع صلى الله عليه وسلم. **من لم تصلحه السنّة لا أصلحه الله**، فالسنّة تدل على الله وتجرد مما سواه فهو زبدتها ورأوا أن من مات من أهل الثانية قبل الوصول مات على غير السنّة لأنه طلب الولاية التي ليس من شأنه وإن كان مسلمًا باتّباع الأوامر من صلاة وغيرها لكن دخله الفساد

من النية ((**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلّ امرئ ما نوى**))[38] فنوى بعبادته غير الله وأهل الأولى غرقى في بحر العبودية في كل حركة تابعهم ومتبوعهم لأنهم دلّوا على الله فمن وفق تبعهم ومن لا فلا ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[39] خطابًا لأكبر الأطباء والعقلاء والعارفين فكيف يستنبط من بعده طريقة تهدي إلى غير الله من الزهد والإخلاص والسر والولاية والكشوفات والله لقد عظم ذلك بدعة في قلوب العارفين لكنهم رضي الله عنهم مجتهدون وإن أبدعوا ما لم يشرّع إنما كان مقصودهم الله فإنهم قنعوا بصفاء واحد في الدهر فأهل الأولى غرقوا مبتدئهم ومنتهيهم في بحر الإخلاص من ربقة الغير والغيرية ولا يريدون إخلاصًا ولا زهدًا وإنما شاهدوا الأفعال كلها من الله فمن زهد بالله ومن أخلص بالله ومن اهتدى بالله ومن ظهر له جمال الحق فمنه لا تعمّل للعبد فالولاية غير مكتسبة ولا تنال بأصل ولا عقل ولا عبادة وإنما فعل الله يسري كما سبق به علمه جل جلاله فإذا عرفت الفرق بين الأولى والثانية وميزت بالله ما زان وما شان فاعلم أنك في مشاهدة سيدك دائمًا فلا تحتاج إلى طلب ولا نداء بصوت وإنما شرع لك الأسباب لتنظر فيها سر مولاك فاعمل جميع ما أمرك به الرسول واترك جميع ما نهاك عنه امتثالاً لله ولرسوله ومحبة في أمره واجتناب مناهيه وتعظيمًا له وإجلالاً له وشكرًا وغلبة إن شاهدت فعله فإنك لا ترى إلا أنك تتحرك قهرًا تعبد قهرًا وتصل إليه قهرًا وتفنى منه قهرًا وتبكي قهرًا وتنشرح قهرًا ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾[40] وأنت مقهور.

فإذا تمهد لك ما سطرناه فاعلم أن الطريقة الثانية مندرسة رسومها وأطلالها على ما فيها بذهاب رجالها وهي صعبة بعيدة القعر خطر إما أن يصل بها وإما أن يتخلف بها. قال أبو مدين[41]

واعلم بأنّ طريق القوم دارسة * * وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

---

[38] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1.

[39] القصص 56.

[40] الأنعام 19.

[41] من القصيدة المسماة (دستور الفقراء) لأبي مدين شعيب الغوث ت 579 هـ.

فالقوم المبتدعون لها ومن تبعها. فأهل الطريقة الأولى لا يسمّون بالقوم لأنهم لا اصطلاح لهم فلا تغتر باصطلاح أهل الثانية فالأولى صافية ظاهرة كالاسم الظاهر فلا يحتاج إلى مفسّر ولا إلى شيء يعود إليه والثانية كضمير الغيبة فيرجع إلى المذكور لفظاً أو إلى المشاهدة أو إلى القرينة فأهل الأولى يعبدون الله عبادةً لا كناية فيها وأهل الثانية يعبدونه بكناية الضمائر والرموز فالعامي منهم لا يعرف سراية عبادته لمولاه لأنه تعرّض بها لغيره وهي راجعة في الحقيقة إليه وحكمتها أن يعبد الله ظاهرًا وباطنًا معا عند الأولى وأن يعبد باطنًا لا غير فإذا علمته علمت وجوب رجوع كافة المؤمنين إلى الأولى لعدم من يأخذ بيدهم في الثانية وإن كثرت المدّعون "**وحال من يدّعيها اليوم كيف ترى**" وجوبًا عقليًا وشرعيًا وعاديًا لحقيقة الأولى التبري مما سوى الله قصدًا والانحياش إليه بالله.

فإذا عرفت أن النبي صلّى الله عليه وسلم خلّف القطب المكتوم سيدنا ومولانا أحمد بن محمّد التجاني خلافةً مستمرةً ببقاء الإيمان وأنه مكتوم وأنه نزّله منزلته في الدلالة على الله وأن النبي صلّى الله عليه وسلم لا يفارقه وأنه علّمه ما علّمه الله ليلة الإسراء وهو التجريد مما سواه وأن النعم من حيث هي نعم الله نتبرك بها ونراها من يد الله مهداةً لحضرة العبيد تعظيمًا لهم بهم ليأنسوا بها كما يأنس الصبي بنحو بيضة عن الثدي وأن التجاني ظهر بطريقة التجريد تجريد القلب مما سوى الله وأن طريقته التي ظهر بها هي عين ما كان عليه صلّى الله عليه وسلم فهي طريقة سهلة سمحة لينة طيبة قريبة لا سلوك فيها أصلاً ولا تربية فيها أصلاً فتربيتها حسن الوقوف بباب المولى لا غير فافعل فيها ما أمرت عن لسان نبيك واترك ما نهيت عنه والأمر والنهي منه عين التعلق بربك بلا زائد وأن سيدك لا يحب لك أن تشقى بأنواع العبادة وإنما نوّع لك الأوامر لتلتذ بها كما تلذذ بالنعم المختلفة منه في الدنيا والآخرة فإن فتحت بصيرتك تجد الصلاة وأنواع العبادات ألذّ من النعم لأن النعم فائدتها أن تشهد فيها وبها مولاك فالأوامر بنية الامتثال عين المعاينة لفعل مولاك ففعلك لأمر وتركك لنهي عين فعل مولاك وأنت نائب عنه فيه فيا سعادة لك حيث أنابك منابه وأظهر فيك بك محاسنه التي هي عين الوقوف ببابه فأنت نائب عن الرب في الأفعال والفعل في الحقيقة له لا لك وأنت له لا لك والنعمة منه إليك خلقها لك لتشاهده فيها فكيف تعشقها بنسيان مقام المنعم فقم بباب مولاك فإن الله نزّلك

بحضرة نبيّه قهرًا منه عليك وأجلسك في حضرة وليّه قهرًا منه لك فاصبر واثبت فإذا تأملته اتّضح لك بلا إشكال أن زمان التجاني يشاكل زمان النبوة بالتجريد والخلافة فالنبي صلّى الله عليه وسلم يجرّد الناس إلى حضرة الله وهو خليفة الله حيثما كان الله إلها في الدنيا والآخرة والقطب المكتوم يجرد القلوب مما سوى الله ويرشدها إلى حضرة الله وهو خليفة النبي صلّى الله عليه وسلم حيثما كان النبي خليفة عن الله في الدنيا والآخرة وما بينهما. فمن أطاع الرسول بالتجريد فقد أطاع الله[42] فمن أطاع الله أجلسه في حضرة قدسه وينعمه بوجهه وبما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد فضلاً منه بلا قصد ولا تعمّل من العبد وإنما المطلوب من العبد الأدب مع اتقان الوجهة فالأدب في عرف العارفين ما هم عليه من التجريد والتبري من فعل غيره وما تشير إليه العبارات من الكمال والتجريد هو فص صريح العبارة. ومن أطاع التجاني فقد أطاع النبي صلّى الله عليه وسلم فطاعته تستلزم طاعة الرسول وحقيقتهما حقيقة واحدة وهي إفراد الوجهة لحضرة المولى جل جلاله. فإذا أظفرك الله بالقطب المكتوم وعرفته بما سطرناه فأنت من السعداء القائمين بحقوقه لأنه ما دلّك الله عليه حتى سبقت لك عنده تمام السعادة فإذا ساقتك أسباب السعادة إلى معرفته والتعلق به والانحياش له فاقطع بأنك محبوب حيث أوقفك الله بحضرته وقفة العارفين ببابه وأوقفك بباب دار خليفته بقدرته الباهرة وجعلك ضيفًا له عنده ورتب عليه حقوق ضيافتك بالنصر والإكرام وإذا زاد لك فرح قلبك بالوقوف ببابه فقد تمت عليك السعادة والنعمة وزاد لك عناية حيث أوقفك بباب خليفة خليفته القطب المكتوم الشيخ الأعظم وجعلك ضيفًا لخليفة رسوله صلّى الله عليه وسلم وعلى آله عنده ورتب لك الله بفضله حقوق الضيافة فأوجب الله على المضيف القيام بحق الضيف فلا سيما وأنت ضيف الله عند رسوله ومن عنده جئت فلا شك أنه يقوم بشؤونك ولذلك عرّفك خليفته الولي على الإطلاق فلا شك أن القطب المكتوم يكرمك ويقوم بحقوقك لأنك من عند الخليفة الأعظم صلّى الله عليه وسلم فأنت مكرّم في الحضرتين مع ضميم نفقة تغنيك وتغني عيالك وقلبك لأنك ضيف مرسل من الملك الحق فنزّل نفسك منزلة ما بينته لك فإنك عليه منصور معان مغاث بلا طلب لأنك من

---

[42] النساء 79.

الله نزلت عليها ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾[43] فإذا أكرمت بالدخول إلى حضرة الرسول ورأيت جمال حقائقه وأكرمك بخزائن الشريعة وهي عدة الله عنده يكرم بها الوافدين من الله ونزهك في رياض حقائقه ومراتبه وبرج لك شعور جواهر قعره وأتم عليك الإكرام وأعطاك ما يكفيك وأرسلك إلى خليفته ليتحفك بما عنده من ولايته وسر وجهه وأكرمك بعدته التي هي عين طريقته وأطلعك على جواهر قعر بحره وعرف أنك ضيف لله وضيف رسوله وأناخك بخيمته وحياطته وحمايته ونزع منك حق الغيرة وثبّت قلبك وشجّعك لتقوى على حمل أعباء تكاليف الله ومراقبته فتطلب منه أن لا يفارقك في حضرته وفي حضرة الرسول وفي حضرة الله وشرط عليك ألا تفارقه دائمًا أبدًا وأنت في كفالته وحرمته وحجره يغار لك وعليك كما يغار الكريم على ضيفه ويحنّ إليك كما يحن الأب الحنين على ولده البار له. ثم إنك لمّا عاهدته على متابعته متابعة التابع لمتبوعه في الأحوال كلها وصممت عليه صميم قلبك على الإسلام وعلى حب أبيك وأمك محبة فطرية غريزية ومحبة عقلية وشرعية وعادية آنسك بأنواع الإكرام وأضافك إليه إضافة الولد والمال والزوجة فما بقي لك بعده إلا أن تتمشى بإشارته وتسلك بسلوكه وتكون كما كان وتمشي معه أين ما مشى وهو في حضرة الرب جل وعلا لأنه في مشور النبي صلّى الله عليه وسلم وإيوانه خادمًا لكرسي النبي صلّى الله عليه وسلم وكرسي النبي صلّى الله عليه وسلم في حضرة ربه دائمًا فيجب عليك أن تؤمن بالله إيمانًا كإيمان شيخك وإيمان شيخك على إيمان شيخه النبي صلّى الله عليه وسلم وإيمان النبي صلّى الله عليه وسلم على وجه المعاينة مجردًا من الغير والغيرية[44] وأنت وإن حجبت كذلك (**لو كشف الحجاب ما ازددت يقينًا**) وإيمان النبي صلّى الله عليه وسلم أعلى إيمان خلق الله لأنه العابد الأكبر على الحقيقة بلا حجاب فأنت تابع له قولاً وفعلاً وسكونًا وأنت ضيف الله عنده وجب عليه شرعًا أن يعطيك ويكرمك لوجه من كنت ضيفه فإكرام الأنبياء بإلباس لضيفه ما لبسه من التجريد مما سوى الله. ثم أنه تقدم أن لا سلوك في الطريقة الأولى معناه أن أهلها واقفون بحضرة ربهم من يوم خلقهم مشاهدون له بكمال ذرات الوجود

---

[43] الأنفال 73.

[44] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الغيرة".

فما من ذرة إلا ونظروا فيها قدرة وجلال وجمال ربهم فهم فانون في بحر نور فعله فهم معاينون حضرة ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾[45] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[46] فهم صابرون لأنوار الجلال إن فتح لهم وصابرون لأليم الحجاب إن حجبوا فتستوي عندهم مرتبة الحجاب والفتح فلا فضل لأحدهما على الآخر لأن المحجوب رضي به ويشاهد فعل ربه والمفتوح مشاهد لجمال سيّده معاينة فمرتبة المعية والمشاهدة حاصلة بالصبر فسواءٌ الصبر على نور الفتح وظلام الحجاب فالمقصود أن تكون عبدًا فقد كنته حيث تجردت من ربقة الحظوظ فالعبد عبد فتح عينيه فنظر أو سدّهما حياء من سبحات الجلال ثم إنه إن عظم عليه نور الجلال يصر حجابًا فإن السيّد ﴿لا تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَٰرُ﴾[47] لا في الدنيا ولا في الآخرة وإنما ينظر إليه العارفون بعيون بصيرتهم في الدنيا وفي الآخرة فالذات الأخروية كلها بصيرة فافهم من وراءِ سبحات نور الكبرياء والعظمة والجمال والجلال فليس في طوق أحد أن يحيط به.

فغايته أن العارف في الدنيا والآخرة يحس بجميع ذاته أنه في حضرته جل وعلا فتنصب عليه صواعق القهر وعواصف النور وبحار الحرقة وسماءُ اللذة وشمس الإشراق وموت الغيبة ونبات الغيث وانصباب الأنس ورعد الخوف وبرق الجذب ودمع السر وصمت الوصل وجنة الحسن وأودية العلم وعيون الحلم وعرش الصبر وقلم الفهم ورغد التمييز وخصب الإشارة وآخره الرجوع للحس مشربًا سر الكون آكلاً علم الغيب كاشفًا نقاب الطيش ثابتًا جبلا كريمًا بما فيه صالحًا للزراعة والربح كما تكون جثة الأعمى في الشمس ولا يشك أنه فيها بحرارتها وقوة صولتها ولا يدري كيف كانت لأنه أعمى خلقةً ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَىٰ﴾[48] فهو حق اليقين وإن حجب فعنده علم اليقين لكنه بلغ غاية الإخلاص حتى صار من جملة المفتوح عليهم بحيث لم يتعرض للفتح لأنه عيب كبير في العبد في الأولى وأكبر العيب في العبد أن يتمنى على مولاه فإنه يقال له أقبل على شأنك فأنت بمرأى منّا فسواء استخدمه سيده

---

[45] ق 16.

[46] البقرة 152.

[47] الأنعام 104.

[48] الروم 26.

من حيث ينظر العبد إلى سيده أو استخدمه من حيث لا يراه وربما يختار أن يخدم من وراءِ الحجاب لئلا تبدو عورته في حالة الخدمة أو شيءٌ من صورته القبيحة فيقوى على الخدمة فالعبد آلة للفعل والسيد هو المحرّك والمسكّن فإذا تبين لك وجه ما قلناه فاعلم أن كل ما جاء عن النبي صلّى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وعادةً وإن انتفت عنده صلّى الله عليه وسلم العادة فإنه إنما يأكل لنا ويشرب وينكح ويمرض ويسافر ويقاتل ويجلس ويقوم ويركع ويسجد وينام لنا ويبكي ويزهد ويدّخر ويلبس عالي الثياب وخافضها ويتطيب ويغضب ويضحك ويرجل ويمشط ويفرق ويكتحل ويركب عريانًا وعلى سرج وأكاف[49] وعلى حمار وبغل وفرس وناقة ويتجر ويسرح ويبكي ويخاف مقام الله ويحذر وتتبّع سائر أحواله لنا ولا مباح للعارفين فإنهم يفعلونه بنية تلحقه بواجب أو مندوب وهو سيدهم طريقة للقطب المكتوم والسر المحمّدي فكل ما لم يرو عنه في حياته أو لم يتلقه هو منه صلّى الله عليه وسلم فليس بطريقته وإن اعتاده الناس وجعلوه بدعةً مستحسنةً فله مما استحسنه الناس رأي يسأل عنه النبي صلّى الله عليه وسلم فإن استصوبه فهو سنّة وإلا تركه **فمن لم تصلحه السنّة فلا أصلحه الله**. فطريقته طريقة المجاهدة والزهد والإخلاص والرجاء والخوف والبكاء إلى غاية ما ورد عن الشارع وإن كانت طريقة شكر. ((**أفلا أكون عبدًا شكورًا**))[50]. لمّا قيل له أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فإنه ما فعل ذلك إلا تشريعًا لأهل طريقته. وهذه الطريقة طريقته المروية عنه الخالية من الابتداع والحكم بالعقل والرأي فلم يدخلها رأي أحد ممن قبله ولا بعده بل هي محررة على يد الشارع قولاً وفعلاً وحركةً وسكونًا فأهلها مقتفون معلّمًا مؤدّبًا من الله صلّى الله عليه وسلم فما أتقنها وأكثر فوائدها وأشد اتّباعها للسنّة فهي عين السنّة. قال الشيخ رضي الله عنه: "**ما ذكرت ذكراً إلا ما رتبه لي صلّى الله عليه وسلم فقال لي أنا شيخك ومربيك وكافلك**" فإذا كان صلّى الله عليه وسلم شيخه ومربيه وكافله فكيف يقول عاقل برأيه فيها وقد دخل الاجتهاد السنّة قبل ظهور الشيخ فوقع ما وقع من الأحداث ولم يدم لأن كل حدث له حدّ يحده فانقضى أمره وبقي حكم

---

49 الأكاف «برذعة» الحمار، وهي ما يوضع على ظهره ليركب عليه.

50 الراوي المغيرة بن شعبة |المحدث :البخاري | المصدر :صحيح البخاري| الصفحة أو الرقم 6471.

الله الذي هو عين السنّة المطهرة فطهّرها الله بوليّه كما سبق في علمه فهو ناصرها وحامل راية جيشها ثم إنها لا يدخلها اجتهاد بعد ذهاب الشيخ رضي الله عنه وإنما يكون العمل بها محرّرة على وجه الصراحة ولذلك تجد حمّالها العارفين ينبوعها كسيدنا العربي ابن السائح دعامةً عظيمةً من دعائمها يقتصر في بغيته على ما ورد عن الشيخ لأنه خلقه الله لتحرير الشريعة من الاجتهاد المبني على الظن على يد من نزلت عليه الشريعة صلّى الله عليه وسلم فكل ما فعله فهو سنّة وكل ما تركه فقد نهى عنه عن لسان الشارع ممن اجتهد فيها أو يقيسها على غيرها من أحوال السلف في الثانية فقد ألحد ولا يسامح له الشيخ لأن الاجتهاد أصل للاختلاف فيجب على كل عارف بما قلناه أن يقتصر على أحوال الشيخ وقد علمت أن تلميذه الإمام المهدي المنتظر إذا ظهر يسقط الاجتهاد فيحكم بالسنّة المطهّرة وهي عين الطريقة ولا يتوقّف في أحكام الشريعة لأن له ملكًا يسدده وحاصله أنه يحكم بالطريقة التجانية فإنها مشتملة على كلها فإياي وإيا غيري من الإحداث فيها فإنه ضلال فأحكام الطريقة تدور كلها مع الشريعة ولا يحكم بما يكاشف به أحد إلا إذا وافق السنّة فقيل له رضي الله عنه: أيقدر أحد أن يكذب عنك قال: "**نعم فقد كذب على النبي صلّى الله عليه وسلم فزنوا بميزان الشرع فكل ما وافق السنّة فهو قولي وكل ما خالفها فهو مكذوب عليّ**" ولا يغتر العاقل بقال فلان وفلانة أو بحكاية تشابه الحلم أو بالحلم رأى فلان كذا فإنه غير مفيد مع كلام الله فكلام الله حاكم على كل كلام ولا يحكم عليه كلام فالطريقة منظومة بيد كتاب الله ومن الغرائب أن يستدل على كتاب الله بالحلم والوقائع فكتاب الله هو عين ما قاله الرسول وعين ما قاله الرسول عين ما قاله الشيخ.

فإذا قلنا أن طريقته خالية من الخلوات والاعتزال عن الناس معناه أنه لا يقصد بالخلوة والعزلة والاجتهاد والزهد شيء من الأغراض من تصفية وتزكية وتقريب وتحبيب وتحبّب بل تفعل أحوال الشارع كلها أو ما قدر منها امتثالاً لأمر الله لأن فعله يدلّ على افعلوا ((**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**))[51] وقس عليه أفعاله كلها ومحبة في أوامر الله وتعظيما لأمره وغلبة إن كان من الطبقة القصوى وهي ﴿وَأَنَّ

[51] الراوي :مالك بن الحويرث | المحدث :البخاري | المصدر :صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم 6008.

إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[52] فكما أن الصحابة افترقت أحوالهم على أحواله صلّى الله عليه وسلم ولم يتركوا من الاتّباع إلا ما عجزوا عنه لأنه من خصائصه فكذلك أهل الطريقة التجانية فربما يسمع أحد أنها خالية عن الاجتهاد فيضل عن الصواب والطريقة في محلها لا تصل إليها يد غير معصومة من التغيير والتبديل ومن الانقطاع فضلال الضال يرجع عليه لا إليها فوجهها ظاهر لا نقاب عليه ينظره كل أحد لتشييدها بالكتاب فالسنّة عين الكتاب وإنما يفسر الشارع ما خفي منه لا غير بالأقوال والأفعال ولا تعتقد أن النبي صلّى الله عليه وسلم عنده إذن في التشريع برأيه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[53] وإنما كلّف بترجمة كتاب الله الذي تقدم أنه عين اللوح المحفوظ من أن يصل إلى فهمه أحد بلا وساطة الشارع. فالشيخ قد أخذ ظاهره وباطنه وباطن باطنه ومطلعه ومقطعه من النبي صلّى الله عليه وسلم فهو نقطة الحكمة فإنه ورث أهل النبوة كلهم إرثًا تامًا عاصبًا لمقامهم محتويًا على كنوزهم فكيف وقد حاز كل سيّدهم وتخلق بالأخلاق الإلهية وبالأخلاق النبوية واشتمل على سر قطبيّة كل قطب وعلى صدّيقيّة كل صدّيق وإيمان كل مؤمن وإحسان كل محسن فكملت فيه لله الحمد النسخة النبوية ذاتًا ومعنًى وخلقًا وخُلقًا وسلّكه الله مسلك دائرة فضله وكذا سائر أتباعه لارتفاعهم بارتفاعه. فإذا علمته فاعلم أيضا أن مقام أصحابه على مقامه في الرفعية والصمدية وسائر أحكام المرفوع. فالرفع أهليّ لهم وهو التجريد وكل من لم يتجرد فهو مخفوض أرأيت المفعول من أجله ينصب وهو أصليّ له ويجوز جرّه باللام وإن استوفى شروط الثانية فأصحابه وإن كانت ظواهر بعضهم بعضًا قليلاً غير مناسبة لمقامهم الذي هو مرتبة شيخهم بحيث يحب الرياسة والهلع والطمع والحرص فعن قريب يرده مقامه الذي ربطه الله في أزله وهو مرتبة شيخه. وإياي وإياك أن تبحث في أحوال أحد منهم فإنهم صُفات القلوب والمراتب ولا يضرّهم ما فعلوه كما تقدم في الضمانات النبوية ولا تعترض عليهم بظواهرهم فإنهم ما أطلعهم الله على كنز السعادة إلا وهم سعداء عنده (**ليس لواحد أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب ولو فعلوا ما فعلوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي**) وهو رجل الولاية

[52] النجم 41.

[53] آل عمران 128.

من نشأة العالم إلى النفخ في الصور فإن كنت مربيًا بإذن الشيخ فقبّح ما قبّحه الشرع واستقذره غاية ولا تستقذر فاعله فإنه مرفوع المقام على أي حالة كان فالطير تطير وترجع إلى وكرها ووكرهم مرتبة شيخهم. فمن كان عنده إذن في تنقيش البحائر عارفا كيفيته فله العمل ومن لا فلا فعمله مبطل للغرس ومبطل مقامه عند رب البحيرة فافهم فسلّم تسلم. فإياي وإياك أن تجسر بلسانك عليهم حتى تقول فلان ليس من أهل الطريقة اعتمادًا على أفعاله "**فمن سبقت له العناية لا تضرّه الجناية**" فطريقته رضي الله عنه طريقة فضل وشكر فلا إله إلا الله منهم مرة مجرّدين خير من استغراق أعمار غيرهم من أهل الحظوظ. ومقصودنا أن تعرف ما بنيت عليه الطريقة وهو الوقوف بباب الله وباب نبيّه وباب وليّه بالله لا بنفسك بالعمل الذي أمرت به مجردًا منه نسبة وإن باشرته فليس لك منه شيء إلا أنك محل ظهوره وتعرف أنك طلبت بوظائفك الأسباب الدنيوية والأخروية من طاعة وأن الله متحمل بوظائفه النتائج وغلات الأسباب من ربح وثواب وجنة وغفران ورضوان ومحبة وتقريب وسر وخاصية ومكاشفة وغيرها من فوائد الأعمال فاترك وظائفه ولا تتعرض لها عند ملابسة العمل ولو بملاحظة ولا تر عملاً لك منك فهو وفقك فلا يجوز لك أن تلاحظ حالة العمل إلا أمرين والأوْلى تركهما أن تلاحظ في حالة العمل بأنك تعبد ليحبك الله فإنه إن أحبك جرّدك من الغير والغيرية فلا يخطر مع محبته في قلبك شيءٌ من الأكوان فهذا وإن كان فيه غرض المحبة لكنه يوصل إلى التجريد. الثاني أن يعبد الله لوجهه الكريم لينتفع برؤيته فكل من عبد الله لغير هذين الغرضين فعبادته فاسدة تردّ عليه لأنه شرّك مع الله غيره وهو أغنى عن الشركاء فكل عمل فيه شركة يردّ عليه وهذان الغرضان أضعف وأحطّ ما عند أهل الطريقة الأولى وأعلاها التجرد من كل ما يسمى غرضًا بحيث لا يتعرض بعمله لشيءٍ أصلاً لأنه فعل ربه ولا دخل له فيه فكيف يعرض فعل غيره لغرضه فافهم.

وفي وصية شيخنا وسندنا في الطريقة مَن نعمته علينا السيد الحاج الحسين اليفرني رضي الله عنه وأرضاه ومتّعنا بذكره في آخر الإجازة لنا في الطريقة: (وأوصي أخانا المجاز بتقوى الله العظيم في السر والعلانية بقدر الاستطاعة وأن يخلص العمل لله تعالى في جميع حركاته وسكناته بما أمكن

له وأن يتباعد عن العمل للخاصية وعن ملاحظة الحظوظ في جميع مقاصده فإن الاشتغال بالعمل للخاصية وملاحظة الحظوظ فيما يتوجه به المريد في طريقتنا من أكبر العوائق عن المراد فلا يحصل من ابتلي بذلك والعياذ بالله تعالى إلا على الكدّ والتعب وتراكم الظلام على قلبه لأن غيم اللحوظ والحظوظ يحول بين قلبه وبين الأنوار الفائضة عليه من حضرة الله عز وجل وحضرة رسوله صلى لله عليه وسلم وحضرة الشيخ رضي الله عنه وأكثر من يؤتى عليه في هذه الطريق فيتأخر عنه الفتح إنما هو من أجل هذا عصمنا الله وإياكم بمنّه فعلى أخينا أن يزيح نفسه فيما تدعوه من الأغراض في عبادته وأن يكون قصده امتثال الأوامر والتعظيم والإجلال لله ولرسوله لا غير ولا ينسى أن يشهد منّة الله عليه في ذلك وأنه مستحق للسلب والطرد لولا ما اكتنفه من همة هذا الشيخ رضي الله عنه بمحض فضل الله لا غير) إلخ وهو فصّ المقام رضي الله عنه من شيخ ناصح وإمام مفلح وعلى هذه بنينا كتابنا فهي أسه فانظر بقية الكلام في العبودية في كتابنا "**سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار**" فإنه كفيل بها فليست البركة والكنز والرضى إلا فيها ولا تقصد شيئًا ولا تمنّ على الله شيئًا في ضمنه نهاية الإحسان والإتقان فاركب متون الشريعة واشرب قلبها فإنها ما شرّعت إلا لتعرف ولتوكل وركوبها الإحاطة بها توحيد الوجهة وإفرادها من غير غرض يعرض حال العبادة فما تحتاجه فهو مطّلع عليك واطلب سيدك بلسانك وقلبك مستسلم لأمر الله فالدعاء منك من باب الفضل منه حيث وفّقك إظهارًا للعبودية لا الحرص والشره على مصالحك فما عرفه مصلحةً لا تعرفه أنت فاترك تدبيرك لتدبيره فمنعه لك عطاء فلا يعطيك ولا يمنعك إلا لمصلحة تعود عليك فهو الحكيم المدبّر فالمريض إذا منعه الطبيب من حاجة فما منعه إلا لمصلحة والمريض لا يشتهي إلا المحرّم منه فتلك عادتك فاترك لسان العبودية للطلب فإنه يفي بمقاصدك وهي عين المملوكية فإنها تقتضي بالأصالة التعلق والاستمداد من حضرة السيادة وهو لسانها ما أصدقه وحضرة السيادة تقتضي أصالة الإمداد والإفاضة على حضرة العبودية بلا طلب فإنه ما ملكك حتى قدر عليك وعلى شؤونك فلا يعجزه أمرك لأن العبد غنيّ بسيده والسيد بصير به وإنما حصلت المهالك من عدم إتقان العبودية فلو أتقنها كل عبد ما ظهرت زلة ولا أخذ بها العبد وإنما تدخل النفس وإبليس من نجاسة أصله التي هي الحظ مع الرب فأقسم

ليغوينّهم جميعًا ممن كان أمره مبنيًا على نجاسة الحظوظ إلا من كان مخلَصًا وقليل من هم وإنما تدارك الله عباده باللطف منه لولاه لتبعه كل الناس هذا الفصل يخفى على كثير من الناس ولذلك أطنبت فيه وإن كانت كلمة واحدة تفيده فالشرائع كلها ما نزلت إلا له والأنبياء والمشائخ الهادون المرشدون ما كلّفوا إلا بإفراد الوجهة لحضرة السيادة فإذا عرفت معنى السيادة وعرفت كرمها وغناها وأنها لا غرض لها تعالى الله عنه علوًا كبيرًا فكما أن حضرة الله تمدك بلا غرض فتعلّق بها بلا غرض وهو شرك وشرك الإهلاك فكما خلقك في علمه بلا سبب ولا طلب ورزقك من بطن الأم والصلب بلا طلب وسبب منك وبلا فعل فكن بعد ظهورك كما كنت في بطن أمك أو في بطن الأرض طينة فإن رجعت إلى أصلك الذي هو الضعف فإنك خلقت من ماءٍ مهين حقير منتن يخرج من بين أصلاب الرجال وترائب النساء فأظهرك ونوّر قلبك بالإيمان إرشادًا منه إلى الرجوع إلى أصلك وأن تدخل في حضرة السلم مع مولاك وأن تلقي السَّلَم أي السلاح بدفع التدبير عنك اتّكالاً على المدبّر قبل وجودك فاعبده بلا غرض فهذا هو أدب العارفين مع مولاهم وهو أدب المعاملة.

وأما أدب المعاملة مع الخلق أن تحبهم لسيدهم ولا تكره إلا ما كرهه فتكرهه له لا لك وانظر فيهم نقطة المفعولية فإن العبيد العالم من حيث هو مفعول واحد برز من حضرته أزلاً فصّله بحسب ترتيب مملكته على مقتضى علمه بعض رفعه أصالةً وبعض نصبه وبعض خفضه لحكمةٍ وبعض جزمه قطعه عنه بالكلية لحكمة إعراب فوائد ملكه ولا يتم الإعراب إلا بالأقسام الأربعة فأسماؤه عمدة المعرب يتكلم فيها البيان وحدها والفعل غير مستقل فلا يتم إلا بتأثير الاسم فإذا ظهرت الأفعال من الأسماء تمّ المعنى المقصود بالعالم والحرف حرفك جسمك خارج عنهما لكنه في بعض الوقائع يظهر به المعنى المراد ولا مفهوم له بالاستقلال فكذلك أنت غير مستقل بالمفهومية فتدبّر فأنت حرف لا غير فرفع الله من رفعه في كتابه المرقوم ونصب من نصبه في كتابه وخفض من خفضه في كتابه وجزم من جزمه في كتابه فلا يبدل القول لديه فكيف وهو العليم الحكيم. فإذا إن العالم كتاب مرقوم بيد القدرة لا تبديل فيه ولا تغيير وأنه ما كتب حرفًا من كتابه إلا لحكمة الإعراب معنى ملكه وقهره فليس من الأدب أن تكره ما سطرته يد قدرة سيدك إن كنت عاقلاً ولا تحسده في كتابه لأنه أظهره لمعنى

اشتمل عليه الكتاب ولا ينبغي أن تحقد عليه ولا أن تغشه فالمحبة لخلق الله تقتضي النصح لهم فما أكذب من ادعى محبة الله وهو يكره واحدًا من خلقه أيا كان بهيميًّا أو غيره كراهةً طبعيةً لا شرعيةً فالشرعية من الإيمان ((**الحبّ في الله والبغض في الله من الايمان**))[54] فالله مطّلع عليك في شؤونك كلها فإن كرهت بنفسك لنفسك حرفًا واحدًا من كتابه فأنت غير أديب تستحق الأدب بما تقتضيه حكمته فإياي وإياك أن تكره حرفًا واحدًا من كتابه لأنه بيده كتبه لمعنى أتكره فعل سيدك فما أفحشه لو كنت ذا بصيرة وما أقل حياءك إن أسأت عليه الأدب في خلقه فأنت حرف واحد من كتابه خلقت للدلالة على معنى ومعناك لا يظهر إلا بانضمام بقية الكتاب فافهم. فإذا عرفت أنك حرف واحد غير مستقل بالمفهومية من وسط الكتاب الممثّل بالعالم وهو كل ما عليه أثر الحدوث فالله هو الحق والعالم كتابه ما أظهره إلا لتقرأه أنت وتفهم مراده فيه وفائدة العالم أن تنظر فيه سراية فعل الكاتب فما من واحد إلا وخلق الله العالم كله له فالعالم موجه إلى كل أحد فالكتاب كله اتّصل معناه بحيث لا يتم الكتاب إلا بجميع المكتوب فكيف يضيق عليك حرف في محله وأنت في محلك وما من حرف إلا وله مقام وعناية عند الكاتب فلا يقبّح الحروف إلا الكاتب وينسب القبح للوح والقلم ولا ينسخ إلا الكاتب فكيف تكره من لا يتم معناك إلا به أتكره الدنيا وتسخط عليها وأنت مخلوق منها وهي أمك وأصلك ومعادك ومبيتك وسترك والآخرة كذلك فأحبّ المفعول الذي اثره الفاعل الملك الحق ولا تتم المحبة له إلا بالنصح ولا يتم النصح إلا إن أحببت لكل واحد ما تحبه لنفسك وهو التجريد من الحظ الفاني فمن هداه الله فهو المهتدي ومن أضله فلا هادي له فاحمده على فعله الجميلَ وستره القبيحَ فنحمده حيث تمم بنا ملكه وتمم ملكه بنا فالمفعول خلق لشيء واحد الدلالة على الله وطرح الغير والغيرية وهو الفقر المحض. فإذا عرفت نفسك وأنك حرف واحد من الخلق وعلمت أن الملك كله يمدك تحبه محبة طبيعية وتعامله بما أمرك به مولاك من استعمال سياسة الله معه وهي شريعته. فاعلم أن الشريعة التي شرعها الحق على يد نبيه إنما هي سياسة ربانية في صلاح نفسك فإن الشريعة

---

[54] الراوي: ابن عباس| المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الكبير | رقم الحديث أو الصفحة: 11\215.

مشتملة على كيفية حفظها من البلاءِ وطبّها بعده ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوٓاْ﴾[55] وعلى كيفية الانتشار في طلب رزقها ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[56] وعلى كيفية المعاملة مع الخلق. ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾[57]. ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[58]. ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمىٰ ظُلْماً اِنَّمَا يَاكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾[59] وقس عليه كل فصل فإن الله لا غرض له فينا وإنما خلقنا لنعرفه بوصفي كرمه الإحسان إلى أحبابه والانتقام في أعدائه ظاهرًا والكل منه باطنًا فبيّن لنا كيفية المعاش والصلاح والخلاص والمخالطة مع عبيده بحيث لا يغيّر أحد أحدًا فإنه حرام قاطع فكل ما فيه ضرر على نفسك ظاهرًا وباطنًا يعلمه هو وأنت لا تعلمه لأنك مطبوب وهو طبيب منعك منه ونصب لك الوعيد على فعله وهو إفساد نفسك وإهلاكها من حيث لا تشعر وكلّ ما غيّر حرفًا من كتابه الذي هو خلقه حرّمه عنك ونهاك عنه وكل ما يشغلك عن الله من الدنيا والآخرة حرّمه عنك وإن كان من أطيب الحلال لغير من لا يشغله ففضل الحلال يشغل غير المنتهي ويوافق المنتهي ويعينه فصار الزهد واجبًا للمبتدي وحرامًا على المنتهي فيختبرك الله هل تقف عند مصالحك وتجتنب مضارّك لأنه بيّن لك في كتابه أتمّ البيان ما ينفعك وما يضرّك وذلك عين الشريعة لا زائد عنه فالشريعة الحاكمة عليك أن تقف عند حدود الله وحدود الله هي مصالحك واجتناب مضارّك فليس كما يفهمه الغمر فتعالى الله أن يقصد إتعاب عبده أو أن يضيّق عليه ويحرم عليه بلا مصلحته ﴿عُلُوّاً كَبِيراً﴾[60] فما فعله فيك حكمة راجعة إليك وكل ما خلقه من الحيوان والجوامد خلقه لك يا بني آدم فإن نفعك أحلّه لك وإلاّ منعك منه بخطابه الشريعة المبيّنة على أيدي خلفائه في الأرض فإن امتثلت سياسة حكمته تسعد في الدنيا والآخرة وتعش في سلامة وإن خالفتها تهلك نفسك في الدنيا أو في الآخرة أو هما معًا وإياك ومخالفة

---

[55] الأعراف 29.

[56] النساء 58.

[57] الحجرات 12.

[58] البقرة 274.

[59] النساء 10.

[60] الإسراء 43.

نص الشريعة فإنها طريق رضوان الله وطريق سلامة دينك وبدنك ومالك وولدك فما هلك من هلك إلا بمخالفتها وما ربح من ربح إلا بها وهي عين الحقيقة وعين الربح وعين الفلاح أرأيت أن من حرث وأتقن العمل في وقت الحرث وزرع زرعًا حسنًا ونقّاه من الشوك وكل ما يضره ألم يكن ذلك علامة على خزن الزرع بعد الدراسة والتصفية فكذلك من زرع بزر الطاعة وأتقنها وقابلها بالتنقية والتصفية فإنه يخزن مطامير قلبه بالأنوار والأسرار فغلة عمله ترجع إليه فإذا سلكت سبيل الصفاءِ مع ربك باستعمال الأدب في طريقك ومع عباده بحيث تنظر فيهم وجه سيدهم وتكرمهم وتعظّمهم له بحيث لا تغير أحدًا منهم لنفسك وحسبت نفسك عرقًا واحدًا في جثتهم وأنك تنتفع بجميعهم وسلمت الأمور كلها لمولاك ووقفت بباب ربك معظمًا أمره وأمر عبيده ورأيت أن حقوق مولاك وحقوق عبيده عظيمة عليك وأنك لا تطيق أداء أقلّ نزر منها ونظرت سر مولاك في كل حيوان وجامد واستنشقت بركة ربك في كل ذرة من ذرات الوجود وعلمت أنه ما من مخلوق إلا وخلق لك لترى جمال ربك فيه فراقب مولاك ويحك في كل ملكه فإن الأشياء عين الملك والملك ملك لسيدك وتعزّز بربك في وسط ملكه باحترام ملكه وإعظامه بين عينيك لأنه أثر ربك المنعم عليك تكون عبدًا أديبًا تكرم بما يكرم الأدباء من الجلوس في البساط بساط القرب والولاية والتكريم والإعزاز والوصل وفاضت بحور ألوان المواهب العرفانية اللدنية والحقائق الربانية والوقائع والإشارة الكتمية وحلاوة الخصوصية ومقام الفردانية وحلل العز السيادية وثبات جبال القلوب الراسية فإذا تمكنت بتفريغ قلبك من ملاحظة الغير والغيرية وتصفّيت لحضرة مولاك بما كتبناه. فاعلم أن ما ورد [عن] الشارع[61] يجب امتثاله واجتناب ما نهى عنه وإنما مقصودنا تبيين ما كان عليه الشيخ رضي الله عنه وأتباعه من الصفاء التام مع ربهم من التجريد من لوازم العمل بقلوبهم مع تلبس ذواتهم بجميع إشارات الشريعة بحيث لم يتركوا أمرًا من الله مهملاً بل تلقوه بالفرح والشكر وعملوه فعلاً وتركًا فعمدة أهل القلوب على إتقان مقاصد الذات الروحانية بالتجرد من العمل والتشوف إلى شيء يأتيهم من قبل فعل الذات الترابية فإنها تعمل لنفسها فتكرم من باب فضل خزائن المولى جل جلاله بما يقويها وينميها ويحييها حياة تناسبها من بركة الأرزاق

[61] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فاعلم أن ما ورد الشارع"

الحسية بالأسباب العادية المأمور بها في حضرة المالكية بحيث لو تركت سببًا لذمّها الشارع ((**إن الله يحب العبد المحترف**)) بامتثال أوامر سيده ((**ويكره العبد البطّال**))[62] بمخالفة أمر سيده وسبب معاش الذات الروحانية الوقوف بباب مولاها دائمًا على حسب ما كانت عليه قبل الذات الترابية فإنها مجردة من لوازم البشرية عارفة بصيرة بأمر ربها محبة فانية شاكرة قائمة بأمر ربها عبوديةً لمشاهدة صواعق الجلال وبحار محاسن الجمال المالكي فأفناها عواصف الجلال بالخوف والهيبة عن رؤية الغير وأفناها شموس الجمال بالحب للسيادة عن خطور غير المحبوب فيها فكمل صفاؤها وإنما نزل بها هلاك الحجاب بعد نفخها في الجسد الترابي باستحكام حكم الجسد والتراب الغليظ والميل إلى لوازم التراب ومنابته ونباته واستحلاءٍ لذّة غليظ نعمه حتى ألفت ما ألفته الترابية فلما كلفها الحق بالبلوغ والعقل التام أمرها بالرجوع إلى ما كانت عليه من الصفاءِ وأن تكون كافلة الترابية مما يفسد نظامها من جوع وعطش وعري وإلقاءٍ في تهلكة وإرشادها إلى ما يصلحها ببقاء نظامها إلى وقت حصادها بالموت فنصبها الله أميرًا يأتمر ويأمر غيره فحصل لها بفضله نتائج حظوة الإمرة المتقنة بالسياسة الربانية والموعظة الحسنة السنية فكل ما ذكره الشارع من الفضائل والرغائب إنما هو فضل الإمرة المؤيدة بسياسة الحق لأنها إن ائتمرت بها وحكمت بها على غيرها من الترابية صارت نائبة عن الله في استعمال سياسته ولزوم شرطه وحكم الله على نفسه بالرحمة وهي إلباسه ثياب الجمال الغير الفانية وحلل الإعزاز لنيابتها عنه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاستحقت أن تكرم بأدبها مع رعيتها التي هي الترابية بحضرة القدس التي لا فناءَ فيها ولا غير ولا صخب ولا تكليف على الترابية لانقضاء زمان تكليفها بالموت وهو الرجوع الكليّ إلى المولى وأمّا الروحانية فهي مكلّفة أبدًا بنفسها بحيث لا يجوز لها أن تغفل عنه نفسًا واحدًا من أنفاس الدنيا والآخرة فهي في الجنة قائمة بأمر ربها واقفة بمشور العبودية الدائمة وإنما استراحت من أمر الترابية فإنها فانية في حضرة ربها ومستهلكة بنور ربها الذي هو الموت فملك الموت إنما هو سبب عادي على حسب ترتيب المملكة لا غير وأما الموت فهو البقاءُ بالجلال الإلهي والبعث انبعاث الأجسام إلى حضرة تمييز الأشباح المنبعثة من الكون السرمدي الأخروي فالذات بعد الموت منبعثة من قوة

---

[62] الراوي: عبد الله بن عمر |المحدث: البيهقي |المصدر: شعب الإيمان الصفحة أو الرقم2/551 .

الترابية الدنيوية وهي غيرها في شكلها وصورتها فالأولى مندكّة مطحونة بأرحية البلاء والثانية برزت من قوة منبتها فاختلفت أحكامهما فالأولى تناسبها النعم الدنيوية والتكليف والثانية يناسبها الحكم الأخروي والتنعّم بنعمه[63] الدائمة والميل إلى شهواتها من جميع ما رأت أو يدركه العقل من أنواع اللذات فهي غرقى في نعيم الجنة والذات الروحانية غريقة في بحر الهوية متلذذة بجمال إشراقها فذلك دأبها أبدًا فلا ميل لها لما انكبت عليه الترابية فانفكت جهتهما والخطاب للروحانية مع ضميمة محجورتها في حكم الشرع.

فإذا فهمت أن مقصودنا بعدم التربية في الطريقة التجانية على قواعد مصطلح أهل الثانية هو أن التربية فيها تربية الأرواح مع كون الترابية في حكمها تنفعل عند حكمها عليها فهي محجورة تحت ولايتها حتى ترشدها في حضرة القدس بعد انمحاق آثار سفهها بالموت وسفهها بحجاب مركب من شهواتها والموت موت البشرية في الدنيا وموت الأعضاء بتجل إلهي لا بغيره فإذا موّتتها بالسياسة الربانية وأفاضت عليها ما عندها من بحر الصفاء صارت في حكم الرشيدة تتراءى في مواطن الروح كما تتراءى في مواطنها في آن واحد وتتشكل معها لأن الحكم لها فتأكل بربها بين يديها أجبال جلال سيدها كأنها تحت جبل عظيم منهوٍ عنها فتخاف كله وتأنس كله وتفرح كله وكذلك تعمل بقية لوازم البشرية فلا تفعلها لنفسها بل لأمر ربها فصارت تنظر في روحانيتها جمال سيدها في كل ذرة وكل زمان وكل مكان وكل واقعة فصارت تعبد الله على وفق كسوة النبي صلّى الله عليه وسلم فلا تترك نعمة مباحة في عرف الشرع إلا اقتحمتها ناظرة فيها سر وجمال ربها فيحصل لها كمال العبودية والعبادة بتناول كل ما قدرت عليه من النعم فإن كل نعمة تعبد ربها في جوفها وتكتب في صحيفتها وما ورد من الزهد محله لمن تشغله النعم عن حضرة ربه وتطغيه وتقسي قلبه من حيث يتناولها لنفسه لا غير ولم يشاهد سر الله فيها ولا أنها من يد الله مهداة له ليعبد الله برؤيتها وتناولها فحجره الشارع من اقتحامها بحيث يقتصر على ما يسد به خلته وإلا يهلك بقسوة وفتور وقوة على المعاصي لأنه يأكلها

[63] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "نعيمه الدائمة" عوضا عن "نعمه الدائمة".

ليعيش بها ويخلد كما في قضية ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[64] والعارف يأكلها ليقي نفسه من ألم الجوع فيجتمع ركنه للوقوف بباب ربه. وعليه فأهل هذه الطريقة هم الذين امتثلوا الأوامر الإلهية على وجهها واجتنبوا مناهيه على وجهها فيجب عليهم الوقوف عند حد الشريعة كما أوقف الله مقامهم على مقام شيخهم ونبيهم صلّى الله عليه وسلم فإن الله قيدهم لفضله بمقام ومرتبة الشيخ الأكبر خليفة النبي صلّى الله عليه وسلم وهو مقام الخيرة الإلهية بلا تعمّل منهم بل بموافقة الإرادة الإلهية فإذا علمته يتضح لك أن قلوب أهل الطريقة التجانية المحمّدية مجردة من الأمراض الباطنية التي سببها الحظ الدنيوي والأخروي فلما انتفى منهم كل حظ انتفت عنهم لوازمه بالفضل الإلهي وإن اقتحم بعضهم بعضها فعن قريب يرده مقامه إلى أصله الذي هو الصفاء لأنه مبناه في علم ربه فكل من سبق في علم الله أنه تجاني لم يكنه حتى صفّته يد القدرة وإن ظهر منه غيره يكن حكمه كصبي انتفش للقتال فعن قريب تزول جمرة غضبه وينساها بالكلية لطهارة أصله. فلوازم الحظوظ كثيرة أنهاها بعضهم إلى مائتين ومن بعضها حب الدنيا والرياسة والرياء والحسد والعجب والكبر والغل والحقد والبغي والغضب لغير الله والغش والسمعة والبخل والإعراض عن الحق استكبارًا والخوض في ما لا يعني والطمع وخوف الفقر وسخط المقدور والبطر وتعظيم الأغنياء لغناهم والاستهزاء بالفقراء لفقرهم والفخر والخيلاء والتنافس في الدنيا والمباهات والتزين للمخلوقين والمداهنة وحب المدح بما لم يفعل والاشتغال بعيوب الناس عن عيوبه ونسيان النعمة والحميّة والرغبة والرهبة لغير الله إلى نهايتها من كل ما ينافي آداب العبودية من آداب المعاملة مع الله كحب لباس أردية السيادة بحيث لم يرض بكسوة المملوكية فيتشوف إلى مرتبة السيادة التي هي العز والكمال والأنانية فنفرت نفسه من أصله الذي هو الذل بغلبة الملك والعجز بسطوة القدرة والإرادة وقد شرّف الله أهل الطريقة الأولى من أمراض الباطن كلها بقطع علاقة أصلها الذي هو الحظ مع الله والحظ في الخلائق فما أصفى زجاجتهم وأنورها وما أقواهم على تحمل سلاح الصفاء على كدورات النفوس لكن وإن جردهم الله منها وأنزلهم المنزلة القصوى في الإتقان فلابد لنا أن نلمّ بشيءٍ من حدودها وما ورد من ذمها لتفرح

---

[64] الأعراف 19.

قلوب أهلها وتأدب على شكر ربها الذي فطرها على كمال الصفاء فلم يبق لهم بعد الوجود والظهور إلا الظهور بكسوة ألبسها لهم السيّد في أزله مطمئنين في حال لبسها شاهدين عظمة من ألبسهم قبل وجودهم بلا سبب منهم ولا تعمّل ولتنشط قلوب غيرهم لطلب مولاهم أن يحشرهم مع أهلها ولو بالتصديق بصفاتهم وكمالاتهم بربهم فمن كمل بربه فهو الكامل ومن أراد أن يكمل بنفسه فهو الحقير فافهم. فإذا سمعت الطائفة الأولى ذم الشارع لتلك اللوازم حمدوا ربهم على تصفيتهم وعلى ما تفضل به عليهم إن سمعوا فضائل الصفاء فشتان بين من صفّاه الله بلا سبب منه ولا قصد ومن تحيل عليه بسلوكه واجتهاده وبذكر الأذكار له.

اعلم أن الدنيا عبارة عما قبل الموت خيرًا كان أو شرًا ولذلك صح الاستثناء منها في قول النبي صلّى الله عليه وسلم ((**الدّنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ما كان فيها لله عزّ وجلّ**)) [65] وفي أخرى: ((**إلاّ ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلّما**))[66]، وفي أخرى: ((**إلاّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وذكر الله**))[67] وفي أخرى: ((**إلاّ ما ابتغي به وجه الله تعالى**))[68]، فالمستثنيات من الدنيا لوجودها فيها وإنما أخرجها لأنها تصحبه بعد الموت قال صلّى الله عليه وسلم ((**حبّب إليّ من دنياكم ثلاث النّساء والطّيب وجعلت قرّة عيني في الصّلاة**))[69] فكل لذة لها ثمرة في الآخرة ليست من الدنيا الملعونة وإن وجدت في عالمها بل من قبيل الآخرة وما تنقطع لذتها بالموت كالمعاصي والمباحات الزائدة عن قدر الحاجة من المأكل والمشروب والمنكح فهو المنهي عنه. وأما ما تتوقف الطاعة عليه من زوجة ودار سكناها ولوازمها من الأولاد ولوازمهم من أنواع الإكرام بالنعم المعلقة بالأسباب الحلالية وإدخال السرور على نفسه وآله فمن المأمور به لأن الدين يتوقف كماله على زوج ((**من تزوّج فقد حاز شطر دينه فليتّق الله في**

[65] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 183/3.

[66] الراوي: أبو هريرة | المحدّث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2322.

[67] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 4072.

[68] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الطبراني | المصدر: مسند الشاميين | الصفحة أو الرقم: 612.

[69] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن الكبرى للبيهقي | الصفحة أو الرقم: 78/7.

الشّطر الآخر))[70] لأنها تمنع من صولة الشهوة وتكون سببًا في عمارة العالمين بالأولاد ((**إنّ من سنّتي النّكاح**))[71]. ((**يا معشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ومن لم يستطع فعليه بالصّيام فإنّ فيه وجاء**))[72]

وليس من زهادة تعزبٌ * * وترك مُحتاج له ترهّبٌ[73]

((**لا رهبانيّة في الإسلام**))[74] والرهبانية من فعل صاحب سيدنا عيسى ابتدعوها من عند أنفسهم بلا إذن من الله فضيّقوا بها على أنفسهم فعاقبهم الله بتضييعها فكل من ضيّق على نفسه بما ليس بسنّة يعاقب بالحرمان ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[75] والطريقة الثانية لمّا لم يسنّها صاحب الشريعة صلّى الله عليه وسلم وقع فيها ما وقع من الإحداث والاختبارات بسيوف الملوك والعلماء وانتهى أمرها بتضييع أركانها من المدّعين رياستها فلم يبق إلا السنّة القديمة التي سنّتها يد القدم بنبيّه. وقد بيّن الله حقيقة الدنيا ﴿إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِے اِ۬لَامْوَٰلِ وَالَاوْلَٰدِ﴾[76] ومنبعها أصل للخبائث ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَٰطِيرِ اِ۬لْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ اِ۬لْمُسَوَّمَةِ وَالَانْعَٰمِ وَالْحَرْثِۖ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ اِ۬لدُّنْيا﴾[77] وليست هذه السبع مذمومة لنفسها والمذموم قلب صاحبها وإنما انصرف إليها الذم لكونها تشغل القلوب عن مولاها فالشاغل للعبيد عن حضرة الله ملعون وإن لم يتسبب في الشغل فيسخط الله

---

[70] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 7647.

[71] الراوي: عبيد بن سعد | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن الصغير للبيهقي الصفحة: 8/3.

[72] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 5065.

[73] بيت شعر من النظم المسمى "الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع" للحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى.

[74] الراوي :طاووس بن كيسان اليماني |المحدث :أبو داود |المصدر :المراسيل | الرقم :287.

[75] الحديد 26.

[76] الحديد 19.

[77] آل عمران 14.

عن كل معبود دونه كالشمس والقمر وإن لم يكن تسبّب وكذلك على الدنيا وسميت ملعونة بسبب قلب تلهى بها. فإذا كانت ملعونة في حضرة القدس بسبب القلب فما بال القلب العاقل المكلف أهلك نفسه وأهلك نعم الله التي هي الدنيا ما خلقها الله إلا ليستعين بها القلب بوساطة الذات ليستغل القلب ثمرات عبادتها لأن كل نعمة تصرّفت فيها تعبد الله ويكتب ثوابها للمتصرّف إن استعملها في طاعة الله وإلا فتلعنه قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا حسد إلاّ في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته**))[78] وفي رواية أخرى ((**فهو ينفق منه آناء اللّيل وآناء النّهار**)) و((**رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء اللّيل وآناء النّهار**))[79] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الله يحبّ العبد الغنيّ الخفيّ**))[80] فكل ما وجد من ذمها راجع إلى الدنيا المذمومة وتقدم أن المذموم هو القلب إن اشتغل بها عن الله وأما القلب الغني بالله فلو تناول جميع نعيم الجنة في الدنيا ما ضرّه ذلك لأنه يعبد الله بها وقال عليه الصلاة والسلام ((**الدّنيا لا تنبغي لمحمّد ولا لآل محمّد**))[81] أي الاشتغال بها وأما الدنيا والآخرة ما خلقهما الله إلا منه له ولآل بيته ولمحبيهم وما تتناوله الألسن من أن آل بيت تهرب منهم الدنيا أي الذميمة وقلوبهم هي التي تنفر منها ويغلب عليهم الزهد فيتركوا أسبابها ولو تنافسوها كالعامة وقلوبهم حريصة عليها لأدركوها إن كانت مكتوبة في الرزق وقال عليه الصلاة والسلام ((**من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى**))[82] وهو التجرد منها لا أنه يتعلق بالآخرة ويعشقها فتشغله عن الله فالآخرة إن شغلته فهي ملعونة أيضا فالمطلوب الوقوف بباب الله أبدًا وقال صلّى الله عليه وسلم ((**يا عجبا كلّ العجب للمتصدّق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور**))[83] وقال

---

[78] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 7141.

[79] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 125.

[80] الراوي: سعد ابن أبي وقاص | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الرقم: 2965.

[81] قال صلى الله عليه وسلم: ((**ألا إنَّ الصَّدقةَ لا تنبغي لمحمَّدٍ ولا لآلِ محمَّدٍ إنَّما هي أوساخُ النَّاسِ**)).
أخرجه ابن حبان في صحيحه.

[82] الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 709.

[83] أخرجه البيهقي في الشعب 3404/7.

صلّى الله عليه وسلم ((**الدّنيا خضرة حلوة وإنّ الله تعالى يستخلفكم فيها ينظر كيف تعملون**))[84] ((**إنّ بني إسرائيل لمّا بسطت لهم الدّنيا ومهّدت تاهوا في الحلية والفساد والطّيب والثّياب**))[85] وقال عليه الصلاة والسلام ((**لا تتّخذوا الدّنيا ربّا فتتّخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيّعه فإن كان صاحب يخاف عليه الآفة فالصّاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة.**))[86] ((**المؤمن بين مخافتين أجل مضى لا يدري ما الله صانع به وبين أجل بقى لا يدري ما الله فاعل به فليتزوّد العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن شبابه لهرمه ومن حياته لموته فإنّ الدّنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدّنيا دار إلا الجنّة أو النّار**))[87] وقال زيد بن أرقم: كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فدعا بشراب، فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه، فسكتوه فسكت ثم عاد حتى ظنّوا أنهم لا يقدرون على تسكيته ثم سكت ومسح على عينيه، فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك هذا البكاء؟ قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله، ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: ((**هذه الدّنيا نقلت لي فقلت إليك عنّي ثمّ رجعت فقالت إن فلتّ لم يفلت منّي من بعدك**)).[88] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال ((**إنّ ممّا أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدّنيا وزينتها. فقال رجل يا رسول الله أو يأتي الخير بالشرّ فسكت حتّى ظننت أنّه نزل عليه الوحي قال فمسح النّبيّ صلّى الله عليه وسلم فقال: أين السّائل؟ لا يأتي الخير بالشرّ وإنّ ممّا ينبت الرّبيع ما يقتل حبطا إلاّ إذا أكلت الخضر حتّى إذا امتدّت خاصرتاها استقبلت عين الشّمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت ثم إنّ هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقّه ووضعه بحقّه فنعم المعونة هو.**

---

84 الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة: 140/4.

85 أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسلا.

86 أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد.

87 أخرجه البيهقي في الشعب.

88 أخرجه الحاكم وابن أبي الدنيا والبيهقي.

ومن أخذه بغير حقّه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة))[89] ثم إذا علمت منه معناه بقلبك فالمال على قسمين إذا أنفقه صاحبه في طاعة الله بالله لله من غير غرض نفسه بل يستحضر نيابة سيده فينفق عنه بأمره على نفسه أو عياله أو على عبيد الله فهو سبب الرضوان عنه وإن أخذه عن غير حله لنفسه وأنفقه عليها أو على غيره لحظ نفسه أو أخذه من حله وأنفقه لشهوة نفسه كالسمعة والرياء فهو سبب يوصل لغضب ربه والمال من حيث هو نعمة مهداة في حضرة السيّد معظّمة في عين العارف يقبلها ويضعها على الرأس والعين لأنها من سيده فلا يزهد منها لأنه على هذه المشاهدة سوءُ أدب وغير العارف يشاهد لذته ونهمته في النعمة مع قطع النظر عن المنعم فيعشقها عشقًا يفنيه في جمالها فتستولي عليه سكرتها فتغيّبه عن حضرة الله المنعم فتسمى النعمة مذمومة في حقه وهي مطية إلى الخير عند العارف وقال صلّى الله عليه وسلم ((**تعس عبد الدّنيا وعبد الدّرهم وعبد الخميصة**))[90] وهو دعاء منه صلّى الله عليه وسلم على من ترك عمل الآخرة بعمل الدنيا أو ترك عمل الدنيا بعمل الآخرة فلا ينبغي إهمال أحد العملين ولا التعويل عليهما وإنما يعملهما بأمر ربه وهو مستهلك في حضرة ربه بها وقال صلّى الله عليه وسلم ((**حجبت النّار بالشّهوات وحجبت الجنّة بالمكاره**))[91] فالشهوات اتّباع الهوى ولو بحلال وطاعة والمكاره التكاليف الإسلامية وقال عليه الصلاة والسلام ((**فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدّنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**))[92] يعني بالرغبة فيها فتشغلكم بجمعها فتقلّ طاعتكم وتحصل بينكم العداوة بسببها وقال عليه الصلاة والسلام ((**اللهمّ اجعل رزق آل محمّد قوتا كفافا**))[93] إرشاد منه صلّى الله عليه وسلم لغير آل بيته بطلب الكفاف لا غير. فإذا كان يحب لآل بيته الكفاف فغيرهم ممن دونهم مرتبة أولى وإرشاد منه لآل بيته ألا ينكبوا عليها فإن مقامهم يناسب مقام جدهم الذي

---

[89] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1465.

[90] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 2887.

[91] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6487.

[92] الراوي: عمرو بن عوف المزني | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3158.

[93] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1055.

هو التجرد من الدنيا ومن الآخرة بالاستغراق في حضرة القدس وبرؤيتهما من النعم من يد السيد يتناول منهما بسيده بمرآه بأدب ويذكر سر مولاه فيها فيشاهد من النعم جمال سيده فيغنيه جماله عن ظاهر النعم قال صلّى الله عليه وسلم ((**ألهاكم التّكاثر يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك يا ابن آدم إلاّ ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأمضيت**))[94] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ليس الغنى كثرة العروض ولكن غنى النّفس**))[95] يعني فالغني من قنع بما أعطاه الله وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إن الله تعالى يقول يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسدّ فقرك وإن لم تعمل ملأت يدك شغلا ولم أسدّ فقرك**))[96] وقال صلّى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه ((**اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحّتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل مماتك**))[97] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ما ينتظر إلاّ غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو موتا مجهزا أو الدجّال، فالدجّال شرّ غائب ينتظر أو السّاعة فالسّاعة أدهى وأمرّ**))[98] فالسعيد من اشتغل بما ينجيه ويرفع قدره ويترك ما يرديه قبل نزول هذه المنتظرات وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا تتّخذوا الضّيعات فترغبوا في الدّنيا**))[99] نهيٌ منه عن اتّخاذ الضيعة والبساتين والمزارع لأن الخلق مخلوقون للعبادة وسر العبادة الذكر والفكر في جماله وجلاله بالقلب الفارغ من جميع الأغيار وصاحب الضيعة يصبح ويمسي يتفكر في خصومة الفلاحين والشركاء وأعوان السلطان وخيانة المذكورين له وسرقتهم ماله فكل ما يشتت قلبك عن الحضور بحضرة مولاك فهو ضيعة والكلام إنما هو إشارة قال صلّى الله عليه وسلم ((**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء في المال والشّرف لدينه**))[100] والشرف

[94] الراوي: عبد الله بن الشخير | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2958.

[95] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6446.

[96] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2466.

[97] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 3319/7.

[98] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 192/4.

[99] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2328.

[100] الراوي: كعب بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2376.

العز والجاه. نام رسول الله على حصير فأثّر الحصير في جسده الشّريف. فقال ابن مسعود يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك فراشا ليّنا ونعمل لك ثوبا حسنا وقال: ((**ما لي وللدّنيا وما أنا والدّنيا إلاّ كراكب استظلّ تحت شجرة ثمّ راح وتركها**))[101]. قال صلّى الله عليه وسلم ((**أغبط الأولياء عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظّ من صلاة وصيام أحسن عبادة ربّه وأطاعه في السرّ وكان غامضا في النّاس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثمّ نقر صلّى الله عليه وسلم بيده وقال: عجلت منيّته قلّت بواكيه قلّ تراثه**))[102] معناه فمن اتّصف بها أحق أن يغبط مقامه. استوصى رجل النبي صلّى الله عليه وسلم بعمل وإن قلّ فقال له لا تغضب فأعاد فقال لا تغضب[103]. قال صلّى الله عليه وسلم ((**ما تعدّون القوي منكم** قلنا الذي لا تصرعه الرجال **قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه من الغضب**))[104] ويكفي من صورة الغضبان على قبحه وصورته الباطنة أقبح وفعله وكلامه قبيح ونيته قبيحة وهو دليل على قبح الغضب لغير الله فأمّا الحسد فقال صلّى الله عليه وسلم ((**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب**))[105] وهو أن يكره نعمة الله على أخيه فيحب زوالها عنه فكأنما قال لمولاه جل وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا لِم أعطيته ولَم يستحقّها فلو شاورتني لَم تعطها له لأني علمت منه ما لم تعلمه فلازمُه الذي هو ما سمعته من أعظم الفواحش فافهمه. وأما أن تتمنى مثل ما أعطاه الله لأخيك من العلم والمال من غير أن يزول له بل من فضل الله لا غير فغبطة محمودة وهو ((**لا حسد إلا في اثنتين**))[106] لخ وأما قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[107] فهو محبة إعطاءِ ذات تلك النعمة وهو الزوال وهو عين الحسد وأما الحقد وهو إضمار العداوة لأخيك

---

[101] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2377.

[102] الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2347.

[103] الراوي: جارية بن قدامة | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 5689.

[104] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2608.

[105] الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 4903.

[106] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 7141.

[107] النساء 32.

المؤمن بحيث تحب له الشر فهو أبو الحسد والتشاجر والتباغض والتقاطع وتتبع عورات من أنت له حاقد وعليه وأما الهجر فقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يحلّ لامرء مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيّام فإن مات دخل النّار**))[108] وقال ((**لا تَباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**))[109] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**حبّب إليكم داء من قبلكم الحسد والبغضاء وهي الحالقة لا أقول تحلق الشّعر ولكن الدّين**))[110] صعد رسول الله المنبر فنادى بصوت رفيع ((**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تغيّروهم ولا تتّبعوا عوراتهم فإنّه من تتبّع عورات أخيه المسلم تتبّع الله عوراته يفضحه ولو في جوف رحله**))[111] ويجوز الهجر لغرض شرعي ولقد هجر النبي صلّى الله عليه وسلم زينب أياما ذا الحجة والمحرم وبعض صفر لغرض التربية لما أمرها أن تعطي بعيرًا لصفية فقالت تلك اليهودية[112]. وأما البخل فقال الله فيه ﴿وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْمُفْلِحُونَ﴾[113]. ﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ أَلذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتِيٰهُمُ اُ۬للَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْراٗ لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ﴾[114] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إيّاكم والشحّ فإنّه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم**))[115] وقال ((**السّخيّ قريب من الله وبعيد من عذابه قريب منّي. والسّخيّ لا يدخل النّار وأنا رفيقه. والبخيل لا يدخل الجنّة وإبليس رفيقه**)) وحقيقة السخاء أن تجود بما فضل عن حاجتك والإيثار أعظم منه لأنه أرفع منه وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه.

---

[108] الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم 4914.

[109] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2558.

[110] الراوي: الزبير بن العوام | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 2924/6.

[111] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2032.

[112] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 4602.

[113] التغابن 16.

[114] آل عمران 180.

[115] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2578.

وأما الكبر فقال تعالى فيه ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[116] وقال ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[117] ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[118] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبْر**))[119] وقال عز وجل: (**الكبرياء رداءي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النّار**))[120]. وهو صفة في النفس تنشأ من رؤية النفس. وأما العجب فقال فيه صلّى الله عليه وسلم ((**ثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع وإعجاب المرء بنفسه**))[121] وحقيقة العُجب تكبّر يحصل في الباطن من رؤية كمال من علم أو عمل فمن أحس به فليتأمل في حالة إبليس لما أطغته نعمة الله ولا شك في ذم العُجب ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾[122] وإعجاب الصحابة الفرح بقوة الإسلام وهو طاعة لكنّه باعتبار مقامهم مذموم لشفوف مراتبهم العليّة عن أن ينسبوا العمل لغير الله فدخلهم من الفرح بزيادة الدين فوقع ما وقع (**حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين**) تنبيه من الله أنه هو الذي أعزهم لا بالقوة لأن العبد عزيز بسيّده لا بعبيده فلما رأوا زي عبيد الله المؤمنين زادت هممهم في طلب توسعة دائرة الإسلام فأشار لهم الحق بأن المقصود العبادة بالجهاد ولو شاء لفتح الأمصار بلا سيف منكم فردّهم إلى التعلّق به والتعزّز به لا بالعبيد.

---

[116] الأعراف 146.

[117] غافر 35.

[118] إبراهيم 18.

[119] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 91.

[120] الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 4090.

[121] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 328/5.

[122] التوبة 25.

وأما الغرور فهو من أسباب الهلاك وهو اعتقاد الأمر على غير ما هو عليه ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[123] وقال ﴿وَغَرَّتْكُمُ الاَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ امْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[124] فهو نوع من الجهل وأنواع الناس المغترين كثيرة. فمنهم من اغترّ بأن الله غفور رحيم وخاض في المعاصي ولا شك أنه غفور رحيم ولكن كتابه دلّ على كرمه ورحمته بتوفيقه في الدنيا للخيرات. ومنهم من اغترّ بتقوى آبائه وأجداده وقربهم من الله تعالى ولم يتفكّروا ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ اَهْلِكَ﴾[125] خطاب لأعز الصفوة نوح عليه السلام. ومنهم من اغترّ بمجرد زي الصالحين والصوفية فظن أن التصوف لبس الصوف والمرقّعة فقط بل التصوف الصفاء من كدرات النفس. ومنهم من اغترّ بحفظ كلام السادات واصطلاحاتهم. ومنهم بخلع الأعذار[126] وترك الأعمال. ومنهم من اغترّ بما عنده من العلم والمعرفة فوقف معه ظانًّا منه الوصول فإذا أرادت همة سالك الوقوف نادته الهواتف الربانية الذي تطلبه أمامك ولا مطلب في الطريقة الأولى وحقيقة الطريقة الأولى منطوية على إسقاط المطالب مع السيد اعتمادًا على ما عنده وأراده وكتبه.

وأما الرياء فهو حرام ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[127] ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦ أَحَداً﴾[128] قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشّرك الأصغر قالوا وما الشّرك الأصغر قال الرّياء يقول الله تعالى إذا جازى العباد عن أعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدّنيا فانظروا هل تجدون**

[123] فاطر 5.

[124] الحديد 13.

[125] هود 46.

[126] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "العذار".

[127] الماعون 6.

[128] الكهف 105.

عندهم الجزاء))[129] والمرائي يحب أن تكون له عند الناس منزلة وهو سبب الرياء والعارف لا يريد منزلةً ولا إسقاطاً بل مراد الله حسبه وكنزه.

وأما حب الجاه والرياسة فإنه من أسباب القطع قال صلّى الله عليه وسلم ((**حسب ابن آدم من الشرّ إلاّ من عصم الله أن يشير النّاس إليه بالأصابع في دينه أو دنياه**))[130] وقال عليّ كرّم الله وجهه: تبذّل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك واكتم واصمت تسلم وتسرّ الابن وتغيظ الفجّار[131]. وقيل "**ما صدق من أحبّ الشهرة**" فالشهرة إن شهّرك الله قهرًا منك بأن نصّبك للدلالة عليه نفعا للخلائق فهي محمودة وإن أحببتها بنفسك لنفسك تعظيمًا لها واحتقارًا لغيرك فهي مذمومة وعلامة المحمودة أن تكون مكلفًا في عملك بحيث إن ظهر من هو أكبر وأعلم منك بحيث أظهره الله تفرح بكليتك وتكون أنت وأتباعك من خدّامه وإن استكبرت نفسك عن اتّباعه والانقياد له بعد أن عرفت أنه من الله كبّره عليك بالعلم والمعرفة لتأخذ عنه ما تحتاجه من أمر دينك فاعلم بأنك متّبع هواك.

وأما كثرة الكلام أي حبها فهي مذمومة لأنها تتولد عنها محرّمات ومكروهات كذكر المعاصي التي سلفت انقطع الزمان بها فاقتضت الحكمة أن ينقطع حسّها كالزمان فجدّدت ذكرها في زمان حالك وذكر أحوال النساء والمجادلة التي هي المراء والخصومة والتشدّق في الكلام بتكلّف السجع والتصنّع والتفحّش والمزاح الزائد عن قدر الحاجة والسخرية والاستهزاء وإفشاء السر والكذب واليمين والغيبة والنميمة وغيرها من الخوض فيما لا يعني وآفات اللسان كثيرة مهلكة لم يكن أخطر منها فلذلك مدح النبي صلّى الله عليه وسلم الصمت وحثّ عليه وأمر به أصحابه وقال ((**الصّمت حكمة وقليلٌ فاعله**))[132] وقال ((**من صمت نجا**))[133] وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل ((**وهل يكبُّ النّاسَ**

---

[129] أخرجه أحمد (23630) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (6831)

[130] رواه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[131] **تَبذّلْ ولا تَشْتَهِرْ، ولا تَرْفَعْ شَخْصَكَ، واكتُم واصْمُتْ تَسْلَمَ، تَسُرُّ الابن وتَغيظُ الفُجّارَ.** من أقوال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه.

[132] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 1795/4.

[133] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2501.

في النّارِ على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم))[134] ويخاف أبو بكر الصديق رضي الله عنه من آفات اللسان فيضع في فيه حصاة لتمنعه من الكلام وكان يقول: **هذا الذي أوردني الموارد القبيحة** ويشير إلى لسانه. يقول ابن مسعود **ما من شيء أحق بالسجن من اللسان** وقال عليه الصلاة والسلام ((**مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال الذين يغتابون النّاس**))[135] فالغيبة أن تذكر أخاك بما فيه وتعلم أنه لو سمعه لكرهه ولو كان فيه في بدنه أو فعله أو دينه أو دنياه أو ثوبه أو داره أو غيرها فمتى ذكرته بشيء فقد اغتبته وإن لم يكن فالكذب.

وأما المزاح فإنه يميت القلب وتبعه ظلمة لو عرف الإنسان الصادق ما نقص المزاح من حاله ما مزح قط ولا يعرفه إلا منوّر القلب وغيره لا يحس به ولو ذهب بأكبر دينه قال صلى الله عليه وسلم ((**لا تُمار أخاك ولا تمازحه**))[136] وإن كان النبي صلّى الله عليه وسلم يمزح لكنه لا يقول إلا حقًّا وأين مقامك من مقامه وإن كان ولابد فاجعل المزاح ملحًا والقبض دقيقًا.

وأما التزين للخلق فمن الشواغل عن الله لأنه يحتاج إلى ما يتزين به فيوصله إلى طلب الدنيا بحِلّها وحرامها لأن الحلال قليل لا يسع التزين أبدًا والحرام يفيض كالوادي فلو قنع بعدم التزين بل يلبس ما وجد من غير تعرض لوصفه حسنًا أو غيره وأكل ما وجد كذلك وأظهر للضيف ما وجد من آلات المآكل والفراش معرضًا عمّا كانت عليه التجار من المباهات والمزخرفات والمزعفرات وذوات النهود من الإماء والديار المزخرفات المرخّمات والغرف المشيّدات مع قصره عن التوصّل له لزكت نفسه في حضرة ربه ورسخت في ميادين المعرفة وأما من كان عنده كعثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف الذي ينفق على ديار أكثر أهل المدينة المنورة فلا يضره ذلك ((**فلا يضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم**))[137] فإنه لم يقصد به التزين وإنما أظهر نعمة عليه ليراها عليه المنعم لا غير فالمرشد

---

[134] الراوي: معاذ بن جبل | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2616.

[135] رواه أبو داوود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[136] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 1995.

[137] الراوي: عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ | المحدث :الترمذي | المصدر :سنن الترمذي | الرقم: 3701.

للناس لا ينبغي له أن يعمل ما يسقطه من أعين الناس بلا تعمّل فكان صلّى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج لأصحابه ينظر في المرآة ويسوي عمامته وشعره فسألته عائشة رضي الله عنها فقال ((**إن الله يحب العبد إذا تزين لإخوانه إذا خرج إليهم**)) وأما التفاخر فهو مذموم قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**))[138] أي لا يظلم أحد أحدًا والتفاخر بالمال وبالآباء والعبادة وكله حرام.

وأما الضحك فمن الخصال المظلمة للقلب ولذلك لم يضحك صلّى الله عليه وسلم وإنما يبتسم وقال جرير **ما رآني رسول الله صلّى الله عليه وسلم منذ أسلمت إلّا تبسّم**[139] فالتبسّم محبوب عند الله ورسوله وعند الناس لأنها تدل على مكارم الأخلاق والضحك يميت القلب وأما الأمل والحرص فمن القواطع والاتصاف بهما من شأن المبعدين من حضرة الله قال ابن عمر رضي الله عنهما أخذ رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال: ((**كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل وعدّ نفسك من أهل القبور**))[140] وقال عبد الله ابن عمرو مرّ بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأنا وأمي نطيّن شيئًا فقال ما هذا يا ابن عمرو؟ شيء نصلحه، فقال ((**الأمر أسرع من ذلك**))[141] يعني الموت. وأما سوء الخلق فإنه مذموم عند الله وعند رسوله وعند الناس وحسن الخلق محمود عند الله وعند الناس قال صلّى الله عليه وسلم ((**والذي نفسي بيده لا يدخل الجنّة إلاّ حَسَن الخُلق**))[142] ويقول في دعائه صلّى الله عليه وسلم ((**اللهم حسّن خلقي وخلقي**))[143] قال صلّى الله عليه وسلم ((**حُفّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الخصال**)) ومنه حسن معاشرة من أنت ملتزم بمعاشرته وكرم الطبيعة ولين الجانب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم بَرًّا كان أو فاجرًا وتوقير

---

[138] الراوي: عياض بن حمار | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2865.

[139] الراوي: جرير بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2475.

[140] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 698.

[141] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 2996.

[142] الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: البيهقي | المصدر: دلائل النبوة | الصفحة أو الرقم: 2099.

[143] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 959.

ذي الشيبة المسلم وحسن الجوار لمن جاورتَ مسلمًا كان أو كافرًا والعفو عن المسيء وكظم الغيظ والإصلاح والجود والسماح والابتداء بالسلام والعفو عن الناس وينهى عن أضدادها اللغو والباطل والغناء والمعازف والشح والطيرة والكذب والغيبة والنميمة والجفاء والمكر والخديعة وسوء ذات البين وقطيعة رحم وسوء الخلق والتكبّر والاحتيال والحسد والجفاء والمزاح والفحش والظلم والبغي والعدوان. قال أنس: **لم يدَع صلّى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلاّ دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدَع غشّا أو عيبا إلاّ وحذّرنا منه ونهانا عنه** وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ أَللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِے اِ۬لْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ اِ۬لْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[144] واعلم أن ما ذكرناه بعض المأمورات وبعض المنهيات ولم يمكن استيفاء جميعها.

وأما الغلّ فهو إضمار العداوة وانتهاز الفرصة. وأما البغي إرادة الظلم. وأما الغشّ فقال صلّى الله عليه وسلم ((**مَن غشّنا فليس منّا**))[145] ويطلق على التدليس والخديعة وكتمان العيب والسمعة أن يخبر أو يفعله ليسمع به قال صلّى الله عليه وسلم ((**مَن سمّع سمّع الله به يوم القيامة**))[146] وأما البخل فسببه الخوف من الفقر ودواءه النظر في قبائح نفسه ويتولّد عنه الحسد والشح والتعدي والغضب. وأما الإعراض عن الحق استكبارًا بحيث لا يرضى أن يجري عليه الحكم كغيره وأما الخوض فيما لا يعني فإنه يقسي القلب وينسي الرب وقد نهى صلّى الله عليه وسلم عن قيل وقال فإن كان مما لا يجوز فالنهي للتحريم وإلا فللكراهة. وأما الطمع في غير الله سببه الغفلة عن الله. وأما سخط المقدور فقال صلّى الله عليه وسلم ((**من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى اللهُ ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى اللهُ له**))[147] وأما البطر فالطغيان بالنعمة ومعناه التجرد عند الحق فلا يراه حقًا. وأما تعظيم الأغنياء لغناهم ففي الخبر (**من تواضع لغني ذهب شطر دينه فإن تواضع له لغناه ذهب دينه**) وأما الاستهزاء بالفقراء

144 النحل 90.

145 الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 4905.

146 الراوي: جندب بن عبد الله | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 7152.

147 الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2151.

فقال صلّى الله عليه وسلم ((**اطّلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء. واطّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**))[148] وأما الخيلاء فهو التكبر والعجب قال عليه الصلاة والسلام ((**من تعاظم في نفسه واختال في مشيه لقي الله وهو عليه غضبان**))[149] وفيه: ((**لا ينظر الله لمن جرّ إزاره خُيَلاء**))[150] وأما التنافس فهو التغالب في طلب الأنفَس فهو ممدوح في الأعمال الصالحات ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[151] وأما حب المدح بما لم يفعل فقد قال تعالى ﴿لَا يَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسِبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[152] وأما الاشتغال بعيوب الناس ((**طوبى لمن شغله عيب نفسه عن عيوب النّاس**))[153] وأما الحميّة فهي الأنَفة ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[154] وأما الرغبة والرهبة لغير الله فمنشأهما من ضعف الإيمان إذ لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع فاعلم أن الرياء قسمان ظاهر وخفي لا يطّلع عليه إلا الخواص ولا يسلم منه إلا العارفون ولا يعرف إلا بالأمارات ومن أماراته أن يلتمس قلبه توقير الناس وتعظيمه وتقديمه في المجالس ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه وإذا قصّر أحد في حقه في ما يستحقه عند نفسه استعظمه واستنكره إلى غير ذلك من كل مذموم فإذا عرفت أن النبي صلّى الله عليه وسلم جرّده الله من غيره ولم يترك فيه بقية لغيره فهو العابد الأكبر المجرد المضطرّ لله غايته والمفتقر له غايته والملجأ إليه غايته والمقبل له غايته المدبر عما سواه غايته الفاني فيه غايته المميز غايته وعلمت أن طائفة الصحابة أمرهم بما كلفهم به الله ونهاهم عن طباع الجاهلية وهو كل منهي عنه كما سمعته وأرشدهم لمقامه الذي هو التجرد مما سوى الله وإن كانوا بمجرد الإسلام على يديه منزّلين على ذروة الإحسان

---

148 الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2737.

149 أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والطبراني.

150 الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5791.

151 المطففين 26.

152 آل عمران 188.

153 الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 3412/7.

154 الفتح 26.

بسريان سر نور وجهه صلى الله عليه وسلم لكن ينفرهم عن ما ألفوه قبل ظهور طلعته من عوائد الجاهلية فجردهم عن عقول كانت لهم وألبسهم عقولاً من الله يفهمون بالله عنه وتجردوا من العقول المعقولة لهم فصرح لهم وأشار بمقتضى الحكمة الإلهية فضمهم معه في مقامه فصاروا كلهم يعملون بالله عن وساطة نبيهم المحلي لهم بالحلل الإحسانية بعد الإيمانية والإسلامية فصار مقامهم الإحسان المنطوي على مقامات الدين المبيّنة بواسطة سؤال جبريل ((**أن تعبد الله كأنك تراه**))[155] فما نطق الملك بالسؤال حتى تنفس إخلاص كلامه في قلوب الصحابة فالعارف إذا تنفس في بلد يسعد أهل البلد به وما تنفس رسول الله بالجواب نيابة عن الله حتى ألبست الصحابة سر قوة كلامه لأنه العارف الأكبر فوقع الوصل لجميعهم بسماع كلام الملك وكلام الرسول فحصلت المشاهدة وانصبغت المعاينة ودام الثبات وكمل الوفاءُ وهنأ العلم ورست سفن الإرادة وانمحقت طرق السير وتبرجت حقائق الكون وعرفت أسباب الإشارة. فلما كشف جبريل لهم عين المقام ورآ كل واحد من الصحابة حد مقامه ذرفت العيون وزخرت حقائق النبي صلّى الله عليه وسلم عليهم فصارت أحوالهم التعلق بذيل أبيهم أصل وجودهم وسرهم وإيمانهم فانتفت عنهم أحوال الجاهلية بسر الأمر والنهي فصار صلّى الله عليه وسلم بعد وصولهم لحضرة مولاهم وهي غايات الغايات يبيّن لهم أسرار الأوامر والنواهي وحقائقها وأسبابها ولوازمها وما يبرز من بعدهم من الفتن واتّباع الهوى والإعجاب والشح فحمدوا الله الذي خلّصهم من الهلاك وأسبابه ولوازمه بأعزّ خلقه نبيه صلّى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم متخلّف عن حضرة ربه بسبب رؤية وجه نبيه محبةً وفناءً وصار وجه النبي صلّى الله عليه وسلم يرتسم أي مرتسما بالفعل في حقيقة كل واحد منهم صغيرًا أو كبيرًا حرًا أو عبدًا ذكرًا أو أنثى كل ذلك كان بعناية ربهم ولا تعمّل لهم فيه فاستقامت الشريعة في أهلها ولم تعوجّ في أحد منهم وإن ظهرت فلتات في نزر منهم فإنما ظهرت لتأسيس الشريعة عليه لا أنه حجب حال الفعل بل لتقع المشاهدة في كيفية العقوبات والآداب مع تمكن صاحب الفلتة والزلة في حضرة المعاينة والمشاهدة والمراقبة كما وقع النسيان للأنبياء لتنبني عليه أحكام السهو في العبادات لا في التبليغ لأنه لا حكم ينبني عن نسيان التبليغ ولا في أصل

---

[155] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 9.

التوحيد فكل من وقع له من الصحابة ما يشبه المعصية فالرب جل وعلا أخذ قلبه وجذبه له حتى تبنى عليه أحكام لمن بعده فافهم وإياك من البحث فإنه دقيق وكذلك كلّ ما وقع من شبه التشاجر بينهم ما وقع إلا لاستنباط أجلّة الصحابة أسرار النصوص الشرعية منه ويتميز لمن بعدهم الحق من الباطل فالصحابة كلهم عارفون صور كاملات تظهر فيها وعليها أوجه إعراب الحق لمن بعدهم لأنهم أشياخ الأمة ومظاهر أحكام الشريعة فلم يكن فيهم من شذ عن المظاهرية الإحسانية فلو لم يكن فيهم ما كان لهلكت الأمة عند نزول العوارض القدرية لكن أظهر الله لنا كلّ الشريعة بهم وفيهم فلم يبق لنا إلا اتّباع سيرتهم في الحق فإذا عرفته وحققته فاعلم أن النبي صلّى الله عليه وسلم ربّى بنفسه شيخنا أحمد بن محمّد التجاني ولم يترك فيه علاقة للغير فجرّده إلى حضرة ربه ونزّله منزلته وأقامه مقامه وعقد له بيعة التولية والنيابة عنه في كل مقول ومفعول وجعل النبي صلّى الله عليه وسلم أمته محجورة له والشيخ رضي الله عنه نائب عنهم في جميع مصالحهم الدنيوية والأخروية فانعقدت ولايته ونيابته عن جميع الأمة إلى قيام الساعة وألزمه صلّى الله عليه وسلم أن ينيب واحدًا لا غير من بعده يرضاه تنفذ أحكامه في سائر الأمة ونيابته على مقتضى نيابته عن الحق جل وعلا فلما هنأته العوالم كلها جلس على كرسي تنفيذ مقتضى النيابة وهو الدلالة على الله بتوحيد الوجهة كلها إلى حضرة الحق فانصبغ بما انصبغ به منيبه صلّى الله عليه وسلم من سر نور سبحات جلاله تعالى فصار كل من عرفه وأخذ عنه سره بالمبايعة كمبايعة منيبه ينجذب بكليته بمغناطيسه الإلهي فما عاهده أحد إلا وقع له مثل ما وقع للصحابة من التجريد الكلي بهمته وحاله قبل أن يتكلم في شأنه وذلك عادته في كل نوابه من المقدمين الأخيار فلا ينقاد أحد من الأمة لقبول عهوده ولو بالوسائط إلا انصبغ بصبغ الصحابة الأجلّة وعند الإذن بعد العهود وقبولها يتنزّل المنقاد في ذروة التجريد والتجرد فصارت أصحابه المنقادون له بقبول العهود الإسلامية والإحسانية والإيمانية من أجِلّة العارفين لأنهم أخذوا السر الوهبي عن نائب عمن ناب عن الله فارتسمت صورة شيخهم في جميع أجزائهم الروحانية والجثمانية فلا ترى واحدا منهم إلا وعليه حلة شيخه وهيبته وسيمته فامتزجت ذواتهم بسره وفاحوا بأنوار رياضه فكملت في كل واحد صورة الشيخ وهيأته وتمت فيهم حقائقه وإشاراته ورموزه وفاض في كل واحد كوثر بحر النبي النائب

عن الله فسرت نيابته صلّى الله عليه وسلم ظاهرةً أحكامها ولوازمها في كل منقاد له وانتظرت الفرصة في بقية الأمة على أيدي نوابه أي الشيخ المتكاثرة من كل من سرى لهم الإذن منه أو من نوابه إلى قيام الساعة فالشيخ رضي الله عنه مكلّف بجميع الأمة منقاد وغيره فغير المنقاد في حكمه في المحجورية لكن صباه أعماه عن نيابته فلو كبرت كل الأمة بالوجه الأخص لأخذوا كلهم بوفاء عهده لكن مقتضى الحكمة أن يعبد البعض من وراء الحجاب وبعض في مقام عين الجمع وبعض الحجاب وعبادته لمدلي الحجاب حقيقة فإذا عرفت أن أصحاب الشيخ القطب التجاني كلهم مجردون من الأغيار وكلهم مقبلون على ربهم إقبالاً صحيحًا كإقبال الصحابة فإنه للتابع ما للمتبوع ولم يشذّ منهم أحد ممن صحت مبايعته بالانقياد للشيخ رضي الله عنه وإن كانت ظواهر بعضهم النزر مما لا ترضى بحسب الظاهر فهو مرْضي باطنًا وإنما ظهر عليه ما ظهر كالصحابة إظهارًا بأن الكامل من كل وجه من المخلوقات النبي صلّى الله عليه وسلم ونائبه مستغرق في حلته ومستتر بأرديته وقلائده فيجب عليهم شرعًا الرجوع إلى أصلهم وأساس مقامهم الذي هو التجرد مما سوى الله والتخلي من الأوصاف الذميمة على يد شيخهم والتحلي بأوصاف نائب النبي عنهم صاحب الطريقة الأصلية الأولية الإحسانية فيجب على كل أحد أن يتجرد ظاهره مما تجرد منه باطنه بمجرد الانقياد للطريقة فكل ما ذكرناه عن صاحب الوحي صلّى الله عليه وسلم يجب اتّباعه ليكمل الاقتداءُ بالشيخ رضي الله عنه فتخلّقوا جميعًا بما تضمنه هذا من الاتّصاف بصفات الكمال وإياي ثم إياك أن تسمع بأن الطريقة التجانية خالية من التربية والمجاهدة فتفهم غير المقصود فمعناه أنه خالية عن مقاصد أهل الطريقة الثانية المسماة بطريقة القوم كأن تذكر ذكرًا خاصًا بكيفيّته وشروطه عندهم لتصل إلى كذا وأن تجتهد في طلب غير الله بكثرة أنواع العبادة لطلب حظ نفسي من سر وفتح كوني وولاية وأما الاجتهاد بجميع المأمورات وبترك جميع المنهيات قولاً وفعلاً وحركةً وسكونًا ظاهرًا وباطنًا بقصد الامتثال للحق أو الاستحقاق للعبادة على وجه العبودة أو بالغلبة ممن انتهى إلى ذروة الإتقان فهو أعظم ركن في الطريقة الأصلية التجانية المحمّدية الأحمدية الإبراهيمية السمحة المجردة من أوهام الخيال والغلط والظن والشك والريب. وتقدم أن

الاجتهاد فيها ممنوع لأنه مبني على الظن والظن لا يغني من الحق شيئًا[156] فما فيها إلا ما أسسته أيدي قدم الشريعة فما أبعد عن الصواب من يجتهد فيها أو يطبق أحكامًا على غير محلها فإنها عين السنّة مقتضاها الدلالة والتوصيل فيجب على كل من كمّله الله بصحبة نائب رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يفهم عن الله وأن المقصود بالطريقة طريقة الأدب في حال الوقوف بباب الحق جل وعلا بحيث لا يخطر له غيره فيه مع كمال الاجتهاد بالوظائف المملوكية من تواضع وعمل وأدب ظاهرًا وباطنًا فناءً وصحوًا يقظةً ومنامًا فتستوي حالاته مع ربه ولا يغفل عنه في نفس من أنفاسه مع التعلّق بأركان الربوبية التي هي الأسباب الحلالية التي هي عين الطاعات مع التجرّد من الأسباب الحرامية من المعاصي فيما يتعلق بالذات الترابية والروحانية فلا يراك سيّدك غافلاً عنه ولا عن سجاف حكمته التي هي الأسباب العاديات من حرف معاشية وصلاة وتلاوة وذكر وتضرع مع قطع النظر عن الوظائف الإلهية التي هي النتائج وغلاّت الأسباب وفوائد الأعمال الصالحات من الخواص قصدًا ولحوظًا وخطورًا. فهذا هو الطريقة التجانية المجردة من لحوظ غير وغيرية المجردة للقلوب لحضرة ربهم المطهَّرة من التلبيس والتلبّس المطهِّرة بالكسر من نزغ جاهلي من أمراض الباطن فكل ما ذكرنا من الأدواء الباطنية سببه من الكفر وهو عين أصله لأنه لو عرف كل أحد المقاصد الشرعية ما حسد أحد أحدًا إلى غاية عيوب النفس. فلو عرف كل أحد أن الله هو الحق وأن غيره من الحظوظ النفسية باطل ما خالف الله أحدٌ ولو اشتعل نور الإيمان اشتعالاً كليًا ما تركه لغير الله لكن اقتضت المشيئة ما رأيته من الأهواء والأوهام والحقائق فالله هو المعبود على كل حال استقامةً واعوجاجًا إسلامًا وبغيره لكن عبدته الكفار من وراءِ ستر كثيف بقصدهم غيره والغير عبد ربه فافهم. ومقصودنا أن الطريقة التجانية طريقة الجد والاجتهاد والصفاء والتربية بإشارات الشارع فمن دخلها وحاط بحياطتها وانخرط بسلكها على مقتضى سرها وعهدها فقد عبد الله بالوجه الأخص بأكابر العارفين وإن لم ير أثر عبادته من الأمور الزائدة عن الصفاء. فالصفاء من كدرات الحظوظ النفسية هو عين الغلة المحمودة

---

[156] يونس 36.

وإن لم يذق الصافي حلاوة العبادة لكماله وجلالة قدره عن أن يمنّى بالهواتف الروحانية لكمال صفائه فلا يختبر إلا متهومًا بالصفاء؛

ثم إني لما أردت أن أتكلم في تفسير ألفاظ الورد التجاني احتجت إلى أن أشير بالعبارة إلى تجليات الأسماء والصفات ثم تجل كنهي ذاتيّ مخصوص بأكابر العارفين وإلى مراتب أهل التجليات وإلى كيفيات أحوال أهل المراتب العرفانية وإلى تبيين الأسماء والمسميات وإلى الإشارة إلى ما انطمست فيه البصائر والأرواح فأحوجني ذلك إلى تبيين رموزنا في هذا ليحصل كمال البيان بالتربية التجانية. ومعناه فمهما ذكرت رمزًا من رموزنا يرجع المتأمل إلى مقصودنا هنا وتكون هذه الألفاظ تفسيرًا لغرضنا (فالتصوف) هو الوقوف مع آداب الشريعة ظاهرًا وباطنًا وهو التجريد فيرى كلها وحكمها في الظاهر من الباطن وفي الباطن من الظاهر فيحصل بالحكمين غاية الكمال (فالشريعة) فعل المأمورات وترك المنهيات (الطريقة) تتبّع أفعال النبي صلّى الله عليه وسلم والعمل بالشريعة (الطب الروحاني) هو العلم بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها وأدوائها وكيفية حفظ صحتها واعتدالها (المرشد) هو الشيخ العارف بالطب الروحاني (المراقبة) استدامة علم العبد باطّلاع سيده عليه في جميع أحواله (المشاهدة) رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه عما لا يليق بعظمته (الشهود) رؤية الحق بالحق (التجلي) ما ينكشف للقلب من أنوار الغيوب فإن بدا من الذات من غير صفة فهو تجل ذاتي فإن كان مبدؤه من أفعاله تعالى فهو تجل الأفعال فما ينكشف من الأسماء للقلب فهو تجلي الأسماء فإذا تجلى الاسم على عبده اصطلم العبد تحت أنوار الاسم وما ينكشف من صفاته تعالى فهو تجلي الصفات فإذا تجلى بصفته على عبده تلاشت صفات العبد وظهرت فيه صفات سيّده يسمع به ويبصر به ويبطش به ويفعل به فيسمع الجمادات بصفة الحق وقس عليها كل صفة من صفة العبد فإذا تجلى على عبده بفعله انكشف للعبد أن الله هو المحرّك والمسكّن شهودًا حاليًّا لا يعرفه إلا أهله. وأوصي من وصله أن لا ينفي عن نفسه فعل نفسه لأنه إسقاط للشريعة المطهرة أعطى لك عينين لترى باليمنى فعل ربك وهو الحقيقي وتنظر بالعين اليسرى فعل نفسك وهو المجازي وهو فعل المباشرة فإن وفقك لحسنة فافتح عين فعل ربك وإن سيئة فافتح عين نفسك فعلاً شهوديًا لها أدبًا مع ربك فهو المالك يفعل في

ملكه ما يشاءُ فالقلم بيد الكاتب له فعل يستحق به الاستعمال والإهمال والعطب بالكلية فتجلي الأفعال سابق للأسماء فإن ثبت المتجلّى عليه واستقام مع شهود أن المحرّك والمسكّن هو الله كفعل الكاتب مع القلم ترقّى إلى تجلي الأسماء والصفات وإن لم يثبت تزندق (الشوق) احتياج القلب إلى لقاء المحبوب (المحبة) ميل الطبع إلى الشيء لكونه لذيذًا ومحبة أهل طريقتنا ميل قلوبهم إلى الحضرة الجمالية الإلهية (الحال) يرد على القلب بلا تسبّب طربًا أو حزنًا أو قبضًا أو بسطًا أو غيره فإن كان مما يزول فهو الحال وإن استمر فهو المقام فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب فالمقام ببذل المجهود والحال من عين الجود (علم اليقين) هو العلم عن دليل عقلي (عين اليقين) علم بالمشاهدة (حق اليقين) فناء صفة العبد في صفة الحق وبقاؤه بها علمًا وشهودًا وحالاً فالفناء صفاته لا ذاته فإذا أذهب الحق في عبده صفاته الذميمة ألبسه صفاته الحميدة فيظهر بها وهو عين الفناء بقهر إلهي لا بتعمّل ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾[157] مثال الحقائق الثلاثة نار اشتعلت على رأس جبل بينك وبينه جبل ثانٍ وأنت في الوادي الثاني وإذا كنت في الوادي وتحققت بنظرك نورًا عاليًا من سطوة النار على جبل بينه وبينك جبل بلا تزلزل بل لعلم يقيني ولو اتّفق الخلائق كلهم يكذّبون رؤيتك للنار لصدّقت نفسك بقوة الدليل عليها كالواحد نصف الاثنين ولو اتّفق الناس على تكذيبك في أن الواحد نصف الاثنين لصدّقت دليلك بعقلك فهو علم اليقين وإن طلعت إلى أعلى جبلك ورأيت صورة النار من بعد على وجه المعاينة التي لا تحمل النقيض فهو عين اليقين وإن وصلت إلى جهة النار وانغمست منها وأحسست بإحراقها واستغللت حرارتها وصواعقها فهو حق اليقين وإن غيّبتك عن نفسك لسطوة اللوازم فهو الفناء فلا تعتقد أن ذات العبد تفنى فلا يبقى إلا الحق فإنه زيغ عن الحق (الشطح) كلمة عليها رائحة رعونة النفس وهي سالمة (السر) اللطيفة الربانية وهي باطن الروح وهو روح القدس فسر الذات الروح وسر الروح الروح القدسية فكما أن الذات أي الجسم يحصل له تمييز بالروح وأنها بلا هي جامدًا فكذلك الروح بلا روح القدس خالية عن الميز والرشد المطلق فإن تنزلت الروح درجة العلم تسمى قلبًا وجمعه أسرار الملكوت هو علم الغيب المختص بالأرواح والنفوس المحمودة (المرتبة الأحدية)

---

[157] يوسف 21.

هي المرتبة المستهلك فيها جميع الأسماء والصفات وهي جمع الجمع (العمى) المرتبة المطلقة عن الإطلاق والتقييد المتعالية عن التعالي والتناهي وهو البطن الذي لا يتصف بالحقيّة ولا بالخلقية تضمحل فيه الأسماء والصفات كالأحدية إلا أن الأحدية قد يفهم معناها وهو لا يفهم لأنه عمى فليس للمخلوق فيه نصيب وهو تجلي الذات **العجز عن الإدراك إدراك**[158] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[159] قطع أطماع المريدين فحقيقة الحق حقيقة لا يعلمها إلا الحق دقيقة (الطبيعة) القوة السارية في الأجسام (العبودية) الوفاءُ بالعهود وحفظ الحدود والرضى بالموجود والصبر على المفقود (الطمس) ذهاب رسوم العبد في صفات سيّده وهو غاية (الفناء) عدم الإحساس بعالم الملك (البقاء) وجود الأوصاف المحمودة في العبد وهو نتيجة الفناء فكلما تم الفناء حصل البقاء وهو القيام من سكرته بتمييز (الهوية) السارية في كل شيءٍ عبارة عن الذات العلية الملاحظة لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء (الفهوانية) خطاب الحق للعبد بطريقة المكافحة في عالم المثال. والقبض والبسط حالتان تردان العارف بلا سبب. والخوف والرجاء متعلقان بأمر مستقبل محبوب أو مكروه (الهيبة والأنس) حالتان فوق القبض والبسط كما أن القبض والبسط فوق الرجاء والخوف والهيبة مقتضاها الغيبة والأنس مقتضاه الصحو والبقاءُ (الجاه) انتشار الصيت والخمول ضده (الإخلاص) عدم طلب العبد رؤية عمله وضده الرياء (كيمياء السعادة) التخلي من الأوصاف الذميمة والتحلي بالأوصاف الحميدة (كيمياء العوام) استبدال غرض الدنيا بغرض الآخرة (كيمياء الخواص) تخليص القلب عن الكون باستشعار المكوّن (الحجاب) وجود الصورة الكونية في القلب المانعة من تجلي الحق فمتى وجد في القلب غير الله فهو محجوب عن تجلي الحق وقد تكثر الأغيار فتكثر الحجب الظلمانية وقد تقلّ فتكون حجبًا نورانيةً ومن لم يجرّد قلبه من الصور الكونية يبقى محجوبا عمره كله ومن اقتطعها من قلبه يكرمه الله في الدنيا بالتجليات وفي الآخرة بالمقامات

---

[158] أبيات لعلي ابن أبي طالب كرم الله وجهه:

العَجْـزُ عَـــنْ دَركِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ * * وَالبَحْثُ عَنْ سرِّ ذات السرِّ إِشْرَاكُ

وفي سَرائرِ هِمَّاتِ الورى هِمَـــمٌ * * عن دَرَكِـهَا عَجَزَتْ جـنٌّ وأملاكُ

[159] الشورى 9.

(الجمع) شهود الأشياء بالله والتبري من الحول والقوة (جمع الجمع) الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله (التجريد) إزالة السوى من الأكوان عن القلب (الطوالع) أول ما يبدو من تجليات الأسماء فتحسن أخلاق العبد به (الطهارة) حفظ الله عبده من المخالفات (طاهر الظاهر) محفوظ من المعاصي (طاهر الباطن) محفوظ من الوسواس (طاهر السر والعلانية) القيام بحقوق الحق والخلق (الهمة) توجّه القلب بجميع قواه إلى الحق (التقوى) امتثال الأوامر ظاهرًا وباطنًا واجتناب مناهيه ظاهرًا وباطنًا (الظل) الوجود المبسوط على الممكنات (النفس الشهوانية) البخار اللطيف الحاصل للحياة والحس والحركة الإرادية وهو الروح الحيواني (النفس الناطقة) هي جوهر مجرّد عن المادة في ذاته فهي الأمّارة واللوّامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضيّة والكاملة فكلّ ما اتّصف بصفة سميت باسم من هذه الأسماء فإن صادفت الناطقة الشهوانية وافقتها وصارت تحت حكمها سميت أمارة وإن أذعنت للأمر التكليفي باتّباع الحق مع بقاء الميل للشهوانية تسمّى لوّامة فإن زال ميلها لها وقويت على معارضة الشهوانية ومالت إلى حضرة القدس وتلقّت الإلهامات سمّيت ملهمة فإن غلبت الشهوانية وكان الحكم لها تسمى مطمئنة فإن فنيت عن مراداتها سميت راضية فإن زاد حالها سميت مرضية عند الحق والخلق فإن كلفها الحق بالإرشاد قهرًا عليها سميت كاملة لتكميل الناس. ثم إن النفس الناطقة لها أسماء أخر (القلب) اللطيفة الإنسانية حقيقة الإنسان المدرك العالم المخاطب بالشريعة والمطالب بها ولها ظاهر وباطن ومركب وهو النفس الشهوانية وباطنها الروح وباطن الروح السر وباطن السر سر السر وباطن سر السر الخفاء وباطن الخفاء الأخفى فباطن الشيء حقيقته ومادته كسرير باطنه قطع الخشب وباطن الخشب الشجرة وباطن الشجر العناصير الأربع وباطن العناصر الهيولى

مقام الروح

عالم الغيب [العالم الكبير]

هي الروح الحيواني

الأخفى — أخفى — سر سر — سر — السر — الروح — القلب — جسد

عالم الشهادة

وهي الروح الحيواني

النفس الشهوانية

الأسماء الروح ومظاهره العقل الأول والقلم الأعلى واللوح والحقيقة المحمدية والروح المحمدي والنور والنفس الكلية «خلقكم من نفس واحدة»

الأخفى أخفى سر السر والسر والروح والقلب هو النفس الناطقة واللطيفة الانسانية

عالم الصغير [الانسان]

فالخط الذي سطرناه في وسط الجسد هو النفس الشهوانية والروح الحيواني وهو البخار اللطيف الحامل للحياة والحس والحركة الإرادية وهو جوهر لطيف مشرق على البدن فإن أشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة وإن أشرق على باطن البدن لا على ظاهره حصل النوم وإن انقطع إشراقه بالكلية حصل الموت فسبحان الفاعل المختار. ثم إن الجسد عالم بنفسه والروح عالم بنفسها والروح الأمر الكبير الإلهي لا يعلمه إلا الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[160] وهو بحر النور مضطرب لا تعرف ماهيته وهو متّصل بالجسد اتّصالاً محكمًا اتّصال العاشق بالمعشوق لا غير والروح الذي يكون بها التمييز للجسد هو الروح الحيواني المعبّر عنه بالنفس الشهوانية وهو الخط في وسط الجسد والروح الإنساني هو الخط الطويل المتصل بالسين من الجسد إلى جهة اليمين وفيه خزائن الخزانة الأولى خزانة القلب وهو مرتبة من مراتب الروح الرباني وله جهة كما رأيته إلى الجسد لكنه لطيف جدًا فتوسطت له الروح الحيواني التي هي النفس الشهوانية التي هي البخار اللطيف لتوسطه بين الكثافة واللطافة فصحّ اجتماع القلب مع الجسد بواسطة النفس الناطقة وله جهة أخرى إلى باطنه الذي هو الروح وهو حينئذ كالمرآة له وجهان وجه صقيل ووجه كثيف والكثافة هي الصبغ في وجه المرآة ليرى بها في الوجه الصقيل كل موجود فإن كل موجود يرتسم فيها في آن واحد بواسطة الصبغ والصبغ في الوجه الآخر هو النفس الشهوانية الواسطة بين الروح المنقلبة إليها وبين الجسد الموجّه إلى عالم الشهادة فالقلب هو السر الأعظم فإن توجّه بكليته إلى عالم الجسد الموجّه إلى عالم الحس والشهادة حجب عن حقيقته وظاهره وباطنه ويكون رعية الجسد وتحت حكمه وتنطبع فيه الصور الكونية الحسية وتقع بينه وبين أسرار الغيوب مائة ألف حجاب كل حجاب فيه سبعون عامًا غلظًا أعني بعد النسبة لا غير فالغلظ ما توسّخ به من الميل إلى الشهوات حيث كان ملكًا يحكم وصار بهواه مملوكًا محبوسًا تحت حكم الجسد لا حركة له ولا قدرة عن إزالة ما ألفه من ذلّ الحكم عليه ثم إن طال فيه أي في اتباع الهوى وغاص الوسخ في أجزاء مرآته بحيث التصق بالجسد كل الالتصاق يصعب انفكاك الوسخ منه فلا يصقل إلا بالجدّ والاجتهاد واستعمال أنفس صابون مع عمل متقن

---

[160] الإسراء 85.

بالرجوع إلى الله كلّ الرجوع بسبب الشريعة المحكمة تمسّكًا كليًا وإن لم يطل في اتّباع الهوى تسهل صقالته وطهارته بالتطهير المبين المنزل سره على يد نبيه صلى الله عليه وسلم.

ثم القلب سمي قلبًا لتقلبه بين الجهتين جهة الروح باطنه وجهة الجسد ظاهره وقد عرفت اتّصاله باللطيفة الربانية الروح الحيواني وامتزاجه بها امتزاج الواسطة بالموسوط (لولا الواسطة لذهب الموسوط) ثم إن للقلب عينين فالعين هي المسماة بالبصيرة والبصيرة قوة الهيبة في القلب لا تعرف ماهيتها بل هي صفة معنى عين أمر بالنظر بها إلى باطنه الروح الرباني وعين أمر بالنظر بها إلى ظاهره المواجه للجسد فإن ظلم ونظر بهما إلى الجسد متوجهًا بكليته إليه صار في حكم الجسد لا يظهر له إلا لوازم الجسد من مأكل وأخواته محجوبًا عليه بنفسه لظلمه حيث توجّه إلى بحر الكثافة وإن توجّه بهما إلى باطنه ظلمًا منه توجهًا كليًا صار محجوبًا عن الجسد ولوازمه وهو الفناءُ فإن أحس بفنائه فهو الفناء الأصغر وإن لم يحسّ به فهو الفناء الأكبر بأن فني وفني أنه فني وقد علمت منه أن العبد إنما يفنى عن نفسه في نفسه أي يفنى القلب عن جهة ظاهره الذي هو الجسد ولوازمه لجهة باطنه الذي هو الروح الإنساني بانسلاخ أوصاف البشرية والتحلّي بالأوصاف النورانية الربانية فحقيقة الإنسان جسم مركّب مع الروح وهو العبد وهذا كله هو المخاطب بالأحكام الشرعية فالجسم وحده غير مكلّف بل هو في حكم الجامد يعبد عبادة الجوامد وله روح الجامد ونطق الجامد وتسبيح الجامد وله غاية المعرفة والعبادة والعبودية والعبودة مجرّدًا وذلك دأبه في القبر وتقلباته مجرّدًا من الروح والروح وحدها مجردة محض النور الإلهي ساجدة أبدًا لمرتبة الألوهية لا يفتر من يوم خلقها الله من غاية التذلل والعبودة وهي غير مخاطبة بالشرائع لأنها صافية تامة العبودية لا مزيد عما كانت عليه أبدًا لأنها قائمة أتمّ القيام المراد بها فلا مزيد عن الجسد بعبادة ربه منفردًا وإنما وقع اللبس والالتباس باجتماعهما فبيّن الخطاب الإلهي كيفية معاملة القلب مع ربه ومع جسده بحيث يصرف عين يسراه لتدبير أمر معاش جسده وتدبير أمر وظائف سيّده المكلّف بها في حال تركّبه مع الجسم. وأما الروح الحيواني فلا مدخل له في الخطاب التكليفي وإنما هو واسطة بينهما وأما هي فعالم مستقل يعبد ربه عبادة لا مزيد عليها وإنما هي عالم الميز والإحساس والحياة فتبين به أن الجسد عالم مستقل يعبد وحده ما لا مزيد عليه وأن النفس الشهوانية

وهي الروح الحيواني تعبد ربها ما لا مزيد عليه وأن النفس الناطقة تعبد ربها بما لا مزيد عليه عبادة طبعية كالملائكة بلا تكليف ولا تكيّف وكل ذلك مما لا يخفى على العارف وأن التكليف مختصّ بالروح الإنساني التي هي النفس الناطقة مع الجسد فتارة يتبع الإنسان أوامر سيده ويجتنب مناهيه وتارة يجترئ على أحكام سيده ويتعداها إما اتّباعًا لهواه مع قبول الأحكام الإلهية والإذعان لها وتارة يجترئ عليها لغلظ حجابه استكبارًا وعتوًّا على سيده فهو الكافر وغيره مؤمن وإن فعل جل المخالفات. والفرق بين العاصي المؤمن والكافر أن المؤمن باتّباع هواه خالف مع الإذعان والإقرار بتوجه الأحكام له وأنه متعد يطلب العفو من سيده والكافر بالجحود والاستكبار على أحكام سيده وعدم قبوله لها ثم إن الخطاب طلب الكافر لينزجر عما كان عليه من الاستكبار فيترتب بعده أحكامه عليه وطلب المؤمن باستعمال سياسة سيده مع نفسه ومع ربه ومع عباده. ثم إن رجع الروح الإنساني إلى جسده بكليته فإن قام باعث في إنسانيته يسوقه إلى حضرة عالم الشهادة والحس فهو النفس الأمّارة بالسوء لأنها لا تأمر إلا بما يناسبها كالبهائم مع قطع النظر عن الأحكام الشرعية وهي عين الهلاك والظلام لا نور لها وإن قام بها باعث يسوق إلى حضرة الأحكام الشرعية مع الميل إلى الهوى فهي اللوامة لأنها تلوم صاحبها عن المعاصي وهو التائب وإن قام فيها بالجد والنهضة القوية مع انقطاع مادة الهوى والشهوة مع تلقيها الالهامات.

والإلهام إلقاء الله الأسرار في القلب بلا قراءة لها فهي الملهمة لأنها ألهمت سواء الطريق وإن سكن القلب في مقامه وثبت بحيث لم ينقلب إلى جهة الجسد ولا إلى جهة الروح سميت مطمئنة لسكونها في مقامها بمقامها. ثم إن رضيت بمقامها عند ربها واستحلت مجاري أقداره وذهلت عن مرادها بإرادة سيدها وفنيت في رضى المحبوب مع قطع النظر عن الملائمة وغيرها من كل ما أبرمته يد القدرة الصالحة لكل شيء بالإرادة النافذة قطعًا تسمى راضية عن الله بمقام نفسها عنده جل وعلا وهذه الجوهرة الثانية من جواهر العارفين وهي الجوهرة الخامسة من جواهر الروح فإن ثبتت في مقامها الراضية تنتقل إلى مرتبة المرضية والمحبوبية لأنها مرضية ومحبوبة عند ربها بثباتها لمجاري أقداره فيها وعليها من غير تزلزل ولا جزع ولا طرب ولا سرور فإذا ثبتت في مقامها وغاصت عروقها في مرادات الحق

وسكرت بلا سكر ولا غفلة شاكرة صنع ربها قائمة أتم قيام بالوظائف المملوكية التي هي المطاوعة لمرادات الحق من غير رأي ولا إرادة ولا تزيين ولا تقبيح ولا إفتاء رأي على السيد ولا ردّ كلام ولا ميل إلى غير حضرة الملك الحق ولا طلب لنفسه ولا لغيره وصارت جامدة في حكم الميت عابدة عبادة الطبع والتكليف محبةً محبة الطبع والتكليف والقهر لمشاهدتها سطوة سيوف الجلال والجمال معاينةً بلا حجاب ولا حائل وعرفت ربها بسطوة القهر وغرقت في بحر أنواره وطهرت فغرقت وطفحت وعلت سطح بحر المشاهدة وعامت فأحسنته بالله لله في الله مع الله على الله فاندقّت رسومها وطحنت ورضخت ونخلت فصفت غاية الصفاء وتميزت وثبتت لكمال القهر وأنست وذاقت وألفت وسكنت واستحلت وكملت لربها به له فيه معه وتزينت وأسدلت زاخرات بحار صفائها على الملكوت والجبروت وعظمت على العرش لأنها عرش الله وهو عرش الرحمن انقلبت وصارت وتحوّلت وانتقلت لمقام الكمال وسميّت كاملة لكمالها في نفسها بثباتها في حضرة ربها فلمّا كملت وتمّ كمالها نزّلها مولاها إلى تكميل غيرها من النفوس قبلها وهي في مقام الإرشاد. وهذا المقام هو السابع وهو السبع المثاني باعتبار أصلها وهو الرابع باعتبار مقامات المقربين وهذا المقام بحر لا ساحل له يعوم فيه الكامل عمر الدنيا وعمر الآخرة فلا يصل إلى قعره فضلاً عن ساحله فالذي تطلبه أمامك والامام هو عين المقام لأنه مخلوق مكتسب ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[161] بقطع مسافة مقامك الرابع وقد علمت أنه لا يقدر قطعه عمر الدنيا والآخرة. فاثبت في نفسك وقم بعبادة ربك عائمًا في بحر نفسك السابعة ولا تطمع الخروج عنها فإنها كنز معجز لكل الكاملين والذي تطلبه أمامك والمقصود منك إتقان الوقوف بين يديه لا الوصول الذي تعرفه وصولاً بمس يد جارحة فتعالى سيدك عن ذلك علوًا كبيرًا فلا يدرك لا في الدنيا ولا في الآخرة لأن غاية ما تدركه حقيقة نفسك السابعة ولا مطمع لك في عبور بحرها الزاخر الذي يموج منك بأمواج القهر والسطوة فكلما قطعت موجة من نفسك تبينت لك أمواج وهكذا زمن الدنيا والآخرة. ثم إن هذا المقام السابع باطن القلب وهو الروح وهذه البحار إنما هي بحاره. فالروح من أمر ربنا لا يدرك كنهها ولا يحاط بها عمر الدنيا والآخرة. فالآخرة محل المعرفة بالنفس وإنما سقط

---

[161] النجم 41.

التكليف الشرعي لا غير وبقي تكليف الطبع والشوق والذوق والغلبة والقهر واللذة والفكرة والعبودية الصرفة قد عرف كل واحد بقدر معرفته في الدنيا **من عرف نفسه عرف ربّه** بقدر معرفة النفس تكون معرفة الله وبقدر معرفته تكون حلاوة المقام في الدنيا وفي الآخرة وقد علمت أن الله أعجزك بنفسك فلا تدرك بقوة باطنك كنهها ولا تحيط بكمالاتها وكمالاتها هي غاية الذل والفقر والاضطرار والإلجاء والنقص والضعف ويجمع ذلك كله المملوكية فالملك هو عين ما قلناه فالسيد سيد والعبد عبد وله حد يحدّه وهو كمال الملك لسيده وهو غاية الغايات فالمعرفة بالله معناه أن تنظر بعيون ذلك بالملك لحضرة السيادة وهو التعلق بالربوبية بأيدي العبودية وأزمّة العبودة وأحبال المملوكيّة فالعبودة لها حدّ والسيادة لها حدّ فحدّ السيادة وماهيتها إمداد ما تقتضيه الإرادة بأيدي القدرة حضرة مملوكيتها وحقيقة العبودة توجّه العبد بكمال قواه لقبول إمداد حضرة سيده. وهذا غاية ما يقال وما يدرك في الدنيا والآخرة. ثم إذا تأملته يتبين لك أن غاية ما يدركه العارف الرجوع إلى أصله الذي كان عليه قبل وجود جسمه وبعد فناء جسمه بالموت وهو الطور الأول لا زائد عنه لأنك خلقت صافيًا قائمًا بالعبودة على وجهها ثم إذا ردّك بعد تكدّر الروح بكثافة الروح الحيواني مع ضميمة الجسد المبلغ غاية الكثافة كنت عارفًا نفسك بالله لأنه رادك إليه بعد الانقطاع والفعل فعله سبحانه ما أخفى سرّ قدره وما أبدعه. ثم إنك قد علمت مما أسلفناه أن لروحك باطنًا وهو السر وهو جوهرة ثانية للروح باعتبار التوجّه للحضرة الإلهية وهو جوهرة ثمينة لا يدرك حسنها وبحر لا يرام وصول قعره. وللسرّ باطن وهو سرّ السرّ وهو جوهرة ثالثة غالية عالية تذكر ولا ترى. ولسرّ السرّ باطن وهو سرّ سرّ السرّ وهو جوهرة رابعة في غاية البعد عن التكييف بالوصف وله باطن وهو الخفا وهو عين اسمه خفي عن الإدراك يرمز له بأيدي عرائس الروح لا باللسان. وللخفا باطن وهو الأخفى أفعل تفضيل من الخفا وهو انتهاء الخفا وهو الحقيقة المحمّدية والعقل الأول والقلم الأعلى والأمر الإلهي وهو بحر مضطرب أمواجه متلون ألوانه ليست ألوانه في عالم الشهادة ولا يتقيد بعادة ولا يخرق بل يصعب وصفه بالرمز فضلاً عن الرقم فسبحان الكبير المتعال. فإذا قهرك الله بحقيقة أصلك الذي هو الأخفى فكيف تطمع أن تحيط بسر واحد من أسماء ربك فضلاً عن وصفه فضلاً عن الكنه ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ

وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[162] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[163] فالروح أيضا لها وجمان وجه للقلب ووجه للسر وهكذا في سائر الجواهر. فالروح لها جواهر خمسة باعتبار توجمها بكليتها للحضرة المالكية وهي أصل الجواهر ولها جوهرة واحدة باعتبار توجمها إلى الجسد وهي القلب وله وجمان كما تقدم وهو السر الأعظم وهو درجة الروح وهو عين الروح وإنما هو درجة تنزّل الروح لأن الروح بنفسها إذا كانت في غاية المعرفة بالله تسمى الأخفى فإذا تنزلت بالميل سميت الخفى فإذا تنزلت درجة سميت سر سر السر فإذا تنزلت سميت سر السر فإذا تنزلت سميت السر فإذا تنزلت سميت الروح فإذا تنزلت سميت قلبًا وهو آخر درجات الروح باعتبار التوجه إلى عالم الشهادة. وللقلب درجات سبعة باعتبار تنزلاته فغايته باعتبار مقام الصفاء له النفس الكاملة وغايته باعتبار التوجه للجسد النفس اللوّامة فافهم. فالروح لها سبعة جواهر أولها الأخفى وآخرها القلب. والقلب له سبعة مراتب أولها باعتبار البطون الكاملة وآخرها باعتبار الظهور الأمّارة وهي أسفل سافلين بسجين الطبيعة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ أي الكامل وهو الأخفى ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[164] أي في أكمل الصور المعتدلة فلم تكن صورة أعدل من الأخفى والأخفى هو الأحسن ﴿ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾[165] النفس الأمّارة فسجين الطبيعة أسفل وأحط ما وجد من العالم ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[166] أي خلقناه في أحسن صورة وأكمل اعتدال وتقويم والأحسن هو أصله ثم رددناه بقدرتنا إلى أسفل المراتب في الوجود وهو الكفر. ف**الإنسان** في التنزيل خطاب للكافر و**الأحسن** إلى أصله و**أسفلَ سافلين** إلى نهاية شره بنفسه لنفسه في نفسه فهو غاية التنزلات نعوذ بالله من شرور أنفسنا. وشرور أنفسنا هو ميلنا إلى طبيعتنا وطبيعتنا هي النفس الشهوانية والشهوانية هو البخار اللطيف

---

[162] الأنعام 104.

[163] الشورى 9.

[164] التين 4.

[165] التين 5.

[166] الأنفال 22.

الذي نشأ من مادة الأخلاط الأربعة من العناصير الأربعة من الهيولى والعناصير هو المزاج والجسد له سبعة جوارح كواسب وهي المنافذ التي توصل أخبار الشهادة من كل ما يدرك بالإحساس وأشرفها السمع وهو ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ اَوَ اَلْقَى اُ۬لسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[167] قوله تعالى ﴿لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي كامل وكماله برجوعه إلى أول أطوار أصله الذي هو النفس الكاملة وهو المرشد لغيره وقوله تعالى ﴿اَوَ اَلْقَى اُ۬لسَّمْعَ﴾ هو المسترشد الطالب ويفهم الاسترشاد من إلقاء السمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ والقلب شهيد لما يلقى له من حضرة المرشد والمسترشد محله المراتب الخمس قبله دون النفس الأمّارة فإنها فانية في طبعها الشهواني فلا حظّ لها في الإرشاد ولا في الاسترشاد فافهم. ثم إنك قد علمت أن كل جوهرة من الجواهر للروح وأن كل درجة من درجات القلب يعبد ربّه منفردًا عبادةً أصليّةً لا على وجه التكليف بل على وجه المحبة والفطرة ﴿وَإِن مِّن شَےْءٍ اِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[168] وأن الذات لها ظاهر وباطن فظاهرها منطو على ما لا يعلمه إلا الله من المسام والسهر والشعرات وكل شعرة عالم مستقل للعبادة المحبيّة وعلى ثلاثة مائة وستة وستين عرقًا وعلى عدد من المفاصل وعلى المادة المجموعة من الأخلاط فكل ذلك شيء مستقل ومن كل ذلك الأشياء عليه اسم من أسماء الله كل اسم يخالف الاسم الآخر وكل شيء من الأشياء المتقدمة عليه ملك يخصه وكل ملك له عدد من الألسنة وكل من الأسماء الإلهية الموضوعة على كل شيء من أشياء ذاتك له ملائكة تخدمه فكل ذلك يعبد ربه باسمه القائم عبادة به تامة لا ميل فيها ولا تنزّل فيكتب كل ذلك للعارف في صحيفته ولا يكتب للكافر لأنه غير عابد بظاهره وباطنه يعبد الله كما سمعته لكنه لا حظّ له في ثوابه بل ولا ثواب لأن الثواب إنما هو من شأن العبد الإنسان وإنسانية الكفار معرضة عن ربها نعوذ بالله من قدره. وقد عرفت مما تقدم أن المخاطب هو جميع الروح والجسد وهو الذي عليه قلم وله فلا يحصل الإنسان الذي هو العبد على كمال العبادة حتى يكون كشعرة من شعراته وكل شعرة عارف بربه ولذلك تشهد على العبد بسفاهته وظلمه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُۥٓ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ

[167] ق 37.

[168] الإسراء 44.

يَعۡمَلُونَ﴾[169] ولكل مرتبة من مراتب القلب السبعة سير وعالم وحال ومحل ووارد وصفة وقبائح فسير الأمّارة إلى الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها الصدر وحالها القيل وواردها الشريعة وقد عرفت أن القلب متى تنزّل إلى غاية مراتبه وهي الركون إلى الشهوة بامتزاجه بالنفس الشهوانية التي هي بخار الأخلاط البدنية واستولى عليه حكم الشهوة وصار محكومًا محجورًا تحتها بعد أن كان ملكًا له الحكم فنزلته الشهوة من مقامه ولا غرابة. فقد قالت زليخا: **لقد نزّلت الشهوة ملوكًا عن كرسي ملكهم وصيّرتهم عبيدًا لعبيدهم ورقى العفاف بالعبيد وصيّرهم ملوكًا بعد أن كانوا عبيدًا.** فمن أوصافها الجهل والبخل والحرص والكبر والغضب والشدة والشهرة والغفلة والحسد وسوء الخلق والخوض فيما لا يعني من الكلام وغيره والاستهزاء والبغض والإيذاء باليد وغيرها واللسان إلى غاية تعداد القبائح فهي نفس قبيحة خبيثة ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ في حق الصادق سيدنا يوسف عليه السلام ومعناه فيه ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾[170] إن من جنس النفس أمّارة بالسوء ولقد صدق وإن لم يتصف بذلك النوع وذكره لكمال تواضعه وهو شأن كمال العبيد وقال صلّى الله عليه وسلم ((**عدوّك نفسك التي بين جنبيك**))[171] ((**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النّفس**))[172] وسمي جهادها أكبر لوقوعها في ظلمة الطبيعة فلا فرق لها بين الحق والباطل ولا بين الطيب والخبيث ولا يقدر الشيطان أن يصل إلى الإنسان إلا بواسطتها فكن على حذر ولا تأمنها ولا تساعدها ولا تنتصر لها إن أحد آذاها بل كن معينا له عليها فإنها عدوّتك

[169] النور 24.

[170] يوسف 53.

[171] أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

[172] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: البيهقي | المصدر: الزهد | الصفحة أو الرقم: 384.

دواؤك فيك وما تبصر * * وداؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير * * وفيك انطوى العالم الأكبر[173]

فسير اللوامة بالله وعالمها عالم البرزخ ومحلها القلب وحالها الصحبة وواردها الطريقة وصفاتها اللوم والفكر والعجب والاعتراض على الخلق والرياء الخفي وحب الشهرة والرياسة وقد يبقى معها بعض أوصاف الأمّارة لأنها مع هذه الأوصاف ترى الحق حقًا وترى الباطل باطلاً وتعلم أن هذه الصفات مذمومة وتلوم عنها ولها رغبة في المجاهدة وموافقة الشرع ولها أعمال صالحات من قيام وصلاة وغيرها لكن يدخلها العجب والرياء الخفيّ فيحب صاحبها اطّلاع الناس على عمله مع أنه يخفيه عنهم فعمله لله لكن يحب أن يحمد عليه قال صلّى الله عليه وسلم ((**الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم**))[174] لأنه يحب أن يعلم الناس بإخلاصه وهو الرياء الخفي والرياء الجلي العمل لأجل الناس وهذه المرتبة حدّ الأبرار وهم الخاصة فحسناتهم وهو الإخلاص سيئات المقربين لأنهم لا يقفون معه. ومثال يتضح لك به الفرق بين المقربين والأبرار شجرة عظيمة كثيرة الأغصان تثمر سمومًا فاشتغلت الأبرار بقطع أغصانها فكلما قطعوا غصنًا نبت غصن آخر أقوى منه فقطعت المقربون عن الشجرة ماء فضعفت وانقطعت ثمارها السمومية فأراحوا أنفسهم منها. فالشجرة الشهوة وماؤها الميل إليها فهم يأكلون النعم من يد الله متبركين بها مع قطع النظر عن نفوسهم فإنما يأكلون نور وسر ربهم فبرئوا من نفوسهم ببركة سر الله في النعم ولا تخلو هذه النفس من الغضب ((**جاء شيطانك**))[175] تربية لها وإن كانت من أكابر العارفين فقطعت العارفين الأغراض التي هي زبالتها فماتت وهو خطاب للصديقية العظمى سيدتنا عائشة لما ثار غضبها وظهر

---

[173] أبيات لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

[174] قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ... ذو النون المصري يقول: الناس كلهم موتى إلا العلماء والعلماء كلهم نيام إلا العاملون والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم قال الله عز وجل "ليسأل الصادقين عن صدقهم"... هذا الكلام هو من كلام ذي النون المصري ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ا.هـ

[175] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2815.

على وجهها فساقها النبي صلّى الله عليه وسلم بألذ خطاب إلى حضرة ربها فألفت ولم تغضب بعده إلا لله وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّما العلم بالتعلّم والحلم بالتحلّم ومن يتخيّر الخير يعطه ومن يتّق الشرّ يوقه**))[176] فسير الملهمة إلى الله فلا يقع نظر صاحبها إلا على الله لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه وفناء ما سوى الله في شهوده وعالمها عالم الأرواح وحالها العشق وواردها المعرفة وصفاتها السخاء والقناعة والعلم والتواضع والصبر والتحلّم وتحمّل الأذى والعفو عن الناس وحملهم عن الصلاح وقبول عذرهم وشهود أن الله تعالى آخذ بكل ناصية دابة فلم يبق له اعتراض على المخلوق أصلاً ومن صفاتها العشق والهيمان والبكاء والقلق والإعراض عن الخلق والاشتغال بالحق والتلوين وتعاقب القبض والبسط وعدم الخوف والرجاء وحب الأصوات الحسنة وزيادة الهيمان عند سماعها وحب الذكر وبشاشة الوجه والفرح بالله تعالى والتكلم بالحلم والمعارف والمشاهدة وأمثالها فسميت ملهمة لأن الله تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[177] وصارت تسمع بغير آلة لمة الملك ولمة الشيطان بعد أن كانت قبله لا تسمع شيئًا لقربها من مقام الحيوانية فصاحبها لا يفرق بين الجمال والجلال لضعفه ولا بين ما ألقاه الملك وما ألقاه الشيطان لعدم الخلوص بالكلية من الطبيعة ولم تسلب عنه جميع مقتضيات البشرية فإن غفل يخف من مهواة ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ وهو مقام الأمّارة فربما ينهمك على الأكل والشرب ويختلط بالناس ويزعم أنه مكاشف ويرتكب المعاصي لظنه أنه موّحد وأنه من المحقّقين وأن غيره من أهل الطاعة محجوب عن شهوده فإن أفسد هذا اعتقاده صار من الهالكين والتحق بالكفرة فأكلت نار الطبيعة ما في قلبه من الإيمان وضاع تعبه فصار شيطانًا لاحت له خيالات شيطانية فظنّها حقائق بعد رقة بشريّته وقوة روحانيته هلك بسبب قربه من الأمّارة فلما رآ ما رآ ظن الوصول وزال خوفه وقلّ من زال خوفه واتّبع الشريعة فالواجب اتّباع السنّة وقد علم ميزان الشرع فلا يصل رضا الله وتجلياته إلا من شريعته وسخطه وعطبه في مخالفتها وأنت في المقام روحاني لطيف قد أشرقت عليك شموس المعاينة وأقبلت عليك بشائر الكمال وكشف عليك أكثر الحجب وزال عن نفسك معظم

---

[176] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 198/5.

[177] الشمس 8.

الحظوظ فأنت فيه من العاشقين المتلذذين بالذل والافتقار والمحبين الذين لا صبر لهم عن محبوبهم. فأشعار العارفين كلها من هذا المقام ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[178] ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[179] ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[180] فسير المطمئنة مع الله وعالمها الحقيقة المحمّدية ومحلها وحالها الطمأنينة الصادقة وواردها بعض أسرار الشريعة وصفاتها الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضى بالقضاء والصبر على البلاء وعلامة هذا المقام أنه لا يفارق الأمر التكليفي شبرًا ولا يتلذّذ إلا بأخلاق رسول الله صلّى الله عليه وسلم ولا يطمئن إلا باتّباع أقواله وأفعاله فهو مقام التمكين والإيمان فيجب على صاحبه مخالطة الناس بالموعظة ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[181] وليكن لك وقت مع ربك لأنه أدنى الكمال فلا يناسبك استغراق الأوقات معهم فسير الراضية في الله وعالمها اللاهوت ومحلها سر السر وحالها الفناء وهو فناء المشرف على البقاء وهو حق اليقين وليس لها وارد لعدم بقاء الأوصاف وقد زالت كلها فلم يبق لها أثر فيكون فانيًا لا باقيًا صفة تعرف بالذوق وصفتها ترك ما سوى الله تعالى والإخلاص والورع والرضى بكل ما يقع في الوجود من غير اختلاج قلب ولا توجه لرفع المكروه ولا اعتراض أصلاً لاستغراقه في بحر الجمال المطلق وهو غريق في بحر الأدب ودعوته نافذة لكنه لا يطلب لأدبه إلا اضطرارًا فتستجاب فتعظمه كل الخلائق قهرًا. فإياه من الظالمين فإن النفس تميل لمن أحس إليها ﴿وَلاَ تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلذِينَ ظَلَمُواْ﴾[182] فكلما بعدت منهم ازددت عزّا في قلوبهم فهم يكرمونك قهرًا فلا يشغلك مخلوق واشتغل بربك وإن كنت في مقامك هذا لا تركن لغير الله. فالأدب الخوف على نفسك فسير المرضية عن الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها الخفاء وحالها الحيرة وواردها الشريعة وصفاتها حسن الخلق وترك ما سوى الله تعالى واللطف بالخلق وحملهم على

---

[178] هود 112.

[179] الحجر 99.

[180] الطور 46.

[181] القصص 77.

[182] هود 113.

الصلاح والصفح عن ذنوبهم وحبّهم والميل إليهم لإخراجهم من ظلمات طبائعهم وأنفسهم إلى أنوار أرواحهم. وصفتها الميل إلى حب الحق والخلق وهو عجيب ولذا لا تمييز له عن العوام بظاهره وباطنه معدن الأسرار وقدوة الأخيار مجردًا شهوده من كل غير فدائرته العلم الإلهي والحالي لا علم الرسوم والمقالي فسيرها من الله لأنها أخذت من حضرة الحق ما تحتاج إليه من العلوم في حضرة الحي القيوم ورجعت من عالم الغيب إلى عالم الشهادة بإذن الله لتنفيذ الخلق مما أنعم الله عليها به وحالها الحيرة المقبولة "**ربّ زدني فيك تحيّرًا**" فينفق الكثير إن صادف محله حتى يظن غيره أنه أسرف ويبخل بالقليل إن لم يصادف محله حتى يظن أنه أبخل البخلاء وهو بين الإفراط والتفريط في المرتبة الوسطى فلا يقدر عليها إلا هو وتلوح عليه فيه بشائر الخلافة الكبرى وفي آخره تخلع عليه خلعها وهي خلعة ((**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**))[183] أي فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وهذه نتيجة قربة النوافل وهو أن يكون تأثير العبد بالله وإياك أن تعتقد أنك الحق كالملاحدة الذين طالعوا[184] كتب الأكابر ولم يفهموا ما قصدوه وسوء الفهم تشويش فمعناه أن محبة الله إذا نزلت به بالنوافل جردته من أوصافه البشرية وحلته بأوصاف قوية من الحق فيتصرف بها لا غير وهو حق اليقين فهذا لا تدركه العقول فتعالى الله علوًا كبيرًا أن يحل في شيء أو يحل فيه شيء وإنما هذا ذوق يحس به من أحرقته ناره كالعسل يوصف لمن لا خبرة له به فلا يصل إلى ماهيته إلا بالذوق وأقل شيء من العسل يرشده إلى كل حلاوة العسل. فالفناء لا خارج له في النظائر ليقاس عليه. والخطاب لأهله فمن ذاق فهم ومن لا فلم يتوجه له خطابنا فغاية الإدراك الوصول إلى الصورة الآدمية وهو الحقيقة المحمّدية التي هي قبلة الملائكة وهي سر الله الأعظم واللطيفة الإلهية وهو غاية القرب من حضرة الحق ففيها يتحقق العبد بالعبودية المحضة والعجز والذل بمعرفة نفسه بسبب مقابلة مرآة العبودية بمرآة الربوبية وهي السيادة وانتقاش ما في كل ((**ما وسعني**

[183] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6502

[184] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "طلعوا".

أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[185] فسير الكاملة من النفوس بالله تعالى كثرة في وحدة ووحدة في كثرة ومحلها الأخفى الذي نسبته إلى الخفى كنسبة الروح إلى الجسد وحالها البقاءُ ووارِدها جميع الأوصاف الحسنة لأن النفوس مندرجة فيها فإذا تصفحت ما تقدم من النفس المطمئنة إلى الكاملة يتبين لك من يصلح للإرشاد من كل متصف بصفات الكمال ومن لا يتصف بالإرشاد من أهل النفوس قبله.

وقد علمت أن الطريقة التجانية مبنية على طريقة رسول الله صلّى الله عليه وسلم حذو نعل بنعل ومقام الصحابة متّبع لمقامه صلّى الله عليه وسلم ومقام القطب المكتوم المحمّدي بالوجه الأخص والأعم وهو السر المحمّدي تربّى بتربيته وأدّبه بأدبه وزكّاه بتزكيته وصفّاه بتصفيته وسلّكه مسلكه وأجلسه مقاماته وأفاض عليه سر نبوته وتبعته أصحابه كلهم في سلوكه فكلهم يسيرون سير الأرواح مع سير القلوب الطاهرة وعلمت أن أول ضعيف من أصحابه النفس المطمئنة التي يصلح صاحبها للإرشاد وهذا المقام أخفض مقام في الطريقة التجانية بحسب ظواهرهم. وأما بواطنهم فكلهم في المرضية لعلوّ مقامهم في مقام المحبوبية. قال الشيخ رضي الله عنه: **(نعم محبوبون مقبولون على أي حالة كنتم)**. وهو مقام النفس المرضية السادسة فأول مقام ظواهرهم من مقام الخاصة وهو الرابع وهؤلاءِ هم الدائرة الأولى من دائرته رضي الله عنه. والدائرة الثانية له من الفقراء في مقام خاصة الخاصة الذي هو مقام النفس الراضية. والدائرة القريبة منه من الفقراء وهي الثالثة باعتبار الصعود والعلوّ دائرة العارفين. أولها مقام المرضية ثم الكاملة المقام السابع وهذا لا نهاية له بل يزيدون فيه عمر الدنيا والآخرة ولم يصلوا إلى غايته ولن يصلوا إليه أبدًا. وقد علمت أن هذه المراتب مراتب القلب ومقام النفس الكاملة هو غاية

---

185 (حديث مرفوع) قال صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: **مَا وَسِعَنِي سَمَائِي وَلا أَرْضِي، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ**: ذَكَرَهُ فِي (الإِحْيَاءِ) بِلَفْظِ: **"قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَمْ تَسَعْنِي سَمَائِي وَلا أَرْضِي، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ اللَّيِّنِ الْوَادِعِ"، وَعِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِي (الزُّهْدِ)، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَحَ السَّمَاوَاتِ لِحِزْقِيلَ عَلَيْهِ السَّلامِ، حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ، فَقَالَ حِزْقِيلُ: سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ، مَا أَعْظَمَكَ! فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ضَعُفْنَ عَنْ أَنْ يَسَعْنَنِي، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ الْوَادِعِ اللَّيِّنِ.**

توجه القلب إلى باطنه الروح فإذا توجه بكليته إلى الروح صار العبد روحًا فذاته في حكم الروح وهو مقام عالٍ وهو الطور الأول الذي طلبه ابن مشيش رضي الله عنه وأرضاه. فإذا قام القلب في مقام الكاملة أعطي القوة على تحمل أعباء ظاهره الذي هو عالم الشهادة وأعباء باطنه الذي هو عالم الغيب فيعطي لكل ذي حق حقه فيعامل الحق جل جلاله بأدبه ويعامل الخلق كلهم بأدبهم بقوة إلهية ولذلك سمّي كاملاً فيجمع بين الحق والخلق في المعاملة في آن واحد فلا يشغله الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق لاتّصافه وتخلّقه بأخلاق مولاه بتجرّده عن أوصاف البشرية ثم يسري الكمال إلى مرتبة الروح فيسقى في بحر جواهرها ثم إلى باطنها ثم إلى باطن باطن باطنها ثم إلى باطن باطن باطن باطنها وهو الخفى وهو محل باطن أصحاب هذه الطريقة بأسرهم بحسب فضل الله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[186] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[187] وما تقدم إنما هو ظاهرهم وأما مقامهم الأصلي لهم فهو الخفى الذي لا يذكر فيه العبد نفسه لاستهلاكه في حضرة السيادة. ومقام شيخهم في الأخفى بعده ثم إنه لا نهاية له وله مراتب لا نهاية لها ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[188] فلا يصل العبد أيا كان ربه وصولاً معروفًا بالحاسة فهو محال في حقه ورؤيتهم الجنة رؤية أعين ذات روحانية لا يعرفها إلا من صار روحًا في الدنيا كرؤية العارفين هنا سواء بسواء (**لو كُشف الحجاب ما ازددتُ يقينا**)[189]. وأول مقامات التجانية ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝﴾[190] وهي المقام الرابع باعتبار أصل النفوس وهو المقام الأول باعتبار المقربين والتجانيون كلهم مقربون. ولمراتب القرب أربعة ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى﴾ فالفاء للتعقيب والترتيب والعباد المضافون للحق هم العارفون بسطوة جلاله وبحلاوة جماله

---

[186] آل عمران 73.

[187] البروج 16.

[188] النجم 41.

[189] المشهور أنه من كلام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه.

[190] الفجر 31.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[191] حضرة قدسي فالواو لمطلق الجمع والقدس الطهارة من أوصاف البشرية وهو المقام الرابع للمقربين وهو نهاية جواهر القلب. وأما الروح الصرفة فلا يتوجه خطاب التكليف لها لأنها فانية في سطوة قهر الجلال أبدًا عابدة بما لا مزيد عليه كالملائكة. فهذه المقامات للمقربين الأربع مراتب الإحسان الذي بنيت هذه الطريقة على أركانه. وأما الإيمان والإسلام فمندرجان فيه اندراج الخاص في العام واندراج المقيد في المطلق واندراج الجزء في الكل. فطريقتنا التي هي طريقة الصحابة دقيقة لا تدرك حقائق كرامتها فلا يدرك كرامتها إلا الراكب على متن غاية مقاماتها الذي هو الكاملة لأن الكرامة مكتومة بسطوة سبحات الجلال شفقة على أهلها من أن تخطف بصائرهم بسيوف الجلال والجمال فغطيت عنهم وعن غيرهم فصاروا متّبعين للسنّة ظاهرًا وباطنًا خائفين من مقام ربهم وهم يزعمون أنهم لم يحكموا مقام التوبة فإذا ذكرت لهم أوصاف التائبين من البكاء استصغروا نفوسهم وكذلك أحوال الأبرار من العشاق والمخلصين المخفين أعمالهم مخافة الرياء ويحبون أن يمدحوا من أهل المقام الملهمة وإذا ذكرت عندهم أشعارهم من التولّه والهيمان صاروا يستصغرون أنفسهم ولا غرابة فيه لأن مقامهم عال عليهم وهم لم يعرفوا إلا الوقوف بباب ربهم على وجه المعاينة وعلى وجه أدب الكاملين.

فنوصي مقام إخواننا بالتثبت عن سماع أشعار العارفين بحسب مقام الأولياء الأبرار لأن هذه الطريقة طريقة الثبات وقلوب أهلها مع ربهم متثبتون لحضرة ربهم خاضعون وجلون فرحون به ولم يكن لهم مراد إلا ما أراده ربهم لا يتعرضون للرياضة فهم رائضون عند ربهم بمحض الفضل وإنما مقصودهم القيام بوفاء ما طلب منهم متعلقين بأستار السيادة مكتنفين بكنفه متعززين بعز سيّدهم متقدمين لخدمة وظائفهم وإن ولاهم سيدهم على أهل المراتب الولائية العامة أو الخاصة عرفوا أنهم عبيد لا حظّ لهم في أصل الولاية بل هم مولّى عليهم بحضرة سيدهم فيعملون ما قيّده لهم ربهم في الكنانيش الإلهية ولا يعترضون ولا يتعرّضون لرفع ما قيّده وكتبه ربهم فهذا دأبهم كدأب حجّاب الأمير بين يديه ووزرائه والملك ملك الأمير فهم خدّامه وقوّاد الرحى يتيهون بشجاعتهم خارج الباب والعساكر

---

[191] الفجر 32.

تظهر القوة والوزراء ساداتهم محجوبون عنهم لجلالة مقامهم وهم في غاية الخوف من السلطان متأدّبون بأدبه متخلّقون بأخلاقهم من الكرم والإمداد من بحر سيدهم. فالعسكر وهم الأبرار أكثرهم جندًا وهو السواد الأعظم أكثرهم خدمةً وأقلهم مؤونة. وقواد الرحى يتيهون بالجنود وهم أكبر من العسكر وأعزهم وأكثرهم خطرًا فافهم.

(((بـاب ما يشترط في حق مريد الدخول في الطريقة الأحمدية المحمّدية النبوية التجانية أولاً وما يلزمه من العهود والربط وما يلزم مدخله فيها وما يترتب على الوفاء بالعهود وعلى الخيانة فيها من مدخل وداخل وما يستحب في حقهما وما يمنع وما يكره وما يقصد بها من النيات وما يذم قصده وما يلاحظ وما لا يلاحظ)))

فأما مريد الدخول فيشترط فيه أولاً أن يكون صحيح الحزم ماضي العزم صحيح الاعتقاد قوي الهمة بأن يحب لنفسه الخير بعد استقذار أوصاف نفسه واستصغار ما كان عليه من المخالفات والخواطر الكونية والأمراض القلبية من حب الدنيا والرياسة وغيرها وأنه يستحق غضب الله إن لم تدركه بركة الشيخ رضي الله عنه وأنه مريض بالأمراض الظاهرة والباطنة متوقع هلاك نفسه مشاهدةً كجبل يراه يسقط عليه ولم يجد له مهربًا وصار مضطرًا ملجئًا لا مناص له معتقدًا أنه في وسط ورطة الهلاك مضطرًا لمن يخرجه منها وأنه ضل في تيهاءِ الغفلة كل ذلك ولم يظهر له في نظره من يخلّصه ولا من يستطيع تحمل مشاقه منقذًا له من وحلته لشدة قوة هلاكه وصعوبة أمره لبعده عن الله بمعاصيه وتفرق أجزاء قلبه بهوى نفسه وتأمل بعقله واجتهد بنظره فلم يظهر له بين عينيه ولا بين يدي عيون بصيرته أحد يطبه ويخلصه من يد أعدائه النفس والهوى وشيطانه الكافر وهو يريد الخلاص من بلد الأعداء لأن عدوًا واحدًا يشتت الفكر إذا كان بعيدًا فكيف بالأعداء الممتزجة به امتزاج الدم ولم ير حولاً ولا قوةً في نفسه ولا غيره من مقاومة أعدائه ولم ير سطوة أحد في زمانه ولم ير ملكًا يغار على محترمه ولا كريمًا في زمنه يحنّ على ضيفه ولم ير ملكًا ضخم المملكة يقدر على حمايته وطالت به مدة التأمل فوجد الزمان قد انعكست طبائع أهله فكل واحد ضعيف في أمر نفسه فضلاً عن تخليص

غيره فكل واحد من ملوك الزمان يأخذ الرشوة ويبيع صاحبه لعدوّه وفشلت أركان الملوك في نفسها واهتمت بشؤونها حتى أنّ الغريب إذا انحاز لهم يأكلون له زاده ويعرّضونه للهلاك ويرى كل ملك ظهر بزخارف ظاهره قد انكسرت قواعد باطنه ولم ير إلا ملوك الاسم ولم يبق من الكرماءِ في نظره من يجيره ولا من الرفقاءِ من يوصله ولا من الندماءِ من يؤنسه وتحقق ذلك بقرائن الأحوال أو بتجربة من نفسه أو من غيره مستدلاً على ذلك بمشاهدة كل من احترم بأحد في زمانه لا ينفعه بقلامة ظفر إلا مجرد السمة بالصحبة فكما كانوا عليه قبل الاحترام بهم بقوا بل زادوا مرضًا على مرضهم وكل ذلك تحقق له في باطنه من غير تردد عنده استنادًا إلى عادة كل مريض في دار الأطبة في زمانه فلم يظهر له مريض ظهرت عليه علامة الانتفاع فآيس من كل الأطبة ومن كل دواء ومن كل ديار الأدوية لأنهم ربما يهلكون المريض فيقتلونه بعدم معرفة تركيب الأدوية على الأمراض المختلفة فيبقى في معرض الهلاك آيسًا من كل أهل زمانه فبقي متحيرًا حتى لجأه في قلبه بالفضل الإلهي ملك قاهر ضخم المملكة متصفًا بوصف القهر والكرم والغيرة على حريمه اشتمل ملكه الواسع على جميع مطالبه من الأدوية والمعرفة بكيفية الدواء والمعرفة بالأمراض الظاهرة والباطنة المتنوعة المركبة والبسيطة وعنده دواء ناجع نافع ترياق لجميع العلل حلو بلا قطع عضو ولا مرورة بل في غاية النفع وفي غاية السلامة. وخاصيته قاطعة أصول العلل المعضلة لأنها أخذها مشافهة من الطبيب الأكبر روح الكائنات صلّى الله عليه وسلم والملك كفيل بجميع أحوال ومقاصد قاصده بمجرد الوصول يبرأ من جميع ما فيه ويكرمه من عنده بتاج الملوك لحنينه إلى ضيفه حنين الأسد على شبله واجتمعت أمنيته فيه وقطع العلائق كلها من غيره كما تقطع المرأة الحرة العلائق من غير زوجها فقصده تاركًا لغيره مصليًا على غيره صلاة الجنازة متوجهًا بكليته إليه مسقطًا في نظره حق غيره وعاهد الله على أن يلقي إليه نفسه إلقاءً كليًا يتصرف فيه ببصيرته كيف شاء ميتًا بين يديه يغسّله كيف شاء ويكفّنه بما شاء ويدفنه فيما شاء مسقطًا معرفة نفسه وتدبيره راضيًا بتدبيره وبحكمه وراضيًا أن يكون من جيوشه ومن مرضى داره ومن عبيد مقامه وداره وسار إليه بكليته طامعًا فيما عنده معرضًا كل الإعراض عن سواه وصارت الخلائق في نظره هباءً لانجذابه بمغناطيس الملك الأعظم القاهر الكريم المتّصف بأخلاق النبي صلّى الله عليه وسلم فوصل

إليه خجلاً خائفًا مسرورًا به متملقًا بين يديه طالبًا من فضل الله أن يميل قلبه إليه لأنه ملك عظيم وهو مجذّم بنجاسة الجراحات النفسية منتن بروائح المخالفات واستقذرت حالته العقول السالمة فنفرت منه طباع الخلق لنجاسته وهو يحب أن يباشره ملك عظيم القدر بيده فتصاغر لمعرفته بنفسه على قيوح مواده وصديد دُمله[192] فتجرّدت نفسه من أوصاف الكبار واتصفت بما هي عليه من روائح النجاسة وهو يريد باب ملك يدوايه بيده وينظره بعيونه ويعرّيه من كسوته حتى ينظر بعيون مرآته في أجزاء جسده ويطّلع على عوراته وما أقبحها وما أنتنها ويا فضيحته بين يدي الملك فعزم الدخول له فأدخل على أيدي خزنته فوصل له فانيًا عن نفسه فرحًا ودهشًا وهو يريد ببركة الملك الوقوف بباب الله بأن يطهّره ويوصله ويثبّته ويؤدّبه بآداب الملوك وهو نجس ومعه يطلب حضرة الله الملك الحق فلم يستطع تبيين تفاصيل مطلوبه من الملك الطبيب فأنزل حوائجه الدنيوية والأخروية بيده وكذا جميع مصالحه ومقاصده فصار طينة بين يده يحوّلها الملك وينقلها كيف أحبّ بما أحبّ في الوقت الذي أحبّ وانصبغ ببابه وجعل نفسه كلبًا له ببابه ومطروحًا في زبالته وعاهد الله على بقائه ببابه عمر الدنيا والآخرة معرضًا عن طب غيره وعن رأي نفسه فإذا اتّصف بهذه الأوصاف الحسنة فإنه مريد حقيقي يكون مرادًا قبل تنزّل الملك له بذلّة نفسه عقبات السالكين عقبةً عقبةً ولم يبق له إلا عقبات المقربين فبرؤية المريد نفسه على هذه الأوصاف أخرج من ورطة الهلاك فلم يبق له إلا السلامة والوصول والأمن والإكرام والهناء التام والدخول لحضرة القرب فلم يبق له إلا استعمال الترياق يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ويصير شمس سماء القرب ويفطر عن صيامه عن غير شيخه بلذة وصول ربه متجرّدًا من غير ربه متخلّقًا بأخلاق سيّده وشيخه موصله لحضرة ربه وآخذه بين يدي ربه. فإذا اشتاق قلبه إلى حضرة الصحة وإلى حضرة الأمن وإلى حضرة التمكّن من قصده وإلى حضرة ربه على يدي شيخه واحترق قلبه بمحبة الطبيب فإنه إن مكّن كلّيته من نظر الطبيب فإنه يتوجه إليه كل التوجه فيجب عليه أن

192 الدُّمَلُ: الخُراجُ، البَثْرُ، وَهُوَ ما يَظْهَرُ على الجِلْدِ وَيُحْدِثُ انْتِفاخاً وَيَتَكَوَّنُ بِداخِلِهِ القَيْحُ. (طب) التهابٌ محدودٌ في الجلد مؤلم مَصْحوبٌ بتقيّح في البشرة والنَّسيج الجلديّ.

يشترط عليه شروطه التي تلقاها من حضرة المصطفى صلّى الله عليه وسلم وهي أربع فلابد منها لأنها **شروط صحة الدخول في طريقته**.

أولها وأعظمها لأن ما سواه يندرج فيه أن يبين له أن الشيخ لا يُعرف ولا يحبّ ولا يُصحب إلا لأمرين. أحدهما أن يعتقد أن الشيخ محبوب لله اصطفاه الله واجتباه لحضرة قدسه ونصّبه لتربية الواردين وتأديبهم بآداب الشريعة وتجريدهم مما سوى جمال حضرة الله وتحليتهم بوظائف المماليك بين يدي سيّدهم وأنه طبيب ماهر في كيفية التصفية فلم يلحقه أحد لأنه بالإذن من ربه فيلزم مريد الدخول في حضرته أن يقصّر عليه همّته ظاهرًا وباطنًا في الدنيا وفي الآخرة وأن ينسب كل ما عنده له بحيث لا يتحرك ولا يسكن بقبضة يده فيحب شيخه لأنه محبوب الله لا غير ويصحبه للدلالة على الله لا غير وهذه المحبة هي محبة الذات وهي التي تنفع الواردين لأنه أحبه لله من غير غرض دنيوي ولا أخروي بل لأنه مظهر محبة الله وصحبه لله للدلالة عليه لا غير فقصد الشيخ إيصال الواردين إلى حضرة ربه بالله لله من غير غرض بل امتثالاً لأمره لأن الله أنابه له ونصبه لذلك. وتصحيح نيتهم ووجهتهم إلى حضرة ربهم بحيث يجب عليه أن يدلهم على ربهم ويعينهم بالإرشاد وبالقوة وبالعدة التي استولى عليها من بحر النيابة عن الله ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾[193] فقد استنصره الوارد فيجب عليه نصحه ومن تمام النصح إرشاده إلى حضرة الله لا إلى بركة نفسه وسر نفسه وعلمه وولايته ولا إلى خواصّ الأسماء والطلاسم ولا إلى العمل الشاق بل يجرده لحضرة مولاه لأنه ما نصّبه الله إلا له لا لنفسه ولا لغيره فالشيخ دليل دال إلى الله سائق وحاد إلى سيده وهو فانٍ في مراد سيّده فيحب للواردين ما يحب لنفسه والذي يحبه لنفسه ما هو عليه من الكمالات الإلهية فالدلالة للشيوخ والكمال على الله وأما محبة العوارض كأن يحب الشيخ لعلمه وولايته وكرمه إلى بقية أوصاف الكمال فإنه لا تغني من جوع في شيء ولا تنفع بالكلية لأن حقيقة العارض ما يجيء ويذهب كفرح وشبع فإن الإنسان إذا ركّب وبنى محبته على العرض وجعل العرض علة لها فإن محبته تبقى ببقاءِ

[193] الأنفال 73.

العارض وتزول بزواله. فإذا أحبه لولايته فقد بنى محبته على غرر ولا تأثير ولا بقاء لها فكما أن الله لا يعبد لغرض لأنه ما خلقنا لغرض تعالى عن أن تكون له أغراض دنيويًا أو أخرويًا كان بل يعبد لكمال توحيد وجهته إلى حضرة سيّده لما اقتضته السيادة والملكية أداء لما كلّف به من وظائف العبودية الذي تدل على صفاء العبودية والمقصود توحيد أوجه العبودية لتوحيد حضرة السيادة وهي العبودية الصرفة وأنواع العبادات تصححها وتدل عليها لا غير لأنك إن عبدت ربك لغرض من أغراض البشرية الدنيوية والأخروية تناديك حضرة سيّدك ما عبدتنا لأجلنا وإنما عبدت لأجلك فلا نصيب لك في جمالنا لأنك لم ترده وإنما تعرّضت لأغراض نفسك فغرضك تقضيه لك يد بحر الفضل ولا نصيب لك في القدس لأنك نجس بالأغراض والغرض شركة وأنا أغنى عن الشركة والشركاء فكمل فرحك بشريكك الذي شرّكته معنا في عبادتك لنا وهو الغرض فالغرض زبالة إبليس.

فكل عبد أو عمل فيه غرض يسكنه لأنه أصله الذي عطب به يوم غضب عليه ربه فكل من عبد الله لغرض فإمامه فيه إبليس هو الذي سنّه وشرّعه للمبطلين فلا يخلو صاحبه من غوائل حتفه فالغرض مع الله من أكبر العوائق عن حضرته ورضاه ومحبته وأنسه فكذلك الشيخ لا يعرف ولا يصحب لغرض لأنه نائب عن الله في الدلالة عليه وتجريد القلوب من الأهواء المضلة فكل من صحب الشيخ لغرض نفسه من أغراض بشريته الدنيوية والأخروية لا ينتفع بصحبته أبدًا ولو صحبه ألف عام لأن حضرته تقول له ما أحببتنا لأجلنا وإنما أحببتنا لأجلك لأن المحبة تزول بزوال الغرض فالشيخ مكلّف بالتجريد من الأغراض فيبقى متعلقًا به عمره كله من غير منفعة تعود عليه منه لأن غيم الحظوظ يحول بينه وبين حضرة شيخه ونبيه وحضرة ربه فيبقى مذبذبًا بحظوظه وينسب اللوم لشيخه بأن يقول مثلاً ما نفعني شيخي ولا ظهر عليّ أثر بركته فينسلخ من حضرته طمعًا في غيره وهكذا إلى الممات فيضيع عمره واجتهاده في الأعمال الصالحات فالأعمال الصالحات صالحات في نفسها وهو أخرجها عن موضوعها بحيث طلب بها أغراض نفسه وهي مشروعة لعبادة ربه كمن أخرج المنجل آلة الحصاد للحراثة أو آلة الحراثة للحصاد فهو حمق فكل آلة تصلح لما خلقت له ووضعت. فصحبة المشائخ فائدتها

الدلالة على الله وأنواع العبادة مشروعة لآداب حضرة الله وهو الوقوف بين يديه بما شرّعه لنا لا غير فسياسة الله هي التي أنزلها في كتابه وتولّى رسول الله صلّى الله عليه وسلم رياسة تبيينها للأمة فلما غاب عنا وجهه بأنوار ربه أناب لنا من يقوم موضعه لتولي رياسة التبيين فتولى مقامه شيخنا وقدوتنا رياسته إلى قيام الساعة من ظهوره ينقلها في أصلاب كمّال أتباعه بيده إلى قيام الساعة وهو كبيرها إلى يوم الدين فيجب على كل عاقل الانحياش له والانخراط في سلك عزه وملكه فإذا قصّر الوارد وهو مريد الدخول في الطريق همته وغضّ بصره وبصيرته عن غير أستاذه فبايع له مبايعته لنبيه بحيث ألزم لنفسه على بابه مدة أنفاس الدنيا والآخرة ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾[194] وحرّم على نفسه الركون إلى غيره من الأولياء أحياءً وأمواتًا لأنه ما جاء إليه حتى آيس من غيره وعاهد الله عليه عهدًا لا ينفصم لا في حال صحته ولا مرضه ولا مكرهه ولا منشطه فإن ذلك هو الذي أمر به النبي صلّى الله عليه وسلم الشيخ رضي الله عنه. قال له: ((**قل لأصحابك لا يزوروا أحدًا من الأولياء فإذا مروا بأصحابي فليزوروهم وغيرهم فلا**)). فجوّز صلّى الله عليه وسلم زيارة الصحابة زيارة استمداد والتبرك لأنهم إخوة أصحاب الشيخ. قال صلّى الله عليه وسلم ((**أصحابك أصحابي وفقراؤك فقراءي وتلامذك تلامذي. قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا فإنه يؤذيني ما يؤذيهم**)) وكذلك جوّز صلّى الله عليه وسلم زيارة الأنبياء والملائكة لأنهم لا يشملهم عرفًا لفظ الأولياء لكن قد عرف كل أناس مشربهم[195]. فمشربنا القطب المكتوم من النبي صلّى الله عليه وسلم لا غير فالأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا فكلهم نحبهم ونعظّمهم ونؤمن بهم وبكتبهم لكن لا نلتفت عن حضرة سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم أبدًا لا في الدنيا ولا في الآخرة فهو إمامنا ونبيّنا والمكلّف بنا والمتولّي بتربيتنا ورياسة خدمتنا فهو نبيّنا شرّفنا الله به وهو أفضل الأنبياء وأعزّهم فكذلك مع الأولياء فأقلّ ما يكون حيّا من أولياء التصريف من أمة النبي صلّى الله عليه وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا فكلهم نحبهم ونؤمن بهم ونعظمهم ونوقرهم ولا نلتفت عن حضرة شيخنا سيدنا ومولانا أحمد بن محمّد التجاني فهو قدوتنا وهو حظّنا

---

[194] الإسراء 71.

[195] البقرة 59.

ونصيبنا ووليّنا الذي شرفنا الله به وأكرمنا به وحرّم علينا غيره وهو سيّد الأولياء وإمامهم وممدّهم ورئيس الأمة على الإطلاق. فكلّ ما عندنا ننسبه له من نعم الدنيا ونعم الآخرة وعلى يده جاءنا كلّ ما رزقه لنا الله وكل رزق حسي أو معنوي قصدنا من غير حضرته ندفعه ونستنكره لأنه أمر لا يكون أبدًا لأن حضرة الملك الإلهي مرتّبة على الحضرات فكل من نسب شيئا لغير حضرته غارت تلك الحضرة فزال ذلك الشيء لظلم نسبة الشيء لغير محله فكما أن الزوجة لا تكون شرعًا بين زوجين فكذلك المريد لا يكون بين شيخين وكما لا يكون العالَم بين إلهين كذلك لا يكون المريد بين شيخين قال صلّى الله عليه وسلم في عالم روحه لعالم سيدنا الشيخ رضي الله عنه: ((**مسألة أغفلها الشيوخ كل من أخذ عن وليّ وزار غيره لا ينتفع بالأول ولا بالثاني**.)) وهذا الشرط هو الركن الأعظم في الطريقة وكذلك مشروط في طريقة الكمال.

وإنما كانت هذه الطريقة صرحت كل الصراح بالمنع من زيارة غير الشيخ لأنها طريقة الصفاء لا تدليس فيها لأنها مبرمة على يد النبي صلى الله عيه وسلم الذي رباه الله بقوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ﴾[196] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[197] وأما طريقة الأولياء رضي الله عنهم فإنهم ينظرون بنور الله لأن فقراءهم على قسمين فقراء التبرك وفقراء الاستمداد. فمن رأوه من أهل الاستمداد منعوه من زيارة غيرهم ومن الاجتماع به فإن خالفهم خسر الدنيا والآخرة بالمخالفة. ومخالفة الشيوخ سم قاتل وكلّ ما فعله المريد يتلقاه عنه شيخه سوى الميل إلى غيره فهو "**ذنوب الشيوخ لا تُغفر**" وإن رأوه من أهل التبرك يطلبون له الزيارة والاجتماع بغيرهم فإنهم ناصحو الأمة فلا يحل لهم أن يمنعوه وهم عالمون بأنه لا يربح بما قصده عندهم ولا يحل لهم أن يسرحوه وهم عالمون بمدده عندهم وأما فقراء هذه الطريقة المحمّدية فكلهم فقراء الاستمداد وكلهم مقصود لحمل أسرار الشيخ رضي الله عنه (**به من أجلنا ولله الحمد**) قاله رضي الله عنه لما سئل عن فضائل هذه الطريقة هل هي بصلاة الفاتح أم بغيرها فذكره.

---

[196] الحجر 94.

[197] المائدة 69.

فمثاله في عالم الشهادة قوّاد الرحى لما كتبهم السلطان وقيدهم في كنّاشه يأمرهم وينهاهم الكبير الفلاني وكذلك العسكر كل واحد مقيد باسمه ووصفه في كنّاش قائد الرحى فلا يحل للعسكري عقلاً ولا طبعًا ولا شرعًا أن يمشي إلى غير قائده يطلب عنده المرتّب على يد السلطان لأنه موصوف عند قائده فقائده يعطيه ما قيّده السلطان وإن مشى إلى غيره يسمّى خائنًا خان السلطان وخان العسكر وخان قائده وخان نفسه بتعريضها للطرد في استعمال الملك وكذلك قائد رحى إن مشى لغير كبيره خان السلطان وخان الكبير وخان نفسه حيث عرضها للطرد في حضرة الخدمة السلطانية قال صلّى الله عليه وسلم ((**من غشنا فليس منا**))[198] وهو أكبر الغش وكذلك المريد مع شيخه فلا يسامح له الشيخ أبدًا إن فعل ولا يدخل في حضرة الأولياء أبدًا للغيرة عليه حتى يتوب على يد شيخه وجبر حاله بتجديد ممن له الإذن.

يليه أن بعض الفقراء يسألون عن الوقائع في هذا الباب كالمشي إلى مثل الدلك والليق لبعض الأمراض من أولاد الأولياء والكتابة من غير الفقراء فإن قصد عند المشي إليه البركة من أجداده فهو عين الزيارة يقع به القطع وإن كان يقصد عين التطبّب ممن كان يناول مرضًا خاصًا بكيفية خاصة فلا بأس لكن العوام لا يعرفون العمل لله. فإذا فعل العامي مثل ذلك لابدّ أن يقصد به التبرك في الغالب قال صلّى الله عليه وسلم ((**إياكم ومواطن التهم. من تطور في غير شكله فدمه هدر**)) وكذلك مجامع الطلبة فإننا نعتقد فيهم الولاية لأن كل جمع لابد فيه من ولي فإن ذهب إليهم بنية الاستمداد ولو من أمور الدنيا كأن يطلب الفاتحة أو فتحوا له وفرح قلبه بدعوتهم بأن ظن بركة تصله منهم فهو منهي عنه وإن فتحوا بسبب ما أعطى لهم من ماله لله لا غير فلا ومدده قد عرف أنه من حضرة شيخه. وكذلك أمر زيارة نساء الفقير لحضرة الأولياء فإن كانت المرأة مطيعة له على يده فيمنعها وجوبًا لأنه إن أرسلها فهو الزائر. وإن غلبته وخاف الفتنة والخصومة فلا عليه لأنه إنما عاهد لنفسه لا غير وهو مغلوب

[198] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 4905.

﴿فَمَنُ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلآَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[199] في جميع الأمور. وكذلك صبيّه قبل البلوغ فلا يرسله قطعًا حتى يبلغ وينظر لنفسه فإن بلغ فهو رشيد يمشي حيث أحب وإن قصده أحد بالاستعطاء فليكرمه لوجه الله لا غير ومن الواجب تعظيم حرمات أولياء الله فإن الأولياء كالأصابع والمشائخ كالأيدي والنبي صلّى الله عليه وسلم كجميع البدن وهو الروح والبدن فمن غيّر إصبعًا فقد غيّر وأضرّ بجميع اليد وهي شيخه ويسري الضرر إلى سائر البدن وهو النبي صلّى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يُوذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي اِلدُّنْيا وَالاَخِرَةِ﴾[200] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾[201] فمن غيّر شريفًا أو وليًا أو محبوبًا عند النبي صلّى الله عليه وسلم فلا ينفعه أحد ولو شيخه. فترك الزيارة تعظيم للشيخ ولهم ومنفعة للمريد لأن كثرة الأطبة تفسد المزاج والفُعّال لا يؤثّرون في ذات واحدة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ اِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[202] فاختلاف الأولياء على مريد واحد يهلكه لا غير فلم يكن على وجه الدنيا من يعظّم الأولياء كأصحاب سيدنا رضي الله عنه وعنهم لأنهم يعظّمون الأولياء من غير غرض بل لما يستحقونه من التعظيم لأنهم أولياء الله وغيرهم من العامة إنما يعظّمونهم لأغراض أنفسهم فما منهم من يعظّم وليًا إلا بقصد حظ نفسي من باب البطيخة إذا أتى بها أحد للندر فمقصوده الزرع لا تعظيم رب الندر. ومعنى الأولياء أن الله ولاّهم على نفوسهم أو على غيرهم وعلى كلّ فهم مظاهر الحق وقد أوصانا سيدنا الشيخ رضي الله عنه بتعظيم جنابهم من الأولاد والأتباع وكلامهم وأحوالهم فلا يرخّص لأحد من أتباعه في ذلك ولو كان من أعز أتباعه فإنه سمّ. فلحوم العلماء سمّ قاتل وإنما مقصودنا أن يختص قلب المريد بروح شيخه ليحصل له كمال النفع والانتفاع فجميع ما يقصده الفقير ويحبه في الشيخ وفي أصحابه وفي زواويه في جميع الأرض لكن أين النية التي توصل إلى كل مطلب وأين القصّاد الذين لهم همم نافذة فجميع ما عند الأولياء من الضمانات وخواص ذواتهم انجذب إلى كل واحد من أصحاب

---

[199] البقرة 172.

[200] الأحزاب 57.

[201] المائدة 38.

[202] الأنبياء 22.

الشيخ. فالنية هي التي تستحق أن تبنى عليها القباب لتزار فإنها عين الربح فمن قويت محبته قوي مدده ووارده فكل ما يعتقده الإنسان في شيخه فهو حظه فيه فإن اعتقد المساواة لمشاهدته بشرية شيخه فهو حظه لا ينتفع به أبدًا وإن اعتقد الخصوصية فهي حظه وقس. فاعلم أن صحبة الكبير لا تنفع الصغير إلا محبة الله لا غير وإنما ينفع محبة الصغير للكبير أرأيت أبا طالب فإن النبي صلّى الله عليه وسلم يحب إسلامه وإرباحه بكل مرتبة فلم يقدر رسول الله صلّى الله عليه وسلم على نفعه النفع الخاص لأنه كبير فلو أحبه أبو طالب الصغير لانتفع به صلّى الله عليه وسلم ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[203] بناء على عدم إسلامه وعليه فالمنة للمريد على الشيخ لا أنّ المنة للشيخ على المريد لأن المريد إذا صحّح نيته ومحبته في شيخه يجذب جميع ما في إنائه بصفاء محبته من غير عكس فكل من اعتقد خصوصية في الشيخ أو في واحد من أصحابه أيّا كان وقصد بهمته خصوصيته مما يتعلق بالأموال والأولاد والأبدان وبالآخرة والأسرار فلابد أن يجذب منه تلك الخصوصية حتى ينتفع بها في صاحبها من غير انفصال كاقتباس شعلة من السراج لا غير. فكيمياء الطريقة كمال الاعتقاد في الشيخ وأصحابه وزواويه من غير تزلزل عند نزول الأمراض وأخواتها فلا يغرنّك ما يفعل ممن لا خبرة له بالطريقة فإن كل حرفة لا يعرف فصولها إلا محترفها إذا كان ماهرًا فيها. ثم إن زيارة القبور محرمة في أول الإسلام ثم أذن فيها صلّى الله عليه وسلم قال ((**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها**))[204] فالأمر للإباحة والراجح الندب وهو ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه فمن عاتب على ترك الزيارة فقد عاقب على المندوب وهو جاهل بأصول الشرع. فلا ينبغي للجاهل أن يتكلم في أمر حتى يعلم حكم الله فيه. فلا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعرف حكم الله فيه. وقد علمت حكم الله في الزيارة وهو الإذن الصادق بالإباحة والندب لمن لم يحجر نفسه على يد شيخ وأما هو فقد التزم عدم زيارة أحد من الأولياء مطلقًا فالالتزام عهد واجب وعقد متحتم عليه كتحتّم عهود الإسلام يأخذها النبي صلّى الله عليه وسلم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُومِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا

---

[203] القصص 56.

[204] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 981.

يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلاَ يَاتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ أللَّهَ﴾[205] فهذه ستة عهود يشترطها النبي صلّى الله عليه وسلم على النساء والرجال بإذن من الله ﴿وَالذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ أللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ أللَّهُ بِهِۦٓ أَنْ يُّوصَلَ﴾[206] الخ. فالمريد التزم أولاً عدم زيارة غير شيخه وغير حضرة الأنبياء والملائكة والصحابة كما تقدم. فيلزم عليه من نقض هذا الشرط الخروج من حضرة شيخه لأنه قد خان في العهد وذنوب الشيوخ لا تغفر وهي الالتفات إلى غيرهم لأن الالتفات عن حضرة شيخه التفات عن حضرة النبي صلّى الله عليه وسلم وهو صاحب هذه الطريقة ومربيها وحاضر لأهلها في المواطن العظام كالاحتضار والسؤال فهو من شأن الشيوخ لأن هذه الطريقة أصل لكل خير لأنها أسست بيد الشارع صلّى الله عليه وسلم فلا محيد عن إشارته أبدًا. فمن غيّر يعاقب بسيف علي بن أبي طالب حامي ذمامها وقائد حماتها وسراياها ويغضب عليه النبي صلّى الله عليه وسلم لتخلّفه عن عهد أبرمه عند تمام عقله بلا تكليف لولده خليفته القطب المكتوم أو على يد نوابه فلابد من إحكام هذا الشرط وهي أصل لكل ربح لينتفع. فهذا الشيخ الذي عاهدته هو الذي يمد في علم الله حضرات الأولياء المشائخ العظام وما ظهر فيهم إلا أنواره فكيف تميل إلى غيره وقد أكرمك الله بأعز أوليائه وادّخره إلى هذه الأزمان رحمةً للعصاة وكتبك الله بيده في لوحه من حزبه وأتباعه. أفيحسن منك أن تغير ما أسعدك الله به.

ثم إن الزيارة على قسمين الزيارة بقصد نفع الميت كالوالدين وضعفاء المسلمين ممن لم تظهر عليهم خصوصية الولاية فإنك تمشي مثلاً إلى حضرة الوالدين معتقدًا أنهم انقطع عملهم بلا إله إلا الله في الدنيا بعالم الموت فتتصدق عليهم بطعام أو دراهم أو قراءة أو ذكر بقصد أنك تنفعهم لأنك نائب عنهم فهي محمودة إن صحّحت النية وتكون بقصد الانتفاع منه بأن تعتقد خصوصيته وتهدي له طعامًا أو دراهم أو قراءة أو ذكرًا أو ما يصح هدية فتنوي بذلك اجتلاب منفعة منهم إليك فهو رشوة ممنوعة

[205] الممتحنة 12.

[206] الرعد 26.

محرمة لأنه يقضي لك ما استطاع من حوائجك بدعائه عند مولاه بلا رشوة وإن قدمتها فلا يبالي بك إن كان من العارفين لأن المطلوب أن تهدي له بقصد الإحسان لا غير من غير تعرّض لغرض لك فإن أهديته له على وجه الإحسان والتعظيم بأن كنت من العارفين فأنت مصيب وهو يكرمك بما عنده من الدعاء والتوجه لحضرة الله قال صلّى الله عليه وسلم ((**من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له**))[207] والعارفون وإن سقط عليهم التكليف بالموت لا يخرجون عن حضرة الشريعة أدبًا مع سيّدهم كل ذلك إن أذن لك ربّك في الزيارة ولم تلتزم عدمها وإلاّ لزمك ترك الزيارة رأسًا قطعًا. وقد أذن لك في زيارة الوالدين وأشياخ التعليم وضعفاء المسلمين بنية نفعهم لا بقصد الانتفاع منهم. وإياك من الشبهات فإنها توقع في المحرمات وإن ألجأك الوقت إلى دخول ضريح وليّ فادخل وقل السلام عليكم ولا تزد عليه فصلّ واذكر وردك وبت للضرورة واخرج واعتقد أن الولي أيّا كان من الأكابر هو الذي ينتفع من صاحب سيدنا فأنت عنده بمنزلة الملك والسيّد يعظّمك ويتبرك بأنفاس الشيخ رضي عنه معك فإنه لا يفارقك حضرًا وسفرًا برًا وبحرًا صحيحًا ومريضًا يقظةً ومنامًا كالمرأة الحبلى فلا يفارقها الجنين وكذلك الشيخ لا يفارق مريده لامتزاج روحانيته بالفطرة بروحانيته في عالم الذر. أفلا تستحي أن يراك شيخك ناقضًا عهده وكذلك يتبرك بسبعين ألفًا من الملائكة تنزل في كل مكان نزل به وتنزل الرحمة على كل بقعة نزل فيه وإن زاد وذكر أوراد شيخه عند ضريحه يرتحم جميع أهل المقبرة لا سيما إن ذكر أذكارًا يحضرها النبي صلّى الله عليه وسلم والولي إن نزلت عنده يتلمذ لك ويحب منك الدعاء لا أنك تنتفع منه فإنك محجور على شيخك ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[208] فأنت مقصور على شيخك عمرك في الدنيا وفي الآخرة. وقد علمت أن القسمة الأزلية لا تزيد ولا تنقص وما دلّك الله على خصوصية هذا الشيخ حتى كنت عند الله من أكابر العارفين فافهم واثبت وامتثل واستقم واعمل فإنك إن حبّست طرفك عن غير شيخك تفز بما لا مطمع فيه لأكابر الأقطاب. قال سيدنا ومولانا أحمد بن محمّد التجاني رضي الله عنه (**لا مطمع لأحد في مراتب أصحابنا حتى**

---

[207] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 13/1.

[208] سورة ص 51.

الأقطاب الأكابر ما عدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقال (**ليس لواحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي**) وقال (**البيضة منا بألف فرخ والفرخ لا يقوّم**) يعني العامي منه من الفقراء يعدل ألف مفتوح عليه في غيرهم والمفتوح عليه منهم لا يقوّم بجميع المفتوحين عليهم. قال رضي الله عنه (**طائفة من أصحابنا لو اجتمع أقطاب الأمة كلها ما وزنوا شعرة واحد منهم**) فإذا تحقّق المشفق على نفسه بأن كل واحد من أصحاب سيدنا رضي الله عنه له قدم صحيح من الولاية والخصوصية والمحبوبية يقطع عنه كل العلائق بغير الشيخ بحيث ينزّل جميع حوائجه وحوائج أهله وأحبابه في رحله وفي رحل خاصته فكما أن سر النبوة اجتمع في النبي صلّى الله عليه وسلم فمن اتبعه فقد اتّبع جميع الأنبياء ومن زاره فقد زار جميعهم ومن صلى عليه فقد صلى على جميع مراتبهم العلية فمن ورث مقامه صلّى الله عليه وسلم فقد ورث جميع الأنبياء وأحاط بجميع الشرائع فكذلك شيخنا رضي الله عنه اجتمع فيه سر الولاية والأولياء من يوم خلق الله الدنيا إلى قيامها. فمن اتّبعه فقد اتّبع جميع الأولياء ومن ورثه فقد ورث جميعهم ومن تخلّق بمحبته وأخلاقه فقد اهتدى بكلام الأولياء. فكلمة واحدة منه تجمع بالإشارة إلى علومهم فمن استمد منه فقد استمد من أصل الولاية وبحر السر فكيف يخطر في عقل صاحبه أن يميل إلى غيره وقد أكرمه الله بأصل بحر السر والشفاء وبحر الضمانة النبوية أيخاف من ضمنه سيّد الخلائق وضمّه إليه ضمة الوالدة لصغير أولادها. اعلم أن مجرد التلقين ممن عنده إذن صحيح باق إلى الآن يصيّر المريد في طريقتنا مرادًا محبوبًا مقرّبًا مخلّصًا من ربقة جميع ما عمله من أنواع المخالفات ومهذّبًا من سائر التبعات الموبقة للعبد بمحض الإفضال ومحصلاً من جملة الأصفياء الأخيار وممحوًّا من سائر كدرات ظلام الإرادة وموجّهًا إلى حضرة سيّد الكل صلّى الله عليه وسلم ومقبوضًا بقبضة يد أكمل الأولياء الكرام ومحفوظًا من الدواهي وصواعق الآثام فإن البلايا إنما تنزل بحسب الذنوب والأغيار. فإذا وفّقه الله لإعطاء العهود والوفاء والأخذ بالمعهود عليه والفوز بسعادة الانتماء بجناب جنات الأحرار فهو علامة على محو الله الكريم جميع الذنوب والأوزار فانمحى عنه لوازمها من الرزايا ولذلك قال رضي الله عنه (**أصحابي لهم لطفان لطف خاص بهم ولطف مع الناس**) ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

ﭐلۡخَبِيرُ﴾[209] بحيث لا تنزل عليهم النوائب كما تنزل على غيرهم لزوال سببها بمغفرة ذنوبه ولله الحمد ولأن المصائب إنما تنزل على المريدين المدّعين المحبة لله فيختبرون عليها هل هي على وجهها أم هي معلولة (**من أحبني فليصبر على بلاءي**) فإن بنيت على علة نزل البلاء وإن بنيت على الوجه الأصلي لها يرتفع عنه بعد محنة. فأهل هذه الطريقة محبوبون لا يدّعون محبة ولا يريدون بل كلهم مجذوبون محبوبون مرادون معتنى بهم على ما هم عليه لأنهم لا يكونون إلا على وجه تجريد قلوبهم من غير ربهم لسطوة نور شيخهم وقوة الاعتناء بهم فلا تجدهم غافلين عن ربهم. فإذا وجدت من أصحاب سيدنا من تغيّرت حاله نعوذ بالله فاقطع بأنه وقع له شيء في أمر العهود بينه وبين شيخه إما إنه دخل أولاً ولم يتقن كيفية الدخول من أن الشيخ لا يحبّ ولا يصحب إلا لله أو طرأ له عارض بعد الدخول بانتقال قلبه إلى غير شيخه أو بالتهاون في دينه الذي هو طريقة شيخه أو بإذاية الله ورسوله وشيخه بتغيير بعض الفقراء بما يكرهه من أنواع المؤذيات. فإن سيدنا رضي الله عنه قال (**إن لنا مرتبة عند الله تناهت في العلو حتى يحرم ذكرها ليست هي ما ذكرته لكم حتى أنّ من لم يتحفظ على تغيير قلبي بحفظ حرمة أصحابي طرده الله عن حضرة قدسه وسلبه ما منحه**) معنى فقال له صلّى الله عليه وسلم (**قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا فإنه يؤذيني ما يؤذيهم**) قال الشيخ رضي الله عنه "**الله أصحابي** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾"[210] إلخ فإذا ثبّته الله لقبول هذا الشرط وتحرير مبانيه وتحقيق مباديه ينقل له المقدّم الكلام إلى **الشرط الثاني** وهو المداومة على أوراد الشيخ التي تلقّاها من حضرة النبي صلّى الله عليه وسلم وعلى محبته ومحبة طريقه ومحبة كل أصحابه إلى الممات بحيث يعطي العهد عليها وهو أن يقول في باطنه عاهدت الله على المداومة على أوراده إلى الممات ومحبته فإذا تمكن العهد من باطنه وصحّح نيّته فيه وأمعن النظر في عواقبه وتأمّل ما لزمه من كلف أهل الطريقة صرح به لملقّنه تصريحًا يزيل كل وهم بحيث لا يقول أجرّب فإن استحليتها بقيت وإلا انتقلت منها لغيرها فإنه ممنوع في طريقتنا فإنها طريقة أصلية نبوية فمن دخلها لزمه المقام بها كلزوم أهل

---

[209] الملك 15.

[210] الأحزاب 57.

الإسلامِ الإسلامَ. فهذه الطريقة مثالها مثل الآخرة فهي الأصلية والدنيا عارضة عقلاً لزوالها فكما أن الأحياء ينتقلون إلى الآخرة الأبدية من غير رجوع لأصالتها فكذلك سائر الطرق مثال الدنيا ينتقل منها إلى الطريقة الأصلية فكما لا ينتقل من الآخرة إلى حضرة الدنيا لفنائها فكذلك لا ينتقل من التجانية إلى غيرها لتنافي أحكامهما فالتجانية أصلية مبنية على يد أمين الوحي صلى الله عليه وسلم. فالطرق كلها إنما أحدثت ليتوصل بها إلى الطريقة الأصلية لا زائد فعليه حرم عقلاً وطبعًا وعادةً وشرعًا أن ينتقل من المقصود بالذات إلى الوسائل فالوسائل كالوضوء للصلاة إنما فائدته بالصلاة لا غير. فالطرق وقع انتقال من بعضها إلى غيرها لأنهم بنوا طريقتهم على طلب الفتح وهو الغرض الطمعي. فإذا حصل على غرضه على يد رجل وإلا انتقل لغيره لأنه ما صحبه لله وإنما صحبه وخدمه وشرط عليه الخدمة المالية والبدنية إلا ليأخذ أجرته ويعطيها المشترط وإلا ظلم الأجير وهو من محبطات الأعمال[211] فإذا استخدمه لغرض ولم يحصل عليه لزمه عقلاً الانتقال من حضرته إلى رجل غيره يطهّره ويوصله لغرضه. فهذه الطريقة مجردة من أول مرة من كل حظ وقصد وإنما يدخل المريد لله لا غير وهو من أكابر العارفين بمجرد العهد فقد حصل على الكنز الذي طلبه غيره بأرواحهم وأموالهم بلا قصد ولا تعرّض وأفيضت عليه مراتب الأولياء كلها عند عقد البيعة للملقن فيحرم عليه عقلاً انتقال من مقصود إلى وسيلةٍ وعادةً وطبعًا وشرعًا لأنه شرطه رسول الله صلّى الله عليه وسلم على الملقن وشرطه على المريد للدخول فكما أن الآخرة باقية ببقاء ملك الله فكذلك الطريقة الأصلية باقية عمر الدنيا وعمر الآخرة لأن الآخرة من ثمارها وغلاتها فكل أهل هذه عارفون وإن ظهر خلافه بحسب الظواهر فهم عارفون عائمون في بحار الحقيقة والشريعة والطريقة والعارف لا يفارق السنّة في الدنيا والآخرة فبها وصل وعرف. فالطريقة التجانية مشيدة في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[212] إلخ. وسميت الشهداء شهداء لشهود الملائكة وقد علمت أن الله

[211] الراوي أبو هريرة |المحدث: البخاري |المصدر :صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم 2449.

[212] آل عمران 171.

أكرم كل واحد من أصحاب سيدنا بسبع مائة ألف ملك فلا يفارقونه في سائر أنفاسه فهم شهداء الملائكة فكيف لا يحيى من لا تخرج روحه إلا على يد النبي صلّى الله عليه وسلم حضورًا ولا يسئل إلا على يديه صلّى الله عليه وسلم حضورًا فإذا علمته وتبين لك أن الطريقة الأصلية لا ينتقل منها إلى غيرها وإن انتقل يبتلى بمصائب في دينه وماله وبدنه عقوبةً له ولا ينفعه أحد أيا كان إلا إذا تاب وجدّد له الإذن فيه وكفاه بلاءً أن حرم نفسه من حجر النبي صلّى الله عليه وسلم وأخرجها إلى تيهاء الغفلة والبطالة فلو اطّلع أجلّة الأولياء على هذا الكنز وكان في زمانهم ما ترأّس أحد على غيره بغيرها إذ لا فضل إلا فيها. وكل الطرق إنما تومئ إليها لأنهم يأخذون بأيدي الأجلّة ليوصلوهم إلى صفاء القلب والصفاء هو عين الطريقة الأصلية ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَاتِيَكَ اُلْيَقِينُ﴾[213] فإذا أتاك حق اليقين صرت بحر العبودية بلا تكليف. ومقام أهل الأصلية التجانية حق اليقين سواء علم بها صاحبها أم لا فإذا التزمت بالعهود عبادة ربك في حضرة المشاهدة التي هي عين الطريقة مدة دوام تكليفك فيتوجه الكلام إلى الشرط الثالث وهو المعاهدة على أن لا تأخذ طريقة أخرى على هذه فإن كان على طريقة قديمة له ينسلخ عنها انسلاخًا كليًا بحيث لا يميل قلبه إليها ولا إلى أهلها ولا يذكر ذكرًا كان يذكره فيها وأمات أهلها من مشائخها وفقرائها بين عينه بإسقاط مؤالفتهم ومجالستهم وقنع منهم بالكلية ولا يذكر بقلبه سرًا يسري أو سرى إليه منها بل يقول عاهدت الله بأني تجرّدت من تلك الطريقة تجرّدًا صحيحًا كليًا فإن لم يكن عليها عاهد الله أن لا يجدد طريقة على هذه الطريقة الأصلية النبوية ولا يذكر ذكرًا لازمًا في طرق الأولياء لا تبركًا ولا لزومًا وأن لا يرى المنّة إلا من شيخه فما أذن له فيه شيخه قبله وما منعه منه تركه. فلا خير في مخالفة الشيوخ فقد تقدم أن الطرق كلها موصلة إلى الله فمن أحب أن يبقى مع طريقته فله فإنها عبادة ربه لكن تقدم أنها أي الطرق أسباب إلى الوصول إلى حقيقة الشريعة وهي عين الطريقة الأصلية فإذا فرغ مما قصده ورجع إلى الطريقة التجانية يجدها عين حقيقة الشريعة لأن همة صاحبها تسري فيه عند التلقين فتوصله إلى كمال العبودية وتجرّده من كل ما سوى ربه وذلك طابعه أفيض عليه من الحضرة النبوية عليها أفضل الصلاة والسلام فكل فقير له عليه طابعه

---

[213] الحجر 99.

بين جبهته وفوق رأسه وعلى غضروفه الأيسر محل الختم من الأنبياء فائدته أنه يختم على موضع الوسوسة من الشيطان فإنه يوسوس من وراء الظهر فيطبع على محلها لئلا يجد سبيلاً إلى الوسوسة. فكل صاحب من أصحابه رضي الله عنه أسلم شيطانه ليأسه من الإغواء بتجرده من الحظوظ التي هي معيشته فلما ألزمه الله قرينًا والقرين الشيطاني لا يبقى إلا مع الحظوظ ليجد مساغًا فلما جرده الله مما يعرفه الشيطان من حظوظ الدنيا والآخرة بقي القرين قرينًا ببحر صفاء النور فاحترق كدره وخبثه وانقلب مؤمنًا طاهرًا بالقهر لأنه غير واجد سبيلاً إلى الهروب من نوره لأنه ملزم به فأسلم ولا يأمر إلا بخير فافهم ولا تلتفت لغير شيخك فإنك لا تعرف هل أسلم شيطانه أم لا. وقد علمت أن شياطين الفقراء أصحاب سيدنا أسلموا على أيديهم فتطهروا وتطهر من خالطهم وفي أذكار الطريقة كفاية وفي رجالها كفاية فإنك تعطى في الورد اللازم إذا ذكرته ما لم يعطه من قبلك من تمام الصفاء وكمال الرضى فلا تقرب ذكرًا ولا حزبًا من أحزاب المشائخ ولا توسلاً من توسلاتهم إلا بإذن من شيخك وقد ترك لك نوابه إلى يوم القيامة ولا تتعلق بخواص الأذكار فإن التعلق بالخواص يخرج الطريقة عن حدها فالخواص في المثال كالسنى الحرميّة فإن أكلتها بقصدٍ تسهلك وإن أكلتها بلا شعور تسهلك فخاصيتها حاصلة على كل حال وكذلك الأذكار فاعبد ربك على يد الشيخ وتحت حكمه وفي حجره وتحت ولايته وتصريفه بمثل ما عبد به ربه على يد النبي صلّى الله عليه وسلم وهو أن الشيخ ذكر معظم ما عبد به الله على الإطلاق من أذكار الخلائق تعبّدًا وتحنّثًا وتعلّقًا وتخلّقًا فلم يتعرض لشيء بعمله بعد تجريد النبي صلّى الله عليه وسلم وأمره أن يسلّك أصحابه على سننه وهو التجريد. قال له ((**فلا منة لمخلوق عليك فأنا شيخك ومربيك وكافلك**)) ومن جملة المخلوق العبادة وخواص الأذكار وسر الدعوات فكله مجرد منه بقوله ((**لا منة لمخلوق عليك**)) فأجلسه على كرسي الصفاء حيث جرّده مما عمله ومما يعمله إلى مماته وأنه إنما هو سبب أمره الله به لا غير وأنه لا يمدّ إلا حضرة السيادة الرّبانية فغيرها من أنواع الأسباب والوسائط هباء يراه العارف هباءً محضًا لا ينفع ولا يضر وضمه صلّى الله عليه وسلم إلى حضرته الأصلية لكل مخلوق التي لا يسري فعل الله إلى الخلق إلا منها بحسب ترتيب مملكته فيه لا غير. فقال له ((**أنا شيخك ومربيك وكافلك**)) فالشيخ من ينهضك إلى حضرة ربك حاله ويدلّك على

الله مقاله والمربّي المكلّف بالسياسة والتدريب والكافل المكلّف بالحفظ والترشيد فكذلك أنت أيها المراد لا منة لمخلوق عليك من ذكر وخاصية وسبب وعبادة وتوجه وعقل وقلب وآدمي وبهيمي وحضور وزهد وغيره من كل مخلوق إلا شيخك الذي أعطيت له عهدًا وهو سيدنا ومولانا أحمد بن محمّد التجاني الحسني رضي الله عنه فهو شيخك ومربيك وكافلك فلا تنسب شيئًا مما أكرمك الله به لغيره من عبادتك وصلاة الفاتح وغيرها مما فوقها وحضور وزهد وغير ذلك فإن هذا البساط هو الذي قال فيه رضي الله عنه (**من أجلنا ولله الحمد**) وإياك من الركون إلى غيره فإنه جهل بقدره وبحرمته ﴿وَلاَ تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلذِينَ ظَلَمُواْ﴾[214] فركونك لشيخك ركون إلى النبي صلّى الله عليه وسلم والركون إلى النبي صلّى الله عليه وسلم ركون إلى حضرة سيدك الحق جل وعلا ﴿مَّنْ يُّطِعِ اِ۬لرَّسُولَ فَقَدَ اَطَاعَ اَ۬للَّهَ﴾[215] والركون إلى غير نبيّك ركون إلى غير الله والركون إلى غير الله ظلم وغير الله ظلم إن قطعك فقد جرت عادة الله أن كل من قطع عبيده عن حضرته ظالم فالنار هنا نار القطيعة وهي أشد نار فكل ما عندك قبل الدخول في الطريقة ظاهرًا وما تجدّد بعده فهو من بركاته رضي الله عنه. فكل ما وقع للمريد في بطن أمه وقبله وبعده بتصرف شيخنا رضي الله عنه لأنه الشيخ والمربي والكافل فافهم وإياك من الطيش قال رضي الله عنه (**إياكم والتخليط**) أي تخليط الحقائق بغيرها وتخليط الطرق وتخليط الحضرات وتخليط الأذكار وتخليط المراتب وتخليط الحق بالباطل بأن تنسب سر الشيخ لغيره من استمدادك فإنه لولاه ما وصلت مقام الإخلاص الذي كنت عليه بالفطرة التجانية حكاية واقعة من الشارب روح الطريقة التجانية العارف الأكبر الصديق الأشهر والقطب الأحمى السيد العربي بن السائح العمري وهو أنه وفد عليه وفد من الأولياء من نسبه فأظهر الفرح وحصل له غاية السرور في مجلس المنادمة فضحك السيد العربي رضي الله عنه ومتّعنا برضاه ضحكةً خارجةً عن عادته لتمام فرحه وأنسه فقال له كبير أولياء مجلسه لمزيد الطرب **هذه ضحكة عُمرية** يعني منسوبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالها من غير شعور ولا قصد شيء فغضب السيد العربي رضي الله

---

[214] هود 113.

[215] النساء 79.

عنه وقال **ضحكة تجانية ليس لعمر فيها نصيب** فلم يرض أن تنسب ضحكة عادته إلى غير شيخه فاشتد عليه القبض فأكرمه الله بأدبه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب وفيها من التنويه بقدره ما لا مزيد عليه وهي غنية للمدّعين للمحبة فتخلّق به فإن صحّح نيته يتوجه الكلام إلى **اللازم الرابع** وهو متابعة الشريعة المطهرة حذو نعل بنعل من كل ما أمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلم ومجانبة كل ما نهى عنه ﴿وَمَآ ءَاتِيٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهٰيكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[216] ((**إذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم فانتهوا**))[217] يعني صلّى الله عليه وسلم أن المؤمن لا يقدر على أن يحيط بجميع المأمورات من فعل الخيرات وأنه يقدر على أن ينكفّ بالكلية عن المنهيات من المخالفات فإن طريق الصفاء لا يتصوّر وجودها عقلاً ولا شرعًا ولا طبعًا ولا عادةً إلا باتّباع السنّة المطهّرة لأنها سياسة الحق أنزلها على نبيّه ليعرف كل أحد بما يعامل ربه المالك له وكيف يعامل نفسه وكيف يعامل أجناس الخلائق وقد تقدّم أن العقل لا يستبدّ بالحكم وأنه إن لم يزرع فيه نور الإيمان نجس محض جامد قابل لكل نجاسة قلبية فلا يخلّصه من الروائح الكريهة إلا نور الإيمان فوجب عليك أن تعرف بأنك بلا شريعة باطل محض لا سياسة لك إلا سياسة هلاكك فيجب على كل مؤمن لا سيما إن أراد الصفاء أن لا يقول ولا يفعل إلا بسياسة سيّده فإنه العالم لمصالحك فالشريعة منفعة عائدة عليك لا على ربك فتعالى علوًا كبيرًا عنه. فأعظم الشريعة الإيمان بالله تعالى وهو أصل الدين فالدين المحمّدي مثال قبة مبنية على أربعة سواري وتلك السواري الأربعة مبنيّة على سارية عظيمة وهي أصلها وهي الإيمان بالله تعالى فجميع القبة بسواريها دين كامل وبعضها مع ترك البعض دين ناقص إن صح الأصل الذي هو الإيمان والسواري الأربعة الصلاة والزكاة والصوم والحج على من استطاع إلى الجميع سبيلاً ﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً اِلاَّ وُسْعَهَا﴾[218] ((**نزل جبريل على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم وقال يا محمّد أخبرني عن الإسلام قال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة**

---

[216] الحشر 7.

[217] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 18.

[218] البقرة 285.

وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال صدقت فعجبت الصحابة يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبث مليًا فقال أتدري يا عمر من السائل قلتُ الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))[219] فأول القواعد الشهادتان ثم الصلاة التي هي عماد الدين وشعار الموحدين وقرة أعين الملائكة والنبيئين والمرسلين قال تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَارْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[220] ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلهِ قَٰنِتِينَ﴾[221] ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ كِتَٰباً مَّوْقُوتاً﴾[222] سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلم أيّ الأعمال أفضل قال ((**الصلاة لوقتها))**[223] قال صلّى الله عليه وسلم ((**أوّل ما ينظر فيه يوم القيامة من عمل العبد الصّلاة فإن وجدت تامّة قبلت منه وقبل منه سائر عمله وإن وجدت ناقصة ردّت عليه وردّ سائر عمله**))[224] قال صلّى الله عليه وسلم ((**بين الرجل والكفر ترك الصلاة**))[225] ((**العهد الّذي بيننا وبينهم الصّلاة فمن تركها فقد كفر**))[226] ((**من ترك الصّلاة لقي الله وهو عليه غضبان**))[227] ((**من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ**

---

219 الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: مسلم | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 8.

220 البقرة 42.

221 البقرة 236.

222 النساء 102.

223 الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 7534.

224 رواه أصحاب السنن والحاكم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

225 الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 82.

226 الراوي: بريدة بن الحصيب الأسلمي | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2621.

227 أخرجه الطبراني والبيهقي مطولا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف))[228] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم وفاته بمحضر الصحابة "**لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصَلاة**" فلم ينكروا عليه فصار كإجماعهم. عن عليّ رضي الله عنه موقوفًا "**من لم يُصلّ فهو كافر**". عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا "**من ترك الصلاة فقد كفر**". سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾[229] قال ((**هم الّذين يؤخّرون الصَّلاة عن وقتها.**))

ثم إن الإيمان تكمّله معرفة العقائد السنّية فيجب لله الوجود والقدم والبقاء والغنى المطلق عن ما سواه ومخالفته للخلق ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[230] ووحدة في ذاته وأفعاله وصفاته وقدرة إرادة علم حياة سمع كلام بصر مريد قادر عالم حي سميع بصير متكلم وعدم غرض ونفي تأثير الأشياء بقوة وبطبع وعدم وجوب شيء عليه من فعل أو ترك وحدوث العالم جِرمًا وعرَضًا ويجب الإيمان بالكتب السماوية على يد الأنبياء ويستحيل عقلاً أضدادها ويجب اعتقاد حدوث العالم وهو ما سوى الله أحدثه الله في الوقت الذي أراد بما أراده كيف أراده ويجب للرسل أمانة وصدق وتبليغ ويستحيل أضدادها وجاز في حقهم الأعراض البشرية الغير المؤدية إلى نقصان مراتبهم ويستحيل فيهم عقلاً كل ما تستكرهه النفوس من جذام وبرص وأدرة وغير ذلك فالعقائد اثنان وستون تجب معرفتها عقلاً وشرعًا لأنها الأصل وهي أركان الدين وإن زاد معرفة البراهين ومارسها حتى تصير عنده ضرورةً كالواحد نصف الاثنين فهو علم اليقين فعلم اليقين هو عين معرفة الأدلة العقلية على وجه لا يمكن النقيض وهو توحيد العلماء رضي الله عنهم وهو الأصل لكل كتاب ومعرفة ولا تخرج عقائد العارفين عن أدلتهم قطعًا لأنه علم صحيح سنّي وتوحيد الخاصة عين اليقين لرؤية المشهود بعين قلوبهم لصفاء باطنهم وحق اليقين توحيد العارفين ولا يعرف إلا بالذوق وهو دليل واحد وعلم واحد فاعتقادنا معشر أهل السنّة أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له منزّه عن الولد والصاحبة مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا

[228] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 1467.

[229] الماعون 6.

[230] الشورى 9.

مدبّر معه موجود بذاته من غير افتقار لموجِد يوجده بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدّر له المكان ولا بعرَض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء مقدّس عن الجهات والأقطار مرئي بالقلوب والأبصار استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده كما أن العرش وما حواه به استوى وله الآخرة والأولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه لأنه خلق المتمكّن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحي الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى الله أن تحلّه الحوادث أو يحلّها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شيء معه إذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[231] خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كما يشاء بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق وأخلق بالذي خلق أنزل الأرواح في الأشباح أمناء وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح خلفاء في الأرض وسخر لها ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه فلا تتحرك ذرة إلا له وعنه خلق الكل من غير حاجة إليه له ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق فلابد أن يخلق ما خلق ف﴿هُوَ ٱلاَوَّلُ وَالاَخِرُ وَالظَّـٰهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[232] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرُ﴾[233] ﴿قَدَ اَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماَ﴾[234] ﴿وَأَحْصىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَداَ﴾[235] ﴿يَعْلَمُ

---

[231] الشورى 9.

[232] الحديد 3.

[233] الملك 1.

[234] الطلاق 12.

[235] الجن 28.

﴿ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[236] و﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾[237] كيف لا يعلم شيئا وهو خلقه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[238] علم الأشياء قبل وجودها فأوجدها على حدّ ما علمها فلم يزل عالمًا بالأشياء لم يتحدّد له علم عند تجدّد الإنشاء بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها وبه حكّم عليها من شاء وأحكمها علم الكائنات على الإطلاق كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر والاتّفاق فهو عالم الغيب والشهادة ﴿فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[239] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[240] فهو المدبّر للكائنات في عالم الأرض والسماوات لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شيء حتى أراده كما أنه لم يرده حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لم يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها فما في الوجود طاعة ولا عصيان ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا بر ولا بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا عرض ولا صحة ولا مرض ولا برد ولا حر ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا فرح ولا ترح ولا روح ولا شبح ولا ظلام ولا ضياء ولا أرض ولا سماء ولا تركيب ولا تحليل ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ولا بياض ولا سواد ولا سهاد ولا رقاد ولا ظاهر ولا باطن ولا متحرك ولا ساكن ولا يابس ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شيء من المتضادات والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مراد للحق تعالى كيف لا يكون مرادًا له وهو أوجده فكيف يوجد المختار ما لا يريد لا رادّ لأمره ولا معقّب لحكمه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرده الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوا ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه فالكفر والإيمان

---

[236] طه 6.

[237] غافر 19.

[238] الملك 15.

[239] المؤمنون 93.

[240] البروج 16.

والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفًا بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزلة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وألوان والأكوان فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل سبحانه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[241] وأنه تعالى كما علم فأحكم وأراد فخصّ وقدّر فأوجد كذلك سمع ورآ ما تحرّك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس يرى سبحانه السواد في الظلماء والماء في الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهّم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته كلّم به موسى عليه السلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكيّف فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة ولا لسان كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأكوان كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن جوده فائض وفضله وجوده وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه فيه إن أنعم بنعم فذلك فضله وإن أبلى فعذب فذلك عدله لم يتصرف في ملك غيره فينسب للجور ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتّصف بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن إرادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين بالتقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور ولا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال ((**هؤلاء للجنّة ولا أبالي وهؤلاء للنّار ولا**

[241] الإنسان 30.

أبالي))[242] ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان ثم سواه فالكل كان تحت أسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة تحت أسماء آلائه ولو أراد الله أن يكون العالم كله سعيدًا لكان أو شقيًا لما كان في ذلك من شان لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه وقال تعالى ((**هنّ خمس وهنّ خمسون**))[243] ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[244] لتصرّفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولا تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر إلا بوهب إلهي وجود رحماني لمن اعتنى الله به من عباده وسبق له ذلك في حضرة أشهاده فعلم حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم وأنها من دقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بذاته إلا إياه ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[245] و﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[246] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[247] وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه على نفسي بتوحيده فكذلك أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم الذي أرسله إلى جميع الخلق كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا[248] فبلّغ صلّى الله عليه وسلم ما أنزل من ربّه إليه وأدّى أمانته ونصح أمّته ووقف في حجة الوداع على من حضره من الأتباع فخطب وذكّر وخوّف وحذّر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خصّ بذلك التذكير أحدًا دون أحد عن إذن الواحد الصمد ثم قال ((**ألا هل بلّغت**)) قالوا بلّغت يا رسول الله فقال صلّى الله عليه وسلم ((**اللهمّ**

---

[242] الراوي :عبد الرحمن السلمي | المحدث :ابن حبان |المصدر :صحيح ابن حبان | الرقم 338.

[243] البخاري وأحمد والنَّسائي عن أنس حديثاً طويلاً عن الإسراء.

[244] ق 29.

[245] الصافات 96.

[246] الأنبياء 23.

[247] الأنعام 150.

[248] الأحزاب 46.

اشهد))[249] وإني مؤمن بما جاء به صلّى الله عليه وسلم مما علمت به ومما لم أعلم فما جاء به وقرره الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا إيمانًا لا ريب فيه ولا شك كما آمنت وأقررت أن سؤال فاتني القبر حقّ وأن العرْض على الله حقّ والحوض والعذاب في القبر حقّ ونصب الميزان حقّ وتطاير الصحف حقّ والصراط والجنة حقّ والنار حقّ وفريقًا في الجنة وفريقًا في السعير وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وأن طائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيئين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق والتأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين في العذاب الأليم حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق فهذه الشهادة أمانة عند كل مخلوق يؤديها لي إذا سئل عنها أو سئلها فالعارفون يشاهدون عيانًا كورة العالم مثل بيضة من كل ما سوى الله وهي كبيرة باعتبار اتّساع الملك وصغيرة جدًا باعتبار المالك الحق فجميع ما يسمى مخلوقًا من عوالم الدنيا وعوالم الآخرة مما علمناه وما لم نعلمه إلا بإشارة الشريعة من عالم الغيب وعالم الشهادة وعالم الخيال وكل ما سوى الله الملك الحق مندرج تحت قشرة البيضة محتوية عليه احتواء الكوز على الماء بحيث لم يخرج عنها شاذ ولا فاذ من الأزمنة والأمكنة والحوادث بأسرها وفي وسطها العرش وما في جوفه وكل ملك ونبي وولي وعقل وخاطر فالخواطر بأسرها وعلوم الحوادث فيها وكل ما يتعقل ويتقيد بقيد تعرفه ويطلق إطلاقًا تعرفه ويتصل اتّصالاً تعرفه وينفصل انفصالًا تعرفه وكل ما تجول فيه الأفكار ويتخيّل للمتخيلين ويعلمه العالمون ويظنه الظانون ويشك فيه الشاكّون في وسط البيضة والغلظ والرقة والبعد والقرب فيها وتلك القشرة لا تدرك ماهيتها فضلاً عن وصولها فضلاً عن الدخول فيها فضلاً عن الخروج عنها وليس لأكابر العارفين من سيدنا إسرافيل ومن دونه من الملائكة أن يحقق نظره فيها فضلاً أن يعرفها فهي مخلوقة معجزة كل الخلائق قاهرة كل ما في جوفها فأدلتك ومدلولاتك التي عرفتها في وسط البيضة وهي متوجهة كل التوجه ومفتقرة كل الافتقار ومقبلة كل الإقبال ومتذللة كل التذلل ومرتعدة كل الارتعاد وعابدة كل العبادة وقائمة كل القيام بحق الربوبية ومتعلّقة كل التعلّق

[249] الراوي: نفيع بن الحارث الثقفي أبو بكرة | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الرقم: 1741.

بالربوبية ومنفردة ومفردة كله إلى حضرة سيادة الألوهية فما من ذرة من عروقها وأصولها إلا ويعبد ربه والبيضة حقيرة بقبضة الملك وعزيزة بتعلقها بأذيال الألوهية فتلك حالتها من يوم خلقها وأبدعها إلى ما لا نهاية له من الخلود الأبدي وما تعرفه العقول من غلظة الأجرام ورقّة الأعراض في حيز العقل لا غير فالبيضة باعتبار مكونها هباء لا وجود لها لا غليظة ولا رقيقة فإذا تجلّى بذاته ذهب الغير والغيرية فليس بمحجوب بالأكوان فتعالى عنه علوًا كبيرًا فمثال ما تعرفه في كورة الحدوث ظل الماشي في وسط الشمس فلا شك أن الظل غير مانع لضوء الشمس ولا الشمس مانعة من الظل فنور الشمس هو المطلق مثلاً والظل مقيد بنفسه وله صورة خيالية ليست بظلمة ولا ضوء ولا بممتزج بالشمس ولا بمنفصل ولا بمحاذ ولا ببعيد ولا بقريب ولا الشمس كذلك فالظل خيال لا حقيقة له إلا الدلالة على المار لا غير وهو نور الشمس فلم يبن فيه إلا دليل وهو فان في حضرة الشمس والشمس قاهرة غير ممنوع نورها من الظل فإذا تحوّل الماشي تحول معه خياله والشمس مشرقة وإنما يتبين الدليل على المار في موضع وقوفه أو مشيه فهذه الحقائق عالية وخارجة عن العقل وليست بعادة ولا خرق للعادة فالعادة وخرقها في الأكوان لا غير وقد قطع لك هذا الظل مع الشمس طمعًا في إدراك الكورة بين يدي الحق ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[250] بذاته وعلمه وصفاته بما علم لا بما نعلم فالدليل في مثالنا وهو الشمس والمدلول حادث بدليل تغير الشمس والظل لا تدركه الأبصار ولا البصائر وإن كان يصح عقلاً أن يرى بالقلب وبالعين لأنه موجود جل جلاله وتعالى عن التكليف والتمثيل ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[251] وإنما نخوض في أدلة حادثة نصبها الحق في عقولنا ولله الحمد. فإذا عرفت أن العرش مقهور بالبيضة وهي الرحمة الإلهية يزول لك كل لبس في الدلائل القرآنية والحديثية وعرفت كيفية الخلاص من الأمور التي لا تدرك بالعادة من الكنايات الإلهية والرموز والمجازات والإشارات إلى ما يعرفه العارفون بالذوق فمن كان منهم يذقه بلا تأمل ويمتلئ باطنه وكله وجزؤه بمعرفته وقد عرفت أن الإمكان من حيث هو حادث أحدثه الله بمراتب أسمائه اقتضاءً واستلزامًا فالبيضة من حيث هي بين أصابع

---

[250] الحديد 4.

[251] الروم 26.

الله وهي غير حاجزة للحق ولا داخلة ولا خارجة وإنما هي شيء يظهر للأشياء شيئًا كثيفًا أو غيره كالظل يظهر شيئًا ولا حقيقة له فالموجود هو الحق وغيره عدم له صورة خيالية ظليّة غير ثابتة فقطعة خيالية إذا شاهدت خياليّتها وخياليّة أمثالها من الأكوان فنيت بها عن رؤية الحق وسمّى نفسه حقًا لأن غيره باطل غير ثابت لسطوة نور الحق وإذا ظهر نور الحق في القطعة الخيالية زال أثرها للمحسوسات منها ومن غيرها فإذا شاهدت نور الحق بسطوته وظلام خيالها وخيال غيرها من جنس عالمها بقيت بجمال الحق فافهم.

((تنبيه)) فالإيمان المخلّص من الخلود في النار الجزم بالله وبأنبيائه وكتبه ورسله لا غير وإن لم ينضم بعمل فإن وجد الاعتقاد والنطق فمؤمن اتّفاقًا وإن عدما فكافر اتّفاقًا وإن وجد الاعتقاد ومنعه من النطق مانع فمؤمن على المشهور وإن وجد النطق فقط فمنافق أو زنديق ثم إن من قلد عارفًا صح إيمانه ويكفيه الايمان إجمالاً فأول ما يجب الإيمان بالله ورسله ودينه لقوله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[252] ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[253] لا شريك له ولا نظير ولا والد ولا ولد ولا صاحبة له ولا شريك لا ابتداء لأوليته ولا انقضاء لآخريّته ولا تدرك حقيقة صفته لقدمها ولا كنه ذاته على الإحاطة وإنما تدرك صفته التي نصب لنا الدلالة عليها في عقولنا رمزًا لا إدراكًا فيفهم بالله معنى صفته تعالى لا بنفسه ولا يحيط بشأنه العارفون يتفكّر في آياته لا في ذاته لا يحيطون من معلوماته إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يثقله حفظهما وهو العلي العظيم الخبير المدبر القدير السميع البصير وهو فوق كل مخلوق بذاته وعلمه وقهره وهو في كل مكان وزمان بعلمه بأماكنها وخلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه[254] وهو أقرب إليه من قلبه وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ كتب فيه كل شيء بقلم القدرة فعلم كل شيء قبل وجوده فكان على قدره فأفعال الخلق وأقوالهم على قضائه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

---

[252] محمد 20.

[253] إبراهيم 54.

[254] ق 16.

﴿ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[255] يضلّ من يشاء بعدله ويهدي من يشاء بفضله فيسّر لكل ما سبق به علمه سعادةً وشقاوةً فلا يكون في ملكه ما لا يريد وهو غني عن غيره والغير مفتقر له لا خالق لشيء إلا هو خلق الخلق وأعمالهم ورتّب آجالهم وأرسل الرسل لإقامة الحجة عليهم لا غير وختم الرسالة والنبوة بسيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم فصيره آخر المرسلين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا أنزل عليه القرآن وشرح به دينه المستقيم وهدى به إلى الصراط المستقيم الذي سلكه الأنبياء والصالحون فلابد من قيام الساعة والبعث للأموات ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾[256] وضاعف بفضله الحسنات لعباده المؤمنين وتجاوز بفضله بالتوبة عن كبائر المخالفات وغفر الصغائر باجتناب كبائرها فمن لم يتب في مشيئته ومن عذّبه أخرجه بالإيمان فكل واحد يرى عمله أي جزاءه وشفاعة نبينا حق يخرج بها من شفع له صلّى الله عليه وسلم من أهل الكبائر ويسّر الله الجنة منزل خلود لأوليائه كل مؤمن أنعم عليهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم بلا تكييف ولا تشبيه يراه الأنبياء والعارفون معهم في كل لحظة ونفس وبقية المؤمنين يوم الجمعة وفي الفطر والأضحى أعني رجالاً ونساءً وصبيانًا وبلّهًا وجنًّا وملكًا وأممًا سابقةً مؤمنين منهم وهي موجودة الآن. ومنها أهبط صفي الله آدم عليه السلام إلى الأرض لاستجماع نسم بنيه وليكمل شوقه لها تعريفًا له قدر نعمة القدس بمكابدة النفس وشواغلها في الدنيا تشريفًا لمنصبه إنشاءً منه خير خلقه سيدنا أحمد المحمود المحمّد أصل كونه ودائرة الملك إيوان الحكم والأحكام صلّى الله عليه وسلم وخلق النار دار خلود للكافرين ودار تطهير لعصاة المؤمنين فهي معونة في الدنيا على تطييب اللذات وفي الآخرة على تطييب الذوات لدوام اللذات. فمن طهّر نفسه هنا بنار قطيعة المحرمات ونوّرها بامتثال المأمورات اشتعل فيه نور يطفئ عنه كل نار من نار القطيعة عن الله الموصلة إلى تطهيره بنار مهيأة للمؤمنين المتجاهرين بالمخالفات وحرّم على الكافرين رؤيته ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[257] ويجيء الله يوم القيامة والملائكة صفًا صفًا فتعالى عن صفات المخلوقين

[255] الملك 15.

[256] الأعراف 28.

[257] المطففين 15.

لعرض الأمم وحسابهم وعقابهم ناصبًا الموازن لوزن صحف أعمال عباده ولو كافرين علامة لأهل السعادة والشقاء فمن رجحت صحائفه نجا ورجحانها باتّباع الحق ويعطى كل واحد صحائف أعماله فالمؤمن طائعًا أو عاصيًا يأخذها بيمينه فإن كان عاصيًا يحاسب حسابًا سهلاً والكافر يأخذه من وراء ظهره فيصلى نارًا نكالاً عليه ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾[258] فالمرور على الصراط حق مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف صعود وألف مستوٍ وألف هبوط فمن تعدّاه نجا فمن الناجين من يدبّ ومنهم من يمشي ومنهم من يجري ومنهم كهبوب الريح ومنهم كالبرق الخاطف ومنهم من يركب على أجنحة جبريل عليه السلام وقوم أهلكتهم أعمالهم فيهوون في النار فالحوض حق ترده أمة النبي صلّى الله عليه وسلم حين خروجهم من قبورهم وهو أول شراب للمؤمنين ترويًّا لهم بنور عرقية قلبه صلّى الله عليه وسلم وهو قوة ربانية فلا تدهش صواعق الجلال من شربها وهو أول كرامة السعداء فمن شرب منه لا يعطش ولا يفزع ولا يخجل لسراية ري المحبوبية فيه فينقلب له الجلال جمالاً فيسكر بحلاوة فعل الله في مواطن الآخرة فلا تستخفّه الجنة ولا تزلزله النار لامتلائه بأسرار النبوة وهي الحوض ويدفع من ارتدّ وغيّر في العقائد بزعمه فالإيمان يزيد بالأدب مع الله وينقص بسوءه ولا يكفّر أحد بذنب من الأمة والشهداء أحياء يأكلون في الجنة الآن ولا تأكل الأرض أجسادهم كالأنبياء والعلماء والمؤذنين وقارئ القرآن العامل به ومرابط ومطعون والذاكرين الله كثيرًا والمحبوبين والصديقين. فلما تمهد أن الشرط الأعظم في هذه الطريقة هو قصر الهمة على همة صاحبها ثم المحافظة على الصلاة في الجماعة بيّنا لله الحمد أحكام الصلاة من أول الشروط من باب الطهارة إلى غاية ما يحتاج له مقتصرًا على المشهور والراجح في كتابنا (**الزلال الأصفى واللباب المحض الأوفى**) مضربًا عن حكاية الخلاف على مذهب إمام الأيمة مالك بن أنس لأن سيدنا قال (**إمامي مالك أستاذي مالك**) (قراءة الإمام قراءة للمأموم)[259] إمامه في الفروع المشهورة عنه وأستاذه في رواية نافع لأنه شيخ مالك

---

[258] الانشقاق 12.

[259] الراوي :عبد الله بن عمر |المحدث :الدارقطني |المصدر :سنن الدارقطني | الصفحة أو الرقم 2/78.

رضي الله عنه وما قاله إلا بإذن من النبي صلّى الله عليه وسلم لأنه مربّيه وحاجره وكافله فلا يفعل إلا ما قاله له فاقدر قدر الإمام مالك حيث جعل الله هذا الإمام القطب المكتوم من أتباعه في الأحكام الشرعية ودل عليه النبي صلّى الله عليه وسلم كامل خلفائه وإن لم يتقيد العارف بمذهب من مذاهب المجتهدين لأخذه من عين الشريعة بنفسه وما حبسه صلّى الله عليه وسلم عليه وعلى التصريح به إلا أنه أصح ما تعبّد به المتعبّدون وكان رضي الله يحب الوقوف على الراجح في مذهبه رضي الله عنه لصحة أذواقه ودقة مداركه ولبنائه مذهبه على الاحتياط واتّباع السنّة والسلف الصالح رضي الله عنهم ولأجله نقّحت للشارب منه أرجحه وأشهره وأظهره فكل ما بيّنته فهو محبوب الشيخ فيه رضي الله عنه وأنا لك لله الحمد لسانه وترجمانه فكثرة الأقوال تشويش وإن كانت أقوال العلماء قولاً واحدًا لكن بحسب المراتب الثوابية. فهذه الطريقة أرجح الطرق إلى الله ولا يناسبها إلا أرجح المذاهب وأقوم وأصح الروايات وأيسر المسالك فيتعين على تابع مالكي الاقتصار على ما صححته وإن لم يكن مالكيًا فليختر أرجح مذهبه وأصح رواية عن إمامه. ثم اعلم أن الاجتهاد يفيد الظن لا العلم في الفروع فإرشاده صلّى الله عليه وسلم سيدنا رضي الله عنه إلى مذهبه أفاد العلم قطعًا بأن مذهبه رضي الله عنه على كمال الحق والصفاء فارتفع الظن منه فوالله لو كنت غير مالكي وسمعت كلام الشيخ رضي الله عنه (**إمامي مالك**) لتركت مذهبي وإن كنت مجتهدًا على الفرض والتقدير لوجوب الرجوع من الظن إلى العلم فإن ما اختص به النبي صلّى الله عليه وسلم خليفته الأعظم في عالم الغيب أحق من غيره وإن كانت الأقوال شريعة لكنّه لا يشترط اتّفاق المريد مع الأستاذ في المذهب إلا على وجه المحبة والعقل استحياءً أن تقع كيفية صلاته مخالفةً لهيئة صلاة شيخه لا غير فاعلم أن العامي يجب عليه عقلاً أن يقلّد إمامًا يقتصر عليه لئلا يتشوش باجتهادات الأيمة فإذا وصل صار مجتهدًا يجتني ما يناسبه من قوة وضعف ورخصة وعزيمة من عين الشريعة فيصير غصنًا من أغصان شجرة الشريعة وقبل الوصول إليها يجب عليه التمسك بغصن صحيح لا ينتقل عنه إلى فروع الشجرة الرقاق خوفًا من السقوط على أم رأسه فإذا تعلق بهمة نافذة به فإنه ينجذب بقوته إلى الركوب عليه فأهل الظاهر متعلقون وأهل الباطن راكبون وهو العمل بسره والعارفون آكلون والجاهلون هائمون والطالبون حائمون والسالكون

متعمشون والمرشدون راسخون وأهل الضلال ساقطون وأهل البدع مطرودون والكفار عمون والمنافقون مطموسون. فاجتهاد شيخنا على اجتهاد إمامه وهو صراح الشريعة والحقيقة.

فإذا تمهدت الأحكام للصلاة أبين لك وجه الكيفية المسنونة مستتبعًا بأسرارها المؤسسة عليها فأقول اعلم أن الله جل علاه له حضرة الاستغناء عن كل ما سواه وجعل للخلق حضرة الافتقار إليه وجميع ما تتعلق به قدرته من حضرة الإمكان حضرة الافتقار إليه وعليه فالعبد يجب عليه أن يشاهد أبدًا حضرة إمكانه وحضرة الربوبية والألوهية وهو دائمًا في حضرة القدس إن شاهد حضرة افتقاره له لكن تفضّل عليه سيده في بعض الأحوال بالراحة باستعمال لوازم بشريته بنية الامتثال لسيده حيث رده لنفسه لرحمة الحجاب وألبسه جلباب بشريته ليكمل رجوعه إلى حضرة ربه في وقت التكليف له فإذا ناداه سيده لحضرته الخاصة المسماة حضرة الصلاة أجاب بإقبال تام بكليته إلى حضرة الصلاة وهي الصلة من ربه ليتقوى بها بين الحضرتين فإذا انتعش بالصلاة تعلّق بأستار الربوبية بأيدي العبودية تعلقًا كليًا حتى لا يبقى لنفسه حول ولا قوة فإذا تمت توجهاته لحضرة الألوهية صحت له العبودية الصرفة فإذا تمهد أن للعبد حضرة الصلاة منع فيها من لوازم نفسه وحضرة السلام أبيحت له فيها أسباب نفسه وأنه يجب عليه تعميرهما بالله ففي الصلاة بالإقبال الكلي والشغل الكلي وفي حضرة السلام بمشاهدة أفعاله من الله وأنه يأكل بين يدي سيده ويشرب ويناكح بين يديه إلى آخر لوازم البشرية فيتلبس بالذكر اللساني دائمًا وبالذكر الجناني باطنًا فلا يجوز له الغفلة نفسًا واحدًا يقظةً ومنامًا فإنه ينام بإذن منه بين يديه به له فيه متلبسًا بذِكرين حتى ينام ويستحب له على طهارة متطيبًا بأنواع الأذكار فإذا رده الله إلى حال اليقظة بعد موته موتة النوم لهج بذكر الله حتى يدخل حضرة الصلاة فإذا دخلها فني عن مراداته بها وحضرة العبد حضرة واحدة وهي العبودية أي التذلل والاحتياج لحضرة السيادة وإنما افترقت بإباحة لوازم البشرية من أكل وغيره وهي حضرة السلام وبتحريمها البتة فهي حضرة الصلاة وعليه فيجب على العبد عند إرادة الصلاة أن ينزّل نفسه منزلة عبد مملوك لملك قاهر جبّار متكبّر عليّ شديد البأس فيجرّد نفسه أولاً مما سواه خائفًا وجلاً آنسًا مسرورًا فزعًا مرعوبًا محبًا شائقًا فعزه بسيده لا غير مسقطًا الغير والغيرية من ولد ومال وتدبير وخواطر فيترك هوسه

لحضرة السلام حضرة الإباحة ويتجرد لحضرة حظر الغير والغيرية فقد وسع في حضرة السلام له ما يقنعه بفضله فيستحضر جلال سيده وسطوته وشدة بأسه وكرمه وحلمه فيبرأ من نفسه ومن غيره عالمًا بأنه عبد وهو سيّد يأمره بإتقان الأدب في حضوره في هذه الحضرة تاركًا نجس أغراضه وتدبيره إلى حضرة السلام شاهدًا أن هذا الموقف موقف القيامة على رؤوس الأشهاد يشهد كل ملك بفضيحته إن أساء في حضرة ربه فتقبل عليه وتناديه يا عبد السوء أباح لك أمر بشريتك كل يومك وطلب منك روحك في سويعة قليلة ثم يسرحك فاستكبرت وتأخرت ولا يقبل منك إلا روحك كلها يسحقها بأرحية الجلال ويجمعها بسحائب الجمال فشجع قلبك واسكن مع ربك ولا ترد غيره وازهد عن نفسك فإن نفسك مفعولة له هو المدبّر لها هو الضامن لها ما في علمه وتقدم أمام سيدك بكليتك فإن فرطت حجبك وإن أفرطت أفناك وكن أمةً وسطاً وتطهّر مما سواه يطهّرك بالفيض الأقدس وتوضأ بماء المزن يوضّئك بماء الغيب وانعش بحلاوة السيادة تاركًا للتسويف واكرع في صفاء الوداد وسارع إلى جمال حال السيادة وقبّل يد الربوبية بالتسليم والتفويض واقنع بقبضة يد سيدك ولا تختر عليها حظوظ نفسك فالحظ نجس في حضرة سيدك والطلب مع علمك بعلمه بك مضرة عليك فيقال لك أقبل على شأنك وهو العبودية فأنت بمرءًا مني وما تعلقت به إرادتنا توصله لك قدرتنا من غير زيادة ولا نقصان فالدعاء إنما هو ركن من أركان العبودية والعبادة والعبودة فلا تهمله واستسلم لأمري وقدري واقنع باطنًا بما في علمي فعلمي واحد لا يزيد كعلم الحوادث فإذا تطهّرت بالوضوء ف﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ اَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾[260] فحكمة الطهارة الصغرى أن سيدنا آدم لما أكل الشجرة الغليظة من أشجار الجنة أثّرت بالله في ذاته لما اقتضاه حكمه إسهالاً أي فضلات الشجرة فتكوّن منها دم وقيح ونفس وغائط وريح وشهوة بشرية من منيّ وغيره وكان قبل الأكل لا دم

[260] المائدة 7.

فيه ولا قيح ولا منيّ وإن كان يناكح زوجته قبلها فنكاحه على مقتضى نكاح الجنة لا منيّ ولا ماء فيهما وشهوتهما شهوة لحضرة القدس عبادةً لا رائحة ولا وضوء ولا غسل ونعيم الجنة لطيفة لا وجع ولا صدع ولا نزف ولا عطش وإنما أكل وشرب على خرق العادة هنا وقد أنبتت له بأربعين عامًا قبل خلقه فلما أكلها تنفست قوتها في أجزاء سيدنا آدم عليه السلام وصار عادةً لأولاده إلى قيام الساعة فمهما تحرّكت وتنفّست رتّب الله على ذلك أحكامًا تكليفيةً من وضوء وتيمم وغسل وأصل كل معصية الشجرة وهي أصل كل حكم تكليفي فأنزله الله الأرض وجعل له فيها نعمًا غليظةً تشبه شجرة الجنة يأكلها على مقتضى طبعه وجعل ظاهرها نقمة وهي نعمة لترتّب الأحكام عليها فإذا تنفست الشجرة من جميع البدن ضعف جميع البدن عن الحضرة الإلهية فيفشل ولا يقدر على مقابلة الأنوار أصلاً وهو المنيّ فإنه يخرج من جميع البدن وهو انفساخ مثل انفساخ الجراد مثلاً فإنه تبرز منه صورة آدمية من عين ورأس وشعر وأسنان وقلب وكبد ورجل وقس عليه جميع الأجزاء ولذا يتصور الولد على صورة أبيه فهو نسخته فلما ضعف لزم تعطيله عن العبادة رأسًا وهو من أفعال المعصية وتكون سلالة إلى ختام بنيه كما أن الطاعة تكون سلالة إلى آخر بنيه فلما عجز عن الحضرة بالكلية أكرمه الله بدواء من جنس الجنة وهو أن يتطهر بماء مكتسب من روح سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم أي من عرقيتها وهي قوة عجيبة منعشة كل جزء ضعيف مقوية له على أعباء الحضرة في حضرة العبادة فيجب عليك أن تنوي عند الغسل هذا وهو أنك تزيل عنك مانعًا يمنعك من العبادة وهو ضعفك بسبب تنفس أثر شجرة المعصية على وجه السلالة والطريقة الأصلية المحكوم بها عليك من حضرة سيدك ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[261] بماء مطلق برز من حضرة الإطلاق تطهيرًا لنجاستك وتقويةً لضعفك وفشلك هو الذي أنزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[262] فلا يطهّرك إلا الماء المطلق من كل تغيير بحيث يبقى على خلقته الأصلية من غير امتزاج فإن امتزج بغيره زالت خاصيته فلا تقدر على الحضرة إلا بتعميم جميع بدنك منه وهو ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾ فإن فقد فاضرب يدك على صعيد

---

[261] الأنبياء 23.

[262] الأنفال 11.

طيب وامسح وجهك أي محل مواجهتك لسيدك ويديك محل التحية لحضرة سيدك ناويًا إزالة مانع لك لحضرة صعيد ثابت لأحكام الله غير عاص له إشارةً منك إلى أنك رجعت إلى أصلك التراب متبرّئًا من حولك وقوتك وأنك مرّغت أشرف عضوك وأقوى عضوك الوجه واليدين من أسفل الخلق وهو أصلك فإنّ بدنك ينتعش ويتقوى لحضرة العبادة بين يدي سيدك فإذا تيسر الماء فاطهر فإنه مزيل لكل ضعف مع نية وإذا تنفست الشجرة من قبل أو دبر أو من سبب أو شك فيه بنوم أو مس ذكر أو لمس مشتهى للجماع أو إغماء ونحوه حصل الضعف بأثره لما يناسبه من البدن فلا يقدر على الطاعة ولا على الصبر في حضرة الله على وجه الأكمل وإن كان دائمًا في حضرته قهرًا وما هنا الحضرة الاختيارية المطلوبة منك وهي حضرة العبادة المخصوصة بكيفية مخصوصة فإذا أحسست بضعفك وهو يجده العارف المتبصر في حضرة باطنه فاقصد ماءً مطلقًا أو بدله من الصعيد إن لم يتيسر الماء فأزل ذلك المانع لك من حضرة سيدك وهو الفشل فأذهبه بنور رباني مودع في الماء وهو القوة المطهرة بالله عند مقارنة الماء وهو عادة الله وعلامته على تطهيرك من أثر ضعفك المانع من العبادة فاغسل به كل عضو رئيس من وجه مشتمل على منافذه ورأس مشتمل على شعره ويد مخلوقة للقوة ورجل مخلوقة للاعتماد فإذا غسلت أطرافك حصلت القوة من الله لها فتصلح عندها لحضرة العبادة المخصوصة واستحضر عند مقارنة الماء التأهب لحضرة السيد الواحد الأحد الغالب على أمره الغني بحضرته عن خلقه فإذا استشعرت عظمته فإنه تسري في جميع أجزائك سراية التطهير بالله من كل ذنب ظاهر وباطن ولم يبق فيك إلا أصل الذنوب السلالة الشجرية لتمكنها منك بدم ولحم وطعام وغيره فلا غنى لك عن أصلك وعن أصل معصيتك السلالية فكما أن الماء يطهّر ظاهر الأوساخ فكذلك يطهّر باطنها فآخر ذنب يخرج مع آخر قطرة في العضو مع النية. فيجب عليك تحقيق هذا المناط ((**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلّ امرئ ما نوى**))[263] وإياك أن تجعل وضوءك عادةً واتّباعًا للناس مع الغفلة عن باطن الأحكام الإلهية فإن العادة غير مخلّصة مَن له عقل تمييز قال سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لنافع: صب الماء فإني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول ((**من أسبغ الوضوء**

---

263 الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1.

في ليلة باردة غفر الله له ما تقدم وما تأخر))[264]. فإذا غفر له قوّاه على أعباء تكليفه فاعتقد أن الله طهّرك كل التطهير من كل ما تنفس من شجرة المعصية وهي شجرة الخلد في قبول المعصية ما دامت في أجزائك في الحياة الدنيا إلا أن الأنبياء عصمهم الله بعظمة سطوة أنوارهم عن الشجرة فلا تؤثّر فيهم قطعًا أصالةً لهم فالعصمة ركن من أركان ذواتهم قاهرة لوازم الشجرة قبل النبوة وبعدها مزية لهم لأنهم مستعملون لخدمة حضرة القدس خلفاء عن الله في الدلالة عليه فالخلافة والنيابة عنه جل وعلا مانعة عن الركون لغيره لأنهم لو ركنوا لغيره لمسّتهم نار القطيعة والفرض أنهم خلفاؤه يدلون عليه فلا تتصور منهم القطيعة أصلاً فهم صفوة حضرته كالملائكة بل هم أجلّ من الملائكة بزيادة مكابدة البشرية مع الإرشاد فالأنبياء مرشدون والملائكة مبشرّون وأعظم قبائح الشجرة في إبليس وأولاده لأنه دل عليها حسدًا منه ((**الدّال على الشر كفاعله**))[265] والحسود لا يسود فجميع ما يجب على الإنس من الوضوء والغسل والتيمم منسحب على مؤمني الجن وأما الملائكة فلا يتناولونها أصلاً ولا دلوا عليها بل هم مبرءون من عيبها فبرّأهم الله منها ومن شرها لعصمة ذواتهم وصفاتهم قطعًا وما ورد في حق الأنبياء والملائكة مما يوهم عدم المعصية فمؤوّل يأتي إن شاء الله بيانه فإذا طهرت نفسك كما أمرك الله وصرت زجاجةً صافيةً فاقطع العلائق والإرادة وأنواع التدبير مع سيدك فأنت مسلّم له وأنت في قبضته قطعًا وإنما يحجبك الانفصال لا غير والادّعاء ظلم منك والظلم ظلمة والظلمة حجاب والحجاب بعد والبعد منك ادّعاء فليس من وظائفك ادّعاء قرب وبعد فوظيفتك أن كنت آلة للاستعمال لا غير والتهيئ لمجاري قدره والانفعال لقدرته والتعزز به لا بالأزمان والأمكنة ولا بعمل ولا بأدب فلا منة لمخلوق عليك أيا كان عملاً وغيره ودوائر ملكه من دنيا أو جنة أو نار أو برزخ فالخير كله في قدر ربك والتلقي له تلقيًا صحيحًا صافيًا. فإذا تمهّد ما قلناه فانصب لحضرة الصلاة المحظورة فيها شهوات نفسك بالإقبال الكليّ وفرّغ بالك مما سوى سيدك متعلقا بأذيال الربوبية فأول مفروض ظهرٌ إشارة لأول ظهورك ثم عصرٌ إشارة لعصر عمرك ثم مغربٌ إشارة لغروب أثرك ثم عشاءٌ إشارة لكمال عشاك عدم

---

264 أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف.

265 أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط.

رؤيتك لقهر سطوة الجلال وهو الفناء والسكر ثم صبحٌ إشارة لشروق شمس معرفتك في ظلمة حجابك فاختص الظهر بوقت الظهيرة لحرارة غمرة الغفلة في أول ظهور قبل الاندقاق بالمطارق الجلالية والمعصرات الجمالية فيتفيأ ظله ووجوده شيئًا فشيئا إلى حضرة قبلة سيده فيمتد إلى وجود وقته المعصر له من كل غير وغيرية وإحساس وهو آخر وقته ودواء الظهر ممتد لآخر إحساسه وهو الفناء مع بقية أيام عصره في أطوار بشريته وشرّعت أربع ركعات إتمامًا لنضج أطوراه وإحكامًا لصنعة طبخه بأنوار جلال سيده وشرّعت سرًا لسطوة حضرة الجلال في النهار كله لأن حضرة الجلال حضرة الهمس وهو الإغراق في بحر الفناء والاكتفاء بالإشارة والرعدة والطرب والأنس وشرّعت السورة في الأوليين لخفة أول الحضرة فكلما ازداد في حضرة الله ازداد عليه إسكار الجلال والجمال وشرّعت مطوّلة في الأولى لذلك ومقصّرة في الثانية لقربها بالأخريين محل قوة حرارة الحضرة بالهيبة ولم تشرّع في الأخريين لعظم أواخر الحضرة خلافًا لحضرة الملوك فكلما ازداد الإنسان في حضرتهم استأنس ويخفّ الأمر عليه فوجبت مخالفة الله لحضرة غيره إبقاءً للأدب فلو شرّع التطويل فيهما لاحترق أو سال العارف ماءً وحمل العامي عليه رفقًا به فإذا وقفت للصلاة فاستقبل القبلة وسميت قبلة لوجوب جعلها قبالة وجه ظاهرك وباطنك وشرّع التوجه لها لأن البيت سبيكة الدنيا وروحها وهو وسطها فإنه لما جمع الله كورة الدنيا من زبد الماء المفاض من حضرة بحر نقطة واحدة من عرقية جميع روح سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم لما قال لها أقبلي فأقبلت أدبري فأدبرت حصل لها من مهابة وأنس سيدها ما لا يعمله إلا الله فانعصرت منها نقطة عرق من غير فضلة فسقطت في وسط دائرتها فانقلبت بحرًا واضطرب من الهيبة والأنس فأزبد فاجتمع من جميع ماهية الماء جميع ماهية الأرض فصارت كورة منطوية على رحمها ورحمها وسطها ووسطها خيرها وخيرها مقر الترابية والمائية فصار رحمها مشتملاً على كنز مطلسم هو باطن عرقيته صلّى الله عليه وسلم فاجتمعت على كل روح من الملائكة وأنوار المؤمنين فزاد البحر اضطرابًا بعد استقرار الكنز الأعظم في رحم الدنيا وأطلع بخاره فخلق منه السماء فعمد الحق جل وعلا بقدرته الباهرة إلى الأرض فبسطها مفروشة مقروصة على سبعة أقراص على الماء فجعل القرص الأعلى أفضلها لاختصاصه بقوة الروح في المقر الرحمي فجعل الله أصل كل روح وكل نور منه فأبرز الأرواح

والأنوار منه من الملائكة فما من ملك ولا بشر إلا وهو مقبل إلى أصله الرحم فأصل كل روح من زلال عذب بحر رحم الدنيا وخلقت صورة سيدنا وأبينا آدم عليه السلام في سائر أجزاء الأرض والماء والسماء والعرش والكرسي فانجمعت في صورته الأكوان وخلقت روحه من محل الأرواح المقر المعلوم فعلت ذاته عليه السلام على سائر الذوات وصفته على سائر الصفات ومعناه على سائر المعاني ولذلك صرح الحق بخلافته من غيره وهي غاية الأفضلية وهو من جزء باطن روح سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم ولده في ظاهر الترابية وفي الحقيقة فهو صلّى الله عليه وسلم أصل أصيل لكل موجود فلما كانت الكعبة عروس وأس الأكوان ومنبتها وجميع أجزاء ظواهر الأكوان متوجه لها وجميع بواطن الأكوان متوجه إلى باطنها فجميع ظواهر الوجود تحت جناح ظاهر سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم أي ذاته الترابية البشرية وجميع البواطن مما سوى الله منطوٍ تحت عصمة بحر معناه صلى الله عليه وسلم إشارة من الله جل وعلا إلى أن كل خلقه لا يقدر على التوجه إلى الله وحده بلا وساطته صلّى الله عليه وسلم حتى ظاهره ألزمه الحق التوجه إلى باطنه صلّى الله عليه وسلم وهو العرقية المكنى بها عن روحه صلّى الله عليه وسلم فلا تصح صلاة أحد إلا بوساطة خلافته صلّى الله عليه وسلم فأما من قبلتهم البيت المقدس كسيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم في أوائل نبوته مساعدة لجبر خاطر من قبله فمن الاستقبال بالفرع للأصل وبالمتوجّه إلى المتوجّه فالمتوجِّه بالكسر كل الأكوان والمتوجَّه بالفتح له هو الكعبة رحمةً لضعفهم ورأفةً من أكابرهم الأنبياء على ضعفائهم أممهم المسلمة لهم على سبيل النيابة عن الحجاب الأعظم صلّى الله عليه وسلم فقلوب الأنبياء مقتدون بالكنز المطلسم وأممهم مقتدون بهم والأنبياء ممن يصلي للمقدس ناظرون بعين فراستهم الربانية البيت المقدس متولدًا من حضرة الكعبة فيستقبلون بظواهرهم حائط المقدس وبواطنهم أصله الكعبة تربيةً لأممهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡ﴾[266] أي صلاتكم لبيت المقدس خطابًا لكل مصلٍّ إليه على يد الأنبياء قبل سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم وعلى يده صلّى الله عليه وسلم لأنه لما أذن لهم على أيدي الأنبياء صار المعتبر نية الأمر وهو المرسل فلما ظهر أمر النبي صلّى الله عليه وسلم أظهر الله قبلته عيانًا بنص الكتاب

[266] البقرة 142.

وأظهر ظاهره للظواهر وباطنه للبواطن واستمر ظهوره صلّى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة فالمقصود من العبيد ظاهرًا وباطنًا اللجاء والتعلق بالنبي صلّى الله عليه وسلم في عبادتها لربها بحيث لا يصح لأحد أن يعبد بلا وساطته صلّى الله عليه وسلم ومعنى استقبالنا للكعبة المشرفة بالنبي صلّى الله عليه وسلم توجه ظواهرنا وبواطننا بالكعبة التي هي روح العرقية النبوية مؤتمّين بكتاب الله مقتدين بنبي الله صلى عليه وسلم مستقبلين قبلة الله موضع خلافة الله وسلالة فطرة خليفته الدال إليه العابد له على الحقيقة ليكمل توجهنا إلى الله بتقديمنا ظاهر نبيه الأعظم وباطن نوره الأسطع صلّى الله عليه وسلم فإذا تمهد علمت أن البيت مخلوق لله ليس بمعبود ولا بنافع ولا ضار ولا بجالب ولا دافع إلا بقدرة الله وإرادته وإياك أن تعبد الأحجار فتقبيلنا في الحج والعمرة الحجر الأسود تعظيم لنور الله لا غير وإنما كثرت تجليات الحق في البيت لأنه باب خلافته وإنما قبّل النبي صلّى الله عليه وسلم الحجر وطاف تعظيمًا لما عظّمه الله وهو باطنه صلّى الله عليه وسلم ولذا خلق من البيت وإنما دفن صلّى الله عليه وسلم في غير البيت لئلا يعبد البيت لكثرة تجليات الحق على حبيبه صلّى الله عليه وسلم فيه ولا سيما إن انضمّ معه قبره الشريف وإنما هاجر من مكة ليكمل شوقه إلى رموز باطنه لينبعث عليه فتح الظواهر بتجليات صولة أنوار حقائق البواطن فبعث صلّى الله عليه وسلم البعوث إلى جزيرة العرب معدن قوى الأرحام النبوية ليتقوى على كمال الرجوع لدائرة باطنه فشرّف الله بقاع العرب وقلوبها بالإذعان لخدمة أمها مكة فهي أم البلاد وأسّها ومرجعها وروحها والعاطفة على فروعها فهي حنينة على فروعها حنين العشار غاب فصيلها عنها. وحاصله أن الله حكم أن لا يقبل من توجه بغير خليفته ظاهرًا وباطنًا وهو صلّى الله عليه وسلم كنز الأزمنة والأمكنة والأجرام والأعراض فكل ما شرفه الله من الأزمنة والأمكنة والأشخاص والأعراض ما عظم إلا بخليفته صلّى الله عليه وسلم فهو صلّى الله عليه وسلم المعظّم بالله فضلاً من الله جل وعلا وعليه فقبلة المصلي استشعاره اعتقادًا وذوقًا أنه في حجر رسول الله صلّى الله عليه وسلم كما يكون الصبي في حجر أمه وأن النبي صلّى الله عليه وسلم في حضرة ربه والمصلي متحرك بربه عابد به موجِّه بالكسر جاه أعز خلقه مستقبل بذاته وبقلبه حائط البيت معتقدًا أنه أنفاس محتجره صلّى الله عليه وسلم فإذا تمهد فقف بين يدي مولاك

في حجر نبيه وخليفته رافضًا الغير والغيرية من كل ما سوى الله فحضرة رسول الله حضرة الله لمكان الخلافة والدلالة على الله واجعل كتاب الله أمامك والبيت قبلتك والنبي شفيعًا لك فإذا حضرت مع مولاك فأقم الصلاة ومعنى إقامتها فعل ما أمرك به الله كيف أمرك في الوقت الذي أمرك فتقول (**الله أكبر**) مرتين معناه أنك لما نظرت بعين البصيرة فلم يظهر لك إلا جلال الله وتلاشت الأشياء في قلبك بصولة أنوار التجلي وانعدم بقلبك كل شيء وتبين لك قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[267] بعومك في بحر الوحدة صرح ظاهرك وباطنك من كل شعر وجزء منك بأنه لا كبير إلا الله فجملة (**الله أكبر**) حصر واهتمام فالله مبتدأ معرّف وأكبر اسم فاعل في صورة التفضيل فلا يصح منه التفضيل لأنه يقتضي المشاركة ولا مشاركة للحق بل هو الفاعل المختار وغيره مفعول له أظهره لإظهار إعرابه بالنصب فكرر اهتمامًا ثم (**أشهد أن لا إله إلا الله**) معناه أقر وأعترف بعقلي المفتوح بأنوار النبوة المشيدة بالله أن لا معبود على وجه الحق والحقيقة إلا الله أي لا يستحق أن يتذلل له ويفتقر إليه إلا الله لأنه الفاعل وغيره مفعول له والمفعول مقهور بفعل الفاعل ثم (**وأشهد أن محمّدا رسول الله**) معناه أجزم وأقطع وأومن أن محمّد عبد الله مخلوقه ورسوله أرسله وكلّفه وبعثه إلى جميع ملكه للدلالة عليه جل وعلا بأنواع القربات المسنونة على يديه وللتنفير للمؤمنين به من الركون لغير ربه وهذا حكمة الله في نبيه أنه جعله نائبًا عنه في الإرشاد إليه وقد أرشد صلّى الله عليه وسلم ومن بركة إرشاده صرحت برسالته ثم (**حي على الصلاة**) معناه نداء المصلي جميع أجزائه الظاهرة والباطنة وأجزاء من أراد أن يتعاون معه عليها أي أقبلوا على الصلاة أي حضرة الصلاة وهي حضرة الله الممنوع منها لوازم البشرية بإمحاض لوازم الحضرة الإلهية بغير خطور الغير والغيرية فالغير المغاير والغيرية الكيفية والحالة للغير ثم (**حي على الفلاح**) وهو جمع حواس الظاهر والبواطن مع جمعية حضرة الإمكان تعلقًا بأستار الربوبية وأداءً لما يجب لبيضة الوجود التي أنتَ شعرة من شعرها من كمال الوقوف بباب أعتاب عز السيادة الإلهية ثم (**قد قامت الصلاة**) أي حضر حرّ وطيس الحضرة الإلهية في قلب المصلي فوجب الانغماس في ميدان حرب نفوسنا للأعراض البشرية لإزالة الأغراض البشرية

---

[267] الحديد 3.

فلما قامت الصلاة على ساق الإخلاص في قلب المصلي وقام بحقها وإكرامها بعدم الخطور للأكوان في قلبه ظهرت له بيضة الوجود مندرجة بين أصابع الرحمن وهي عالم الخيال والهباء وشاهد فعل الله فيها وجلاله في حضرة السيادة قال بهمته (**الله أكبر**) مرتين مشاهدًا عنده بحر الكبرياء له على سبيل القصر ونفاه عن غيره بما رزقه مولاه من نور الإيمان فتلاشت أركان الأشياء عند بدوّ عظمته تعالى فلما تعلق بجميع قواه بأستار السيادة المالكية متبرئا من عز نفسه ومن حوله وقوته قاصرًا همته على المتوسل به الذي جعله الله فاتحًا خاتمًا ناصرًا هاديًا صلّى الله عليه وسلم معتقدًا أنه ما وصله شيء من التجليات والأسرار إلا منه على كيفية أرادها الحق فقال (**لا إله إلا الله**) أي لا يستحق أن يركع ويوقف ويسجد ويتذلل له إلا الله المالك لناصية كل شيء فلما استجمع نيته بألفاظ الإقامة متبركًا بألفاظ الشارع ظهرت له من ربه شمس الخطاب مع العظمة فقال (**الله أكبر**) أي لا كبير إلا الله ناويًا به الدخول في حضرة الصلاة رافعًا يديه على صورة التحية والتبري مما سواه فلما جرّد ظاهره وباطنه بنور اسم الله مقرونًا بكمال الكبرياء متوجهًا إلى الكعبة التي توجه لها وبها سيد الكل صلّى الله عليه وسلم معتقدًا أنه في حجر خليفة الله وقد وجّهه إلى حضرة باطنه الموجّهة على الحقيقة بلا واسطة إلى حضرة الله استحضر أن الله أنابه منابه في تلاوة كلامه مستحضرًا التلاوة منه على وجه النيابة والخطاب من الله لحضرة أجزائه هو معتقدًا أن القرآن خطاب من الله لكل نفس لا على وجه العموم بل على التفصيل فيعتقد أن كل حرف منه صريح له في الدلالة إلى الله بحيث لا يعرف معاني القرآن فإذا ذكر الكافر يصوّر نفسه جاحدة حقوق نعم الله لأنه لا طاقة له على أداء الحقوق الإلهية فإن لم يؤدها فهو جاحد فيرى أنه هو المقصود بالخطاب لا غير ولا يفرق عقله على معانيه في حال الصلاة وإنما تصير الأحكام إلى ظاهرها في حضرة السلام وأما حضرة الصلاة فهي بمعزل عن الغير والغيرية فهي حضرة السحق والمحق والـدّكّ لكن بركة الإيمان تحضره ممزوجة بالتمييز فيميز نفسه من غيره والركوع والسجود والتسبيح بالله وإياك أن تلتفت عن حضرة نبيك فهو الموصل لك لما كنت فيه من كمال الإعزاز.

فإذا رجعت لكمال حقيقتك فاشرع في تلاوة كلام ربك مستمعًا منه لا منك منتصتًا لحلاوة فهم خطاب ربك فقل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأن النبي صلّى الله عليه وسلم استفتح بها جهرًا في الجهرية وسرًا في السرية وخليفته أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه وورد عدم الاستفتاح بها وهل هي من الفاتحة أم لا أقوال والحق أنها نزلت مرتين بالبسملة وبغيرها وجهر بها صلّى الله عليه وسلم وأسرّ والكيفية التي عليها شيخك سيدنا ومولانا أحمد التجاني الإظهار والتصريح بها من غير مبالاة للحديث الكريم المؤكد بالقسم عن أبي بكر رضي الله وعلى مذهبه سر وجوبًا نظريًا لأنه الحائط بسر أسرار النبوة ولأنها مشتملة على اثنين وعشرين حرفًا كل حرف له من الثواب مائة حسنة إن قرئ قائمًا في النوافل وكل حسنة فيها دانقان كل دانق مثل جبل أحد لو كان ذهبًا وتصدق في سبيل الله هذا إن لم يعرف معناه وإن عرف معناه فمائتان هذا إن كان من عوام الناس وإلا يضاعف الله له بما لا عدد له عندنا.

ثم إن مراتب قراء كتاب الله على خمس مراتب جاهل لمعناه وهو عامل لمقتضاه فعنده ثوابه وجاهل لمعناه ولم يعمل به فليس له في تلاوته إلا الطرد والبعد وعالم لمعناه غير عامل به فهم العلماء الحائدون عن العمل فهذا ليس له في التلاوة إلا اللعن وعالم به عامل مستحضرا أنه هو القارئ فله ثواب عظيم منه وعالم مستحضرًا الخطاب من الله وأنه المنتصت كما بينت لك فهذا يعطى له في حرف واحد مثل ما يعطى للخلق من يوم خلقهم الله إلى وقته أضعافًا يعلمها الله فكن من هذا القبيل وتقدم أن الثواب من باب الإفضال لا من باب الاستحقاق فتعرض لعبادة ربك على وفق الامتثال والاستحقاق والغلبة منه فلا تتعرض لكنوز الأعمال فإنها من وظائف الحق فافهم عن الله به له واثبت في حضرة أدب ربك فمعنى ﴿بِسْمِ﴾ هنا ما صليت ولا تحركت ولا سكنت إلا ببركة نور الاسم من أسماء ﴿ٱللَّهِ﴾ الموضوع على وجه الاستعلاء على مرتبتي عند ربي وهي الماهية الكائنة في علم ربه الموكول أمرها إلى الله فإن لله من الأسماء بعدد مخلوقاته من ذرات الوجود فما من ذرة إلا وعليها اسم من أسماء الله خاص بها وهي أسماء التشتيت وأسماء العوالي ولا نهاية لأسمائه جل وعلا

وله الأسماء الحسنى وهي تسعة وتسعون اسمًا وهي أمهات الأسماء فما من واحد من الأمهات إلا وصلح لسائر ذرات الوجود فالرحمن مثلاً اسم على كل شيءٍ شيءٍ لأنه ما برز شيء إلا من رحمته وقس عليه وله اسم خاص بالذات العلية وهو واحد مخفي إلا عن العارفين به والأسماء الحسنى أسماء لمراتب الحق فالله علم على مرتبة جامعة لمراتب الحق وهي الألوهية ومعناها عظمة المالك لكل شيء وباعتبار الأشياء فالافتقار الكلي لحضرة الربوبية وهو عين العبودة وهي حضرة العمى والطمس وإنما نشير لها وأما الألوهية فهي العظمة والقهر بين الخالق والمخلوق فتعالت عن الإدراك والكيف فاسم الذات لا مرتبة فوقه وهو اسم الحضرة المحمّدية تجليا وهيبا فإذا نطقت باسم الله على الاستحضار الشافي تبرأت من نفسك ومن غير وغيرية ونسبت الفعل كله لربك به لا بك وهو غاية العبودية لما في التبري من الاحتياج الكلي إلى فعل ربك دائمًا فافهم فالاسم المضاف إلى الله غير لفظ الله بل اسم مندرج فيه فالإضافة على بابها ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ معناه الموصوف بالرحمة العامة في الدنيا والآخرة وهي رحمة الإيجاد فإيجاد الله الخلق من حضرة العدم رحمة وأي رحمة عامة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[268] ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ معناه المبالغ في رحمة عباده المؤمنين بجنة التصديق والطمأنينة والمعرفة والحب والعلم والعمل والصفاء والتجريد مما سواه في الدنيا والآخرة وبجنة الثواب في الدارين من الإفضال فالرحمن عام في بابه والرحيم عام في بابه وهو ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ معناه لا أتحرك بأفعال الصلاة ولا أسكن بتجلياتها ولا لها إلا ببركة الاسم العالي الموضوع عليّ في علم الله وهو اسم الله الموجد لكل الوجود الراحم بمعرفته قلوب المؤمنين وبنعمه أشباحهم في الدنيا والآخرة. ففي البسملة عبادة عظيمة وهي التبري مما سوى الله فصلها بلا وقف بهمزة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ معناه الكمال الذاتي كله لله لا لغيره فكل ما يستعظم إنما هو لله لا غير فالألف واللام عهدية والمعهود حمد الله لنفسه بنفسه لما علم عجز الخلائق كلهم عن أداء حمده على نحو ما يستحقه جلاله أدى حمده به وأمرنا بالحمد به ومعناه أحمد الله بمثل حمده نفسه أي أتلو كلامه المشتمل على حمد الله نيابة عن الله به طالبًا منه أن ينوب عني فيما يجب

---

[268] الأعراف 156.

من أداء حقوق نعمه الظاهرة والباطنة والمعلومة والمجهولة لدي فكل من عنده نوع كمال من الأنبياء والملائكة والمؤمنين إنما هو كمال مفاض عليه من حضرة ربه فهو كمال حادث أحدثه له ربه وليس لأحد من الحمد الذاتي نصيب فالكمالات لله لا غير وما ظهر منها لنا عند عبيده فمن باب الإفضال على وجه العارية وليست أصالة لهم وللدال من الحمد التثليث ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فالرب المربي والكافل المتولي مصالح عباده طورًا بعد طور وهو بدل أو نعت ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ما سوى الله من كل مخلوق فهو المحرّك والمسكّن خالق الجواهر والأعراض والحمد الثناء باللسان على جهة التعظيم والتبجيل سواء كان في مقابلة نعمة أم لا فالحمد من الله قديم ومن غيره له حادث وهو سيد الدعاء وقيد النعم وهو من الله ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رب العالمين ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ معناه مالك جواهر الخلق وأعراضهم في الدنيا والآخرة وخص يوم الدين بالذكر لعدم من يدعي الملك لنفسه يومئذ فالملك نوعان حقيقي لله ومجازي على وجه الانتفاع والنفع لا غير لغيره تعالى فكل ما سماه الله لنا ملكًا في الدنيا من باب من كسب عبدًا وأطلق له في بعض نعمه وقال له لك ويقول العبد لي وليس له فيها إلا الانتفاع وذات المملّك له للسيّد. فإذا علمت أن الله هو رب الخلائق كلهم وأنه الرحمن لهم وأنه الملك الحق المبين وغيره مملوك له مقهور بقبضة الملك اتّضح لك أنه لا يعبد غيره عقلاً ونظرًا ولا يقصد إلا هو فاستحضر عظمته وجماله ومالكيته فقصّر نظرك عليه بحيث لا تلتفت عن حضرته وقم بوظائف العبودية أداءً لما اقتضته السيادة من الحقوق فاستشعر مشاهدته بعد المراقبة ومعاينته في نفسك وفي كل شيء فلا تر غيره لا ظاهرًا ولا باطنًا فقل بكليتك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي لا نعبد إلا إياك مستحضرًا معنى كاف الخطاب وأنه لا يخاطب إلا حاضر ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[269] بذاته وعلمه وقدرته ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نطلب الإعانة على تحمل أعباء تكاليفك من أحد إلا منك فمن وفقته وأعنته على طاعتك يسهل أمر العبادة له ومن لم توفقه صار خاسرًا في تيهاء البطالة فـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حظ المريدين ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مقام العارفين فـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تفسيره على طريقة المقربين إياك نعبد بقدرتك وهو فص

---

[269] الحديد 4.

المقام هنا ﴿إِهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي الطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه ﴿صِرَاطَ ٱلذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـِۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقاً﴾[270].

اعلم أن الطرق ثلاثة طريق للجنة معوّجة عن جمة يمين القلب إليها وطريق النار معوجة إلى جمة شمال القلب فهي طريقة حلوة وطريق الجنة شاقة أحيطت بالمكاره ((**حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النّار بالشهوات**))[271] وطريق مستقيم ضاحك ظاهر لا غبار عليه ولا عقبة ولا شوك ولا ميل ولا لص بل جرده الله من المحن والكد والتعب وهو طريق مقابل للقلب بين الطريقتين من القلب للحضرة الإلهية وهي طريقة العارفين الفانين عن الدنيا والآخرة والجنة والنار وعن طريقيهما بحيث لا التفات لهم لهما لسطوة نور سبحات الجلال على قلوبهم. ثم إنها على قسمين طريقة العمل وهي طريقة الإرادة وهي شاقة ولا يصفو سلوكها ولا قلب سالكها إلا بعد الوصول وطريقة الفضل وهي التي أشار لها الحق جل وعلا بقوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه قولوا يا رب اهدنا وأرشدنا الطريق الموصلة لحضرتك على سبيل الإنعام بلا تعرض ولا كد ولا كثرة مجاهدة وهذه هي طريقة الرسول صلّى الله عليه وسلم والعمل منه على وجه الشكر لا غير وسلك عليها أصحابه رضي الله عنهم وهي بنفسها التي لقنها لشيخنا رضي الله عنه وسلك عليها أصحابه عمومًا وخصوصًا بلا واسطة و بواسطة أو بوسائط إلى قيام الساعة فما لأهل هذه الطريقة إلا الفضل ولا يعتمدون على أعمالهم بل طريقتهم العمل على وجه الشكر لله لا غير وهذه هي طريقة الشكر لا طريقة العمل فالعمل معلوم لكل أحد وطريقة الفضل مكتومة عن أهل الإرادة فلو عاينوها لاضمحلت إرادتهم وتلاشت أركانهم ولزالت فرائصهم بالرعب من وجل ما عملوه على غير وجمه ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود غضب الله عليهم وجعلهم قردة وخنازير لعداوتهم للعارفين أحباب الله الأنبياء فهم اشتد بغضهم لهم والنصارى اشتدّ حبهم لنبيهم فأفرطوا والمسلمون أحبوا نبيهم محبة خالصة وسطية فربحوا ﴿وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ معناه ولا تهدنا يا رب

[270] النساء 68.

[271] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 2822.

إلى طريق المغضوب عليهم ولا إلى طريق الضالين الجائرين الحائدين الملحدين عن طريق الحق طريق الحضرة الربانية وطريق الجنة فلم يبق لهم من الطرق إلا طريق الغضب وهو النار فلا يجزئ غير (**الله أكبر**) في الافتتاح كما أنه لا يجزئ في الاختتام غير لفظ (**السلام عليكم**). ثم اعلم أن الله كلّف العارفين باستجماع علوم القرآن في كل صلاة فشق عليهم ختمه فيها فشرعت الفاتحة فإنها مشتملة على معاني القرآن كله ((**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكُتاب**))[272] فوجب على العارف أن يفهم في كل فاتحة جميع ما اشتمل عليه الدين من التوحيد والفروع فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلهِ﴾ رمز لبطون الحق و﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رمز لنقطة الوحدة و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ رمز للعبودية تعلقا بأستار الربوبية وإياك نستعين رمز لحضرة الجذب والسحق اهدنا الصراط رمز إلى التعلق به بالتبري مما سواه ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[273] الصراط المستقيم رمز للتجريد من الحظوظ النفسية ﴿صِرَٰطَ ٱلذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فالذين رمز إلى مراتب الموحدين وأنعمت رمز لدائرة الفضل المكنوزة من وراء دائرة الأمر والنهي ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ ۝٨ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُۥ ۝٩﴾[274] فـ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ رمز إلى طوائف اليهود الكافرين ﴿وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ إشارة إلى أجناس النصارى وأعمالهم فالبسملة رمز إلى اسم الله المكنون الذي اشتمل على الأسماء كلها المقتضية للأكوان وجودًا وعدمًا فالباء منها رمز إلى قول اللطيف: بي كان ما كان وبي يكون ما يكون.

وأدرج ببصيرتك معاني الكتاب والسنّة فيها بل في كل حرف منها ثم اتل بعدها وبعد التأمين إن كنت غير إمام في جهرية السورة زيادة على الفاتحة فتقول مثلا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ معناه الأمر كله بيدنا نفعل كيف نشاء إنا أنزلناه كلام مؤكد بحرف إن وجملة اسمية توكيدًا للنسبة بين الجزئين ونفي الشك والإنكار فالضمير البارز وهو الهاء مفعول للقرآن الكريم في ليلة القدر أي ليلة أظهر فيها

[272] الراوي: عبادة بن الصامت | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 756.

[273] الأنعام 109.

[274] الزلزلة 9.

مقادر الخلائق مراتب وأرزاقًا وآجالاً وهي الليلة التي تفد ملائكة السماوات أهل الأرض في مثلها أبدًا في كل عام ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ لم تعلم ليلة القدر ولكن أعلمك حتى تعلم ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي نورها وفضلها ومحاسنها أفضل من نور ألف هلال على الفرض والتقدير فكل هلال من أول الدنيا إلى آخرها بمحاسنها وأنوار عبادتها يعني فما وقع فيها من فتوح السعادة أعظم مما يقع من ألف عالم كهذا العالم يطلع عليه شهر وهو إبراز محاسن النبي صلّى الله عليه وسلم بتقليده بجواهر الرسالة والكتاب وجواهر قلوب أمته وبجواهر أنفاسه وأنفاس أتباعه فله صلّى الله عليه وسلم نفس مع كل مخلوق يعبد معه ربه فلم يطلع صلّى الله عليه وسلم على جواهره إلا في تلك الليلة وهو وما أدراك فافهم ويحتمل أفضل من ألف شهر خمسة ومائتين وألف عام أو يوم أو شهر أو دهر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ للسماوات ﴿وَالرُّوح﴾ وهو ملك عظيم ﴿فِيهَا﴾ في ليلة القدر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي بكل أمر مبرم في علمه ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي ما هي إلا سلام أي أمان وبركة ورضوان ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي إلى طلوع الفجر ففيها من العلوم والأسرار والثواب ما لا يعمله إلا هو فتلاوتها تعدل صيام رمضان وإحياء ليلة القدر وفيها من الحروف ما لا يحل ذكره فتقرأ السورة في الأوليين طلبًا لتطويلك في الحضرة فالأولى أطول من الثانية لقربها بالأخريين واقتصر على حد الاعتدال في السور والترتيب ولم تشرّع السورة في الأخريين لصولة آخر الحضرة وحرارتها فلما عبدت ربك على هيئة من هيئات عوائدك نقلك إلى هيئة مخصوصة بالعبادة لتعبد ربك في مراتب عوائدك أولا ثم في غيرها ثانيا تمهيدا لحضرة السجود ورياضة لك فلو كلفك أن تنحط من قيام لسجود لتلاشت أركان إحساسك وشرع في الركوع التكبير إشارة إلى أنه هو الذي نقلك من قيام لركوع وشرع التعظيم فيه وهو **سبحان ربي العظيم وبحمده** ثلاثا فأكثر إشارةً إلى أنه ما عظم في قلبك إلا ربك المنزه عما تصفه به الكفار من النقائص لنقصانهم عن أن يروا كمالاً كعين عمياء حولاء لا ترى إلا عوجًا ونهيت عن القراءة فيه إشارة إلى أنك نائب عن الله في التلاوة. فهذا المقام مقامك الخاص بك وهو مقام الذل ومقام القرآن عز فوجب عليك ترك قراءته في مقام التذلل وهو الركوع والسجود فإنك فيهما غير صالح للنيابة عن كلام العزيز فإذا اطمأننت وسكنت بالله وحضر لك ما كنت بصدده فارفع بالله إلى حد

الاعتدال معمرا مدة الرفع **بسمع الله لمن حمده** فقط إن كنت إمامًا إعلامًا منك لمن وراءك بأن الله سمع سماع قبول عبادة من حمده وعبده لأنك رئيس من خلفك فوجب عليك تبشيرهم بما رأيت وعلمت وكذلك قل إن كنت فذًا تنبيهًا منك لأركانك الظاهرة بأن الله علم ما عبدته به وزد عليه **اللهم ربنا ولك الحمد** قاصدًا به أداء حمد الله الذي أوقفك ووفقك بين يديه وقبل ذلك وإن كنت مأموما فاقتصر على **اللهم ربنا ولك الحمد** إجابة لكلام الإمام المعلّم لك بما رزقه الله لك فشكرت عليه نعم ربك مناديًا ربوبيته متوسلاً بجميع أسمائه المندرجة في الميم من اللهم فإذا اعتدلت وألفت العبادة في هيئة عادتك وغيرها ردك الله بقدرته ناقلاً لك إلى مرتبة السجود التي هي أعظم القرب منه جل وعلا معمرا مرتبة الانحطاط بالتكبير إشارة إلى سراية قدرته فيك فلما سجدت على سبعة أعظم أعز صورتك الجبهة أحسن ما عندك والأنف موضع الأنفة والتكبر ومرّغته في أسفل الخلق الذي هو أصلك الأرض فلذلك يظهر لك أنك ساجد تحت الأرضين السبع تواضعا إشارة من الله إلى أنك لا يكمل شأنك حتى تلتصق بأصلك التراب فانيًا عن حركتك وقوتك وهو أقرب ما يكون العبد من الله فقد وصلت في حال سجودك إلى غاية الشرف وهو الضعف وهو حضرة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ فاستمع رعد كلام الله في أجزائك مناديا عليك بالترحاب والإمداد والإعزاز واستكمل ما فات لك في حركاتك وقل **سبحان ربي الأعلى** وأقلّه ثلاث وشرّع العلوّ فيه تنبيهًا منه أنك في غاية الذلة ولم يكن علو ذاتي إلا لله وغيره ذليل ولو كان ما كان بقبضة الملك فلو لم يقوك الله بوساطة نبيه صلّى الله عليه وسلم لرجعت إلى أصلك الماء فالسجود محل تزول فيه الأطلال والرسوم وتبيد فيه جيوش الإحساس لأنك في حجر النبي صلّى الله عليه وسلم في حضرة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ فلو لم يعنك الله ورحمك بطرف حجاب الخواطر والقوة البشرية لذهبت بالكلية فإن أقوى الخلق صلّى الله عليه وسلم لما وصل إليه ليلة الإسراء زالت قواه وذهب عقله بالرعب فسمع نداء أبي بكر **يا محمّد قف فإن ربك يصلي** فاستأنس صلّى الله عليه وسلم بصوت أبي بكر رحمةً وكذلك رحمك ببعض الخواطر فإذا تنعمت بلذيذ القرب حضرة القرب وهي الرجوع إلى الأصل الذل خفف عليك مولاك برفع منه ترويحًا لك وشرّع ركوع واحد في كل ركعة تشويقًا لك لحضرة أقرب القرب وهي السجود تحبيبًا منه لك العود له لأن الحبيب

يحب ترداد محبوبه بين يديه وأذن لك في الطول في الركوع والسجود إمحاضًا للعبادة في مقامين لا حظّ لك فيهما. فإذا أخذت حقك من حضرة القرب ردك فضلاً منه إلى مرتبة عادتك القيام للركعة الثانية ملتبسًا بالتكبير من سجودك إلى الاستقلال قائمًا مستشعرًا فعل ربك فيك وأنه ما أوقفك إلا أن يروحك بعادتك ويؤنسك بكلامه ويثيبك بثواب ختمة من القرآن وينعم قلبك بملاحظة معاني كتابه وملامحة بحور أسراره وحلاوة ألفاظه وتحليتك بجواهر السبع المثاني المشتملة عليها أم الكتاب وهي سبع صفات خليفة ربك لتجمع سر الخلافة والوساطة وبين إشراق شموس حضرة السيادة المالكية. فإذا فرغت منها على كيفيتها فاجلس للتشهد أي لمقام تحية مولاك مستحضرًا حضرة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ وأنت فيها منغمسًا مع زيادة حجر نبيك وقبضة شيخك مستجمعا أدب الحضرات الثلاث حضرة الله وحضرة رسوله وحضرة خليفته القطب المكتوم وأنت مصل فيها بعد تثبيت جنانك بمؤانستك بشيخك في حجر نبيك مخاطبًا حضرة سيدك **التحيات لله** أي الكمالات كلها لله **الزاكيات لله** أي القلوب الزاكيات لله **الطيبات الصلوات لله** بمعنى ما تقدم **السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته** أي عليك الأمان ظاهرًا وباطنًا في الدنيا وفي الآخرة من حضرة ربك مخاطبًا به وسيلتك صلّى الله عليه وسلم **أيها النبي** أي المخبر عن الله بشريعته التي لا يدركها العقل لأن العقل إنما يدرك في الممكنات أن المالك جل وعلا يفعل في ملكه ما يشاء ولا دخل له في الأحكام الشرعية ورحمة الله وهو قبول شفاعته في جميع أمته وبركاته أي بحور معرفته أفيضت عليه صلّى الله عليه وسلم من حضرة ربه **السلام علينا** أي أمان الله علينا معشر العارفين الأدباء مع ربهم **وعلى عباد الله الصالحين** المؤمنين فكل مؤمن صالح فما من مؤمن إلا وعليه أمان من الغضب فلا يغضب اللهُ للهِ الحمد على واحد من أمته صلّى الله عليه وسلم وإن وقع عليه أمر الله يدخل النار تشريفًا وتطهيرًا ومحبةً له ثم يخرج طاهرًا عزيزًا مكرمًا مرضيًّا راضيًا كاملاً **أشهد أن لا إله إلا الله** أجزم اعترافًا أن لا معبود بحق وعلى الحقيقة إلا الله وحده منفردًا لا شريك له أي لا من جنس شريك له في فعله فهو المحرّك والمسكّن والموجد والمعدم ولا من جنس حظ لي في عبادتي بل هي لله منصدرة مني به فهو الفاعل متبرئًا من حول على الفعل **وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله** أي أجزم معترفًا بأن محمّدًا صلّى الله عليه وسلم عبده حقًا فلم تدرك رائحة عبوديته

بل العابد لله على الحقيقة فكل من عبد الله إنما عبده بـالباس بركة نوره صلّى الله عليه وسلم وقد تجرد صلّى الله عليه وسلم من أنواع الأغراض والاختيار فكان عبدًا حرًا حقًا وسماه الله عبدًا تشريفًا له بإضافته إليه جل وعلا.

اعلم أن سيدنا محمّدًا صلّى الله عليه وسلم لما أجلسه الله في حضرة قدسه ليلة الإسراء أي الليلة التي أسري به من البيت الحرام إلى المقدس إلى العرش إلى المستوى إلى محل لا روح فيه وتقدم صلّى الله عليه وسلم متجردًا من الأكوان تاركًا لها من ورائه متوجهًا بكليته إلى حضرة الأنس بربه فلم يخطر له غير ربه ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[275] أظهر له الحق وجهه العزيز على كيفية لا تعرف لعدم النظير لأنه في عالم الجنة قال صلّى الله عليه وسلم الفقرة الأولى من التشهد مخاطبًا جمال ربه بعد أن آنسه الله بلذيذ خطاب لطفه **السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته** فسمّاه نبيًا مقرونًا بالرحمة والأمان والبركة فسمع سيدنا جبريل من وراء حجاب الأنوار والقهر شهي الخطاب فحمد الله فأثنى عليه الذي جعله خادمًا لحضرة صفوة المملكة فقال **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمّدًا عبده ورسوله** اعتمادًا على تحقيق السماع من الله ترحابه بحبيبه صلّى الله عليه وسلم بأعز خطاب وأجل تقريب فحصل للملك شرف عظيم بصحبة أعز الخلق. اعلم أن سيدنا محمّدًا صلّى الله عليه وسلم أخبر أنه لما كان في حوصلة جبين سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام يوم جعل في المنجنيق بقصد رميه في النار على يد الجاهل نمروذ والفعل فعل الله لا غير تعليمًا من الله للخلق على يد نبيه وخليله كيفية صحة الإيمان ومرتبة الاعتقاد وكيفية التعلق بالله وكيفية الاعتماد عليه وكيفية رؤية الفعل من الله وكيفية تصفية أحبابه بأعدائه وكيفية غض الطرف حتى عن أجلّ الملائكة وكيفية ما جرت به عادة الله مع أصفيائه وكيفية إزالة وجه الغبار على الحقائق وكيفية تبيين العليم الخبير بأنه لا تأثير لمخلوق بقوة مودعة ولا بخاصية وكيفية امتلاء القلب بالمعاينة في مقام عين الجمع وكيفية اختبار الحبيب أحبابه (**من أحبني فليصبر على بلاءي**) وكيفية الاقتداء بأهل القرب وكيفية مد الحق للظلاّم حتى يعلو على

---

[275] النجم 17.

عبيد الله الأخيار ولو كان خليل الله ليتميز الخبيث من الطيب مع مشاهدة كل الناس سفهه فلما وضع صلّى الله عليه وسلم صارت عيون روح النبي صلّى الله عليه وسلم تنظر أمر الله في أصفيائه وهو سر تأخير نبوته صلّى الله عليه وسلم لتشاهد روحه ما وقع للأنبياء مع أممهم ليقتدي بهم وليطمئن قلبه عند ظهوره وعند معاينة جهلة الخلق لأنه عمت نبوته فتعلّم من أصلاب آبائه لغات الخلق وأطباعهم وخالطهم وشاهد من قامت عليهم براهين الله فأهلكهم وشاهد كيفية تعذيبهم ليحن على أمته عند ظهور سفهها بحيث لا يدعو على أحد بل يدله على الله بهمته ومقاله وأخلاقه وصفوه فمن جملة ما شاهد صلّى الله عليه وسلم أن رآ جبريل عليه السلام حبيب المؤمنين وناصحهم ومرشدهم بادر إلى حضرة مخدومه سيدنا إبراهيم عليه السلام فقال له ألك حاجة من الله أو مني فتأدب الصديّق صلّى الله عليه وسلم في الجواب مع الملك ومع الله فقال أما إليك فلا ليأسه من كل مخلوق وهو في جمع الجمع مع الصحو والبقاء لمؤانسته الحضرة فمشى سيدنا جبرائيل إلى سيدنا إسرافيل أكبر منه مقامًا عند ربه فقالا له ألك حاجة فقال أما إليكما فلا فتأدب ولم يقل لا حاجة وإن كان غنيًّا بربه لمقام العبودية أصله صلّى الله عليه وسلم فقالا فاسأل ربك فقال **علمه بحالي يغني عن سؤالي له** ورآ صلّى الله عليه وسلم أن الطلب في مقام المعاينة من سوء الأدب وإن جوّزه الشارع للضعفاء ترويحًا لهم ولا يكون إلا ما كان في علمه من غير قبول زيادة لأن الزيادة تقتضي الجهل وهو نقص ولا نقصان لأنه يستلزم أغراضًا تطلب النقص من شح وبخل وهي محال فرمي وسيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم ينظر إلى حال جبريل مع أبيه إبراهيم فعاهد نفسه حتى يجازيه على فعله فجعل الله نوره في النار فصارت رحمةً وسلامًا وبركةً وخدمةً ومعجزةً مفحمةً صولة الطاغي على نفسه فردّت كيده في نحره وصارت وبالاً على العدو نمروذ وأركان دولته فنصرت صفي الله وجعلت سرير العبادة والمشاهدة لسيدنا إبراهيم عليه السلام وفتحت باب الأفهام بأن النار لا تحرق بنفسها وإنما يقع الإحراق بالله إن أراده عند مقارنة جرمها فتلك عادته وعادته تتخلف في بساط الحضرة المشبهة بالحضرة الأخروية فحد العادة الحياة في الدنيا فكل من مات موتًا معتادًا أو موتًا نفسيًّا مع بقاء شكله في الدنيا وهو العارف الذي ولد مرتين ومات بذهاب بشريته باستيلاء حكم الروح عليها مع بقاء عينها فلا يتقيد بعادة ولذلك

اطمئنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام عالمًا منه أن العادة لأهل العوائد وأن من خرق عادة نفسه انخرقت له العوائد بالله فما من واحد إلا وقد استند إلى عادة الله معه يطمئن بها لضعفه فالعامي يطمئن بالأسباب العادية والعارف يطمئن بخرقها استنادًا إلى ما عرفه من ربه فيجب على كل أحد أن يتفطن إلى عادة الله معه بحيث يحرم عليه أن يتعدى طوره فالعارف يوحّد توحيدًا يناسبه ولا ينزل إلى توحيد العامة ويتكل على ما عرفه من فضل ربه بلا رؤية سبب وجودًا وعدمًا على حد سواء وإنما يتسبب تعرضًا لحكمة ربه بتغطية أسراره بسجاف الوسائط الأسباب وينفق ماله كله في نفس واحد اعتمادًا على ما عوده الله له من أسرار اليقين والعامي يتجمد على الأسباب العادية بحيث يرى حياته فيها بسراية فعل ربه وأنه إن لم يتسبب يتبطل أمره استنادًا إلى عادة الله معه ويوحّد توحيد العامة باستدلاله على الله بوجود المفعول لأن المفعول يستلزم الفاعل قطعًا عقليًا فلا محيد له عن دليله وإن وحّده بتوحيد العارفين ألحد عن الحق لأنه لا يناسبه وكل دابة يحمل حملها قوةً وضعفًا فإن تكلف الحمار حمل جمل تنكسر أضلاعه ويتبطل والجمل إن حَمَل حِمل حمارٍ مثلاً لا يتضرر لكن ترك طوقه فهو مفرط وينفق العامي بحسب ما عنده من المال لا من اليقين لأنه لا يقين له والعارف ينفق بحسب ما عنده من اليقين فافهم فصارت النار حجة على نمروذ وحجة لإبراهيم عليه السلام. فلما وصل سيدنا محمّد جوهرة الوجود إلى حد الأرواح ليلة الإسراء تقدم أمام جبريل وتخلف جبريل فقال هذا حد المخلوقات من الأرواح يعني من غير النبي صلّى الله عليه وسلم وأما هو فممتدة روحه إلى ﴿فَابَ قَوْسَيْنِ﴾[276] فقال له صلى الله عليه وسلم: **ألك حاجة يا جبريل** مكافأة على فعله مع إبراهيم عليه السلام فقال فاطلب من الله أن يجعلني مركوبًا لأمتك أطر بها عند هول الصراط لئلا ترى أمتك ما يحزنها فلما أمر الله النبي صلّى الله عليه وسلم بالرجوع إلى ظاهره وإلى مقام نشأته مكة ذهل صلّى الله عليه وسلم عن حاجة جبريل أذهله الله لحكمة وهي أن يريه الله أنه معه في ظاهره وباطنه وأنه حاضر معه في مرافقة جبريل وأن جبريل إنما أرسله له ترتيبًا لملكه لا غير فافهم. فقال له الله جل وعلا أين حاجة جبريل يا محمّد فتذكرها وطلبها سببًا لا غير فأجاب له وجعل الله جبريل قنطرة لأمته ولله

---

[276] النجم 9.

الحمد فالمنة له. وقد علمت في ما تقدم وفي كتابنا (**سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار**) أن أول ما أوجده الله جوهرة النبي صلّى الله عليه وسلم فأشرقها الله فانشرقت بنور خيالها في نور ربها فكل ما وصله نورها فهو المخلوق وما لم يصله فهو الخالق وتقدمت الظلية فخلق الله كونه في نوره فغطّاه بالعرش تعظيمًا له وهو وما في جوفه مثل خاتم في البطحاء ولم يبق من وراء العرش إلا نوره صلّى الله عليه وسلم وتقدم أن وجود الخلق كوجود الظل في الشمس فالدليل والمدلول الذي نورده حادث بدليل غروب الشمس وذهاب الظل بذهاب شاخصه وإنما إشارة حادثة لعقول حادثة يستدل بنورها الذي نصبه الله فيها على الملك الحق المبين فتحصل أن النبي صلّى الله عليه وسلم إنما فتح الله له ليلة الإسراء ظاهره وباطنه وأطلعه على الخلائق العظام الذين خلقهم من نوره وهو أصل لهم إجمالاً وتفصيلاً بحيث لم يترك له جل وعلا جزءًا من أجزاء ملكه المنشآت منه إلا بينه له ما تقدم وما تأخر وأطلعه على ما يراد به وبالوجود كله وعلى ما يكونه من نعيم الجنة وغيرها وأنه إمامها وأصلها وكبيرها فحصلت له صلّى الله عليه وسلم معرفة نفسه بأجزائها المخلوق كله فعرف ربه معرفةً لا مطمع فيها لمخلوق وإن عرف نفسه لقصر نفس غيره على نفسه صلّى الله عليه وسلم فإذا فرغت من التشهد وحدّه **ورسوله** فقم بالله لكمال بقية صلاتك فتشهّد آخرًا كذلك وزد فيها الصلاة على رسولك صلّى الله عليه وسلم تنبيها منك أنه هو الدليل لك بدءًا وختمًا ولم تشرّع في الوسط أدبًا مع صولة نور الحضرة واطلب حوائجك وحوائج المأمومين إن كنت من الأيمة لأنهم ما نصبّوك إلا أنهم اعتقدوا أفضليتك عليهم وأعزّيتك عند ربك فقدموك للاستشفاع بك ومثاله حضرة العساكر السلطانية المنظومة على يد قائد الرحى فإنه يجب على القائد أن يؤدبهم خارج الصلاة بآداب الحضرة ليتأهبوا لحضرة السلطان فإذا طلبهم السلطان يتقدم القائد عليهم بالإمرة السلطانية ويتأدب بين يدي السلطان ويسارره بمقتضى كنانيشه وخطابه وبلوازم العسكرية المهيّئة للحرب فيتلقى أسرارًا منه ويعلم من السلطان ما لا يعلمه جنده والعساكر من ورائه متأدبة بما أدبهم القائد خارج الحضرة فيتحركون بحركته ويتكلمون بإشارته وعليهم تكليف قائدهم خدمةً للسلطان فيطلب لهم جميع مآربهم ومصالحهم ولا يفرد نفسه بالطلب فإنه سوء أدب فإن اقتصر على نفسه خان الله ورسوله الذي ترك سنّته وخان المصلين فافهم وخطر الأيمة

على خطر الأمراء فإن صلح الأمير صلح جميع الجند وإن فسد لا ينظر للجند إلا على وجه عزل الأمير عليهم لتولية من يصلح العساكر والسر في الجند وهم السواد الأعظم ومحل نظر السلطان وأما الأمير فهو خادم لهم فإن صلح وإلا عزل والأمراء الصالحون بكثرة فافهم فقل جهرًا **السلام عليكم** بنية الخروج من الصلاة وبنية السلام على المأمومين وبنية السلام على الملائكة الحافّين بالمصلين بلفظ واحد ومعناه أنا أخوكم في الله أحبكم وأنفعكم ولا أضركم ولا خوف مني لكم وهذه حضرة السلام المباح فيها لوازم البشرية وشرّع السلام جهرًا لخروجه من حضرة الهمس والصمت فإن كنت فذًا فكذلك سلم سلاما واحدا متيمنا عند النطق بالكاف بنية الخروج من الصلاة وبنية السلام على الملائكة الساكنين فيك والحافظين لك وإن كنت مأموما فسلم على يمينك بنية الخروج مع السلام على من كان بيمينك من الآدمي والملائكة ثم استحضر رد السلام على إمامك فتقول سرًا من غير إشارة السلام عليكم ثم استحضر السلام على من كان بيسارك إن فيه أحد فذلك ثلاثة ألفاظ فالأول فرض والثاني والثالث سنّة ثم أتبع حضرة الصلاة بزجر وهو ذكر بعد فراغ الذكر (**سبحان الله والحمد لله والله أكبر**) مفرّقًا ومجموعًا ثلاثًا وثلاثين واختم **بلا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير** فإنه مأمور به ووَرَد تكفيره الذنوب ما تقدم وما تأخر فإذا غفرت الذنوب زال ظلامها على قلبك وهو الران فترسم حقائق المعرفة في جوهرتك ثم أتبعه بآيات الكرسي فإنه يقرب من حضرة مولاك وإن أردت ما ورد من الاستغفار فاذكره

ثم رواتب شيخك على الصلاة إن كنت فارغًا مأذونًا لك فيها وهو فاتحة الكتاب أربعًا بنية استغراق الشكر على أن وفقك لإتمامها ثم آيات الكرسي مرة ثم اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[277] لخ. تباركت إلهي من الدهر إلى الدهر وتعاليت إلهي من الدهر إلى الدهر وتقدست إلهي من الدهر إلى الدهر وأنت ربي

---

[277] البقرة 253.

ورب كل شيء لا إله إلا أنت يا أكرم الأكرمين والفتّاح بالخيرات اغفر لي ولعبادك الذين آمنوا بما أنزلت على رسلك، سبحان من تأزّر بالعظمة سبحان من تردّى بالكبرياء سبحان من تفرّد بالوحدانية سبحان من احتجب بالنور سبحان من قهر العباد بالموت وصلى الله وسلم على سيدنا محمّد النبي المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا ثم البسملة قل هو الله أحد وتضع يدك على عينك ثم ثانيًا وتضع يدك على قلبك ثم أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم فإن استطعت عن رواتبه صلى الله عليه وسلم وهو أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده ثم صل العصر كذلك في وقتها فالرواتب قبلها أربع ثم المغرب جهرًا في الأوليين وشرّع الجهر لخفة تجليات الله في الليل معناه أن العبد يكون قويًّا على تحمّلها ليلاً و شرع السر في الأخيرة لعظم آخر الحضرة رفقًا بك ثم رواتبها ست ركعات أو اثنتان ثم العشاء وشرّع الجهر على نحو ما قدم ولم يشرّع الجهر في الأخريين ولا السورة لعظم صولة آخر الحضرة ثم ثلاثة عشر رواتب استحبابًا ختمت آخرها بركعة الوتر وهو سنّة أكيدة وهو ختام الأعمال كختام الكتاب فلا يرفع عمل إلى السماء إلا بأداء الوتر إلا صلاة العصر فإنها ترفع رأسها لأنها ﴿الصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾[278] أي الفضلى ثم بعد طلوع الفجر ركعتين بالفاتحة وسورة الكافرون والإخلاص في الثانية ثم تقرأ ذكرًا بعده وهو يا الله يا حي يا قيوم يا واحد الأحد يا واجد يا جواد يا كريم أنفحني منك بنفحة خير إنك على كل شيء قدير ثمانيًا ثم صلّ صلاة الصبح وشرّعت ركعتين تيسيرًا لك وتأنيسًا في أول عمل النهار وجهرًا لأن له وجهين وجهًا إلى الليل ووجهًا إلى النهار فخفّ أمر التجلي عن حضرة الهمس وبعد حلّ النافلة صلّ صلاة الضحى ثمانيًا إلى ركعتين ووسطها ست بسور منها سورة ﴿وَالشَّمْسِ﴾ وسورة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ومنها فاتحة وآيات الكرسي عشرًا وآيات الإخلاص عشرًا فتستوجب رضوان الله الأكبر ومنها آيات الكرسي و﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾[279] في الأولى وفي الثانية ﴿ٱللَّهُ

---

[278] البقرة 236.

[279] البقرة 284.

نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى ﴿حِسَابٍ﴾[280] سبب في رضوان الله الأكبر ومنها سورة الفلق ثم سورة الناس سبب للحفظ من أسواء الغير والغيرية فتقول بعدها اللهم صغّر الدنيا في أعيننا وعظّم جلالك في قلوبنا ووفّقنا لمرضاتك وأمتنا على دينك وطاعتك إذا توفيتنا يا الله أربعة عشر فينبغي التمادي على هذه الرواتب لأنها عادته صلّى الله عليه وسلم وإنما شرّع الجهر في الجمعة لتأنيس الإمام بكثرة الجماعة وكانت ركعتين لطول حضرتها بالخطبتين وشرّع جهر في العيدين لاستيناس الإمام بكثرة الناس مع خفة حضرة النوافل عن الفرائض وكذا الاستسقاء وشرّع السر في الكسوف لعظم الحضرة بمشاهدة المعجزة وهي ظهور غضب الجبار في أكبر الخلق المستضاء به وإنما منعك من النوافل في أوقات النهي لئلا تستديم حضرة الصلاة فتفنى عن الفرائض ((**مه عليكم بما تطيقون فلن يملّ الله حتّى تملّوا**)) ((**خير العمل أدومه وإن قلّ**))[281] ((**أخلص دينك يكفك العمل القليل**))[282] ونهاك عن التنفل في موضع الفرض وأمرك بالتنحي قليلا ليتميز الفرض من غيره فإن حضرة الفرض عظيمة الجلال فلو استرسلت النوافل للفرض لربما دخلت الحضرة بالفشل وما تقرب أحد إلى الله بمثل ما افترض عليه[283] ففاتحة واحدة بالترتيل في فرض أفضل من ألف نافلة فيجب عليك تثقيل هيئة الصلاة ركوعًا وسجودًا وقراءةً بحيث تخرج الحروف في محلها فمن نقر الصلاة أبطلها وأهلك فمن عجل تبطل ((**خير الأمور أوسطها**))[284] وجرت العادة أن من أسرع في العمل أبطل إتقانه وقد جربناه في أمور أنفسنا قال صلّى الله عليه وسلم ((**أسوء النّاس سرقة الذي يسرق صلاته**))[285] أي يخطف أركانها وتأمل في قضية المسيء صلاته حيث قال له صلّى الله عليه وسلم ((**ارجع فصلّ فإنّك لم تصلّ**))[286] فرجع فخفّف

---

[280] النور 37.

[281] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: ابن ماجه | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 13560.

[282] الراوي: معاذ بن جبل | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 2337/5.

[283] الراوي: عائشة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 138/9.

[284] الراوي: كنانة الثقفي | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 273/3.

[285] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 1888.

[286] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 793.

وضيّع الركوع ثم قال له ارجع فصل فإنك لم تصلّ ثلاثًا ثم قال المسيء لا أحسن غير هذا يا رسول الله فعلمه صلّى الله عليه وسلم صلاة متقنة على نحو صلاته صلّى الله عليه وسلم ((**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**))[287] وقس عليه سائر أفعاله أي افعلوا كما رأيتموني أفعل واتركوا كما رأيتموني أترك وفيه كفاية وأما ((**ألا من يصلي بالناس فليخفف فإن منكم الضعيف والقوي وذا الحاجة**))[288] محله تطويل السور وزيادة كثيرة خارجة على حد صلاته صلّى الله عليه وسلم قال سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه لبعض أيمة أطال هيئة الصلاة لما رآ الشيخ رضي الله عنه يصلي من ورائه (**أهكذا صلاتك كلها**) فقال لا فقال له: (**أعد صلاتك من بلوغك**). فتعين عليك أن تصلي مثل صلاة زاوية سيدنا بفاس زماننا فإنها باقية على هيئة صلاة الشيخ رضي الله عنه من غير تغيير ولله الحمد فأهل مكة أدرى بشعابها ولك في سيدنا الشيخ رضي الله عنه أسوة حسنة لأنه أخذ كيفية الصلاة وسائر العبادات من ذات رسول الله صلّى الله عليه وسلم بلا واسطة وأمره صلّى الله عليه وسلم أن يجدّد الدين بتقويم أركان ماهيته وقد دخل سيدنا أنس صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم مسجد المدينة فوجد الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يصلي فلما فرغ التفت أنس إلى أصحابه وقال ما صليت صلاة أشبه بصلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلم كالصلاة التي صليتها من وراء هذا الشاب قال أصحاب أنس كنا نسبّح من وراء عمر بن عبد العزيز عشرًا قال الله صلّى الله عليه وسلم ((**من سبّح في ركوعه ثلاثا فقد تم ركوعه ومن سبّح في سجوده ثلاثا فقد تم سجوده وذلك أدناه**))[289] أي أقل ما يكفي فسئل سيدنا الشيخ رضي الله عنه عمن سبح تسبيحتين ونصفًا فرفع الإمام فقال **بطلت تماما** للنصح رضي الله عنه ومن تضييعها تضييع وقتها المختار فمن أخرها عنه لغير عذر شرعي وهو ما لا طاقة لك على إزالته كحيض ونفاس وبلوغ ونسيان ونوم لا كالأشغال الأسبابية فإن الوقت مقدّم عليها فقد جرت العادة أن من حرث في غير الوقت لا يستغل وكذلك من أخرها

---

[287] الراوي :مالك بن الحويرث |المحدث :البخاري |المصدر :صحيح البخاري الصفحة أو الرقم 6008.

[288] الراوي: عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الرقم: 702.

[289] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 261.

عن وقتها فلا ثواب فيها بل قد عصى من الكبائر والحاكم الذي يحكمنا إذا أمرك بالحضور بين يديه في وقت مخصوص فلا يسعك إلا الامتثال فإن تأخرت يقل لك فإن كنت الحاكم وأمري نافذ فيك فلا يكون إلا أمري وإن لم ينفذ حكمي فافعل ما شئت وسأدبر معك يعني تأديبًا وكلامه هذا قتلة للمجرم وإن أتيت قبله فلا تدخل إليه إلا في وقت فتح مشوره وإن رجعت قبل الوقت سميت بطالاً وعليه قس ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[290] في جميع الأحكام ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[291] أي سأفرغنّكم إلى الحساب بنفسي معشر الجن والإنس وهذه الآية أشدّ آية فهي قتلة لمن تأمل ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[292] أي أخرجوها عن أوقاتها ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ ولا ينفع الدواء إلا في الوقت الذي عيّنه الطبيب وعلى الكيفية التي ركّبه وفصّله فلو علم الله أن الصلاة تنفعنا بعد خروج وقتها لجمعها في وقت واحد لكن فصّلها على الأوقات التي بينها نائبه صلّى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ كِتَٰباً مَّوْقُوتاً﴾[293] مفروضًا مؤقتًا وإياك يا أخي من إهمال حق أوقات الصلاة فتجمعها في وقت واحد وتصليها وتسمي نفسك من المصلين الذاكرين فإن من ضيعها تقول **ضيّعك الله كما ضيّعتني** ثم تلفّ كما يلفّ الثّوب الخلِق ثم يرمى بها وجه صاحبها[294] وكثيرًا ممن يضيع الأوقات وينقرها ويجذب عدد التسابيح في اليد وهو غرور وقد رحمنا الله برؤية هيئتها من أشياخنا من الشيخ من النبي صلّى الله عليه وسلم فكن سنّيا وصلّها من وراء سنّي فلا تصلّها خلف مضيّع أركانها وأوقاتها ولا خلف متجاهر بالكبائر ولا منكر حقائق الشريعة ولا بمن يبغض بعض أولاد النبي صلّى الله عليه وسلم فإن من بغض شريفا سرى بغضه إلى ذات النبي صلّى الله عليه وسلم وسرى إلى الشريعة وهو خطاب الله وهو ذات الله فمن غيّر حكم الله عمدًا فهو كافر ولا

---

[290] البقرة 227.

[291] الرحمان 69.

[292] مريم 59.

[293] النساء 102.

[294] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 263/3.

تصلّ وحدك ولو صلاة إلا للضرورة فإن البركة مع الجماعة اعلم أنك إن صليت وحدك صليت صلاة واحدة ودرجة واحدة وإذا صليت مع واحد وهو أقل الجماعة صليت ثمانية وعشرين صلاة بمثلها درجة والواحدة بعشر أمثالها لضعفة الخلق من الأمة وتعطى عمل صاحبك ويعطى عملك كله وقس التضعيف حتى تصل الجماعة اثني عشر مصليا فيعطى لكل واحد منهم اثني عشر ألف صلاة وإن زاد واحد بأربعة وعشرين ألف صلاة لكل واحد وقس فكلّما زاد واحد زاد الفضل بنصف مثلاً وهو سر عدم انعقاد الجمعة إلا بالاثني عشر مصليا لأنه إذا وصل المسلمون في الجهاد اثني عشر ألفًا حرم الفرار لكمال قوتهم بذلك العدد[295] والمصلي يحارب نفسه وهواه وشيطانه بالصلاة حيث ترك فيها على سبيل المنع شهوات نفسه وهو شأن المريد وإنما المراد كأهل طريقتنا فلا نفس لهم ولا هوى يضرهم ولا شيطان يغويهم لأنه أسلم قرين كل واحد فافهم وإنما عبادتهم على سبيل الشكر وهو أداء ما كلّفهم الله به على وجه محبة الوقوف ببابه وقوف الراضين المرضيين الكاملين المكمّلين.

فالجماعة عدة وقوة ونور ومن كلام سيدنا عمر الفاروق بيّن الحلال والحرام بجلالة غيرته عن الدين محبة في الأمة والخدمة لها: **فلو أنك قمت الليل وصمت النهار وحججت وتصدّقت وجاهدت وفارقت الجماعة ما نفعك ذلك**. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**مفارق الجماعة في النار**))[296] ((**لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد**))[297] والجماعة عندنا من شروط صحة الدخول في طريقتنا مع الإمكان فإن لم تمكن فصلّ وحدك مستحضرًا جماعة الملائكة فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً فإذا أديت صلاتك في وقتها وعلى كيفيتها في الجماعة على وجه الكمال والصفاء من كل غرض معها وأديت استحبابًا رواتبه صلّى الله عليه وسلم فهو ما أمرت به من حضرة شيخك فالنقصان على رواتبه صلّى الله عليه وسلم من صلاة ذات ركوع وسجود لا يريده شيخك وكذا الزيادة عليها فإن الخير كله في السنّة فتوجّه بقلبك ولسانك إلى طلب من الله أن ينوب عنك في تعظيم رسوله صلّى الله عليه وسلم وأداء حقوقه

---

[295] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2611.

[296] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 4578.

[297] أخرجه الدارقطني 1/419.

عليك مكافأة له صلّى الله عليه وسلم على إحسانه الكبير فتصلي عليه بصلاة الفاتح بكثرة بأن تجعلها هجيراك يقظةً ومنامًا فإنك لا يشتغل قلبك في المنام إلا بما عشقته يقظة فإن الطريقة كقبة مبنية على ساريتين أعظمها الصلاة في وقتها في الجماعة والثانية استغراق الأنفاس بصلاة الفاتح ولازم على السنن النبوية كوتر وعيد واستسقاء وكسوف

وواظب على الصلوات ذوات السبب امتثالاً عند وجود سببها كصلاة التسبيح فإنها تكفر المعاصي كلها شاذًّا وفاذًّا وهي أربع ركعات في نهار أو ليل فإذا كبرت تكبيرة الإحرام فقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم خمسة عشر ثم الفاتحة مرة ثم سورة الإخلاص عشرًا في كل ركعة ثم التسبيح عشرًا قبل الركوع ثم عشرًا في الركوع بعد قولك في الركوع سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثًا ثم عشرًا في الرفع ثم عشرة في السجود بعد قولك سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاثًا لأنه الوارد ثم عشرًا من التسبيح في الجلوس ثم عشرًا في السجدة الثانية ثم تقوم للركعة التي تليها قائمًا فسبح بعد التكبير خمسة عشر ثم الفاتحة ثم سورة الإخلاص عشرًا وقس بقية ركعاتها فجميع سورة الإخلاص فيها أربعون والتسبيح في كل ركعة خمسة وسبعون والجميع ثلاثمائة تصلّى مداومة أو مرة في الأسبوع أو مرة في الشهر أو الدهر فلا يعد من أهل الخير من عرفها وتهاون بها وسارع إلى الخيرات ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[298] وخيراتك مقصورة على صفاء الشريعة وهي إشارة الشيخ رضي الله عنه لا زائد عنها فإذا أكببت على إقامة الصلاة وأكثرت من الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلم فانظر ما ورد عن شيخك من الأذكار فافعله بإذن منه ولو بوسائط ولا تفت رأيًا عن طبيبك ولا تعص أمره فإنك في دار دوائه وأنت جئت إليه لتداوي نفسك على يديه فإن أعطاك دواءً فكله من يده ولو ظهرت لك مرورته فإنه ترياق يسهلك من مرض كامن وأنت لا تعرفه وهو يعرفه منك بالملاقاة لصفاء مرآته بتجليات الأفعال والأسماء والصفات والذات فأنت مريض ما لم تصل إلى درجات تجليات الذات فإن كنت محجوبا لا تحس بتجل أصلاً مع وجوده فيك

---

[298] المائدة 50.

أو أحسست بتجلي الأفعال إن كنت من الفانين في نقطة الوحدة أو بتجلي الأسماء إن كنت من المتخلقين بها والمتعلقين أو أحسست بتجلي الصفات الذي هو في مقام الكاملة فهو أدرى بقوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[299] وأنت لا تدريه لعلوّ مقامه فلا يعرف إلا بذوق ولا يكون الذوق إلا بقهر تجل إلهي على يد من أوقفه الله له وهو شيخك فإنك يجب عليك أن تعتقد أنك تتحرك بتحرك قبضة شيخك وهو يتحرك بتحرك قبضة النبي صلّى الله عليه وسلم وهو يتحرك بتحريك الله وهو صلّى الله عليه وسلم العابد الحقيقي الذي تجلّى فيه الله جل علاه بكمال ذاته وبكمال سر اسم ذاته جل جلاله وبكمال صفاته وأسمائه وأفعاله ولم يضاه تجلّ واحد من المخلوقات تجليًا واحدًا من أفراد تجلياته صلّى الله عليه وسلم لأنه المظهر الأعظم والحجاب الأعظم الذي أقامت الأشياء في ظليته فلولاه ما قدر أحد أن يبقى عند بدوّ أول تجل من تجلياته جل علاه وعليه فلا تستبد بعقلك ولا برأيك ولا بفهمك من الأحكام الإلهية ولو كنت مجتهدا فإنك لم تصل قعر ما هنالك ولا تصله أبدًا وشيخك وصل ما أمكن بسراية ذات العابد الحجاب الأعظم إلى ماهيته في علم ربه مع انضمام على جواهر ماهية الأنبياء عليهم السلام واقتصر على إشارته وجوبًا ولا تدّع عقلاً ولا فهمًا ولا علمًا ولا ولايةً ولا سماع هاتف وإن كان ولا إلهامًا وإن كان ولا رؤيةً ولا استعدادًا ولا قوةً ولا أصلاً ولا عبادةً وحجّر نظرك كله على نظر شيخك فالخير كله في الاتّباع والشر كله في الابتداع فالبدعة وإن كانت مستحسنة عند ذوي العقول فهو سمّ عند أهل العلوم اللدنية المطلعين على بركة الشريعة ودقائق صاحب الطريقة فلا تزن كلامه على كلام غيره وإن أذن لك فيه فقوله رضي الله عنه: **فزنوا كلامي بميزان الشرع** محله إذا ظهر وجه كذبه وعدم صحته عنه فإننا نرجع إلى ما نعرف ((**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**))[300] ودع ما حاك في الصدر خطاب منه صلّى الله عليه وسلم للعارفين الراسخين في العلم لا لأمثالنا العوامّ المتبعين الهوى والأوهام الخيالية والظنون والشكوك وقد نعذر من خرج عن إشارة الأشياخ فنتج لفقده في العالم وقد أذن النبي صلّى الله عليه وسلم له رضي الله عنه في جميع

---

[299] النجم 41.

[300] الراوي: الحسن بن علي | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 722.

ما يعبد به الله على الإطلاق لكن بكيفية خاصة لا تعرفها ولا تصل إليها إلا بدليل خبير وهو شيخك ونوابه الخلفاء أهل الإطلاق الذين قوبلت حقائقهم بحقيقة الإطلاق فأطلقت ماهيتهم بها لها وإن كنت من أهلها بوساطة مقيِّدك بالكسر في حضرته المطلقة تعلقًا وتخلقًا فأنت محجور دائمًا عمر الدنيا والآخرة فلا تنفك أبدًا ولو كنت في أعلى عليين ولو كنت في يد نبيك هذا إن ظهرت لك الوساطة بل وإن خفيت فلا تطمع في سراح أبدًا لأن الحضرة المطلقة قيدتك بيدها فلا يبدل ما لديه فإياك أن تغتر بما يفعله المتعمّشون في طريقة الإرادة من زيادة ذكر من عنديّتك وتنسبه لك وترتبه على الناس ظانًّا في نفسك كمال الوصال فإنه ضلال في صورة علم وهلاك في صورة سلامة وخسران في صورة نجاح فافهم.

ثم افهم ما يشترط في المربي والمقدم والخليفة في الطريقة الأصلية الإبراهيمية الأحمدية المحمّدية التجانية، فالخليفة من ألبسه الشيخ كمال حلته وقلده بكمال عدته حسًّا ومعنًى وهو الصاحب له على الحقيقة وغيره تابع بعض أثره لا غير. فيشترط فيه ما يشترط في الشيخ من كمال العلم اللدني والكسبي بحيث لو فرض مثلاً ذهاب الكتب الإسلامية وحمّالها لكان في طوقه بالله أن يمليها من عندية نفسه حرفًا بحرف معنى بمعنى بحيث اشتملت ماهيته على تلويحات الشريعة وتصريحاتها ورموزها وعلى بحور حقائق العربية والعجمية وإشارات أهلها وأسرار أذواقهم في لغتهم وعلى جميع الكتب المنزلة فتحًا وذوقًا ودرايةً وروايةً عن أركان الشرائع وهم حمالها على كيفية خرق ما نعرف معشر العوام واقتدر بالله على أن يفصل جزئيات العالم وحكمها وأسمائها المتعارفة عند كل والأسماء الباطنية العالية الحقية المقتضية تفاوت العالم وجمع في حوصلته مراتبه صلّى الله عليه وسلم من يوم فتح الله به الوجود فضلاً منه وإنعامًا وأطواره وانتقاله في جبين وجباه وعيون وأصلاب وترائب آبائه وأمهاته من يوم وجد أصله الطاهر آدم عليه السلام إلى تمام فروع أنواره فيما لا نهاية له من بطون الآخرة وأدرج فيها جميع تراكيبه صلّى الله عليه وسلم في بطن أمه صلّى الله عليه وسلم ورضي عنها وما ظهر عليه وما ظهر به وجميع ما نزل عليه في عالم الذر وفي عالم الأرواح وفي عالم أنفاس رضاعه وطفوليته وجميع أنفاسه وجميع تجليات كل نفس من أنفاسه وجميع خواطره طفولته وكهلاً وبعد مماته وأحاط بكيفيات عبادته يقظةً ونومًا وما

يراد به وما طلب من ربه وما أجيب به وما خاطب به الخلق عمومًا وخصوصًا وما أجابوه به وألقيت ياقوتة صفائه في قلبه حتى يتميز أسارير ذاته وشعراتها وكيفية ترتيب فمه وأنفه وبطنه ودائرة معدن أنواره من المخرجين الكريمين وعلى كيفية نظامهما وحسن دررهما وعلى حساب علومه وشعرات جميع جلده النعيم الشريف صلّى الله عليه وسلم بحيث يتراءى له جميع ذلك في نفس واحد وقدر على إفشاء جميع ما هنالك إفتاءً وإشارةً وهمسًا وسكوتًا وهمةً وخرقةً وصبغًا وتعليمًا وإفاضةً وكيفيةً وإلقاءً وشربًا وأكلاً وكتمًا وإفشاءً ويعلم جميع ما اقتضته ماهية الوجود إصلاحًا وإغارةً ولغةً ويعلم أطباعهم وكيفية جمع شملهم بسياسة نبوية بحيث لا تغيب عنه كيفية الإشارة بجميع ما هنالك في لفظ واحد يصرّح به ويقصد به كل لغة وكل علم وكل كون ويفهم كل من خاطبه به معناه ببركته وسر ولايته

كمثل سندنا الأصح نسبًا سيدنا الحاج الحسين بن الحاج أحمد اليفرني وشهرته كافية فإننا تلقينا منه بلا واسطة وبواسطة مثل هذا قال لي مرة رضي الله عنه أجئت لترانا لا غير فأجبت بنعم فقال بلا غرض فأجبت بنعم فقال من مكة تقدم الناس لترانا لله الحمد وأمسك عن أصل القضية وقال أنا حجر مغناطيس كل رزق حسي ومعنوي فلابد أن أكون فيه واسطة كل من كان عنده سر في المشرق والمغرب فلابد أن يجيء إلى يدي ووضع يده اليمنى المباركة على ركبته اليمنى مفرّقًا أصابعه في صورة الجذب منهم والقبض والضمّ ودفع لكلّ حقه في علم ربه وقال أيضا عنده من الذوات بعدد ذوات الفقراء أصحاب سيدنا رضي الله عنه وعنهم به فكلما ازداد فقير يزيد الله لنا ذاتًا تقابله ولله الحمد وقال لي مرة في حال تعداد الأولياء وذكر مراتبهم العلية وبين لنا في كل ضريح ما فيه من الأولياء فانتقل إلى الأشراف في القطر السوسي وحررهم كل التحرير وبيّن الدخيل الدعيّ منهم ومن أهمل نسبه وضاع ذكره ونسبه فانتقل إلى ذكر الفقراء ومراتبهم وحررهم وذكر أنه دخل في الطريقة في كورة من السودان نسيتها دهشًا ست مائة من الجمعة إلى مجلسنا معه رضي الله عنه قرب ستة أيام وبيننا وبين السودان بعد والمجلس بترنيت في سوس المحمية بالله محل أنفاس قبره الشريف وقال لي كل ما عند السيّد الخليفة الأعظم مولانا العربي بن السائح من العلوم والمواهب أفيض عليه وزيد له بعده عشرون رجلاً من أكابر الأولياء وقال أنا بابه والمدخل له والمخرج فمن لم يدخل مني له لم يصل إليه

والسيد العربي شهرته كافية من أكابر أهل العرفان جلس في كرسي الخلافة العظمى القطبانية الكاملة تسع سنين في عمره وورثه منه وارثه سندنا رضي الله عنه فقال لي في حكاية مشهورة في رجوعه من الحج لمرض قال لي سيدنا القطب المكتوم رضي الله عنه ليس هذا بمرض بل أنا الذي دخلت ذاتك فارجع إلى بلدك فقد لحقتك نوبة المسلمين ووقع لي في أيام سكناي بمدرسة الشراطين بفاس المحمية بالله معاينتي جامع القرويين ممتلئًا بالعلماء من المجتهدين وغيرهم وأنا ببابه جهة الشماعين ثم قائل لي إن أردت أن تعرف خليفة الشيخ فاذهب إلى العنزة محل في الجامع وقل ثلاثًا يا رئيس العلماء وسيدهم وإمامهم فانطبعت فيها فقال فإنه لا يقدر أحد أن يجاوبك في وسط العلماء إلا من كان سيّدهم ولا يقدر أحد أن يجسر عليها إلا الحاج الحسين اليفرني فإنه زعيم بها فأذنت بها ثلاثًا فرأيته رضي الله عنه قائمًا يمين المحراب فقال لي نعم أنا رئيس العلماء وسيدهم وإمامهم فضحك من خاطبني فقال أنا قلت لك أولاً فلا يقدر أحد أن يصرح بها غيره رضي الله عنه ولقد قال لي مرة أخرى يقظةً معه فلا يقدر أحد من العلماء أن يتكلم في مجلسي لصولة أنوار الشيخ رضي الله عنه وقال عمري ما لعبت في صغري وسألته عن الخلافة عن الشيخ زماننا إطلاقًا فأجاب ليس من الشأن التبيين فكررت مرة أخرى فأجاب بالخلفاء قبله فطلبته ثالثًا عن تبيين وجهها والقطبانية العظمى خلافة عن الله حيثما كان الله إلها فنسبها لنفسه رضي الله عنه في أيام بركة الشيخ رضي الله عنه فلما صار لرحمة ربه طلبت من الشيخ أن يبين لنا كيف يكون سير روحي في بقية عمري بعده فرأيت في ما يراه مثلي من العامة صورته الكريمة وصورة الشيخ رضي الله عنه فقال لي سيدنا الشيخ مشيرا بيده الكريمة لخديم محبته ومحبة أتباعه سندي الصحيح الكامل الشموس والأقمار البيّن النجوم والمحاسن هذا أستاذك فقصّر عليه همتك فانصبغت حقيقته وارتسمت شيمه ببركة إشارة الشيخ رضي الله عنه في هبائيتي سوادًا وخيالاً ولله الحمد والمنة والمقصود الإشارة إلى ما يشترط في الخليفة لا غير فإنه ينزّل منزلة الشيخ رضي الله عنه في كل مقول ومفعول يولّي ويعزل وتشترط فيه أخلاق النبوة وعلمها وسياستها ظاهرًا وباطنًا ومحبتها للخلق والشفقة عليهم والنظر فيهم وجه الله ووجه نبيهم عمومًا في العموم وخصوصًا في الخصوص فلا يحيد عما كنشته يد القدرة الإلهية ولا يحب زواله بل ينفذه بالله ببركة شيخه وينسب

الولاية لشيخه متبرئًا من نفسه فكل ما ذكره الخليفة الأعظم المنزل عند الشيخ رضي الله عنه منزلة أبي بكر من النبي صلّى الله عليه وسلم ورضي عن أبي بكر به السيد الحاج علي حرازم برادة الفاسي كما ستراه في إجازتنا مبينًا في كتابه الجواهر الذي قال فيه رسول صلى الله عليه وسلم: ((**الجواهر كتابي أنا الذي ألفته**)) أي أمرت بتأليفه من أخلاق سيدنا الشيخ رضي الله عنه والفتوة والعلوم والمآثر إلى نهاية ما ذكره في أوصافه مشروط في الخلافة عنه فافهم وإنما تركت النقل منه حياء من أن أنقل كلامه المؤيّد بأيدي النّبوءة إلى كناشنا الذي هو باعتباره من قبيل الهذيان والخرافات وإنما تعرضت لما تعرضت له وإن كان كل ما قلته هنا يفهم في كل كلمة منه رغبة في أن أحوم حول جناب الشيخ رضى الله عنه ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[301] فلو كان لا يؤلّف إلا من رسخ لتركت الدواوين استغناءً بكتاب الله وبحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم فأصح ما عندنا في الطريقة **جواهر المعاني** ثم **بغية المستفيد** بحسب الأصل وكل يسرح بقدر قوته وغنمه وهذا إنما هو مصة أيدتني بها أيدي الدائرة الفضلية والعلم بمدارك السلوك إجمالاً وتفصيلاً في **ميزاب الرحمة** لأبي عبيدة رضي الله عنه ونحن متكلمون بما عندنا من الفهاهة والركاكة والغيّ محبة للعوم في شاطئ أمواجهم قنعًا بمغفرة الله أن حسبنا أربعين لجة مكبرين عليها نسبة أصل العظمة لله لا غير وإياك أن ترى ما كتبناه إلا على وجه الرؤية به عنده لا به بعض الأمواج القريبة المنهل فإننا عجميون طبعًا وذاتًا ولغةً فصاحب البغية اشترط في كتابة شروط الصحيحين البخاري ومسلم وأنا لا أشترط شيئًا ولا أذكر إلا ما أفاضه بحر العناية من الشيخ فالرواية أصح وأدل وإنما يناسب كلامي هنا الضعفاء الأطفال من أولادنا وغيرهم ممن لا اعتناء لهم بمدارك الشيوخ كمن رآ وحده هلالاً فيجب عليه وعلى أهله الذين لا اعتناء لهم به الصيام لا غير فاسلك به مسلكه يظهر ما هنا وما هنالك وإنما هذا جريدة ترمز لصحة ما عندهم.

---

[301] الطلاق 7.

فإذا عرفته يتبين لك أن المقدمين والمربين أهل الإرشاد رعية الخليفة والمقدمون رعية المربين والفقراء رعية المقدمين والخليفة نائب مشرف على الجميع ولا تكون الخلافة إلا بالمبايعة من جميع الأرواح والجوامد ولابد من كتابة المبايعة بأيدي رؤساء الملائكة الأربعة ولابد من رقم بيد المزكي الشيخ رضي الله عنه ولابد من خاتم طابع خاتمه صلّى الله عليه وسلم مع كتابة كاتبه عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم تجمع أرواح الوجود بأسرها فتجعل أرواح المؤمنين في صندوق وكل روح معها رسمها ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[302] وتجعل له أرواح الكافرين في صندوق كل روح معها رسمها ويعلق عليهما بطابعه المدفوع عند المبايعة فيضع صندوق المؤمنين تحت إبطه الأيمن ويجعل الآخر تحت إبطه الأيسر ثم إنه قد كلّف بحفظ الجميع بإشارة الكنانيش الإلهية السارية له ممن ورثه من الخلفاء قبله فلا يغتر بالمنام والخرافات حتى يقع له ما قلناه ويراه يقظة ويبرم أمر جيوشه بسياسة نبوية فمن أدرج فيه ما قلناه وصرّح الشيخ بذلك وقواه النبي صلّى الله عليه وسلم بصورته ارتسامًا في قالبه بحيث يراه صلّى الله عليه وسلم في ذرة من ذرات الوجود وتصير الدنيا عنده مرآة له صلّى الله عليه وسلم فلا يفعل شيئًا حتى يراه صلّى الله عليه وسلم يفعله ويصرّح به قال رضي الله عنه (**رأيته صلّى الله عليه وسلم يقرأ صلاة الفاتح في السجود**) وقس عليه فإن من كلّف بالدواوين الإلهية ينظر إلى رموزها ثم يفسرها برؤية أفعاله صلّى الله عليه وسلم لأنه هو الخليفة عن الله فما فعله صلّى الله عليه وسلم يتحتم على صاحب الوقت فعله وتنفيذه بالله وهو قانون صحيح لمن وصله فيدرك أن ولي التصريف هو صلّى الله عليه وسلم وأنه هو محل ظهوره لا غير لسياسة ترتيب مملكته جل جلاله وإنما قلنا ما قلناه لأنه لبس كسوة شيخه القطب المكتوم ومقامه عال عما قلناه وإنما شرطناه تنبيها على ظاهره لا غير وأما مقامه الباطني في قوله رضي الله عنه (**لا مطمع لأحد في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الأكابر ما عدا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم**) فافهم واكتم ثم إنه لا يقدر أحد أن يعزل أحدًا من أصحاب سيدنا من الطريقة ولو كان ملقنًا له حتى يعزله صلّى الله عليه وسلم فيعزله الشيخ رضي الله عنه ثم يعزله الخليفة تصريحًا بما كان لا غير لا إنشاءً لأنه لا طريقة له إلا بحسب ما

[302] الإسراء 13.

أمر به لا غير فالمربي في الطريقة التجانية إنما يشترط فيه أن يكون متحققًا بمواقف الإحسان التي هي مقامات أهلها من المراقبة والمشاهدة والمعرفة وأن يعرف ما يتعلق بأصول الشريعة وفروعها على مذهب إمامه وإن زاد قوة في التوفيق بين المذاهب خروجًا من الخلاف كان أبلغ ويشترط فيه أن يشتمل على دين الأنبياء وأخلاقهم ليدقق مدارج الأنبياء من التجريد الكلي مما سوى الله بحيث يحرم وجوبًا على من يباشره الإخلاص نسبة له بحيث لا يعوّل على عمله ولا على علمه ولا على صفائه ولا على توجهاته ولا على مراتبه العلمية وإنما يعوّل على فضل مولاه ليتيسر له أن يردّ من يناوله إلى مقامه الأصلي الذي هو المرضية و يستقذر له ما كان عليه من أهل الإرادة في حال سلوكهم بحيث لا يستدل لهم بأحوالهم فإنها مضى زمانها وجاء زمان آخر وله حكم آخر وقد كتب سيدنا الحاج الحسين اليفرني لنا رضي الله عنه ولا تتشوف إلى ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم فإنهم قد أعانهم زمانهم على ذلك وجاء زمان آخر وله حكم آخر وقد تمسكت يداك لله الحمد بالسعادة الأبدية وهي عهد سيدنا رضي الله عنه يكفيك وقد يقطع بمحبته لحظة واحدة ما لا يقطع بالأعمار الطوال والسلام ا.هـ

وهو عين التربية بالطريقة التجانية وهو أن ينسب كل ما عنده لشيخه ليتبرأ من عهدة الدعوى والتظاهر بالمشيخة فإنه ممنوع فيها ثم جهة التربية إمّا إلهامًا من الله مستندًا إلى الإذن في تلقين الأوراد وإمّا من الحضرة المصطفوية عليها أفضل الصلاة والسلام كذلك وإمّا من حضرة الشيخ رضي الله عنه وإمّا من حضرة بعض العارفين في الطريقة فلا تكون التربية إلا بأحوال الشيخ رضي الله عنه وكلامه وإشارته لا غير وإن ورث هو مقام المحمّدي فهو خليفة أو يئول لها لاشتمال مقامه على الأنبياء والصحابة تبعًا لموروثه وإن ورث مقام نبي فقط يتحلّى بحليته وإن ورث مقام صحابي يتحلّى بحليته وإن تولى في مقام عارف في الطريقة كان مقامه كمقامه في التفضيل واختلاف المشارب سبب لاختلاف المظاهر مع رجوع إشاراتهم إلى محل واحد بعد بعد إدراك فلا تخالف إلا في ظاهر وحال لأنه لم يقع تخالف حقيقي في الطريقة أصلاً بل خلاف في حال لا غير ثم إنه لا يظهر مقامه لا في الدنيا ولا في الآخرة وقد سألوا الشيخ رضي الله عنه عنهم وكتم وغاية ما أظهر أن قال ظهر واحد من

الطائفة فاسي أبًا وأمًا وأعرض عن التبيين لمقام التشويش وليحسن الظن في سائر الفقراء فلو ظهر واحد لاحتقر غيره في النفوس فافهم ولابد أن يكون على سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلم فكل ما خرج عنها باطل باطل وربما تدركه فراسة الفقراء وهو يتبرأ من ظنهم بحيث يقول مثلا أنا آخركم وأنا العود الرقيق من القتة فيربي بسياسة الملوك وآدابهم وبأخلاق الأنبياء وعلومهم ويشترط فيه علم المكاشفة على سبيل العيان الحقيقي كالإدراك بالحاسة وخدمة تربية كل من قصده سواء لقنه هو أو غيره لأن يده يد نيابة عن الشيخ فإن التزم بعض الفقراء اقتصار همته عليه فيقبله ولا يطلبه منه لمقام التشويش فيكون عليه كالشيخ في وجوب قبول نظره بالعهد بحيث لا يخرج عن إشارته فيجب عليه أن يطلع مربيه على أسراره ولو منامًا ويعمل بإشارته ولا يردّ كلامًا ولا يفتي رأيًا لأنه حرام عليه وإن فعل يؤده لنقض العهد فيهلك وقد علمت أن الشيخ رضي الله عنه لا يدخل سوق أصحابه يعني أن من كسره بعض الفقراء بأن خانه أو غيّره فإن الشيخ لا يشفع فيه حتى يشفع صاحبه المكسر فيه أدبًا منه رضي الله عنه فمن نقض عهود الشيخ وخسر يجبره المقدمون من أهل الإرشاد ومن لم يدخل معه كذلك فإنه يربيه ببعض القضايا لا غير ولا يحجره فمن قصر همته على همة واحد منهم مآله المعرفة بالله المقام الثالث من مواقف الإحسان ولا نهاية له ومن لم يقصر بأن أخذ طريقًا على بعض من لهم الإذن ولم يتبعه النظر بأن لم يدرك مقام المربين أو لم يدخل معه عليها فإنه يكون مآله إلى الجنة وليس له نصيب في المعرفة على سبيل الظهور وإن كان مقامه مقيدًا في مقام الإحسان والفرق أن من وقعت له المعرفة في الدنيا تستوي عنده جنة الدنيا والآخرة ولا يغفل عن حضرة الله أبدًا والنظر في وجهه أبدًا ومن لم تقع له ينظر وجه الله في الجنة مرة في الجمعة وكيفية الرؤية مختلفة فرؤية العارف على الحقيقة من أول المشهد إلى آخره بل عمر أنفاسه مشهد لثباته ويشاهد صورة سيدنا داوود في حال قراءته الزبور بأصواته الفائقة المطربة والعارف ينظر لها مع كمال الصحو والبقاء والجمع بين لذة مشاهدة الحق ومشاهدة صورة سيدنا داوود وسمع حلاوة صوته وحسن نغمات الملائكة عنده وحلاوة كلام الرب الحبيب الجليل فإذا فرغ يردّ كليته لسيّد الأولين والآخرين فينظر سريره الكبير على كل الأسرّة المفرعة منه للأنبياء فيشاهد عين الحسن أصله وذاته وقوامه ويسمع ألذّ ما في الجنان من قراءته سورة

طه مع كمال الصحو وتهيج مكينته وتفور وتغلي بحار أنسه وتفيض كواثر حياض حبه وهيامه وتفد عليه من قراءته مزون البرد والثلج فتطفئ هيامه وغرامه بجلابيب الوصال وكؤوس الشراب والأشراب وموائد الاتّصال والوصال ومدائن قصور الثبات والتمكين فيشاهد الحضرة من أولها وآخرها فيقوى على تجليات ربه ومولاه فإذا فرغت حضرة القراءة وضعت حضرة الهمس على رؤوس العباد فلا حركة ولا كلام ولا رعدة ولا رمش فتتجلى حضرة وجه الحق جل وعلا وتغيب حضرة الباطل فيسكر العارف سكرًا ممزوجًا بكمال التميز والإفاقة كحالته في الدنيا فيكتسب علومًا وهيبةً لا تسعها الحوادث في وقت الضعف في الدنيا وتسعها قلوب العارفين قضيةً قضيةً وهي تفصيل ما خفي من كتاب الله هنا على العامة وترتسم في مرآة قلوبهم على سبيل الجبر وتلك حالته أبدًا وأما العامي في الدنيا فإنه ينظر وجه الله يوم الجمعة لحظة ثم يفنى فناءً كليًا لا إحساس معه وابتداء فنائه عند قراءة سيد الكل طه واختتامه بدوّ وجه الله على كيفية لا تعرف إلا لأهل الفناء. فانظر ما بين العارف وغيره في الجنة ويدرك العارف في الدنيا عند أكل حبة عنب مثلاً أعظم ما يدركه العامي في أيام جنّته. فالعارف في الدنيا هو الذي يستغلّ سر نعم الله لأن الحق يتجلّى له في كل نعمة بمحبة الآلاء والعلم فيشاهد في كل نعمة ما لا يقدر العامي أن يثبت له في حضرة الجنة ويتجلى له في النكاح ما لا يدركه جميع العامة في نعيم الدنيا والجنة ويدرك في كل حبة عنب مثلاً فضلاً عن الحور فضلاً عن نساء الجنة فضلاً عن نعم مخلوقة في صفاء المعرفة أعظم وألذ ما تدركه أهل الدنيا من العارفين والعامة وما تدركه كل العامة في حضرة القدس الجنة من أولها إلى ما لا نهاية له فاعرفه، فيا سعادةً لك أن أوقفك مولاك على يد مربيك في الطريقة بين يديه وقفة العارفين المقربين فإنك تصل منها ما لا يذكر ولا يكتب بل يعرف بالذوق.

وعليه فالطريقة طريقتان طريقة المعرفة وهي بسبب مربٍّ خاصٍّ في الطريقة على وجه خاص قائم في المربي وطريقة عليين فوق الجنة الثامنة وهي طريقة المطلق بين يدي المقدمين وهي طريقة العامة وهي أسهلها وأغلظ ما فيها لأنهم يعبدون الله ملاحظين عند مقارنة العبادة رضوان الله أو محبته فإن أحبه جرده فهي طريقة حسنة لأنها تكون سببًا للمحبة فيترتب عليها التجريد والطريقة

الأولى أحسن ما فيها لأنها خالية أول مرة من الحظوظ واللحوظ وهي طريقة الفناء مع كمال الصحو والصفو واليقظة والتمييز فالتمييز تاج العارفين والفناء الصرف صباهم فافهم وكذلك أهل العارف يعظّم أمرهم بحسبه عند ربهم وإن كانوا غير فقراء دون عكس. فيجب عليك نظرًا أن لا تأخذ الطريقة أولاً ولا ذكرًا بعد الدخول إلا على يد عارف في الطريقة وعلامته أنه لا يتكلم إلا في مقامه بحيث يكون كالزُوَق[303] لا يقبض على لون ولا جهة بل ينسل إلى غاره عند المذاكرة بحيث لا يذكر إلا ما هو فيه من الوقوف ببابه تعالى ويستقذر خلافه ويصحح وجهة الطالبين ويقطعهم عن المألوفات ويدلهم على ربهم ويكون قليل الأصحاب والخلان ولا يشار له بالأصابع من العامة ولا يعرفه إلا من هو مثله ولا تخرق له العوائد قصدًا لفقد القصد عنده وإن نزل ببحر مثلاً يغرق وإن وضع يده على نار تحترق وقس لأنه كالعامة في كل أحواله إلا أنه يعوم في حضرة ربه ويستسقى بأنفاسه ولا يستسقى هو بنفسه لفنائه عن لوازم بشريته ذاهلاً عن نفسه ولا يصبن مثلاً حتى يناديه لسان الحق في مظهر بعض خلقه بأن يقول له البعض توسخت فصبن أو فاحلق وقس عليه وأيضًا أنه يكون في بعض الأوقات فانيًا ولو في وسط الناس وعلامته أنه لا يرمق ولا يرمش لكمال موته بأرحية سيده ولا يقول في دعائه إلا إشارات له بحيث لا يعرف قوله وهو في غاية التمكين وإذا تفطّن به أحد ينفر من ملاقاته مخافة الالتباس فإذا أتيته وسألته عن الدنيا وقضاياها يتجهّل وهو عارف بتفصيلها ((**أنتم أعرف بدنياكم وأنا أعرف بآخرتكم**))[304] رمز لما قلناه ويبقي الظواهر على الظواهر وأهلها عليها ويحقق للمحققين حتى لا يدري الحاضرون مقصوده ويستدل بكل كلام عامي وأنواع أشعار العرب والعجم بحيث يقول مثلا تقول الهياثة كذا وكذا ويقول القنفذ كذا وقس عليه تقريبًا للغافلين وتأنيسًا للحاضرين ويبسط تارة ويقبض أخرى بحسب ما أظهره الله للحاضرين والواردين تسترًا ويظهر جواهر في كل لفظ عربيا أو عجميا سمي كذا كذا لأنه كذا ناطقًا عن مرادات الحق ملاطفة للخلق من حيث يسمع إقراءه بلا تفطّن به ولا يترك قضية كونية مهملة حتى يسلخ ظاهرها عن حقيقة تشير إلى كمال الدليل كله لأن لكل

---

[303] زُوَق: جمع زَّاووق. الزَّاوُوق: الزِّئْبَق؛ قال ابن المظفر: أهل المدينة يسمون الزِّئْبَق الزَّاووق. (معجم المعاني).

[304] أخرجه مسلم في صحيحه 2363.

حادثة جواهر يتعقّلها العارف وغيره لاهٍ عنها بغفلته وإنما ألممت لك لتكون على بصيرة في حال طلبه فإنه كثير جدًّا وإنما قلّ طالبه فإذا أخذت ذكرًا على يده يحصنك بهمته بحيث يجعل عليك حلة كالدرع الحصين فلا تصلك سهام الأذكار فكل ما قصدك من سر اسم تتلقاه تلك الحلة من غير شعور منك فلا يتشوش ظاهرك ولا باطنك أبدًا حتى يقرب أجلك. ثم إن زجاجة الناس مختلفة فمنها كالنحاس مثلاً صحيحة يفاض عليها بعض سرها بلا رشح ومنها زجاج يرى ما في باطنها في ظاهرها من غير رشح وهي زجاجة من أظهره الله جبرًا منه رحمةً للعباد ومنها كالفخار المحرق فإنه يرشح وهو صحيح فيتحمل بعض سره عند قرب أجله وربما ينتشق منه من له خبرة بمدارك الأسرار ويلحس رشحاته من غير إعلام به فمن رزقه الله رشحاتهم فليكتم حتى يموت فإنه إن فضحه فضحه الله ولا يحسد من يراه يلحس معه فإنه فيض إلهي ومنها مثل الفخار النيّء إن حمل بعض سره انكسر وضاع ما فيه وخسر عمله وأصله فيجب على العارف المكلف به حفظه مما يهلكه وهو ظهوره فلا يناسبه إلا الكتم فلا يكتم نفسه لضعفه فيكتمه العارف بالتحجير عليه بحيث يعطيه على يديه بمقدار ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[305] وهو عين ما قلناه من الانكسار والضياع. فمن أخذ عن غير عارف في الطريقة بأن كان ممن لهم الإذن في التلقين لا غير ولم يكن له الإذن في النيابة بالتربية وتفريق الأسرار بل اقتصر من قدّمه على توصيل الإذن لا غير كرسول يوصل الكتاب لا غير ولا يعرف أن يقرأ ما فيه ولو فتحه ما فهمه وإنما مراده الإجارة لا غير فإن ما وصل المرسل له صحيح لكنه لم يعرف هو أن يتهجّاه ولا من وصله لأنه جاهل بالكتابة فيأخذ الكتاب من يده ويقبّله ويعظّمه ويجازيه بما عنده من الأدعية لأن همة الغافل إذا أفاق تؤثر الإجابة بالله لقوة أنواره فيجب عليه أن يذهب بكتابه إلى عالم بإشارة الكاتب فيتتبّعها حتى يتفطن لبعض ما فيها فينتفع بها وعليه أن يحترمه ويعظّمه لأنه أصله احترام الأخوّة لا غير ويلقي نفسه للعارف حتى يتحقق بالله لله فيه.

---

[305] الشورى 25.

ثم إن المقدمين منهم مقدم على نفسه لا غير بحيث أفيضت عليه مرتبة التقدم فلم يوافق طبعه طبع أحد بأن شذ اسمه عن النظائر فلا يوافقه شيء من المكلّفين لغرابة طبعه كالأنبياء إما لدقة مدركه أو استتار مقامه واقتضت الحكمة عدم سريانه لعقر في رحمه فلم تقدر له ولادة مع أحد لجموده في علم ربه فهو المسمى في العرف قائد نفسه يأخذ مؤونة قائد الرحى ولا عسكر له فهو مقبول في حضرة شيخه وربما يوجد مقدم على واحد لا غير أو إلى زوجته مثلاً بأن يلقن المقدم الزوج ويأمره أن يلقنها للسنّة أو يرسله إلى بعد بالإذن وينيبه في أخذ العهود والشروط وهو نائب عنه منزّل منزلته فيجب عليه أن يتحرّى أنفَس أصدقائه فهو مقدم مرتبة ولا تلد لتحجرها عن خاص وربما يقدّم على قرية لا غير إن اقتضته الحكمة وربما يحجر بطريق الحجّ مثلاً لا غير ثم يكفّ وجوبًا في بلد لم يكن فيه مقدّم وربما يطلق له بحسب البلدان مع شروط الآداب مع المقدّمين بحيث لا يلقّن في بلد فيه أعرف منه وأقدم وأسيس منه وربما يطلق له لكماله يلقّن مع وجود المقدم لكماله في مقام التربية لأنه يجب على مقدم البلد إذا ظهر أكمل منه أن يدخل في طاعته وخدمته حتى يذهب لوفور فيضه عليه وعلى غيره فالحق أحقّ أن يتّبع وأصل الخير الإنصاف وهو قبول الحق عند ظهوره. ثم إنه ربما يقدّم لتلقين الورد اللازم لا غير وربما يقيد بذكر خاص لا يتعداه فحكمه لمربيه فلا يطلب الزيادة حتى يفيض عليه بلا طلب فهو الناجع فيه وفي غيره وربما يطلق له إن كانت حضرته مطلقة مناسبة لكل الخلائق ولكل الأذكار وربما يقيّد باعتبار التقديم لغيره لا غير ويطلق له باعتبار نفسه. ثم إنه لا يقدم غيره إلا العارف بمدارج الحقائق والسلوك الجامع فمن قدّم غيره مع جهله بالمقاصد والإشارات العرفانية فقد أخسر الميزان وأخسر تجارته وعرّض نفسه للتلف والعزل بيد غيرة سيف شيخه لأنه مدخل له في ورطة لم يعرف كيفية الخلاص فيها وبها فضلاً أن يخلّص غيره منها فيجب مع ظهور المربي بالإشارة الربانية كتواطئ العلماء على صدقه وظهور برءٍ على من رآه مباشرة أو خالطه مصادقةً ومعاملةً أن لا يقدم العامي غيره وإن كان له إذن ممن قدمه لأن من قدمه إنما قدّمه وأجاز له بشروطه والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته فمثال ما قلناه بحسب الظاهر الباشا من السلطان أو من خليفته أو من الكبير على الجند إن أطلق له بإذنه فإن مقصود المولّي صلاح أهل البلد مثلاً فإن

ظهر صلاحه وأعانته مرتبته وساس البلد بسياسة الملك لا بسياسة نفسه لأن البركة في الضوابط السلطانية لا في ضوابط نفسه وأعان نفسه بالموعظة الحسنة وخفض الجناب ومشاورة أهل الرأي وعدم الفظاظة والغلظة وتدبّر في ما يحبه الملك من أحوالهم ودنياهم وآخرتهم وأعانهم بعقله على أعباء الوظائف النفسية والعقلية والدينية وربّاهم بأمر سيده ويجود عليهم بنفسه وماله ونزع الطمع مما في أيديهم معوّلاً على ما رتّبه الملك من غير تشوّف لغير أرزاقه في حضرته ويقتصر على ما فيه مسرّته ومسرّة البلد وبنى ما كان منهدمًا من الرعية ومن دينهم ودنياهم وأصلح معاقلهم ومعاقل الملك وصرف ما عنده من الخزائن السلطانية في مسرة البلد والملك وتعزز بالملك مع انضمام بركة الرعية وعدّ نفسه خادمًا لحضرة السلطان ولحضرة البلد فلا خطور له إلاّ في أمر تدبير البلد على مقتضى الضوابط والكنانيش المكتوبة بيد الملك حتمًا على الكبراء وغيرهم واستسلم إذعانًا للملك بحيث لا تأخذه في الملك لومة لائم مع إشراق أنوار إشارة الملك وعدّ نفسه من عبيد الملك ولا يملك لنفسه أمرًا ولم يعدّ ولايته ولايةً لأنه إنما سكن في كتاب الملك فإن أرسل له الملك في الليل والنهار يرتحل عنهم ولم يربّ الكبد على أحد من نفس ومال وزوجة وقرابة وقرية فلو جرّده الملك تجرّد بلا تكلّف بل بسرور بأفعال الملك توليةً وعزلاً وعتابًا وموعظةً وتهديدًا ووصلاً وانفصالاً وتجريدًا وترييشًا وتكبيرًا وتصغيرًا وإطلاقًا وسجنًا وقصرًا وتبكيتًا[306] وتفريجًا وتنكيلاً له ولأولاده كل ذلك يحسن في عينه في مرضاة الملك ويراعي حقوقه وسيفه على رقبته دائمًا ويرى أنه مقصّر من الخدمة ولو بنى وفتح الأقاليم ولم يركن لعمله بل لإشارة الملك لا غير فراض نفسه وقريته ومصره برياضة الملك وحبّب الملك لهم وحبّبهم للملك وجعل نفسه واسطة في التقريب ولا ملك له ولا فضل ولا رأي ولا حركة ولا سكون ولا إرادة ولا عدمها وطبّ كل واحدٍ بما يناسب مزاجه لوفور علمه في الأمزجة والخواص والأدوية والأمراض ولا يرى نفسه إلا يد نيابة وتخلّق بأخلاق السلطان وخاصته وراعى حرمة الكبراء والحجاب والمراتب السلطانية والخلفاء بحيث يقتدي بهديهم باتّباع نهجهم وتعظيم مراتبهم واكتساب الأحكام من أحوالهم والتعقّل

---

306 تَبْكِيت: مصدر من بَكَّتَ. بكَّتَ يبكِّتُ، تَبْكِيتًا، فهو مُبكِّت، والمفعول مُبكَّت. بكَّت المُتَّهَمَ: أنَّبه، وَبَّخَه وعَنَّفَه وقبَّح فِعْله (معجم المعاني).

بعقلهم والتفحّص عن آثارهم ويراعي الأعراف البلدية التي أقرّ عليها السلطان أهلها ونزع مادة البدع التي تؤدي إلى انخرام قوام البلد وجوبًا ويشاور في كل حكم الكبراء والملك بحيث إن أمكن له ألا يمضي حكمًا إلا بإذن خاص بحيث يتكلم معه في البرقي المخزني ويجاوبه بنظره واعتقد أن الرعية محل نظر السلطان فإن صلحت به صلح أمره وإن أفسدها أفسد رقّه الذي هو عزّه فإن توسخ يطرد أبدًا في حضرة الخدمة ولا تقبل له توبة ﴿وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[307] وعرف أن من كبّره السلطان بخدمة أشغال دولته وعلّق عليه أنجمًا أو نجمًا عرفية سلطانية ليس كغيره ممن اشتغل بنفسه لا غير وعرف أنه إن كذب وثبت عليه بمقابلة حساب الكنانيش أو بالعدول أو بالإقرار أو بتكرر الشكوى على الحق أو قابل السلطان بمرآة فراسته وكشفه بانفتاح بصيرته به أو بإخبار نائبه مزكي السر وهو الجاسوس أو ظهر وجه كذبه في القضايا والأحكام يطرد عن حضرة الخدمة ويلعن من حضرة الملك وهو ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[308] ولا ترجى عودته فإن عزل يصير به إلى خدمة البرذعة العسكرية وهي أنه يثقل بالقناطير والأحجار ويوقف على رؤوس الأشهاد ويتبع بالسيف ممن لا يخالف غضب السلطان عليه حتى يشهره صغارًا وينادى به في كل مجلس فيقال هذا له أنجم أو نجم معلوم للمراتب السلطانية فكذبة واحدة طردته وسلبته مراتبه ولا يسئل عنه أبدًا فاعتبروا يا أولي الألباب وهم الرؤساء والكبراء فيكون ذلك نكالاً عليه وتبصرةً لغيره فالعاقل من اتّعظ بغيره وعمل بما ينجيه من غضب ملكه فإذا شهر به وعفى عنه السلطان استخدمه في ما يناسبه من عسكر أو كنس المراحيض أو أهمله بالكلية فمن كان كبيرًا فليعرف وليلبس حلة الكبراء فكسوة الأطفال لا تستره ولا تغني له من شيء فربّ كاسية عارية في الآخرة فإذا جعل له الملك خطوطًا عرفيةً ملكيةً حرم عليه الضحك لأنه ينشأ من التعجب والتعجب ينشأ من الجهل بحقائق الأمور والكبير لا يسمّى كبيرًا حتى يجرّب الأشياء كلها وعرف أصلها وأسبابها وصانعها وكيفية تركيبها ولذا لا يضحك صلّى الله عليه وسلم وإنما يبتسم وهو انشراح الوجه فمن قهقه نقص شطر عقله

---

[307] النور 4.

[308] آل عمران 60.

فإذا تنزل عقله للانحطاط زال أدبه فإذا زال ملاك الشيمة الذي هو الأدب طرد إلى كنس المزابل أو إلى حضرة الإهمال بالكلية فالمطلوب منه أن يجلس على كراسي التحرير والتدبير في إشارة الملك ليستنبط منها أحكامًا واجبات ومستحبات وجائزات ومحرّمات ومكروهات وخلاف الأولى بتركيب أدلة عقلية ترشد إلى واجب وجائز ومستحيل في كلام الملك ويفصل ويقيد ويطلق وإن كانت حضرة السلطان مطلقة فالخطاب مطلق ومقيد باعتبار الطوائف الجندية والرعية فلكل مقام أدب ولكل مقال أحكام ومطالع وظاهر وباطن ويرد ما استنبطه لحضرة السلطان فما أمضاه فليحمد الله عليه وما بشره فليحمد الله عليه فضلاً وعدلاً ثم تسطّر كنانيشه تفسيرًا لكلام السلطان للرعية فإذا صلح الباشا للبلد وصلح له البلد يختبر عليه وتختبر الرعية فربما يحكّمه السلطان عليهم ولا يقبل فيه كلام أحد وربما يخلّفه على إقليم خاص وإن أخسر الميزان السلطاني الراجح بميزانه الناقص عزله عزلاً محكمًا عليهم ثم له الخيار في الإعمال والإهمال في عمل آخر والبلد في محله صالح أبدًا ولو أهدمه السلطان وبناه فهو صالح فإذا خاطبه السلطان بقوله أرحناك من العمل في ناحية كذا أو في كل عملنا والزم دارك فإنه مخلوع ولو بقيت طوابع السلطان في صناديقه وخطاباته بالإمرة فإنه لا سر فيها ولو كان ملحوظًا بل ولو كان ولده وأعز أصدقائه فإن الجهة منفكّة فإن المقصود بالطوابع إصلاح الغير والمعزة في القلب والشرف في الذات والعظمة في الهيئة والقبول في نور الوجه والقرب في المنزلة فمقصود الشيخ في المربي توسعة المعرفة ودائرة العبادة وتضييق دائرة الجهل والغفلة وتحبيب قلوب العبيد إلى الله وتحبيب الله إلى قلوب عباده وهو لب الإرشاد والهداية لله وتبصيرهم عما خفي عنهم من جواهر الأدب مع الله ومع عباده ومع نفسه ولا يكون ذلك إلا بسياسة من ساسه الله بنفسه صلّى الله عليه وسلم اتّباعًا وانصباغًا وانطباعًا فلا يسمّى مربيًا حتى قطع عقبات نفسه وتجرد من أنواع الأغراض مع الله ومع شيخه ومع عبيد الله ومع نفسه بحيث لا يتحرك لنفسه بل بالله وعدّ[309] نفسه جامدًا لا حركة إلا بالله فإذا طحن نفسه بصفو الأذكار وأرحية الأدب وغربلها وأزال نخالتها بجياة ماء الحي القيوم وميّز السميد من الطحين وعلف نخالتها لطيور الأهوية وعجن سميدها بماء الغيب ودهنها بالفيض

309 وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "وأعدّ".

الأقدس وملّحها بالوصل وطبخها في تنور قصر الأمل وأكلها بتوابيل التجريد على يد معلّم الإحسان بإتقان الوجهة إلى مولاه وزرع فيه مولاه أنواع الأدوية لقطع حسام الميل إلى اللذات والراحات والعكوف على باب البطن ولوازم الهيآت فلما صار حرًا من رق الغير نصّبه مولاه للدلالة عليه معتقدا أنه ليس له من الهداية شيء معولاً على ما كان كامنًا في علم مولاه بحيث لا يرى فضلاً على من اتّبعه لنفسه جازمًا أنه مسخّر وميّسر لذلك من سيده قهرًا وأن الله كتب ما كتب فمن سبق في عمله شيءٌ ينله قطعًا به وبغيره وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو سياسة ربانية لإظهار أهل الآداب من الأمراء والمأمورين لا غير ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[310] وهو عين ما قلناه وهو فتح لبصائر الدالين والمدلولين ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[311] حكم قاطع لأنواع المنة على خلق الله بالرسالة والمشيخة والموعظة والإمامة والتأذين وجميع أهل مناصب الدين والخطط التكليفية من كل من كلفه الله من الوالدين والسادات على مماليكهم وعلى دوابهم من كل من له حق على غيره (المن على العيال من محبطات الأعمال) وكذا على التلاميذ والمريدين وطلبة التعلم والتعليم فيجب على المقدم أن يرى نفسه مستخدمًا لشيخه لا غير ولا دواء له ولا مصلحة فيه إلا ما كان يصله من حضرة شيخه من المرتب له على يديه من الله فلا يزيد ولا ينقص فربما يزين له الشيطان أن يقول عندي أولاد في بلد كذا أو لقنت في بلد كذا أو ظهرت الطريقة على يدي ولله الحمد لأن مقصوده ربما يكون عن رياء أو شفوف نفسه على غيره لأن الطريقة مجردة من النفس ولوازمها فإذا حرّك نفسه التي أماتها ببركة شيخه بالنظر إلى أفعاله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صار فعله وبالاً عليه ورده إلى ما جرد الله منه الفقراء الرعية فيسجل عليه بالحرمان من حضرة الله وحضرة رسوله وحضرة الشيخ فيرى نفسه واليًا وهو معزول بنفسه عزلته المرتبة النفسية ويصير يتبجح على الإخوان بتفريق الأوراد وتراه يقدم غيره لغرض نفسه ويغار لها عند رؤية من هو أكمل منه خائفًا أن تميل له الناس ويتركونه وربما يبني زاوية للشهرة ولجمع الأغراض والسمعة ويلقّن كل من لقيه بلا تأمل وذلك مقام العوام المطموسة

---

[310] النحل 93.

[311] آل عمران 127.

بصائرهم وليس من شأن الدالّين على الله أو ربما يجعل ذلك حرفة المعيشة بالطمع فيما في أيدي الناس وهو خسران وربما يحسد غيره بحيث يحب أن يأخذ عليه ذو مال مثلاً فإذا لقنه غيره يمتلئ قلبه عليه عداوةً وحقدًا وقد علمت أن أصل تولّد الأمراض الباطنة هو الأغراض مع الله ومع الشيخ فقد جرّد منها كل أهل الطريقة الأولى فليس منها في شيء وإنما أزال شموس أهل الإرادة ما ذكرناه من حب الشهرة والرياسة و حب الجاه والحسد وبناء الزواوي شبكة للأغراض الفانية ومن ترك النصيحة طلبًا للجاه مع الفقراء ليتوصل به إلى أغراضه وهو المداهنة ظانًا منه المدارات وإظهار العشق والهيمان في وسط الناس وهو في خلوته يفعل المنكرات فإذا اطّلع عليه يستعذر بالصورة الروحانية اختبارًا لا غير وهو لا روح له أصلاً بل انطمست عيون بصيرته باستيلاء عروس الشهوة عليه واستحوذ عليه الشيطان ولبب عليه وسكنه وجعله دارًا لمملكته وصار يقتنص به قلوب الناس لتيهاء الهلاك فيغار له ساكنه إبليس وصار يدافع عنه ويخنس من تعرض له من العلماء ليكمل غرضه فالدواء الرجوع إلى حضرة شيخه تاركًا ما هو عليه من ادّعاء المشيخة بلا إذن وإن كان عنده إذن في الأصل لكن أبطله بهواه ونسي عهده وشروطه ولا منفعة له فيه بل حجة عليه ووبال فقائد الرحى للعسكر إن أساء الأدب يسجن ويؤدب ويرجع إلى خدمته والمقدم إن أساء يمت على غير معرفة وولاية وربما يطحن بصواعق غضب شيخه فلا يقدر أحد على إصلاحه لأن الفقير إن فسد يتيسر إصلاحه بسرعة لعدم رؤية نفسه والمقدم معجب بما استند له من الرياسة ولا ترجى توبته على يد غيره إلا من أكابر العارفين أهل الهمة والحال والخرقة وعليه فخطر ملوك الدنيا أسهل من ملوك الآخرة فليتنبّه له فإنه دقيق وليس أمر التقديم بالإجازات والقرب من الشيخ ولا بالإطلاق في ألفاظ الإجازة وتطويل النفس فيها والإجازة إذن من الشيخ قولية أو لفظية فإذا حصل الإذن وحصلت المرتبة بسياسة النبوة ثبت الإذن وصار حاكمًا آمرًا مسموعًا ناهيًا مقبولاً وإن فقد الإذن فقدت المرتبة وإن فقدت المرتبة فالإذن بلا مرتبة من قبيل المحال إلا عند حكام الجور فتعالت مراتب النبوءة عنه فكثير من الناس من يضيع أركان المرتبة ويحب الاستيلاء بالإجازة ومصاحبة الأشياخ فصحبة الأشياخ متوقع صلاحها وفسادها وكثيرًا من القواد رأيناهم معزولين بغيرهم لعدم محافظتهم على مرتبة الولاية ثم إن عزل ربما يبقى له رأس ماله وربما

يخسر خسرانًا بينًا. فمقصودنا تبيين ما يقع به الفساد من مكايد الشيطان والنفوس وإن حفظ الله الطريقة من الانحلال والاختلال فقد أسست بجبال العلماء العاملين الراسخين العارفين أهل الغيرة العمريّة وأهل السيف العلويّ وأهل الإيمان البكريّ وأهل الحياء والكرم العثمانيّ وأهل التدريس وإفشاء العلوم النبوية فمن أحدث في أمرنا فعليه ردّ[312] والطريقة بمحلها ولله الحمد لقيامها بصولة شموس خواتم النبوءة والطوابع الكتمية فجهل الجاهل راجع عليه لا غير وفساده له والطريقة محمية بسيف ابن أبي طالب كثيرة الأمواج والمراكب غزيرة الذخائر والكنوز المقنطرة عظيمة العرائس والأرباح والفوائد نفيسة الوجنات والخالات كبيرة الأعجاز والإعجاز. فيشترط في المقدم المربي احتواءه على دين الأنبياء وأخلاقهم وسياسة الملوك وكشف الأولياء وحكمة الحكماء وطب الأطباء وبهاء الكبراء وكرم الكرماء وحياء الأبكار وشجاعة الرؤساء. وقد علمت أن أهل الطريقة بمجرد الإذن تصفو ظواهرهم وبواطنهم من التعلّق بغير الله وهو طريق الخرقة والهمة من الشيخ رضي الله عنه ويجمع عليه قبضة يده قبضًا محكمًا وإنما كلّف المربي بتذكيره ما كان كامنًا في مقامه الأصلي ليكمل له الاقتداء بالشيخ ولا سر له فيه ولا بركة إلا ما باشره على وجه النيابة فيحرم عليه ادّعاء الاستقلال فإنه أهلك أهل الإرادة حتى غابت شموس العارفين في طرقهم فيقول بعضهم فمن طلعت عليه الشمس فهو الشيخ فينظر بمرآته المصبوغة بالسواد المقشرة الوجه المتوسخة فيرى زبد خيال إبليس فيعتقد نورًا ووصالاً ويبصق له الشيطان في خازنته فيعتقد علومًا وهيبةً فيدّعي دعوى الولاية ويزيد في طريقة شيخه ما ليس فيها وينقص شرطًا مؤسسة طريقته عليه ويبتدع مستحليًا بدعته على طريقة شيخه فيهويه الشيطان في نار القطيعة ويصيّره إمامًا للضالين العامة ويظهر لهم ما ألفوه مما يشبه البركة في زعمهم وخفي عنه أن البركة في طريقة شيخه وإشارته فيتجبر ويترأس على الأغمار أقرانه ويظهر جواهر جهله متورّكًا على الأولياء ويقول ما جعلت الطريق إلا للوصول فإذا وصل استغنى واستبدّ برأيه ويزعم أنه رشده شيخه مطلقًا وهو لم يقطع مرتبة التوبة فضلاً عن غيرها فيسجل عليه بالظلام على قلبه فربما يدعي أن الطرق كلها طريقة واحدة فيظهر له بعض ما ظهر للأغبياء من العلماء بأن العالم يلقن الطرق كلها بلا إذن أو

[312] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: أبو داود | المصدر: صحيح أبي داود | الصفحة أو الرقم: 23536.

بإذن من أهلها فتجده يحب أن يجمع رياسة الطرق في قبضة يده لأنه عالم في زعمه ولم يعلم المسكين المطموس أطلال بصيرته أن الشيوخ سيوف الله وأن من ضيع شرطًا من شروطهم أو جمع ما لا يجمع في إشاراتهم يحلّ عليه الوبال عاجلاً وآجلاً فيشتّت شمله بالجهل وشمل أولاده بعد وأتباعه بإضلاله لهم حيث دلهم على الغرور فيا عجبًا ويا حمقًا لمن أخذ طريقة ولي خاص وهو عمدته ويلقن طريقة غيره ممن لم يأخذ عنه ولم يعرف مداركه ولا شروطه ويقدّم على فقراء غير شيخه أجنبيا منهم وهو أجنبي ومن قدمه أجنبي وعول على مؤاخاة الطرق فإيخاء الطرق ظاهر وهو أنها جمعها الدلالة على الله لكن بكيفية خاصة في كل طريقة وظن أنه يمد الطرق كلها وأنه يحبها كلها كلاّ والله إنه لفي ضلال مبين وعمى بيّنٍ كيف يعتمد الجاهل بكيفية الطهارة والسلوك على نفسه ويهدم أركان شموس بحور الأَكابر فأهل الطريقة منزهون عن مثل ذلك ولله الحمد وإنما مقصودنا التنبيه على مزالق الشيطان الموعود بها في آخر الزمان فكيف يغير أحد كلام الشيخ رضي الله عنه (**طابعنا يركب على كل طابع**) فطريقتنا لا ينبغي إلا التفرد بها فيزعم أنه مأذون له فيها بالخرافات الباطلة التي تقيّء الكلاب إذا سمعتها فضلاً عن العارفين فيترك الشريعة ويعوّل على الخيالات المناميّة والتأويل البعيد الذي لا يجدي شيئا وهو عين انطماس الأبصار والبصائر فلم يضبط حواس ظاهره و يعتقد أنه ضبط حواس باطنه فرؤياه ترشد لضلاله وهو يؤوّلها بالأسرار الربانية وذلك كمن لم ير سمنًا ولا عرفه فلما رآه اعتقده عسلاً يدّخره لنفسه ولأحبابه فلا شك أنه باخع نفسه بجهله كمن رآ في كتب الطب **الحبة السوداء** مصحّفة فطلب **الحية السوداء** حتى قطعت كبده بالسم[313] فالعلم من شفاه الرجال لا من الكتب وليس كل مكتوب بحق فطريقتنا ولله الحمد محرّرة بأقلام سيوف النبوة فمن ضلّ في غيرها فعليه ضلاله فالباب يحرز وإنما صرحت كل الصراح ليكون مريد أخوتنا على بال من الدجاجلة ممن يدعي أنه يلقن طريقتنا وهو ليس من أهلها ولا عرف وجهها بل هو في تيهاء الجهل خارجها ويأذن فيها طلبًا لجمع الرياسة

---

[313] جاء في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني: توما بن إبراهيم الطبيب الشوبكي علم الدين كان عارفاً بالطب وله اختصار مسائل حنين، وكان من أطباء السلطان، ومات في رجب سنة 724 هـ وقد جاوز السبعين.
* وكان طبيبا، ولكن تطبّبه مِن الكتب، وقد وقع التصحيف في بعض كتبه، فكان يقرأ: الحية السوداء شفاء مِن كلّ داء، تصحّفت كلمة (حبّة) إلى (حيّة) فمات بسبب تطُبّبه خَلق كثير.

ويدّعي محبتها ووباله عائد عليه فمن أخذ عنه فليس من أهل الطريقة بل من أهل المحبة حتى يأخذها عن أربابها وإن مات على ما أخذه عنه جاهلاً للمناط الشرعي فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا. فكثيرا أسئل عمن أخذ هذه الطريقة عن أجنبي منها فأجيب بأنه ليس من أهلها حتى يأخذها من يد نائبة عن الشيخ فإنها محجّرة بتحجير صاحب الوحي صلّى الله عليه وسلم فلا محيد عن شروطه وإياي وإيّا غيري من الترهات الباطلة والأماني في صورة الرجا والسموم في صورة العسل والحنظل في صورة القثّاء واللص في صورة الصالح والعدوّ في صورة الصديق والماكر في صورة الناصح فإن شباك الشيطان كثيرة لا سيما في زماننا فإنا بيد الله معولين على عصمته لنا من الفتن وأهلها اللهم أرنا الحق حقًّا والباطل باطلاً ووفّقنا للعمل لما تحب وترضاه وجنّبنا أهل الأهواء بمحض فضلك بجاه عين الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم.

ثم اعلم ما أرسمه لك من شروط صحة انعقاد مبايعة الإذن للمقدم أي لمن درجته التقديم لتلقين الأوراد دون وصوله مرتبة التربية فمن أدرك مرتبة التربية في الطريقة فرشيد لا تحجير عليه فيما يأخذ ويذر بيد أنه مقيد بطريقة شيخه لا يتعداها وإن كان عنده الإذن من الحضرة المصطفوية لأن الإذن منها لا يكون إلا برسوم الطريقة لا غير فلا طريقة بعدها تجدد منها ولا من غيرها وإنما يزيله من مقام التربية ادّعاء الاستقلال وإهدام قواعدها المشيّدة بالله وتخليطها بغيرها من طريقة الإرادة وإنما حملني على جمع كنّاشي هذا تمييز الطريقتين لما رأيته من إقراء العلماء في زاوية شيخنا كتب القوم من أهل الإرادة حتى كان كلام الشيخ لا يذكر وإنما يذكر عند الاستدلال على[314] كلام الأولياء من أهل الإرادة فصار المقام كأن الطريقة خالية من أهل التمكين لما رأوا من كتمان مقامهم فتسمع الفقراء لا يتحدثون إلا بما قرأوه وطالعوه من كتاب الغزالي وغيره رضي الله عنه وكلامه رضي الله عنه صحيح في بابه في طريقة الإرادة فهذه الطريقة أصلية لها فلا يستدلّ بالفرع على الأصل وإنما يستدل بالأصل عن وجود الفرع وقديما قال ابن مالك

314 غير مذكورة في الطبعة الأولى بدرب غلف.

ولا يجـــيءُ المنفصـــل * * إذا تأتّى أن يجيء المتّصل

لمقام الاختصار الموضوع الضمير لأجله فاختصار الدين والقرب في الطريقة الأولى المتصلة بالمفسر لها صلّى الله عليه وسلم وطريقة الشيخ كناية عنها على سبيل الاختصار بلا تطويل طريق بسلوك بل تبتدأ بنور صفاء المفسر ابتداء وانتهاء فالمفسر والمفسر كالشيء الواحد ولا غرابة في كون الاختصار سببًا لفهم المعاني وإنما يطلب الإطناب في مقام المدح وعليه فلا يجوز للفقير أن يطالع كتب القوم وإن ابتلي بها فلا ينجح إلا إذا كان من العلماء الراسخين في الطريقة فيطالع تبحّرًا وتغلغلاً في العلوم لا غير فلا استدلال له بها لتنافي أحكامهما فافهم فإني مع قلة فهمي تفطنت لدسيسة سمّية فيجب على عالم في الطريقة ومقتدى به ألا يدرس في الزوايا لضعفاء الفقراء إلا ما يناسب الطريقة الأصلية وهو القرآن وحديث النبي الكريم ولا بأس بفروع مذهبه من أحكام الوضوء والعبادة لا غير من كل ما فيه مصلحة عائدة على الفقراء وأما طريقة الإرادة فمندرسة منذ أزمان ورفع الإذن فيها بكثرة الطمع فيجيء مرشدهم[315] ويفرض الأموال عليهم رغمًا أو يبوء بسخط شيخه فارتفع الإذن بالطمع من كل طريقة فكل طريقة دخلها الطمع يرتفع الإذن من أصلها فاحذره فإنه كعبة تطوف به الشرور فإذا تطمّع مثلاً مقدم في طريقتنا وإن كانت معصومة منه بالله وإنما ذكرناه تمثيلاً لا غير ارتفع الإذن من أصله وهو ما لقنه لملقنه إلى غير نهاية في السند وقد منع ذلك في الطريقة كما ستراه في إجازتنا إن شاء الله. فأول الشروط للمقدم لا غير أن يكون مسلمًا ذكرًا بالغًا رشيدًا عاقلاً صحيح الاعتقاد في التوحيد غير فاسق بجارحة كخمر وزنى وكيف وحشيشة وتنباك شمًا واستفافًا عارفًا لأحكام الطريقة الأصلية بحيث يدل ملقنه على الله ويجرده من الحظوظ واللحوظ في عبادة ربه وينفّره من الأغراض البشرية مع ربّه ونبيّه وشيخه عارفًا بكيفية المحبة والصحبة للشيخ وأنه لا يحبّ إلا لله ولا يصحب إلا لله (**فمن كان يعرفني لله فليعرفني ومن كان لغير الله فبالله الذي لا إله إلا هو أنا عامي صرف**) أي خالص يعني لا علم لي ولا صلاح يعني ذاتيًا وإن كان عالمًا علمًا كسبيًّا ووهبيًّا فإنه عارض غير لاحن في الأذكار وغير

---

[315] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "مرشدوهم".

اقتداء بطريقة أخرى عالمًا بقواعد التوحيد ليبرأ من ربقة التقليد والهوى عالمًا بما لا تصح عبادته إلا به من صلاة وصيام من كيفية وضوء وتيمم وغسل ومن موجبات الوضوء والغسل ومن مبطلات الصلاة وورد وعالمًا بأحكام الردة عن الإسلام والطريقة وهي ما يخرجه من عهدة السعادة إسلامًا وطريقةً فكثيرًا ممن يتكلم بكلمة الكفر ولم يبال أو بكلمة تخرجه من دائرة شيخه من غير مبالاة بما فعل فكثير ممن حلف بالحرام ثلاثًا أو طلّق زوجته ثلاثًا وهو غير مبال وهذا تحرم معاملته فضلاً عن التلقين ويشترط فيه أيضا معرفة أحكام السهو في الصلاة والأوراد وما يقضى وما لا يقضى من الصلوات والأذكار وما يشترط في الورد وما لا وما لا يصح به الورد وما لا وكذا يميز طريقة شيخه من غيرها ولذا وضعت هذا ويستحب فيه أن يكون كامل العقل كامل الذهن كامل العلم كامل السياسة كامل الورع كامل الصلاح كامل الزهد فيما بيد غيره كامل التيقظ كامل الرواية كامل اليقين كامل الفراسة كامل الكشف لبصيرته ليرى حقائق إخوانه كامل الوقار من غير إفراط في القبض والبسط كامل النباهة كامل العبادة كامل المحبة للإسلام كامل التجريب للأمور كامل الأدب كامل المحبة في شيخه وأصحابه كامل الاتّباع للسنّة كامل القرب من ربه كامل الطهارة ذاتًا ودينًا وخلقًا متبرّئًا مما سطرناه من عيوب النفس فإنها غير داخلة على أهل الطريقة أصلاً فإن أحس أحد في طريقتنا بحب الدنيا والحسد والحقد وأخواتها فليرجع إلى مولاه وليعلم أنه غير مقبول في طريقة الشيخ فلو قبل لتجرد بالإذن وهو ميزان للفقراء فمهما أحس به تاب ورجع إلى شروط الطريقة ورجالها فإن لها رجالاً حافظين كرامًا لا يعصون أمر الشيخ ولا يتركون من يهلك فيها لكمال الشفقة على المؤمنين ويشترط فيها مكارم الأخلاق ((**أدّبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق**))[316] ((**صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمّن ظلمك**))[317] فهذه الأصول الثلاثة أصل لكل أدب في الطريق وهي أخلاق النبوة فمن حفظها وحافظ عليها فهو صديّق فصلة الرحم في الله رحم النسب والحسب والأخوة في الله سبب عظيم في صلة قلبه بالله على وجه المعاينة والمواصلة والقرب هذا إن وصلك وأحرى إن قطعك فإنه

---

[316] أخرجه العسكري في الأمثال من طريق النسائي.

[317] الراوي: عقبة بن عامر | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 2750/6.

ترياق مسهل كيموس الحسد والحقد والعداوة والبغض والمدابرة والمنافرة وترتيب أضدادها من المواجهة والمحبة والمؤالفة في الله فإعطاء من حرمك سبب قوي في المحبة ((**تهادوا تحابّوا**))[318] هذا إن كان يعطيك وأحرى إن منعك فأنصف الناس من نفسك ولا تستنصفهم فإنه يؤدي إلى الضغائن فسامحهم ولا تكلفهم على المسامحة فإنك تنزّل نفسك منزلة العبيد لهم فأرضهم ولا تكلّفهم الرضى عنك ولا الإرضاء واعف عمن ظلمك ظاهرًا إن كنت من العوام بأن تسامح لوجه الله الكريم ولا تعاتبه ظاهرًا ولا باطنًا وأما إن كنت من العارفين فإن العارف يعتقد وحدة الفعل والصفة فلا يرى إلا كنه الحق موجودًا وجودًا ذاتيًا وذوات عبيده الذين يحركهم بمراده ويأمرهم بسياسة نظام العالم فعون السلطان مثلاً إن أصاب منك بإذن السلطان فليس بظالم بل فعل ما كلّف به فلا يجوز لك عقلاً أن تغضب عليه لأنه مأمور والمأمور معذور فإذا أراد الحق جل وعلا فعل أمر تجلى بفعله في بعض عبيده فيظهره قهرًا من غير شعور بفعل الله بل يزين له أنه هو الفاعل وينسبه لنفسه ظانًا منه أنه فعله بشهوته وليس كذلك بل فعل ذلك بقهر إلهي رغمًا على أنفه فيعذره العارف ويحبه العارف لأنه بركة سيده ويجازيه بدعاء الخير وبإهداء الأذكار له أجرة لعمله. فمن غصب له الغاصب شيئًا يعدّ ذلك فضلاً من الله لأنه أعطاه الله نعمة فعشقها وسلبت له عقله وهو محبوب في حضرة ربه وألهته عن الوقوف بباب ربه سالمًا فبمحبة الله له تجلّى في الغاصب وفعل له ما فعل لعله إن كان من أهل البصائر يعتبر فعل مولاه ويتأمل في الحكمة فيه فيتفطن بأنه عشق نعمة أهديت له من حضرة ربه للتقوي بها على طاعة مولاه فافتتن بها فاقتضت الحكمة تغيبها عنه حتى يعرف حلاوتها ولأي شيء أعطيت له فإذا أناب وتبصّر وأعطى الإجارة للغاصب وسامح له لوجه سيده بل ولا وجه للمسامحة في الباطن لأنه فعل ربه ومراده وتأمّل فإن الله يردّ له نعمته من يد غاصبه أو يكرمه بأعظم منها من حيث لا يشعر فإن لم يتعقّل حكمة مولاه زاد عطبه وغضب لذلك وربما يترك صلاة يومه أو أيامًا وربما يتسخّط القدر وربما يغيّر عددًا من أهله ويبيت بلا عشاء وربما يقابل الغاصب بشرّ فيزيد هلاكه فإن الغاصب وإن كان غاصبًا ظاهرًا فهو متجلّى فيه باطنًا فيعاون من حضرة مولاه من حيث لا يشعر المغضوب. فاعلم

---

[318] الراوي: عائشة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 190/7.

أن الإنسان إذا قال يا رب إنّ فلانًا ظلمني وسامحته لوجهك الكريم فيقول له لسان الحق إن فلانًا ظلمك وسامحته لوجهي فقد أعتقته لوجهك وإن فلانًا وفلانةً ويعدّ آلافًا متألفة ظلمتهم فقد أرضيتهم عنك بفضلي وأنا أكرم الكرماء فإذا قال يا ربي خذ لي حقي من فلان فإنه يقول له فقد أهلكته وفقًا لما حكمت على نفسي وإن كان مقهورًا وإن فلانًا وفلانةً ويعد له آلافًا ظلمتهم فقد أهلكتك بسببهم ﴿جَزَآءً وِفَاقاً﴾[319] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[320] فهلكت من سوء أدبه ثلاث فرق الغاصب والمغصوب منه لكونه مأخوذًا بالغير والذين غصبهم المغصوب منه بتضييع حقوقهم فلو كان المغصوب أديبًا لسرى عفو الله إلى الجميع . فالطريقة كلها أدب فوجب على المقدم أن يسامح الفقراء فيها لحقه منهم لأنه عبدهم وتعددت عليه السادات فكل يرى فيه نظره وحرفته الخدمة لهم على وجه الأدب معهم ومع شيخهم ومع ربهم فإذا قال المقدم كلمة في بعض الفقراء وقصد بها غرض نفسه فإنه عزل نفسه بشهوته في الفقراء وإنما هو كالطبيب فالكوّاء مثلاً إذا نظر إلى العلة فإن علم برئها بلا كيّ حرم عليه الكيّ وإن توقف عليه وجب عليه الكيّ بنية الشفاء لا بحظّ نفسه وقلبه شفيق عليه حنين ولا يكوي إلا موضع العلة لا غير ولا يزيد على قدر الحاجة فإن زاد أو كوى موضع العلة يسمّى ظالمًا يخرجه الأمير عليه من خطة الدواء قطعًا لظلمه وكذا إن كواه استشفاءً لعداوة وكذا إن كواه بلا افتقار له بحيث يظن أو يعلم برئه بلا به فمن الناس من تكتفي معهم الإشارة إن كان لبيبًا ومنهم من لا ينفعه إلا التصريح له ومنهم من لا ينفعه إلا التهديد ومنهم من لا ينفعه إلا الأدب بإظهار الغضب عليه وقطع كلامه حتى يرجع لله بالله كما وقع لأحد المتخلّفين عن الجهاد وكما وقع لزينب أم المؤمنين ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي اِلْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنَ اَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[321] وهو عامّ في الرجال والنساء فالرجال شقائق النساء في الأحكام وقد علمت أنه لا يجوز عقلاً أن ينقش البحيرة من الغرس إلا من كان ماهرًا بحيث أدخل نفسه تحت نظر معلِّم بالكسر حتى يتعلم جميع كيفيات النقش وسرّحه

---

[319] النبأ 26.

[320] فصلت 45.

[321] النساء 34.

معلمه بإذنه وبركته ودعائه له وكلّفه بمثل عمله لا غير بلا زيادة ولا نقصان فإنه عمل شيخه فإن كان شيخه محسنًا أي متقنًا كيفيته فإنه يلبس حلته فيه فإذا نقشها متقنًا بإذن فإنها تزيد وتحطّ النعم من البطيخ وغيره فإذا نقشها بلا إذن أصلاً أو بإذن مجرّد من الإتقان بحيث لم يتعلّم أصلاً على يد أحد فإنه يفسدها ويدخل عليها الدود ويبطل عروقها ويهلك نفسه وغيره عند ربها فيسجل عليه ويسخط عليه فالواجب عليه إن رآ بحيرة أن لا يدخلها وأن ينظرها بعين التعظيم فيقول تبارك الله اللهم اجعل البركة فيها وفي خادمها ولا ينظر بعين الحسد فيعيّنها فإنه سمّ له عند ربها فمن لم يتعلم عند الأشياخ كيفية النجارة والحدادة مثلاً فكيف يتيسر له أن ينجّر ويعمل صنعة الحديد وإن كان عنده إذن المعلمين مثلاً فإن الإذن متوقف على تعلم قطعًا فكيف يقبل العقل وحكم الشرع أن يأذن عاقل لغير متعلم في صنعة فالآذن والمأذون جاهلان بحقائق الأمور فيسجل عليهما معًا في حضرة أهل النظر فإذا فهمته علمت علمًا لا غبار عليه ما يقع لمن يقدم غيره بالإرسال له والكتب من غير ملاقاة له فضلاً عن مباشرة له معولاً على سرّ الإذن فسرّ الإذن متوقف على المرتبة ألم تر نبينا سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم قد أدخله الله في جبهة آدم ليرى ما وقع له ويقتدي به وهكذا حتى نقله في أصلاب الأقطاب إلى ظهوره وأخّره ليتعلم من آبائه كيفية المعاملة لعموم نبوته وقدّم غيره لقصر نبوتهم فلما ظهر سلّكه طريق الإرادة أولاً حتى حقّقها ثم طريقة المعرفة حتى حقّقها وهي مرتبة النبوة ثم مرتبة الرسالة بسياسة وحجره عن تسفيه عقول أمّته ثم أذن له ثم أخرجه من وطنه كما أخرجه من نفسه تنبيها منه له بأنه لا يتم أمره حتى يخرج عمّا ألفه ثم أذن له في المدافعة ثم بجهاد خاص ثم بجهاد عام ثم إنه تعالى تولّى تربيته عمر أنفاس الدنيا والآخرة ولا زال الحق جل وعلا يتجلّى فيه بكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله تربية له وتقريبًا وتأديبًا ويؤانسه بخديمه الأمين جبريل عليه السلام تسهيلاً عليه بمخلوق مثله أقل منه مرتبة ترتيبًا لملكه وهو السياسة ويلاطفه جل وعلا بمثل ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[322] فصدر العفو تأنيسًا له وتنزلاً وتحبيبًا وتوددًا ليكون أسوةً لغيره. فاعلم هنا أن العبد وإن بلغ في المعزّة ما بلغ وفي العلم والفطانة والأدب فلابد أن يرقّيه سيده بملاطفة وبتهديد لأنه ملكه فإن الحكم الإلهية لا نهاية لها

[322] التوبة 43.

فيرقيه من حكمة إلى أخرى عمر الدنيا والآخرة كمثل من يحرّض ولده مثلاً فإنه وإن اشترى له أنفس الأشياء فإنه يقول ما هكذا زيادة في مراتب العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[323] ثم يقول السيد أو الأب مثلاً ولقد أحسن وإنما قلته تحريضًا لا غير لكمال محبته وهو مثل ما وقع في حق الأنبياء مما ورد من المعصية والتوبيخ والمغفرة وإن كانوا خلقهم الله وجعل العصمة والأدب والعلم ركنا من أركان ذواتهم وجزءً من أجزائهم فكل ما ورد يسلك مسلكه وقد علمت أن النبي صلّى الله عليه وسلم لم يطلق له الحق جل جلاله إلا بعد نهايته واندراجه في روحه اندراج الواحد في الاثنين فكذلك يجب على الملقن في التقديم لغيره ألا يلقنه إلا بالسياسة الإلهية مع نية وألا يطلق له في أول ملاقاته حتى يربّيه بما عنده من النور الإلهي وينبغي ألا يقدم غيره إلا العارف وإن كان مطلقًا له فإن عادة الله يجب اتّباعها وهي أن العارف يلد عارفًا والوليّ يلد وليًّا والعاميّ يلد عامّيًا لأن الولد نسخة أبيه إلى أول نسب الإسلام من غير تغير هذا في النسب وكذا الحسب وهو مرادنا فإذا وجدت من يشار له بالأصابع ولد عاميًا فاقطع بأنه لم يدرك مقام المعرفة وإنما اشتهر بالله لحكمة طلبها القطب من ربه وكذلك إذا وجدت عاميًا ولد عارفًا فاقطع بأن أباه عارف مكتوم وهذه وظائف العبيد وأما قوله تعالى ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[324] والميت العامي والحي العارف فمن وظائف الله وقدرته وجب علينا تجنبها والتعويل على عادته التي هي وظائف العبودية ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[325] فإذا لقن العارف وجب عليه أن يباشره ليلاً ونهارًا بدعائه وبإرشاده وبكلامه وبرسالاته وبهمّته ويلزمه الهواتف الربانية تنبّهه فإن همّة العارف تغنيه وتمدّه وتمنعه فإذا أراد زلةً مثلاً يمنعه بهمته فيتجلى له قدّامه ويستقذرها له حتى يتجرّد منها حتى تعظم حرمته بين عينيه فينسلخ مما فيه سخط الله وسخط شيخه فيغطيه إن تعرّى مع زوجته في بيته تعليمًا للأدب هذا وأمّا العامي إن لقن عاميًا زاد العمى بينهما كقولهم **المفتقر إن تزوّج مفتقرة فسبب في تكثير السعاية في البلد** وربما يقال **إن همة الشيخ تغني عن همتنا** وهو صحيح

---

[323] طه 111.

[324] الروم 18.

[325] الأنبياء 23.

لكن عادة الله تتبع وكذا همة النبي صلّى الله عليه وسلم وكذا نظر الله لا يحتاج إلى نظر أحد من الأنبياء والملائكة لكن تلك وظائف لم نكلف بها فوجب على كل أحد سياسة الله في أفعاله اتّباعًا للشريعة المطهرة وعليه وإن وقع وأذن العامي لمثله فإذنه صحيح يجب عليه نظرًا أن يسنده إلى عارف ويلقي نفسه إليه حتى يتبصر بنفسه وبإخوانه فالطريقة عامة وجب على من كلّف فيها أن لا يلقّن أحدًا حتى يفرد هو وجهته ظاهرًا وباطنًا إلى حضرة الألوهية لئلا يفسد غيره بالحظوظ واللحوظ القاطعة عن العبادة المكلف بها صاحب النبوة وبتصحيحها فإنه صلّى الله عليه وسلم ما كلّف إلا بها ولا يصحّح إلا إياها فمن شغل أمته بالأعمال على سبيل الأغراض فقد حاد عن طريقه القويم ولعب بنفسه وبأمته لجهله فالجاهل المقتدى به شرّ من إبليس في التضليل لأن الشيطان ظاهر العداوة وهو ظاهر النصيحة بجهله بحيث لا يجد الراسخ في العلم والعمل سبيلاً إلى إخراجه من ظلمة هلاكه لاقتدائه في زعمه بمرشد ظهرت حلّته عليه واعتقد أن الجهل هو الطريق فيصمّم على اتّباع شيخه الجاهل ويعادي العارفين وينسبهم لبغض شيخه فمن لم يزل صور الأكوان من قلبه بترك الحظوظ في عمله مع ربه تاركًا ما كان عليه في حال صغره من الشهوات وكثرة النوم واللعب مع الأقران والحميّة والأنفة ولو مع أبيه وأمه وولده فمن أحس بالأنفة تأتيه مع ولده إذا تشاجر مع بعض الأمة فليقطع ببعده من حضرة ربه ﴿اِلنَّبِيٓءُ أَوْلَىٰ بِالْمُومِنِينَ مِنَ اَنفُسِهِمْ﴾[326] وكذا المقدّم أولى بالفقراء من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأزواجهم فإذا وجدت مقدّمًا تأتيه الغيرة على أولاده مع بعض الفقراء فاقطع بأنه منزوع المرتبة ظلمه من كلّفه فلو كلّفه العارف لتجرّد ببركة سيرته من لوازم النفس فالمقدّم لا يلقن سر النبوة ويعمل بمناقضتها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اَ۬للَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[327] فالمقدّم لا يغضب على الفقراء أبدًا قطعًا وإن أظهره فسياسةً لأنه مكلّف بتجريد غيره بعد تجرّده هو من خنازير النفس والدود التي تأكل نور القلب كما تأكل الدود قلب النبات فكما أن نباتًا فيه دود لا يصلح فكذلك القلب وهو بيت الرب فهو أولى عند العقلاء بالتطهير من

---

[326] الأحزاب 6.

[327] الصف 3.

الزوايي والمساجد فالزاوية مثلاً بنيت للذكر والذكر يستلزم المذكور فوجب تطهيرها من كل قذر ظاهر وباطن وهو معلوم حتى في قلوب العامة والقلب بيت الله والروح عرش الله فيجب تطهير القلب مما سواه من كل شغل وفكرة بغيره ومن انطباع الصور الكونية فيه فإذا انطبعت فيه صار مأوى للشياطين فيقع له مثل ما وقع لهم من كمال البعد فيجب على المقدّم أن يكون كامل الطهارة المعنوية والحسية فالحسية إشارة للمعنوية ((**لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة بيت الله الحرام**))[328] وقلبه أعظم منه ومرتبته أعلى منه فالبيت محل يتجلى فيه الحق بكمال الأنوار إلى بيوته القلوب فتنتقل القلوب تلك الأنوار فتسكن بها بيوتًا من المساجد في غير مكة وهو سبب تشريع الحج على كل صالح لحمل الأسرار الإلهية لأن المؤمن إن ملأ قلبه من أنوار الله يسري نوره إلى غيره من القلوب والمساجد فتعظم بركة المساجد بأنفاس المؤمنين فالعمارة بقلوب العارفين هي المدّة للمساجد وغيرها فكما أن الزاوية يتبرك بها وتحبّ نظافتها ولا تريد شيئًا لجمودها فكذلك المقدم في الطريقة فيجب عليه أن يكون كذلك وهو كالخادم للمسجد يجب عليه ألا يدخل المسجد بجنابة فكذلك لا يدخل وسط إخوانه بجنابة الأغراض معهم فالجنابة صفة حُكمية توجب للمتصف بها منع استباحة الصلاة بها وكذلك الغرض صفة حكمية توجب للمتصف بها منع قربة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن فعل فهو آثمٌ قلبه فلا ينظّف غيره إلا النظيف ولا يحب النظافة إلا من كان كامل الطهارة والفطانة بحيث يميزها عن غيرها بأصل الطبع والتطبّع فمن لم يكن طاهرًا وجب عليه الخروج من المسجد فضلاً أن يقمّه ويكنسه فهو عين الكناسة فمن لم يتطهر من الغفلات فهو المجذّم يجب تجنبه فضلاً أن يداوي غيره فكما أن الزاوية ترخم بمعدن نفيس فكذلك المقدم يجب عليه أن يحصن نفسه بالله ويستعمل أذكارًا تناسب ذلك من غير تعرّض بهمته لشيء. ثم إن التحصين المطلوب هنا هو حفظ القلب من صور الأكوان بصولة سبحات الجلال وعقاقير قصر الأمل وسيوف مشاهدة الموقف وحدّ الصراط وصواعق الكنانيش المنسوخة في الدنيا بحيث يجب أن يعبد ربه على يد شيخه مع قطع النظر عن الضمانات النبوية فإنها لضعفة الخلق من الفقراء لا للمقدمين فلا يذكرها إلا على وجه إدخال السرور

[328] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 5763.

عليهم فيختمها بقوله مثلاً فمن أعزّه الله وأكرمه هو أولى بالوقوف بباب الله على ذروة العمل على وجه الصفاء فإن من كبّره السلطان وأعلمه به فمقصوده زيادة الأدب في الخدمة فكما أن السيّد إذا قال لعبده مالي كله لك وأنت كبير المرتبة عندي ولا يزنك عندي ولد ولا غيره فهو سياسة في زيادة العمل والأدب والذبّ عن الحريم والقيام بوظائف العبودية بالإشارة أو بغيرها لأنه مثلا يقول مالي مالي وهو والمال لسيّده فيجب عليه إنفاق كليّته في خدمته وأولاده وماله متبرّئًا من العزة بعقله وعمله وحسنه متعزّزًا بسيده لا غير فمن جعله الشيخ في مقام إرشاد غيره فقد عظّمه ونزّله في بعض مناصبه فيجب عليه أن يسلك مسلكه حذو نعل بنعل فإن فعل يرتق إلى النيابة عنه بلا وكالة فالوكيل إنما هو وكيل في السداد لا في الفساد وإن أمضى أمرًا من[329] غير نظر يعزله الشرع قبل أن يعزله الموكل لأنه ما وكّله إلا له فالمقدم وكيل لا غير يعزل بغير نظر والمربي وصيّ والخليفة نائب مشرف على الجميع فلا بحث معه لتنزّله منزلة منوّبه في كل شيء فيجب على الوكيل ألا يعمل إلا بالمشاورة مع الموكّل مع ميزان الشرع لأنه ما وكّله إلا وكالة مقيدة بالمصلحة والمربي مفوض له والوكيل أمين فيجب عليه حفظ الأمانة والله لا يحب الخائنين[330] والوكيل أجنبي والنائب قريب حميم فإن تطمّع الوكيل في الخطابات فسخت مقالته وإن تطمّع القاضي ردّت أحكامه فالرشوة حرام وهي السحت والسحت عدم البركة وهو ما يأخذه القاضي في قضائه والشاهد في شهادته شهادة الأداء وما يأخذه الأمين في حفظ الأمانة وما يأخذه صاحب الجاه في جاهه وهو أي المقدم قاض شاهد أمين صاحب جاه فكل ما أخذه بدينه من أيدي الفقراء مستشرفةً نفسه له وأحرى إن طلبه أو تعرّض له بحيث لا يعمل إلا للطمع فإن فقد تلاشت قوته في الخدمة فإن أعطى أحبّ وإن لم يعط ترك العمل والمشي إليهم وأحرى إن بغض المانعين ويعدّهم قليلي المحبة والنية ويرى حقّه عليهم ويتعرّض لأن يعظّموه ويخدموه ويجعل نفسه كالعامة إن مات له ولد يجمع به الأموال وإن تزوّج يجمع الأموال بالأعراف المعلومة بالحناء وهي أن يجمع الرجال وتدخل امرأة بينهم وتنقر الدف ويقوم شرهم لسانًا إنّ فلانًا أعطى كذا وفلانا كذا

---

[329] غير مذكورة في الطبعة الأولى بدرب غلف.

[330] الأنفال 59.

ويشهرهم حتى يستحي الناس من إعطاء القليل ويكون ذلك سببًا في القيل في أعراض الناس فلان قليل المحبة بخيل حتى يجمع حطامًا فانيًا أو يستعذر ببناء زاوية أو مدرسة لطلبة العلم فيجمع له أو يتسلّف في صورة القهر ثم أنه نوى عدم الغرم أو يعظّم الأغنياء بدنياهم ويهين الفقراء لضعفهم ويستعذر بقوله صلّى الله عليه وسلم ((**نزّلوا الناس منازلهم**))[331] ومعنى الحديث الأمر بالمدارات وهي إنفاق مال في صلاح قلب الأخ أو إنفاق كلام حسن لأهل الوجاهة طلبًا تنزلهم لحالة الفقراء متجردين من أنواع النفس من التعزّز بالمال والجاه والممنوع المداهنة وهي إنفاق الدين طلبًا لغرض نفسي من مال أو جاه فيعظّمه ويحقر غيره من المساكين وليتأمل قوله الكريم ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ﴿مَا عَلَيْكَ﴾[332] الآية وقال ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً ۝٢٨ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُومِنْ وَّمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[333] وهو دليل قاطع لما قلناه فلا يفضّل فقيرًا في قلبه على غيره ويظهر التفضيل لسياسة التنافس في الخير لا غير فمن اتّبع هواه كان الهوى ربًّا له فلا يخطر في باله إلا الهوى ومن اتّبع سياسة الله فلا يخطر في قلبه إلا الله ومن رأى الخير مع الهوى اتّبعه ونسي ربّه ومن رآ الخير مع الله استوى عليه حب الله بامتثال الأوامر واجتناب المناهي فالذي أمر به الله المكلف بغيره أن يرشدهم إلى الله من غير غرض دنيوي ولا أخروي معولاً على المرتب الإلهي الفضلي ويعتمد على الله فهو سيده لا يضيعه والعبد غني بسيده إن كلفه بنفسه وأحرى إن ولاّه على غيره وكبّره بين عينه جل وعلا فكيف يفرح قلب المقدم بغير الله وكيف يفرح بكثرة الفقراء والمقدمين على يديه وكيف يحسن أن يرى نفسه هاديًا مع أنه سنّي وكيف يدل الناس على خواصّ الأذكار ليتولّى بها على غيره وكيف يميل إلى غير ربه وهو بين أصابعه وكيف يدّعي دعوى وهو مملوك فليجرّب المسكين نفسه عند اشتعال نار في الغابة مثلاً فهل يقدر أن يطفئها بهمته أو يجيء حكم الله من رخص أو غلاء فهل

---

331 الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 4842.

332 الأنعام 53.

333 الكهف 29.

يقدر على رفعه بهمته فهل يقدر أن يدخل الملل في الإسلام بهمته ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤمِنِينَ﴾[334] فالهداية وظيفة الله ليس للعبد فيها نصيب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[335] فكيف تمنّ على الناس بإرشادك لهم فكيف تطلب أجرة على عمل ربك فكيف ينتصت لغير الله والانتصات إنما هو لله فكيف يبغي الدنيا بعمل الآخرة فكيف يرشد إلى التجريد وقلبه مكبّل بالميل لشهواته ف كيف يجعل الولاية على طائفة حرفة للمعاش الذي فرغ ربك من كتبه فكيف تطلب زيادة في الرزق وهو مكتوب بيد ربك فكيف تخدم ربك وتكره عبيده وكيف تغير خلقه وتبقى ملحوظاً بحضرته فكيف تجادل في العلوم وأنت جاهل بنفسك وكيف تطمئن بمدح الغير وأنت عالم بسريرتك وكيف تلقن سرًّا لا يكون إلا من قلب مجرّد من غير وغيرية وأنت بالأكوان مشتغل فكيف تنزل مالاً من غيرك بجاهك ودينك وتكتسبه لنفسك وأنت أولى بالإيثار فكيف تأمر بالورع وأنت مكبّ على الحرام والشبهات فكيف تستحي من الخلق وأنت مخالف للخالق فكيف تعوّل على نفسك وأنت في حجر غيرك فكيف تصحح كلام شيخك بترّهات غفلات منامك فكيف تميل للمنامات وأنت لم تصحّح اليقظة فكيف تحب المعرفة وأنت مدبر عنها بنفسك فكيف تستحلي عمرك وأنت مقطوع عن مولاك وكيف تدعي مقام الإحسان وأنت غير متعلّم مراقيه وكيف تسلّك الغير على مدارج الإحسان وأنت لم تعرف مواقفه وكيف تحب أن يتلمذ لك الغير وأنت جاهل بالشريعة فهل لك سياسة أحسن من سياسة ربّك فهل لك عقل تميّز به بلا سياسة مولاك ألم تعلم أن مقصود الله فيك انقلابك في أطوار العبودية لا غير ألم تعلم أن العبودية عزّك وشرفك فكيف تشرف بالعلم وتعز به مع أنك أجهل المخلوقات بربه أرأيت لو كنت سيدًا واستعملت عبدًا على عبيدك فهل تستحسن أن يخالفك أو ينسب العبيد لنفسه أو ينسب رأسه لنفسه أو يطلب الأجرة على فعله أو يظلم العبيد بالجفى أو تحب أن يمنّ عليك بخدمته فهل أنت إلا مثل قلم أو سكة حرث في يد الفاعل يا عجبًا مفعول يدّعي فاعلاً ويا حمق من استهوته سكرة أعماله أو استرقّته شهوته وهو عبد مولاه فتبرأ منه بنفسه فكأنه يدعي الحرية فهل قدرت على

---

[334] يونس 99.

[335] آل عمران 128.

إصلاح نفسك حتى ادّعيت إصلاح غيرك فالفعل لربك وأنت مذلل لسطوته فلو كان الخوخ يداوي لداوى نفسه من إسراع الدود فهل لك في فعلك إلا المباشرة يا للعجب ترك أبوابا للخزائن وتعلق بالطاقات العاليات لا يصلها إلا بالكسر فلو وصلها لم تسعه ولو وسعته لانكسر في الانحطاط ولو انحطّ لبقي لصًا فأبواب الله أسباب عادته والطاقات طلب المحال الشرعي وهو أن يظلم الناس بغصب أموالهم ويسلم ماله فإذا علمته فكن مقدّمًا سنّيًا متبّعًا لا مبتدعًا فكل ما استحسنته من غير طريقة شيخك فهو ضلال واعلم أنك مسخّر قهرًا فلا منّة لك على أحد واسترض الفقراء وذكّرهم بالموعظة الحسنة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[336] ﴿هُوَ ٱلذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِالْمُومِنِينَ ۝٦٣ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوَ اَنفَقْتَ مَا فِي اِ۬لَارْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[337] فلا تغرنّك سكرة الجاه. فها أنا أرسم لك ميزانًا يحتاج إليه الجاهل مثلي ومن تنزّل منزلتي من الأولاد والأطفال وهو أن تعلم أن الخمرة تسكر فهي حرام وكذلك الغفلة عن الله تسكر فهي حرام والغضب يسكر والجاه يسكر فنزل أهل الغفلة من طوائف المسلمين منزلة السكران فعالجه حتى يفيق ولا تستقذره فإنه طاهر وإنما نجّسته الغفلة وعليه فاصبر له ولا تعتبر كلامه فإنه أحمق واستخلصه مما كان عليه وإن ضربك أو سبّك فاصبر له لأنه لا عقل له فإذا باشرته فاستعمل السياسة لئلا يقتلك بغفلته ولبب عليه بهمتك واطلب من الله أن يوفقه وأسدل عليه جلباب حيائك وكرمك واغضض بصرك وبصيرتك عليه حتى يفيق فإذا أفاق يعرف قدرك فأنت تسببت في صلاحه لا غير ولا تر منة لك عليه فتكون مثله وكذلك لا تنزّله منزلة من غضب فقصد إهلاك نفسه في بير وأنت فيك محبة الله ومحبة خلقه فلا يحسن منك أن تتركه هالكًا وإن تركته تضمنه فإنك تأخذه بجميع كليتك وتصبر لأذاه من كلام وضرب ومصارعة فإنك إن شاهدت مولاك تحصّنه من هلاكه قهرا من غير مبالاة بالإعياء يومًا على أخيه حتى يزول غضبه فإذا زال يعرف نعمتك عليه ولا ترها أنت فإنك إن

---

[336] آل عمران 159.

[337] الأنفال 64.

لم تخلصه يعذبك الله عليه به وأنت أقامك الله لذلك واذكر ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾[338] لخ فمن غضب على غافل يرمى في ظلمات ثلاث فإن تاب تيب عليه وإياك أن تذكر للناس كيفية المصارعة فإنه سم أو تذكر ما لحقك من أذاه فإنه معذور وأنت إن ذكرته مراءً غير معذور لأنك كلّفت به وتأمّل في جميع ما تلقّاه منه فإنك تلقى مثل ذلك في كل واحد من الفقراء ولابد فإن صبرت جزيت وإن جهلت طردت وإن فشلت وغلبك وهلك محيت من المكلفين لأن المكلّف تطلب قوته وشجاعته فإن قال لك مثلاً فانصح نفسك وقل لنفسك أو مثله فاكتمه فإنه معذور بالغفلة وأنت غير معذور لأنك في مقام الإرشاد فمقام العامة أسلم من مقام الأولياء عليهم. ثم اعلم أن إبليس لا يعض ولا يظلم غيره وإنما ظلم نفسه وخلط من كان مخلطاً على وجه الضحك عليه لا غير.

(حكاية) أغارت كلاب الصيد على الذيب وولده فقال له ولده عييت فقال له أبوه ما تبعوك إلا له فقف حتى تنظر ما يقع فيك فنظر الصغير حتى لا يغنيه العجز فوجّه همته للجري فسبق أباه فسلم. فربما تقول عييت من الخدمة فتخلصك نفسك. فاعلم أن الكسل والنوم يتزوجان فيلدان فقرًا مدقعًا والعكس سبب الفقر والعجب سبب الهلاك والتيقظ سبب للمعرفة والعقل سبب للرضى والشجاعة سبب للحكم والتعلق بالله عز قديم. ثم إن البغض لشيخك وغيره من الأولياء لا يتصور إلا من عالم أو مرابط جامد على الظواهر مقتدى به بعد أن يطّلع العالم على كتب الشيخ وكتب أهل السنّة بحيث يعرف أن العقل لا يدرك جميع ما تتعلق به قدرة الله من كل موجود ومعدوم إلا أن المالك يفعل في ملكه ما يشاء وهذا حكم عقلي في المقدور لا غير فافهمه فإن العارفين لا يخرجون عن حكم عقلي أصلي وعن حكم شرعي في الدنيا والآخرة فالشريعة لم تمنع ما تقوله العارفون من الأسرار والمواهب والضمانات بل جوّزته الشريعة موافقة للحكم الأصلي العقلي فإذا فهمته اطّلعت على فتح أبواب قدرة الله فإذا بيّنت للعالم دليلاً عقليًا يشتبه كثيرًا على أجلة العلماء فضلاً عن غيرهم ورآ باع الشيخ رضي الله عنه في العلوم الظاهرة والباطنة وفي الأسرار الغيبية والكتمية وصمّم بعد تبيين الحق

---

[338] الأنبياء 86.

فهو المبغوض بجحود نعم الله على أيدي عبيده فاقطع مواصلته ومعاملته ومجالسته ومذاكرته فإنه سمّ قاتل خفيّ فإن كان عندك مدفاع فاضربه فإنه متكبر على أولياء الله وإن كان عاميًا فلا يتصور فيه البغض لجهله فسُسه حتى يلين يومًا على أخيه وأظهر له ما عندك من الدواء لقصد برئه على يدك وإن كان شريفًا فلا تتعرض له فإن الشيخ رضي الله عنه يحبهم غايةً وتقبل الصلاة من وراء الشريف على أي حالة كان لقربه من الله وهو مفتوح عليه قطعًا وإن كان من العوام فلا تضيق على أحد بمثل ذلك فإن كنت عالمًا فسُسه حتى يربح ولك فضله ولا تجعل أيها المقدم هجيراك التكلم في الأولياء بقصد نصر مذهب شيخك فإنه حرام وهو منصور بالله فطريقه معصومة به وأنت متعلق به لا أنه متعلق بك حتى لا يقبل الرياضة فاتركه فإن برزت منه فتنة فأطفئها بلين وسياسة وبصولة نور إيماني ولا تجمد على الظواهر واستخرج كنوزها بعقلك فإن من اشتد بغضه اشتد حبه ومن سكر أفاق ومن عصى تاب ومن تاب قبل ولا تكلم الناس بعنف فإنه سبب العداوة وهي شر كلها ﴿فَإِذَا ٱلذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٣ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[339] فعامل كل الأمة بخلق حسن فإن مشيت إلى مدشر من مداشر البادية ونزلت بفقير منه فابحث عن جيرانه هل فيهم من لا يصلي فنبهه عليها وحبّب قلبه لله وحبّب الله له فإنه خدمة شيخك ولا تظن أنه خارج عما كلفت به بل هو عينه (**جيراننا لا نجوزهم لا في الدنيا ولا في الآخرة**) فكل من سكن من الفقراء في قبيلة مثلاً فإن أهل القبيلة جيرانه وأحباب للشيخ رضي الله عنه لأنهم سكنوا مع حبيبه صاحبه فافهم فهؤلاء من قبيلة صاحبي فلا أجوزهم فهو كريم يكرم عشيرة صاحبه، وتبرأ من عهدة التكليف فإنه غير لائق فلا تكلّف إخوانك غير أنك تأمرهم بمكارم الأخلاق وتدلّهم على فضيلة الكرم ولا تطلب منهم شيئًا وامرهم بالإحسان إلى جميع الخلق وأكّد عليهم في أمر الإخوان فإنه متأكد ولا سيما أهل الخصوصية منهم ونزلهم منزلة أباءك وأولادك وفضّلهم على أولادك الغير المنسوبين للشيخ فإن نسب ولدك للشيخ فاجعله أخًا لك وأسقط عليه حرج الأبوة من الحقوق وسامحه وراع فيه وجه الشيخ فإذا وجدت من خسر من أولاد العلماء والأولياء فاقطع بأنه غير طيب الأخلاق غالبًا

---

[339] فصلت 34.

فيدعو عليه فيهلكا معا فافهم. ثم يجب شرعًا أن تبدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم أقرب جيران ثم الأقرب ثم سائر الناس فمن عرف من نفسه أنه مريض بالدود الذي هو حب الدنيا وأولاده من العجب وتحققه أو ظنه أو شك فيه فيجب عليه ألا يترأس على أحد فإن رياسة التقديم تهلكه وتزيده على ما كان عليه فإن طلبه بعض العارفين للخدمة بيّن له وجوبًا ما فيه من الأمراض الباطنة فيريه علته فالعارف أدرى فإن قدر العارف على تجريده يجرّده أولاً وجوبًا ولا يفيض عليه حتى يطهّر إناءه فإن أفاض يخف على المفيض من السلب لتلاعبه بمنصب النبوة وهو الدلالة على الله لأنه إذا اعترف بمرضه فكيف يقوى على غيره فلا يناول الناس إلا من فرغ من نفسه فإذا تولى الإنسان على غيره صار ملكًا للمولى عليه فيكون في حكمه فيبدأ به على نفسه فلا يسافر إلا في مصلحته بإذنه ولا يجلس إلا له.

ثم إن الشيخ يحبّ منه أن يشتغل بأمر الفقراء فترك زيارته أولى له إلا بإذن منه فإن الباشا لا يجوز له أن يقدم على السلطان إلا بإذنه لأن مسرة السلطان في عمله المكلف به وإن مشى له ولو محبة من غير إذن يزجره ويعذره لأجله لعشقه فزيارة المقدم فقيرًا واحدًا في الله أفضل من زيارة الشيخ فإن الشيخ لا يفارقه كالمرأة الحبلى وهو حامل للشيخ دائمًا لا سيما وهو مستعمل عنده فلا يضيعه ولو كان في الصين مثلاً ثم إنه قد عرف أنه آلة لتوصيل السرّ للفقراء ولا حظّ له فيه كالوكيل فمرتبته عند شيخه بحسب صلاح الفقراء وكثرتهم ووقوفهم على نهج الطريقة فإن لقن الطريقة وأهمل أمرهم فربما يخاف عليه من العزل فيجب عليه أن يسأل على غائبهم ويتفقّد حاضرهم ويعود مريضهم ويحضر جنازتهم كفعله صلّى الله عليه وسلم وأن يصلح ذات بينهم وجوبًا عليه وأن يسارع في إطفاء نار الفتنة والغيبة والنميمة فيهم ويأمر كل واحد بصلاح نفسه من دنياه وآخرته فلا يترك أحدًا يقعد عن الأسباب الحلالية وينهاهم عن التكلّف والتأخّر عن الفقراء فيعجّل ما حضر أولاً ثم مرتبته على مكارم الأخلاق فالخير كله في حسن الخلق ومكارم الأخلاق ويرغبهم في الإطعام في الله والمواصلة لله والمباششة ثم إن أوقفه الله في زاوية يباشر أمر الإخوان فلا يترك الغريب والضعيف بلا شيء بل يكرمه بنفسه أو بالفقراء بحيث يقول لبعض الفقراء هذا ضيف الشيخ فأكرمه الليلة لله ويصحب الآخر للآخر حتى تبقى الخواطر مؤتلفة لله في الله فإن من أكرم ضيف الشيخ في زاويته فقد أكرم

واحدًا من أولاده وإياي وإيّا غيري مما يقع اليوم من هجر ضيف الشيخ وإكرام أهل الرفاهية من الفقراء فكيف يطيب عيش لمن يترفّه بألوان الطعام والجائع في الزاوية ويستعذر كل واحد بشأن المدن فالمدن محل أخلاق الرسول أمته صلّى الله عليه وسلم في المدن فإذا ضاعت المدن من الخير ضاع الخير من أصله فتجد فقيرًا باديًا غريبًا قويت أركان محبته في الشيخ ثم يدخل مدينة قلّ كرماؤها فيهدم قواه فالكريم حبيب الله فلتذكر فعله صلّى الله عليه وسلم ((**فمن كان عنده طعام واحد يأخذ بيد واحد واثنين باثنين**))[340] لأن المعي فيه اثنا عشر شبرًا فإذا ملأ الإنسان بعضها اكتفى فعابد البطن قيمته ما يخرج منه وأيام الدنيا قليلة في أقل مدة تخرف البحيرة ويبقى جزاء الخير للمحسنين وجزاء البخل للبخلاء فالفقراء يقتفون سيرة مقدم البلد فإن كان بخيلاً فلا صلاح لهم لأن البخل شجرة في النار فتجد كثيرًا من الأحباب رضي الله عنهم ينفق ثلث ماله أو أكثر في محبة الشيخ رضي الله عنه لكنه ينفق مائة في ليلة واحدة فلو تبصّر لفرّق ذلك على العام ينفقه تقاضيًا على أضياف الشيخ أحباب النبي صلّى الله عليه وسلم فلقمة تجعلها في بطن الجائع أفضل من ألف ريال في تزويق الحيطان في المساجد والزواوي جاه الله من كلّفه الله في الزاوية باتّباعه فعله صلّى الله عليه وسلم مع أهل الصفة والغرباء فإنه يباشهم بالمال والإكرام لله. جاء إليه صلّى الله عليه وسلم أعرابي واستعطاه فأعطى له ما تيسر في الوقت فقال له أهكذا عطاء الأنبياء وتكلّم بكلام قبيح فقامت الصحابة رضي الله عنهم في تأديبه فقال صلّى الله عليه وسلم فاتركوه فمشى به صلّى الله عليه وسلم إلى داره فأعطاه حتى رضي فتكلم بمدحه صلّى الله عليه وسلم فقال صلّى الله عليه وسلم فلابد أن تمضي إلى أصحابي فإنهم أغضبتهم بقولك آنفًا فجاء وتكلّم بمدحه وأسلم فقال صلّى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمن هربت له دابته فقال لغيره فاقبضها ولم يعرف سياستها فأجفلها فقال لهم اتركوها وأنا أعرف بها فقام وأخذها بلا مشقة. معنًى فمن كان مقصده الله يبذل ماله وروحه في مصلحة المؤمنين ويسهل عليه ما لقيه في الله فلا يجوز للمقدم أن يتجمد على طبع واحد بحيث إن كان باديًا يقتصر على محبة أهل البادية وإن كان حاضرًا يقتصر على الحواضر كالمشاهد بالعيان فالزاوية يستوي فيها العاكف والبادي وكذا الطريقة

---

[340] الراوي: عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2057.

فإن السرّ في صدق الطلب فالطريق للصادق لا للسابق فمن كان شأنه تغيير الفقراء من المقدمين وغيرهم يبتلى بالطرد عن حضرة القدس فيجب على المقدم أن يتفطّن لما يقع في الزاوية لئلا يبيت أحد الغرباء بجوع مع أن الفقراء مترفّهون فالدين مؤتلف بقلوب مؤتلفة فالجائع مع المترف المنعّم بلا مباشرة متنافران طبعًا فيجب إصلاح ذات البين وشأن المضيّف الإكرام وشأن الضيف الرضى ونحن إخوان في الله فوجب نزع ما يورث الضغائن وهو عدم مبالاة الأخ بشأن أخيه مرضًا وحضرًا وسفرًا وشبعًا وجوعًا فليس ذلك من شأن أهل السنّة السمحة وعلى كل حال فيجب على من كلّفه الله أن يباشر كل أحد من الفقراء فإنهم أولياء الله قطعا لأنهم اجتمعوا في الله وينهى من كان يذكر شأن الفقراء بغير كرم فإنهم منزّهون عن القبائح والرذائل فإن الله نزّلهم في ذروة المجد بالفطرة التجانية فيفطن وجوبًا لدعيّ دخيل في وسطهم من غير تصريح له به بل يباشره كما كان صلّى الله عليه وسلم يباشش المنافقين مع علم بواطنهم لكن وجب غضّ البصيرة فيسوسه في الله حتى يدخله في زمرة الصادقين وهو شأن الأطباء العارفين فإن كثيرًا ممن يدخل بينهم بقصد الاستهزاء فتقع عليه بركة عارف منهم فتسري فيه خصوصيته كآكلة كبد سيدنا حمزة فقال فيها ((**لا تجتمع كبد حمزة والنار أبدا**)) فافهمه وإياي وإيّا غيري مما يفعل من إخراج بعض الغرباء الخلاص في الصدق من الزاوية قهرًا فإنه مهلك سر أهل الزاوية إن سكتوا فإنه ضيف رسول الله ((**أفلا تتركون عبد الله في بيت الله**)) فالزاوية ليست لواحد بل لأهل الله بنيت لأجل ائتلاف قلوب في الله فطهارتها بعمارتها بأولياء الله لا بإخلائها منهم بحيث يخرج منها غريب وهو يبكي ويبتغي المقدم وغيره رضوان الشيخ وهو بعيد منه لأن الشيخ رضي الله عنه قال (**لا أدخل سوق أصحابي لأنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم**) فلا صلح له مع الشيخ إلا بمسامحة الغريب وإلا فأهل الزاوية بمعزل عن الرضى أفتغيّر حبيبه وتتملق له بأنواع المداهنة من الصلاة عليه ما أكذب من ادّعى محبة نبي وهو يكره واحدًا من أمته وأحرى إن غيره بالإذاية فلا يقدر على المسامحة إلا من راض نفسه فالزاوية دار للفقراء بسياسة والبواب لا ينصّب حتى يلين مع كل داخل لبيبًا عاقلاً فإن كان فظًا يعزل ويولّى غيره الله الله فيما شاهدناه في زواوي سيدنا من التبديل والتغيير فإنه سم قاتل مهلك لأهل البلد فكيف يزيّن عقلهم أن الضيف إذا نزل مقام غير

معروف لكنه معظم فإن أهله يعظمون ضيفهم غاية ويأتي الضيف إلى أكرم الخلق وأجلّ الأولياء فينزل بها ويبيت مكدّر الخاطر جوعًا وهتكًا لحرمته. فالتيقظ من شروط صحة العدل وكذا المقدم فلا يتولى على غيره إلا أهل القلوب السالمة والفراسة التامة والعلم النافع والمتبحّر في أحوال الصحابة وما وقع لهم في زمن النبوة وما طبّهم به صاحب الوحي وخلفاؤه بعده بحيث لا تنزل نازلة في الفقراء إلا وعرف مثلها في شأن الصحابة لأن أهلها صحابيون بالإرث منهم ووقعت قضايا لهم ولابد من وقوعها لأهلها وراثة دينية فيجب عليه إذا جاءه أحد أن يبيّن له سنده وإن أتاه من يطلب التجديد فليسأله بأن يقول له ما سبب الطلب فهل وقع له شيء في الطريق فإن قال لا يبحثه جدّا فإن زاد لا فإنه يسأله عن مقدمه فإن كان سنده صحيحًا مع الشيخ يحرّضه على مصافّته ويدلّه عليه ويبيّن له مقامه في الدين والخيرة وأنه من أهل الخصوصية فعليك به فإنه سند صحيح ومقامه في المعرفة عظيم وإن لم يرضك سنده بأن كان من أهل البطالة أو لم تظهر صحة ما عنده فأفض عليه ما عندك وأوصه بتعظيم حرمته وإن أخبرك بأنه منقطع بينه وبينه بأنواع القطع فلك النظر في أن تجبره إن كان صادقًا وهو أولى وفي أن تتركه لغيرك إن كنت ضعيفًا فإن لم يكن صادقًا فاتركه فادع له بالصلاح ووكّل أمره إلى الله ولا تنس دعوتك له وإنما ألمت لأنه يقع كثيرًا من يأخذ الإذن عن مقدم بركة فيجتمع بغيره فيجدد عليه ويهمل حق الأول الذي هو قادوسه ومنبع شرابه وأصل ربحه وحضرة سعادته وربما يزدريه فيقول أنا أخذت عن فلان يعني غير الأول وإن بحثته يقل أخذت الطريقة عن ذاك الفلاني ويشير له بلفظ البعد فتغار حضرة سعادته الأولى ويبقى مذبذبًا ليس بفقير ولا بغيره فإن مثاله من توضأ للظهر وهو على وضوء فإنه يستحب له تجديد الطهارة للعصر مثلاً بنية الاستحباب لا غير فالصلاة بالوضوء الأول وإن تبين نقضه قبل الثاني ذاهلاً عنه بطلت صلاته فلا ينفعه الثاني لأنه لم يقصد به رفع الحدث وإنما قصد به تنوير الأعضاء لا غير وكذلك من جدّد على الثاني وهو باق على الإذن الأوّل لكنه نسي حرمته فإن إذنه باطل لا ينفعه غيره ولو اجتمع مع جميع المقدمين إلا إن تاب وبيّن وجه القطع فيأذن له من له الإذن بنية الإدخال في الطريقة فتجد من وقع له ذلك كثير الآفات كثير الهموم والأحزان كثير الخواطر والوساويس فالمقدمون كلهم أيدي الشيخ رضي الله عنه وعنهم فمثال حضرة النبي صلّى الله

عليه وسلم بحر السعادة حلوًا عذبًا زلالاً خرجت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا من الأودية مختلفة صغرًا وكبرًا عدد الأنبياء والشيخ معهم في مشاربهم منه وله وجه عظيم خاص لمقام الكتم وهو ولي لا غير مزية من الله معه ثم إن الحق جل وعلا بنى صهريجًا كبيرًا وسدًا محكمًا وهو الشيخ رضي الله عنه اجتمعت فيه أودية الأنبياء من النبي صلّى الله عليه وسلم وأحاطت دائرته رضي الله عنه لحضرات الأنبياء جميعهم بحيث لم يشذّ شاذ عنه ثم انبعثت منه بالله الأودية والسواقي والينابيع والقواديس الغير المعلومة الحصر فالأودية وما بعدها راجعة إلى دائرته الأولى ثم انبعثت منها أودية وعيون ورشحات وقواديس فصرفت الأودية للملائكة والصحابة والعيون للأقطاب ورشحات للأولياء والقواديس للمقدمين. فالدائرة الأولى هو الخليفة وأركان دولته من الأمراء والمربين وكلهم أهل الخصوصية فلو اجتمع قطب في غيرهم وأهل مملكته وجمعت علومهم وأسرارهم ومراتبهم ما وصلوا جوهرة واحدة من جواهر واحد منهم فهم الطائفة الذين ضنّ الله بهم بحيث غارت الحضرة عن معرفتهم ولا تفشى مراتبهم لغيرهم ولو كانوا من الأقطاب الأكابر فإنهم طائفة المحبوبية نزلت فيهم محبة الله بلا سبب ولا علة ولا شرط فجرّدتهم من أنفسهم وغير وغيرية فيغضبها ما أغضبهم فهم في الظاهر جوامد نواقص والناقص الذي هو الكون أصل لكل موجود وكونهم مطلق في الحضرات كلها وهم ينسخون المرفوع على حسب ترتيب ملكهم وسياستهم وكونهم أصل لكل الأفعال المشتقّات وهم المصادر أي مظاهر الله ***وكونه أصلاً لهذين انتخب***[341] فلو قرأ واحد منهم صلاة الفاتح مرة وفرض أنه ضرب هذا العالم في مثله ألف ألف مرة وفرض أنه وجبت لهم النار وأهدى ثواب ما أعطي في المرة الواحدة لهم بنية تخليصهم من غضب الله لخلصهم من أنواع الشرور وهم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[342] مدحهم الله مع الثلة الأولى وهم الصحابة لمناسبة بينهم وهي التجريد من التعرض لشيء بل فانون صاحون مائزون على أتم التمييز فانون في بحر الألوهية تعلقًا وصاحون في بحر الخليقة تحققًا فلا يشغلهم أحد البحرين عن الآخر فكلهم عارفون عائمون في التعريف بأنوار الحاجز الأكبر صلّى الله عليه وسلم دائمون دائبون

---

[341] راجع ألفية ابن مالك رحمه الله.

[342] الواقعة 43.

بسفن الآداب بحضرة مولاهم ثم إنهم مع جميع أهل الطريقة وأهل أنوارهم من الأولياء خدام مستخدمون لكل واحد من أولاد الشيخ رضي الله عنه ذكورًا وإناثًا فلا يصل أحد منهم مقام بنت من بناته أبدًا إلى قيام الساعة وكلهم حسناتهم ومظاهر أنوارهم وعبيد دارهم فجميع ما عندهم من المراتب النورانية إنما هو عارية من أولاده الأطهار وهم ساداتهم وكبراؤهم وأمراؤهم وأهل الطريقة كلهم رعيتهم حتى الخليفة من غير الأولاد وإنما هو خليفة نيابة لا غير. وقد جلس السيد محمّد الكنسوسي في القطبانية العظمى نائبًا عنهم بإذنهم سبعة عشر سنة وما جلس فيها إلا لهم خدمة لجنابهم وصونًا مقامهم من خدمة الغير وكذا خليفته السيد العربي بن السائح رضي الله عنه جلس في مقام النيابة عن الله تسعة أعوام على نحو شيخه ولم يكن واحد من أهل الطريقة يفهم خلاف ما قلته وإنما بيّنته لما سمعت الناس ممن يطلب حقائقه يستشكله بأن قال يحرم على كل واحد أن يظهر بين أيديهم فمن ادّعى مقامًا قدّامهم فقد أساء ظانًّا أن المراتب والمقامات أمر كبير وليس كما زعمه لأنهم رضي الله عنهم نسخة الشيخ وسلالته حذو نعل بنعل فمثال النسخة مثلاً نسخة الإمام البخاري فمن يوم ألّفها مؤلفها لا زالت عن ماهية واحدة ومعنى واحد وإن اختلفت الرقوم فكلها لمعنى واحد من غير تبديل فكل من جاء من العلماء خدامها يظهر جواهر لا قعر لها ثم يجيء آخر ويفهم منها علومًا أخر وهكذا إلى آخر الدهر فكذلك هم رضي الله عنهم نسخة تجانية حسنية نبوية سلسلة ذهبية إلى آخرهم وأدرج في حقيقة كل واحد ماهية جوهرة النور التجاني والخليفة الظاهر من غيرهم لبس حلة واحد منهم ويظهر بها خدمة لهم ولأمة جدهم وطريقة أبيهم رضي الله عنهم فهم أصل لكل واحد ممن لبس حلة من حللهم وهو عبد لعزهم وقد ضمن النبي صلّى الله عليه وسلم الفتح الأكبر لكل واحد منهم ذكورًا وإناثًا وأن يشفعوا في ألف ألف رجل ومثلهم نساءً بحسب الأصل الذاتي وأما بحسب مراتبهم فلا تذكر لخفائها وهم كوثر الطريقة وينبوع أودية أهلها ولو كان ما كان حتى الخليفة الذي بمنزلة أبي بكر من النبي صلّى الله عليه وسلم عبد لكل واحد من أولاده رضي الله عنه وإنما تنوب المقدمون عنهم في توصيل الخير على وجه النيابة فإذا ظهر المنوّب عنه بطلت النيابة أي أحكامها لكن رضي الله عنهم لم يعزلوا واحدًا من المقدمين لمقام الأخوة بينهم وهي الصحبة النبوية لكمال رشدهم وأدبهم وهم ذروة الأدب فلو أردت أن

أتعرض لكل واحد منهم لأدّى الحال إلى التطويل وليس بغرض فاعرف مقامهم إجمالاً والتفصيل متعذر وهو أن أهل الطريقة بجذافرهم اندرجت ماهيتهم في ماهية كل واحد منهم اندراج الفرع في الأصل فهم أبدًا حماة الطريقة من التغيير والتبديل لأن يد كل واحد منهم قاهرة غالبة على جميع أهل الطريقة بحيث لو أمرت خادم منهم بإذن بنت من بناتهم بأمر لوجب على الجميع القيام بوفاء أمرها لسراية نور كل واحد في الجميع فذوات الفقراء أجزاء ساقية أودية بحورهم فلا تعرف ماهيتهم إلا على وجه الإجمال وهو أنهم ياقوتة الحقائق التجانية وسيادة سراة فرسان العارفين فكلهم غرقى في بحر التجريد والتفريد والتقريب فيجب على كل واحد منهم الذب عن سراياهم وحماية أعلامهم والدفاع عن حريمهم أهل طريقتهم فأهل الطريقة قائمون بالوظائف العبيدية وهم قائمون بوظائف السيادة فالسيّد له الأمر والعبد له الطاعة لأن كل بركة بيد العبد لسيده وكذلك كل بركة بيد الفقراء في السوادين والقاصي والداني إنما هو رشحة من رشحاتهم رضي الله عنهم فالداني لأحواز جدّهم يعطى نور جدهم الشيخ رضي الله عنه وعنهم فلا يظهر مقدم سر الولاية لسطوة جلاله والقاصي لابد في إظهار رسوم الأولياء والمشائخ لتفشو الطريقة ولابد من ظهور أسرار الشيخ رضي عنه بحيث يظهر مقدم بالولاية المعروفة عندهم لتكون الطريقة مشيّدة وفي بلد أولاده وفي قرب زاويته يكتفى بأنواره فلا يظهر منها صونًا لحرمة الشيخ رضي الله عنه فمن عنده شيء يكتمه لغيرة الحضرات ولذا ظهر الأولياء بالسودان وبسوس ونواحيها فكل من أخذ الطريقة بسوس تظهر عليه لوائح الفتح الأكبر لصفائهم خلقة تجانية.

ولقد اجتمعت مع سيدي محمود بن سيدنا محمّد البشير حفيد سيدنا الشيخ رضي الله عنه وعنهم فأخذتني الرحضاء ولم أستطع الوقوف ففشلت أشلائي فرأيته كأن البرق يخرج من عينيه الكريمتين وكأن الزلازل والصواعق بيني وبينه وكأن تنّورا اشتعلت في جبهته رضي الله عنه فأخذت عنه سر الطريقة فضلاً منه وإفاضةً منه وأنا ميت الصواعق والدواكّ والمراضيخ التجانية فلا يقدر أحد أن يتأمل فيه فهو يتلوّن كنور مضطرب لاتّصال بحر نوره ببحره صلّى الله عليه وسلم وإنما يفيض فيه أصل البحر النوري فتارة يرجع وتارة يموج فمن ستر الله عنه جمالهم يقدر على رؤيتهم ومن ظهرت له لوامع بروق رعدهم تلاشت رسومه بقربهم فيا سلامة أصحابه وأزواجهم وعبيدهم فسبحان الذي

أشرق نور سعادتهم في أهل الطريقة وأضاءت الأرجاء بأشعة ذواتهم فالطريقة حفظت بسطوة أنوارهم فلا يقدر أحد أن يظهر بدعة إلا وسيف خطابهم يمجّ دماء ظلمها في أودية الإهمال فجزاهم الله عن الأمة بما يناسبهم من أنواع الإعزاز والإكرام فقد افتتن عقل من اهتدى بغير نهجهم القويم فبجاههم احتمينا وبحريمهم احترمنا وبمهدهم سكنّا وبحجرهم احتجرنا وبسياسة دواوينهم اتّبعنا وبكلمتهم استمعنا وبدار دوائهم اشتفينا وبطريقتهم سلكنا وبأنوارهم استضأنا وكلّ ما بيد أهل الطريقة من الخزائن فلهم أصالة لأنهم أصحاب فتوحات مدن كل واحد منهم عنوة فقد جاء نور سراياهم إلى بلد الغافلين ففتحوا قلوبهم لمحبة الله وقد كان كل واحد جاهلاً بما يهديه لحضرة ربه فانفتحت بهم أسوار نحاس حجب الغفلة والسكرة المذهبة صميم الإيمان فتفتّحت بهم أكمام عرائس المخدرات والشموس المغيمات والأقمار الآفلات وأسعد الله بهم المغرب الإدريسي بعد استتار أقمار أحلاك الضمائر. فأول شمس شهدناها منهم العارف الأكبر والصديق الأعظم أبو المواهب والمكارم لابس حلة أسماء سماويّاته صلّى الله عليه وسلم من يستحي أهل الفضل أن يذكر شمائله فما هو إلا أن شمائله القرآن الكريم نسخة من قالت فيه سيدتنا عائشة لما سئلت عن شمائله ((**كان خلُقه القرآن**))[343] فأمسكت حياءً من أن تذكر منقبة لأصل أهل المناقب والمزايا والمفاخر فإن نطفة نبوية إذا تحققت علت على المعالي والمآثر بحيث لا توجد في الدنيا مزية تساوي مرتبتهم فالحسن لا يحتاج لحليّ وزينة فإن الحسن أصل لكل زينة كالحليّ الذي حلّت به زليخا الصفيّ يوسف عليه السلام لما أبرزته لأخواتها العاشقات فأماتت بحسنه المكلّل بالمحاسن سبعًا في شهقة واحدة فالحليّ هو المشرف بيوسف وكذا المفاخر هي المشرّفة بنطفة نبوية وسلالة تجانية سيدنا ومولانا محمود ماحي ظلام الغفلات والآثام فبطلعته أشرقت سماوات القلوب وأينعت عراجين مفاخر أرضها وأنبتت حلل أضحية أنوار أطعمة وأودية بساتينها فسبحان من أشرقه تواضعًا في أرض المغرب وأمصارها وهو حياة أرواح أجسام العلماء والعارفين أحيا به الله قلوبًا قفلاً وأنفسًا جفلاً وعقولاً مدبرات بشهواتها عن الله الستار حماية الضالين والمهتدين والهادين وعد الشيخ رضي الله عنه بأنه يفتح الله به ما بقي من الأوطان والبلاد وقاية الخلق من ألم القطيعة والحرمان دال أهل

---

[343] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 30/1.

الإرشاد لتام الرشد والرشاد وأهل الأهواء بساطع رقائق سيوف بروق محبته في كل دان وقاص فسبحان الذي أخفاه بكمال الظهور وأظهره بكمال الإخفاء والأخفى فهو طابع سعادتنا وخاتم رعايتنا تفتح به قلوب لم تره ولا سمعته بتجلّيه في أعلام خيال الحواضر والبوادي فما من واحد من أهل بلدنا إلا وقد رآه في عالم ماهيّته في علم ربه وهو طلائع الفتوحات المغربية وجيوش السعادة الأبدية فربحت نفوس أهل الطريقة بسرايا مقدّميه تربية بالعلم مشافهة وهو يرسل دائمًا جيوش بحار الحقائق العرفانية فانفتحت ظواهر الخلق بالمقدمين منه والبواطن بسيوف همّته النافذة بالله في كل أحد.

وقد أجازنا رضي الله عنه إجازة قوليّة مشافهة وطبع بخاتمه على إجازتنا من خديمه القطب الأشهر سيدنا ومولى نعمتنا السيد الحاج الحسين اليفرني أفاض الله علينا كوثره وزلال بحار جواهره آمين. فها أنا أرسم لك نسخة الإجازة المطبوعة بيده الكريمة المودعة فيها سر النبوة بأتمه ومخّ العبودية والعبودة التي أحاطت بجميع ما يعبد به الله على الإطلاق اعلم أن سيدنا القطب المذكور أجازني إجازة مطلقة قولية وهو قوله: أذنتك في الطريقة التجانية وجميع ما اشتملت عليه كتب الشيخ وكنانيشه وفي التدريس والأسماء والمسميات والأسماء والخواص والسور والآيات وفي جميع ما برز من الشيخ رضي الله عنه وفي جميع ما برز من ذات النبي صلّى الله عليه وسلم وفي التدريس حديثًا وتفسيرًا وفي جميع ما يعبد به الله على الإطلاق وتلقينًا لغيرك بشرط الخلوة أتدري ما الخلوة فقلت لا قال فالزاوية تعد من الخلوة سر أنت خليفتي. ثم أجابني لفظًا بخط يده إجازةً مقيدةً بالتلقين لا التقديم فقال فعند العيد تعال فإنك تجد إجازة كبيرة نجعل لك أن تعمل المقدمين على يدك وذلك وعد بها ثم جئت لزيارة الشيخ رضي الله عنه فأخذت مثل الإجازة القولية عن المقدم البركة العلامة السيد عبد الله القشّاش مقدّم الصويرة بمواجهة الشيخ رضي الله عنه وسنده الخليفة المذكور فقال لي في آخرها لا سيما وسندك هو الأصل لنا لأني لا آخذ إلا سنده رضي الله عنه عن الشيخ ثم كتبت له رضي الله عنه وأجازني برسالة أرسمها هنا تبركا سألته عن مطالب عدة وتفسير مراءي سنية وطلبت منه أن ينزّلني منزلة أولاده وهي الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه، ولدنا البركة العلامة وعلم أعلام السيادة قطب دائرة الكمالات وبدر السعادة الذي أحاطت به الفضائل إحاطة الهالات

السيد الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي أدام الله به النفع لعباده ووالى عليه سحائب أمداده وسلام كريم عليه سلام داع بطول بقائه ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله أما بعد فقد ضاق نطاق النطق عن استيعاب الكلام في جواب كتابكم الكريم لما اشتمل عليه من المطالب بيد أن جواب ما لابد منه في الوقت متعيّن أما قولك لم تعرف مرادي في الإذن هل دخل جميع الأذكار اللازمة وغير اللازمة ولو الفاتحة بالخاصية المعلومة فلا إشكال فيه على من مارس جواهر المعاني مطالعة لكن الإذن في قراءتها بنية دائرة الإحاطة ثلاثة مرات في كل يوم لا تتوقف في ذلك كما أبين لك إن شاء الله في إجازة أخرى مع بيان المانع من الزيادة على الثلاث فقصّر نظرك عليه حتى يأتي الله ﴿بِالْفَتْحِ أَوَ اَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾[344] وأما حزب البحر فدم على قراءته صباحًا ومساءً بنية التقرب إلى الله فقط وإذا زدت على ذلك النية نية خاصية الحفظ من الأعداء والأسواء فذلك إليك إن شاء الله وعلى ذلك أشياخنا رضي الله عنهم وأنت والحمد لله مجازى بذلك كلّه والفتش على دائرة الإحاطة والكيفيات التي كان عليها سيدنا من ذلك فلا سبيل إليه في الوقت بيد أنك إذا أردت أن توظّف على نفسك ما تقدر على توظيفه زائدًا على الأذكار في الطريق فلا توظّف عليها شيئًا إلا بعد إيناسك من نفسك الوفاء بذلك الوظيف وكذا من تلقّنه من الإخوان ما شاء من الأذكار بقصد التعبد وكذا بقصد التحصين مما خاصيته ذلك بشرط الأهلية المعروفة في ذلك وأوصيك أن تتحرى في التوظيف على نفسك وعلى إخوانك فكثيرًا ما يقع في ذلك من لا علم عنده بعظم الخطر فتصيبه المصائب إذا لم يف بذلك في بدنه وماله عقوبة له وخصوصًا فيما كان متلقى عند الشيخ رضي الله عنه من الحضرة المصطفوية عليها الصلاة والسلام ولهذا كان سيدنا رضي الله عنه لا يأذن في حزب البحر والأسماء الإدريسية إلا للخاصة من أصحابه وهذا في التوظيف بطريق الورد وأما الذكر بقصد التبرك من غير تقيد بوقت ولا عدد فلا بأس على فاعل ذلك إن شاء الله وأوصيك أيها الأخ بتقوى الله العظيم في السر والعلانية بقدر استطاعتك وأن تخلص العمل لله تعالى في جميع حركاتك وسكناتك وأن تتباعد عن العمل بالخاصية وعن ملاحظة الحظوظ في جميع مقاصدك فإن الاشتغال بالعمل للخاصية

[344] المائدة 54.

وملاحظة الحظوظ فيما يتوجه به المريد في طريقتنا من أكبر العوائق عن المراد فلا يحصل من ابتلي بذلك والعياذ بالله إلا على الكد والتعب وتراكم الظلام على قلبه لأن غيم الحظوظ يحول بين قلبه وبين الأنوار الفائضة عليه من حضرة الله وحضرة رسوله صلّى الله عليه وسلم وحضرة الشيخ رضي الله عنه وأكثر من يؤتى عليه في هذه الطريق فيتأخر عنه الفتح إنما هو من أجل هذا عصمنا الله وإياكم من ذلك والسلام وسلم منا على صاحبك القائد سعيد الدمناتي وعلى الفقيه السيد محمّد بن مبارك بن عبد الله الاخصاصي والمقدم الصالح السيد محمّد بن السلطان وعلى الإخوان على قدر الإمكان وكتب بأواخر ربيع الأول عام 1328 خديم الأعتاب التجانية الحسين بن الحاج أحمد الأفرني أمنه الله.

ثم تلقيت الإجازة المطلقة في كل مفعول ومقول التي كتبها رضي الله عنه في رابع عشر من جمادى الثانية عام 1328 للشريف الأرضى المقدم البركة نخبة المقدمين السيد الطيب بن أحمد بن العلامة صاحب الإفادة السيد الطيب السفياني بجميع ما احتوت عليه بعد أن تلقيت سر الطريقة بجميع ما احتوت من العارف الأكبر مولانا محمود بن مولانا محمّد البشير بن مولانا محمّد الحبيب بن مولانا الخليفة العظمى بالأصالة سيدنا ومولانا أحمد بن مولانا محمّد التجاني بعد أن تلقيت على سبيل الطريقة الأويسية من حضرة بحر روحانية الشيخ رضي الله عنه الإجازة المطلقة وهي مضمّن قوله لنا رضي الله عنه في عالم الخيال **أذنتك في طريقتي** فقبلت صدره الشريف ثم قال لي **أذنتك في طريقتي بنية الاسم الأعظم في جميع الأذكار منها** ثم قال **أنت رئيس العلماء وسيدهم وإمامهم** هذا في معرض جواب أجيب به عن بعض تآليف بعض شياطين الأغبياء ذابًّا به عن حريم سيادته بعد أن فصّل بيده فصوله وأبوابه لنا في كراس.

ثم تلقيت من العارف الراسخ صاحب فتوحات وكشوفات وأسرار وصاحب جد واجتهاد السيد علي الأساكي هذه الإجازة التي أرسمها هنا المختومة بخاتم سيدنا ومولانا محمود التجاني بعد أن تلقيت منه الإذن في تلقين كيفية المصافحة عن القطب السيد الحاج الحسين الأفرني وفي تلقين كيفية المشابكة عن سيدنا ومولانا محمود رضي الله عنه وصافحته وصافحني وأمر طلبته بأن يعقدوا كلهم معي المصافحة

والمشابكة لحسن ظنه رضي الله عنه وإنما اقتصرت على سنده رضي الله عنه لأنه روي عنه من أخذ عني فكأنما أخذ عن النبي صلّى الله عليه وسلم تنويهًا منه بصحة ما عنده من السند ولأجل قول الشيخ رضي الله عنه **هذا أستاذك فقصّر عليه همتك** بعد وفاته رضي الله عنه فإن لم يشتمل هذا الكتاب إلا على هذه الإجازة لكفاه فخرًا وشرفًا وهي زبدة ما سطرناه في توحيد الوجهة إلى حضرة الله وهذا موضعها

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمّد وآله الحمد لله هادي من استهداه والمستند إليه في جميع الأمور وكافي من استكفاه وأعتمد عليه في الورود والصدور أحمده حمد عبد هيأ له أسباب الوصول إلى جنة المعارف وأهّله لمنازل التخصيص فسحب على الأكوان زهوًا سوابغ المطارف

عـــبـد تخالجه زهــو بسيده * * والعبد يزهو على مقدار مولاه[345]

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمّد قطب دائرة الوسائل وقبلة التوجهات لكل راغب وسائل صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه مظاهر أنواره وينابيع حكمه وأسراره صلاة تزيح عن وجوه الحقائق أستار المجازات وسلامًا يجيزنا إلى حضرة الكرامات والرضى بألطف الإجازات. هذا وقد طلب بحمد الله السيد الجليل والسند الكامل الأصيل أبو الحسن السيد علي بن أحمد بن علي من تجظشت الأساكي الإجازة التامة العامة في جميع الأوراد الأحمدية المحمّدية التجانية وغيرها من جميع الأذكار والدعوات والآيات القرآنية وغير ذلك وكذا من يرى بمخايل الصدق أنه أهل للتقديم بشرطه

---

[345] **قـــوم تخالجهم زهو بسيـــدهم والعـــــبد يزهـو عـلى مقدار مـــولاه**
تاهوا برؤيته عما ســـواه لـــه يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا
راجع إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت505هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 1425هـ/2004م، 5/424-425.

المعتبر في تلك الطريقة فحمدنا الله تعالى على ما أسداه من منه إلينا وتفضل به من نعمه علينا حيث أهّلنا سبحانه بمحض جوده لموالاته ومزيد التأكيد لمؤاخاته في ذاته جل وعلا ومصافاته

ما كنتُ أهلاً وهم رأوني * * لذاك أهلاً فصرتُ أهلاً

وعساه بفضله سبحانه الواسع العميم أن يديم علينا الانتماء إلى ذلك الجناب العظيم ذي الطول الجسيم بجاه عين الرحمة صلّى الله عليه وسلم وأيم الله لقد نفخ هذا الطلب الأكرم والخطاب الأفخم في رميم أحوالنا أرواحًا وأمال من روض آمالنا أدواحًا غير أنه لحقنا من شدة الخجل ودهمنا من فادح الوجل ما تخوّفنا منه على أنفسنا وكدنا أن نغيب به عن إحساسنا لعلمنا بما نحن عليه من القصور والتقصير وأننا لسنا من أهل ما طلبه منا في العير ولا في النفير وما ذلك إلا أنه أعزّ الله جلالة قدره لما له في مولانا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه من كمال المحبة وصفاء الوداد وفي أصحابه رضي الله عنه من جميل الاعتقاد وقد تجلّت صورة كمالاته رضي الله عنه في مرآة فكره الزاهر فانغمست بنورانيته حقائق سره الطاهر فأحاله من أجل ذلك حسن الظن الذي هو للمتقين الذين يؤمنون بالغيب كالعرض للجوهر على أن استجازني بالإجازة الموصوفة وأسرج العزم منه جياد الرغبة في ذلك وألحّ فلم أزد على التردّد في الإقدام والإحجام حيث ألزمني من هذا الأمر الخطير ما لا يلزم ثم وقفت متثبّتًا حيث رأيت فراسته النورانية قد جعلتني في هذا السبب الأعظم عمادًا ولضمائر هذا الأمر الأنجح معادًا فلم أزل أراجع البصر وأعاود النظر فيظهر لي أن الإقدام على ما رمته مني من أعظم الغرر وأكبر الخطر وهل تطر إلا الناعلة وتستدر إلا السحاب الحافلة حتى لاح لي في خلال ذلك أن القوي لا يزال يستمد من الضعيف ليربيه والكامل لا يزال يأتمّ بالناقص ليرقّيه فرأيت أن التعرّض لأمداد هممه العلية المبادرة إلى امتثال إشارته السنّية فاستخرت الله حينئذ في إسعافه عسى نفحة تهب من خزائن الرحمة الوهبيّة فتشملني معه بركة حسن نيته وجميل إنصافه.

(فأقول) مستندًا إلى حول الله وقوته معتمدًا على فضله ومنته مستمدًا من فيوضات الأنوار المحمّدية متوسلاً بالهمم الختمية والذمم الكتمية قد أجزت لك أيها الأخ الماجد الماسك أسباب العناية

الربانية إن شاء الله تعالى بأقوى السواعد في ورد شيخنا وقدوتنا ووسيلتنا إلى ربنا الخاتم الأكبر والقطب المكتوم الأشهر سيدنا ومولانا أبي العباس التجاني الشريف الحسني رضي الله عنه ذكرًا وتلقينًا لمن رغب فيه منك من جميع المسلمين والمسلمات بعد قبوله الشروط المشروطة والتزامه الآداب التي هي بغاية الحسن والكمال منوطة وكذا في الوظيفة المعلومة وذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة التابعين للورد الأصلي المشمولين باللزوم معه وكذا في جميع ما ثبت أنه مروي عن سيدنا رضي الله عنه ومتداول في طريقه من الأذكار والأحزاب والأدعية والنوافل الموقّتة بالأوقات المرعية جاعلاً لك أيها الأخ بحول الله وقوته في هذا الإذن وهذه الإجازة أن تأذن وتجيز لمن يظهر لك تقديمه لذلك من ولد ومريد بما يقتضيه نظرك في ذلك من الإطلاق والتقييد لكن بشرط الأهلية المعتبرة عند أهلها كما يأتي بيانها إن شاء الله تعالى على النهج المعروف والسنن المألوف. وليس أمر التقديم لتلقين الأوراد كتلقين الأوراد فالأوراد تلقن لكل من طلبها على أي حالة كان بعد قبوله شروطها بل لابد فيه من اعتبار الأهلية عقلاً ودينًا حسبما هو مشروط في عدل الرواية. فليحذر المشفق على نفسه ودينه مما كان عليه العامة اليوم من التساهل في ذلك جبر الله أحوالنا جميعا بمنّه. وذلك بما أجازني به شيخنا ووسيلتنا إلى الله تعالى أبو عبد الله السيد محمّد بن محمّد الكنسوسي القرشي الهاشمي الجعفري رضي الله تعالى عنه المتوفى في المحرم عام 1294 عن شيخه الشريف البركة الصوّام القوّام الذاكر التالي الناصح الأمين السيد محمّد الغالي أبو طالب الفاسي المتوفى في حدود اثنين وأربعين ومائتين وألف بأحد الحرمين الشريفين مجاورًا هناك رحمه الله ورضي عنه عن شيخه أيضًا بقصد التبرك ولي الله العارف الكامل الولي المتصرف الواصل ذي الهمة العالية والأسرار والأنوار والأحوال الصادقة بحر الحقائق ومشرق الرقائق من هو من أصحاب سيدنا رضي الله عنه بمنزلة أبي هريرة رضي الله عنه من الصحابة في حكاية الغرائب والعجائب التي لم يشدها غيره أبي عبد الله سيدنا ومولانا محمّد بن أبي النصر الفاسي منشئًا وقرارا العلوي السجلماسي أصلاً وقد أذن له رحمه الله تعالى في جميع الأسماء والمسميات وكان من خاصة سيدنا رضي الله عنه ممن طالت ملازمته لبابه قال لي شيخنا أبو عبد الله الكنسوسي رضي الله عنه أنه أخبره أنه ما فاتته فريضة قط خلف مولانا الشيخ رضي

الله عنه نحو ست عشر سنة وكان ساكنًا في جواره ويطّلع على ما لا يطّلع عليه غيره من أحوال الشيخ رضي الله عنه من الكرامات التي أجراها على يده قال وحدثني بما يبهر العقول لأن له عناية عظيمة به وما فارقته أمداده رضي الله عنه بهمته طرفة عين. وقد أخذ أيضا بقصد التبرّك عن البركة الحجة الزاهد العارف المجاهد الذي ما ذاق طعم المنام منذ فارق الشيخ رضي الله عنه إلى لقاء ربه ذي الإشارة النافعة والأنوار الساطعة والأسرار الفائضة أحد خاصّة سيدنا الشيخ رضي الله عنه السيد الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي رحمه الله ورضي عنه فقد أذن له الإذن العام المطلق التام في كل مفعول ومقول وكتب له بخط يده الشريف بالتقديم والإذن في تلقين الأوراد وجعل له أن يقدّم من شاء بلا حصر وأذن له في جميع الأسرار التي خصّه الله به دون غيره من الشيخ رضي الله عنه لأنه خزانة سرّه وخزانة سرّ الواسطة الأعظم السيد الحاج علي حرازم الذي قال فيه سيدنا الشيخ رضي الله عنه إنه لا يصل منا إلى أحد شيء من الأسرار والأنوار والفيوضات إلا على يد سيدي الحاج علي حرازم وقد لزمه صاحب الترجمة منذ فارق الشيخ رضي الله عنه حتى توفي ببدر محل الواقعة التي لاحت أنوار فتوح الإسلام فيها متوجهًا للمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وذلك في حدود ثمانية عشر ومائتين وألف والله أعلم ثم بعد وفاته رجع من المشرق وقد ظهرت عليه بركة صحبته وخدمته فلازم الشيخ رضي الله عنه حتى توفي رضي الله عنهم وهو عنه راض وبالجملة فصاحب الترجمة ممن حاز قصب السبق من أصحاب سيدنا وممن حاز الخصوصية من الولاية وناهيك من ذلك ما حدّث به عن نفسه من أنه رآ النبي صلّى الله عليه وسلم في واقعة ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال لهما النبي صلّى الله عليه وسلم مخاطبًا للشيخين المذكورين رضي الله عنهما أكتبا هذا في ديوانكما فهذه منقبة عظيمة وكرامة جسيمة لا يقدّر قدرها رضي الله عنه. وأخذ أيضًا بقصد التبرّك عن الولي الكبير الشهير بالأسرار الربانية والأنوار الكتمية الشريف المنيف سيدنا ومولانا محمّد الطيب السفياني الفاسي والأربعة كلهم أخذوا عن القطب المكتوم الخاتم المحمّدي المشهور سيدنا ومولانا أحمد بن محمّد التجاني الشريف الحسني رضي الله عنه وهو أخذ عن سيد الكاملين وخليفة رب العالمين سيدنا ومولانا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم.

هذا سندنا وصله الله بحضرة رضاه وقبوله وعصمنا من التبديل والتغيير والانحراف عن سواء السبيل. ولنا سند آخر عن الخليفة الأعظم العارف الأكرم من اتّفق جلّ أهل عصره بخصوصيته العظمى وولايته الكبرى سيدنا ومولانا محمّد العربي بن محمّد بن محمّد السائحي الشرقاوي العمري رضي الله عنه وأرضاه وذلك بما أجازه به سيدنا المقدم الفاضل المكرم الناسك الأبرّ الصائم أبو عبد الله السيد محمّد الهاشمي بن محمّد السراغني دفين زاوية عين ماضي ضجيعا للعارف الأشهر الواسطة الأكبر أبي عبد الله السيد محمّد بن العربي الدمراوي التازي رضي الله عنهما وهو بما أجازه به المقدم الأسمى البركة العظمى أبو عبد الله السيد محمّد ابن عبد الواحد بناني المصري رضي الله عنه وهو بما أجازه به سيدنا الشيخ الأكبر مولانا أبو العباس التجاني الحسني رضي الله عنه وأرضاه وجعلنا جميعا دنيا وأخرى في حماه الإجازة المطلقة وإنما حصلت لشيخنا صاحب الترجمة أعني شيخنا أبا المواهب السائحي بهذا السند المذكور إلى الشيخ رضي الله عنه وبسنده أيضا إلى الشيخ الإمام العمدة أحد أركان هذه الطريقة وأحد مشاهير ورثة سرّ سيدنا رضي الله عنه أبي عبد الله السيد محمّد الحافظ العلوي الشنجيطي رضي الله عنه فقد حصل له الإذن المطلق العام من الشيخ رضي الله عنه إلا أن المقدم بهذا السند الحافظي لا يقدّم إلا عشرة وهكذا حسبما صرّح به صاحب **الجيش** رحمه الله تعالى فليتنبه لذلك في هذا السند ووقع لشيخنا أبي المواهب السائحي أيضا ما يقتضي الإطلاق المذكور فيما أجازه به مكاتبة فرد زمانه وشمس أوانه حامل راية الطريقة التجانية ووارث أسرارها الصمدانية سيدنا أبو الحسن الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني رضي الله عنه ولفظه في إجازته المذكورة فكل من أخذه عنه نفعه الله ونفع من أخذ عليه اهـ قال أبو المواهب لما تكلّم عليه ما نصّه: وهذا وإن كان فيه إجمال فلا بأس بملاحظته حين التلقين والتقديم تقويةً لغيره بما تقدّم مفصّلاً وتبرّكًا بهمة هذا السيد الجليل القدر رضي الله عنه ومن المعلوم أن العامل على تغليب حسن الظن في باب التبرك غير مؤنب ولا ملوم والله الموفق (وهنا تنبيه) تتم به الفائدة عند كل لبيب نبيه وهو أن يعلم أن هذه الإجازة المطلقة العامة الخالية عن كل تقييد وحصر مّا بحيث يجعل المجيز لمن أجازه أن يجيز في جميع أوراد الطريق اللازمة وغير اللازمة وأن يقدّم لذلك من يشاء ويجعل له ذلك أيضًا وهلمّ

جرا إلى آخر الدهر لم تقع من سيدنا رضي الله عنه إلا لأفراد من خاصة أصحابه منهم الخليفة الأعظم العارف الكبير سيدنا أبو الحسن علي حرازم الشهير كما صرّح بذلك في إجازته رضي الله عنه ونصّه: أجزت وأذنت لحبيبنا وصفيّنا ومحلّ ودّنا وأنسنا ومن له المحبة الكاملة الذاتية السارية من سويداء قلوبنا وسرنا كاتب الحروف علي حرازم ابن العربي برادة المغربي الفاسي دارًا ومنشئًا وقرارًا إجازةً عامةً مطلقةً خالدةً تالدةً قلبًا وقالبًا وحالاً ودوامًا وانصباغًا بما لدينا من العلوم الظاهرة والباطنة والأسرار والفيوضات والتجليات والترقيات والفتوحات والأنوار في مدارج المقامات والإرادات والأحوال والأطوار وفي جميع ما أخذته من النبي صلّى الله عليه وسلم تلقينًا منه ومشافهةً من العلوم الظاهرة والباطنة والأسرار والخواصّ والأحوال والأذكار وفي الورد المعلوم الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلّى الله عليه وسلم ومن إملائه الشريف وقدره المنيف في الطريقة المحمّدية وبما اشتملت عليه من الأسرار والأنوار الأحمدية وفي جميع الطرق والأذكار والصلوات والأسماء والآيات والسور وجميع الأسماء والمسميات والاسم الأعظم الكبير الذي هو خاص برسول الله صلّى الله عليه وسلم وجميع تراكيبه وأسراره وعلومه وفيوضاته وأنواره وجميع تصرفاته عمومًا وخصوصًا تقييدًا وإطلاقًا وإجازةً وإذنًا عامًّا تامًّا شاملاً لأنواع التصرفات بأسرها والدعوات بأنواعها وأسرارها وعلومها وتصرفاتها أبدًا سرمدًا خالدًا تالدًا إلى يوم الدين وقد أقمناه مقامنا في إعطاء ما لدينا من الأذكار والأوراد والصلوات والعلوم والأسرار والأحوال والتجليات والترقيات والدقائق والرقائق والأنوار وأقمناه مقامنا بدلاً عن أنفسنا وعن روحنا ومقام قدسنا فهو القائم عنا في حضرتنا وغيبتنا وفي حياتنا وبعد مماتنا فمن أخذ عنه فكأنما أخذ عنا مشافهةً سواءً بسواء لا فرق ومن عظّمه فقد عظّمنا ومن احترمه فقد احترمنا ومن أطاعه فقد أطاعنا ومن أطاعنا فقد أطاع الله ورسوله ومن خالفه فقد خالفنا ومن خالفنا فقد خالف الله ورسوله اهـ محل الحاجة وإنما كتبنا ما كتبنا من إجازته ليحيط الواقف عليه علمًا بمعنى الإطلاق في حقه وبمعناه في غيره لأن هذا غريب لم نطلع عليه فيما رأيناه من إجازات أسيادنا وأساتيذنا من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه وعنهم أجمعين وقد صحّ كما فهم من نص الإجازة وفيما وجدناه في الكنانيش التي تنسب للطريقة الأحمدية أن الشيخ رضي الله عنه خلّفه بإذن من النبي صلّى الله عليه وسلم

وصحّ أيضا رضي الله عنه أنه قال فيه **كل ما قال سيدي الحاج علي حرازم فأنا قلته** وذلك من سيدنا رضي الله عنه غاية التنويه بقدره والتصريح منه بأنه خليفته حيًّا وميّتًا نسأل الله تبارك وتعالى أن يسلك بنا مسالكهم وأن يجعلنا ممن يحبهم محبة ما إلى يوم لقائه. ومن الذين لهم الإطلاق في الإجازة السيد الحاج علي التماسيني الذي تقدّم ذكره وهو الذي صحّ عن الشيخ رضي الله عنه أنه قال مجيبًا لمن قال له كل من أذنت له فهو السيد الحاج علي وأين مثل السيد الحاج علي يا فلان وكررها رضي الله عنه وفي هذه المقالة غاية التنويه من الشيخ رضي الله عنه بقدر هذا السيد الجليل نفعنا الله ببركاته إلا أن الإجازة بالإطلاق العام لم تقع منه لأحد فيما بلغنا من سيره مع كثرة من قدّمه من المقدمين لأنه بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه ظهرت عليه آثار الفتح الكبير وتصدّى للتربية في الطريقة فظهر عليه فيضان وجداني لا يوجد مثله إلا في كمّل المشائخ فصار الناس يأتونه من سائر الآفاق للأخذ عنه والتبرك به قال شيخنا أبو المواهب السائحي أخبرني ثقة أنه كان أتاه في زاويته زائرًا فاتّفق أن اجتمع عنده في مدة إقامته لديه نحو مائتي رجل كلهم يطلبون التقديم أي الإذن منه رضي الله في إعطاء الورد وكلهم من الآفاق البعيدة اهـ ومع هذا كله لم نطلع من جهته على الإجازة المطلقة لأن المقصود يحصل في الإجازة القاصرة ومن الذين أجيزوا بالإطلاق منه رضي الله عنه الشيخ محمّد الحافظ المذكور وأمره في ذلك شهير وجلّ من تخرج على يديه بل كلهم علماء فضلاء عدول نبلاء ومنهم الشيخ الولي الصالح الناصح أبو سالم السيد عبد الله بن حمزة العياشي المعروف بسيدي عبد الله عياش أحد حفدة الشيخ أبي سالم العياشي صاحب الرحلة ومن جملة ما فيها من الشروط ألا يصافح الملقن بيديه يد امرأة ليست بذات محرم له ومنهم السيد محمّد بن عبد الواحد بناني المصري المتقدّم الذّكر ومنهم المقدم البركة الصالح سيدي الحاج المفضّل السقاط الفاسي المتوفي بأقني بأرض مصر فقد أجازه الشيخ رضي الله عنه بالإطلاق العام من فاس وهو بالبلدة المذكورة. وأما السيد محمّد الغالي الشريف الماجد الأصيل (قال شيخنا أبو المواهب السائحي) الذي ثبت عنده بالتواتر القطعي أن الشيخ رضي الله عنه إنما أجازه بالإذن المقيد وهو أنه جعل له أن يقدّم أربعة من الناس وكل واحد من الأربعة المذكورين يقدّم أربعة لا غير (قال شيخنا أبو المواهب السائحي) هذا هو الثابت عندنا في الواقع له

من الشيخ رضي الله عنه وأحد الأربعة ذوي الدرجة الثانية المقدم العلامة أحد أركان الطريقة بلا ريب أبو عبد الله محمّد بن قاسم المكناسي رحمه الله والناس يأتونه من أقاصي البلدان فيطلبون منه الإجازة المطلقة فيمتنع ويصرح بأن الإذن عنده إنما هو في الورد أي في تلقين الورد اللازم لا غير فإذا ألحّوا عليه وطلبوا منه أن يكتب لهم بخط يديه تبرّكًا أجاز لهم في ذكر الورد لا غير (قال شيخنا أبو المواهب) رضي الله عنه في بعض تقاييده: وهو الآن بقيد الحياة وإنما يأتونه من أقاصي البلدان لأنه بقية السلف في الطريق لم يبق أحد بهذه الديار المغربية أقدم منه صحبة للشيخ رضي الله عنه. قال والظاهر من عمل الشيخ عمر الفوتي الإطلاق نصه في الرماح من إجازة سيدي محمّد الغالي للفوتي: وقد أجزناه في جميع ما في هذه الأسطار إجازة تامة مطلقة نفعه الله بذلك قيده سيدي محمّد الغالي يوم الإثنين الثاني والعشرين خلت من ذي حجة بمكة المشرفة سنة 1244 اهـ وهو مقدّم من قبل السيد محمّد الغالي بل الذي يجب اعتقاده جزمًا عملاً بحسن الظن بهذين السيدين الجليلين العالمين الأشهرين أن السيد محمّد الغالي حصل له الإذن المطلق في رحلته المشرقيّة التي لقيه فيها الشيخ عمر المذكور إمّا بواسطة من لقيه في وجهته ممن كان بها من المقدّمين كالسيد محمّد بن عبد الواحد بناني والسيد الحاج المفضّل السقاط المذكورين وإمّا سراية من روحانية الشيخ رضي الله عنه أو عن روحانية النبي صلّى الله عليه وسلم ولا بعد في وقوع ذلك لأمثاله رضي الله عنه. وإنما ألممت بهذا التنبيه هنا ليكون الواقف عليه على بصيرة من أمر هذه الإجازات التي هي بأيدي الناس وغيره خافٍ أن معرفة السند متأكدة لأنه من عمد أركان الدين وقد شاهدنا من فعل بعض من ينسب إلى الطريقة والتقديم ما لا ينبغي أن يذكر من البدع وتقديم من لا يصلح لذلك من غير اعتبار شرط الأهلية بل فاعل ذلك متهاون بوصايا سيدنا الشيخ رضي الله عنه للمقدّمين وربما يئول به ذلك إلى الانسلاخ في الطريقة والعياذ بالله كما صرّح بذلك الشريف الأصيل السيد محمّد الغالي في إجازته للشيخ عمر بن سعيد الفوتي ونصه: وأذنته أن يقدّم من طلبه إلى ستة عشر رجلاً وكل واحد يقدّم أربعة بالشرط المعلوم ومن خالف شرطنا فهو مرفوع عنه الإذن ا.هـ (**ولنا أسانيد أخر في الطريقة الأحمدية أنار الله برهانها**) منها الإذن العام بالقول من شيخنا شيخ العلوم النقلية والعقلية في عصره والمبرّز فيها على

جميع أقرانه من أهل مصره الحديثي الكامل والأصولي الفاضل المحقّق المشارك الموفّق المِسنّ البركة شيخ الجماعة في وقته سيدي أحمد بن أحمد البناني الفاسي رحمه الله ورضي عنه كان كثير الذكر والتلاوة ويقوم طرفًا من الليل وحجّ وزار وحصل له هناك ظهور واشتهار وعالمًا عاملاً بطريقة شيخنا التجاني رضي الله عنه أخذها عن السيد الحاج عبد الوهاب بن الأحمر وسيدي محمّد ابن قاسم المكناسي وهما عن الخاتم الأكبر والغوث الصمداني الأشهر سيدنا ومولانا أحمد بن محمّد التجاني رضي الله عنه وهو أخذها عن سيد الكاملين ورسول رب العالمين وهو أخذها عن الروح الأمين سيدنا جبريل عليه السلام وهو عن الحق جل جلاله. وهذا سندنا والحمد لله وقد اتّصل بالحضرة المصطفوية اتّصالًا واضحًا وبيّنا فيه أن الطريقة التجانية طريقة محمّدية والطريقة لا طريقة تساويها لأمور ذكرها الشيخ أبو المواهب السائحي رضي الله عنه في مقدمة شرحه **بغية المستفيد** وأنها تفضل غيرها من أحد عشر وجهًا فلينظره وشيخنا صاحب الترجمة ملازم للزاوية الأحمدية بفاس صانها الله من كل بأس إلى أن توفي قرب شروق الشمس يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى عام ستة وثلاث مائة وألف رحمه الله تعالى ورضي عنه (**وأما كيفية التوجهات بالأذكار والأحزاب**) فالكل ظاهر على حسب ما بيّن في كتاب **جواهر المعاني** إلا أن الإشارة ببيان بعض ذلك مطلوب فأما ما كان من قبيل الصلوات ذات الركوع والسجود فلا نحتاج لذكرها لأنها منصوص عليها في محلها من الكنانيش ككتاب **الإحياء** للغزالي وكتاب **القوت** لأبي طالب المكي وكتاب **جواهر الخمس** للغوث الشطار رضي الله عنهم فلا مزيد على ما أثبتوه في مؤلفاتهم المذكورة (**وأما الحزب السيفي**) فهو من الأوراد الموقتة بالصباح والمساء فيقرء مرة في الصباح ومرة في المساء بطريق الورد لمن أراده في ذلك وردًا وقدر عليه ويقصد به قارئه التعبد لله لا غير ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[346] ﴿وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[347] بالعمل الصالح وهو الخالي من شوائب الحظوظ النفسانية وفقنا الله جميعا بمنه وكرمه (**وكذا الدعاء يا من أظهر الجميل**) فهو من أوراد الصباح والمساء أيضا ويقرأ عشرين مرة موزعة على

---

[346] البينة 5.

[347] المائدة 37.

الوقتين عشر في كل وقت ولمن شاء أن يوزع العدد المذكور منه على أوقات الصلوات المفروضة أن يقرأه أربع مرات دبر كل صلاة مكتوبة فذلك موكول إلى نظر الآذن في حال المأذون وما يناسب حاله. وأما المائة والألف من أحد الأمرين أو هما معًا فهي في الصباح والمساء لمن أراد المواظبة على ذلك بطريق الورد وإلا فعند الحاجة إلى التوسل بذلك في جلب أو دفع وهو من الأمور التي تسرّع بالفرج وقضاء المآرب بإذن الله تعالى فلا يتجاوز المواظب عليه ثلاثة أيام إلا وقضيت حاجته بفضل الله وأبلغ من هذا في العمل به المواظبة عليه دبر كل صلاة مكتوبة عند اشتداد الأمور ويقدّم ذاكره المائة من صلاة الفاتح لما أغلق ويعقبها بألف من يا لطيف ثم يختم بما تيسر من صلاة الفاتح لما أغلق عشرًا أو أربعًا أو مرة واحدة (وأما **الدور الأعلى**) فهو من أوراد الصباح والمساء لمن أخذه بطريق الورد فيقرء مرة في الوقتين وإلا فعند الحاجة للتحصين وكيفيته التي ذكرها صاحب **الجيش** لم يبلغنا الأمر بالعمل عليها من الشيخ رضي الله عنه فلعله نقلها عن تآليف بعض أهل الطريق كما وقع له ذلك في غير هذا فليتنبّه لذلك فإن الوقوف عند ما حدته المشايخ الكمّل في طرقهم واجب في حق المتقيد بطرقهم كما لا يخفى إذ كلهم مجتهدون وليس قول المجتهد في مسألة بحجة على غيره لما هو مقرّر. وبالجملة فالسر في الصدق ومن أعظم آثار الصدق الوقوف عند إشارة الكمّل وعدم تخطّيها إلى غيرها باختيار من المتقيّد بطرقهم والله وليّ التوفيق وأقلّ ما يلحق المريد من شؤم التخطي لما حدّه شيخه أن يتعسّر عليه الفتح إن لم يتعذر أو يتعطل فاعل ذلك أو يتبطل والعياذ بالله (وأما **حزب البحر**) فهو من أوراد الصباح والمساء فيقرء مرة مرة في كل من الوقتين بنية التعبد لله لا غير ولا يؤذن فيه إلا للخاصة كما كان عليه عمل سيدنا الشيخ رضي الله عنه ومن قصد به التحصين فليداوم عليه بنية ذلك ثلاثًا صباحًا وثلاثًا مساءً (وأما **الأسماء الإدريسية**) فإن أردت أيها الأخ التوجه بها إلى الله بنية الخواص كلاً أو بعضًا فعليك بالجواهر الخمس للغوث الشطار لتقف على ما تريد من ذلك وقد علق على العمل بها بشروط قلّ من يقدر عليها الآن على أن المختار في طريقتنا الأحمدية بل الذي عليه العمل المعوّل عليه هو التوجه بصلاة الفاتح لما أغلق التوجه الصحيح فإن فيها كفاية المهمات كلها كما لا يخفى. وما

بقي من كيفيات الأذكار ينظر في كتاب جواهر المعاني وغيره من كتب الطريقة (وفي **شرح منية المريد المسمى ببغية المستفيد**) مطالب الطريقة كلها وكيفيات الأذكار وغيرها والله ولي التوفيق.

((**تنبيهات**)) **الأول** في وصية سيدنا الشيخ رضي الله عنه للمقدمين ألا يقدموا إلا من استوفى شروط الأهلية كما في **جواهر المعاني** على نقل شيخنا أبي المواهب في **بغية المستفيد** مقدّما الكلام على معنى الأهلية قال رضي الله عنه: وإنما يعطى هذا الورد المحمّدي الشريف ويلقّن هذا السر الأحمدي المنيف من حصل له الإذن الصحيح باللفظ الصريح من سيدنا الشيخ رضي الله عنه أو ممن حصل له ذلك منه ولو بواسطة أو وسائط تجدّدت إلى آخر الدهر وإن تكاثرت وتعددت لأن الدهر لا يخلو ما دامت الدنيا عمن يلقن أوراد هذا الإمام لضمان النبي صلّى الله عليه وسلم له رضي الله عنه بقاء طريقه ببقاء الليالي والأيام ثم إن الإذن والتقديم أي في تلقين الورد تشترط فيه الأهلية على السنن المعروف والنهج المألوف فليس الإذن عندنا في تلقين الورد جريًا على الإذن في ذكره فقط كما يفهمه من لا علم عنده فإن الإذن في ذكر الورد لا يشترط فيه عندنا إلا عرض الشروط المتقدمة المشروطة فيه على مريد الدخول في الطريق ويقررها له حتى يتعقّلها فإن قبلها أذن له في الورد أيّا كان من المسلمين ذكرًا أو أنثى كبيرًا أو صغيرًا حرًّا أو عبدًا طائعًا أو عاصيًا من غير توقّف في شيء ولا نظر إلى شيء إلا إلى ما ذكر من قبول الشرط فقط. وأما الإذن في تلقينها فتشترط فيه مراعاة الأهلية فلا يؤذن في ذلك إلا لمن ظهر عليه من الشواهد الحالية ما يفيد غلبة الظن في تأهيله لذلك وقد صرح سيدنا رضي الله عنه بهذا فيما وقفنا عليه من الإجازات بخط يده المباركة وهو من المتّفق عليه من جميع أيمة الطريق قديمًا وحديثًا واستأنسوا رضي الله عنهم فيما استندوا إليه فيه بنحو قوله تعالى ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾[348] ونحو قوله تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[349] الآية ونحو قوله تعالى ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

---

[348] ص 25.

[349] النحل 125.

إِتَّبَعَنِي﴾[350] وغير ذلك باتّباع الحق وترك اتّباع الهوى والدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة وعلى بصيرة هو معنى الأهلية المشروطة عند أهل الطريق فلا يوجد الإذن في التلقين إلا حيث توجد الأهلية ولا ينشأ عنها ولا تنبني إلا عليها فالإذن بلا هي من حيز المستحيل الوجود بالنسبة للمتعارف عند أهل الطريق المتفق عليه فيما بينهم في القديم والحديث ومعنى الأهلية عندنا تقريبًا معرفة ما لابد منه مما يتعلق بالورد كأركانه التي لا يقوم إلا منها ومعرفة وقته الاختياري والضروري ومعرفة شروطه التي لا يصحّ إلا معها وكذا الكمالية أيضًا ولا أقل من معرفة شروط الصحة ثم معرفة ما يبطله وما يدخله من النقص والخلل وما ينجبر به ذلك ثم ما يلزم مريد الدخول في الطريق عند إرادة الدخول وبعده ثم معرفة الأذكار اللازمة بلزوم الورد الأصلي وما لها من الأوقات وما يقضى منها كالورد وما لا يقضى إذا فات وقته كالهيللة بعد عصر يوم الجمعة فبمعرفة هذه الأمور يصح رجوع إخوانه إليه فيما أشكل عليهم أو يعرض في أمر طريقهم ثم بعد هذا معرفة ما يراد من الدخول في طريق المشايخ وفي أي شيء ولأي شيء يصحبون وأن النفع في صحبتهم مقصور على شهود أمرين الأول أن يعلم أن الشيخ المراد صحبته والدخول في طريقه ولي لله تعالى فيصحبه ويدخل في طريقه لتجذبه موالاته لموالاة الله تعالى والأمر الثاني أن يعلم أنه من عبيد الحضرة الإلهية وأنه عارف من طريق التعريف الإلهي مكاشفة ومنازلة بما للحضرة من الآداب فيصحبه ليدله على ذلك ومن صحب المشائخ ودخل في طريقهم بغير هذين الأمرين فقد خسر الدنيا والآخرة قاله سيدنا رضي الله عنه فهذا أقل ما يراعى فيمن يريد التقديم من العلم والمعرفة بما هو بصدده زيادة على معرفة أحكام الطهارة استبراءً ووضوءً وغسلاً وتيمّمًا وكذا معرفة ما لا تصح الصلاة إلا به ومن نقص من هذا القدر لا يصلح للتقديم لأنه لم يحصل على حقيقة ما هو بصدده أن ينقله لغيره كميةً وكيفيةً وقتًا وغير ذلك مما يتعلق بالورد لأنه لم يعرف المراد والمقصود من هذا الأمر الذي يريد أن يدخل غيره إليه ويدله عليه وربما دله على غير المراد وسلك به في مقصده غير طريق السداد بل ربما أوقعه في مهواة الطرد والبعاد. وقد شوهد من ذلك في بعض من ينتحل طريق الإرشاد والدلالة على الله تعالى من غير معرفة بل ولا حقّ ولا حقيقة ما

---

[350] يوسف 108.

هو مباين صورةً ومعنًى غاية المباينة لمناهج الشريعة والطريقة وذلك أنه يقول لمن يريد استمالته إليه وإلى حزبه أن من أخذ عنّا وانحاز لجانبنا يدرك الكلمة الرياسية المخزنية كفلان وفلان يذكر له بعض من اتّفق له شيء من ذلك يعاون عليه هو وشيطانه وهواه فيضلّه عن الطريق الهدى وهو يظن أنه انخرط في سلك أهل الله. وهذا والعياذ بالله من أعظم الفتن الموعود بها في آخر الزمان ولهذا حذّروا من صحبة المتصوّفة الجاهلين وإذا عرفت القدر الذي هو أقل ما يراعى في حصول الأهلية للتقديم من جهة العلم فينبغي أن تعرف أنه لابد في حصول ذلك من أن يكون من يريد ذلك بعد تحصيله للقدر المذكور من العلم ذا ديانة وعقل وحلم وأمانة ورفع همة عن الخلق ثقة بالملك الحق ومن نقص في شيء من هذه المذكورات وكان محصّلاً للقدر المذكور من العلم بما تقدم وباقي الأركان تدور على مركز مكارم الأخلاق وحسن المعاشرة بقدر الاستطاعة وميزان ذلك كله هو رفع الهمة عن التشوف لما في أيدي إخوانه من العرض الفاني وعن تكليفهم بما فيه حظ له كيفما كان. وإنما كان هذا الأخير ميزانًا لما عداه من أركان الأهلية ليزن به الموفق حال نفسه فكلما وجد فيها رائحة من الطمع في رفق يأتيه من قبل إخوانه الذين يلقنهم عرف أنه ليس بأهل لذلك ولا مرادًا فيكون اشتغاله بالإقبال على إصلاح أمر نفسه أهمّ الأشياء إليه فلا يقبل التقدم على أحد وأحرى ألا يتعرض له بطلب واستجلاب شيء فإن فعل فقد أخسر الميزان والعياذ بالله من أسباب الخسران (وقد جمع سيدنا رضي الله عنه) في بعض وصاياه معظم هذه الأركان فقال رضي الله عنه: وأوصي من كان مقدّمًا على إعطاء الورد أن يعفو للإخوان عن الزلل وأن يبسط رداء عفوه على كل خلل وأن يجتنب ما يوجب في قلوبهم ضغينةً أو شينًا أو حقدًا وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم وفي إزالة كل ما يوجب بغضًا في قلوب بعضهم لبعض وإن اشتعلت نار سارع في إطفائها وليكن سعيه في ذلك طلبًا لمرضات الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك وأن ينهى من رآه يسعى بينهم بالنميمة وأن يزجره برفق وكلام ليّن وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير في كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله وحقوق الإخوان ويراعي في ذلك قوله صلّى الله عليه وسلم ((**يسّروا ولا تُعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا**))[351] وعليه أن

---

[351] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 69.

يتباعد عن تغريم دنياهم ولا يلتفت إلى ما بأيديهم معتقدًا أن الله هو المعطي المانع الخافض الرافع ويجعل همته في تحرير دنياهم من التشتيت والتبذير وألا يطلبهم بإعطاء شيء لا من القليل ولا من الكثير إلا ما سمحت به نفوسهم من غير طلب فإن عقول الناس حول هذا المطاف تدور وعلى هذا المقدار تجري بهم جميع الأمور اهـ. وهذه الوصية من سيدنا رضي الله عنه كافية في الإشارة إلى الأهلية المشروطة في هذا الباب كما أنها كفيلة بجميع معظم ما يطلب من المقدم التمسك به من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وذلك لأن العفو عن الزلل والصفح عن الخلل هو أعظم ما ترسخ به المودة في القلوب ويستنزل به أرواح الرضى من خزائن الغيوب ومن لطيف آدابهم السنّية الجارية على مناهج السنّة المحمّدية أن المقدم إذا رآ من بعض إخوانه مكروها أو علم من حاله اعوجاجًا أو أحسّ منه بدعوى أو رآ أنه داخله عجب ألا يصرح له بالمكروه بل يتكلم على رؤوس الأصحاب كأنه غير قاصد لمعيّن ويشير إلى ذلك المكروه على وجه الاستطراد في الكلام ويكشف عن وجه المذمة فيه كشفًا بيّنا لكن على وجه الإجمال حتى لا يتفطن أحد لمقصوده بحال ولا شك أن الفائدة تحصل بذلك للجماعة ولذلك المعنى عنده خصوصًا وهذا أقرب إلى المدارات وأكثر أثرًا لتأليف القلوب وفيه غاية التلطيف في الأخذ بالعفو والستر وبالجملة فوجوه الأخذ بالعفو كثيرة وكلها محمودة مرغب فيها لكن أحسنها ما ضم إليه الإرشاد إلى الإصلاح والأحسن من غير شعور من بذلك بالعفو ولا بالإرشاد ولا بغير ذلك ورووا في الإكثار من العفو حديثا عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلم فقال يا رسول اللّه كم أعفو عن الخادم فقال صلى الله عليه وسلم: **كلّ يوم سبعين مرّة.**[352] وأما اجتناب المقدّم ما يوجب في قلوب إخوانه ضغينة أو شينًا أو حقدًا فهو أيضا من وجوه أهليته فيستحق التقدم على غيره بحسب زيادته في ذلك عليه ويكون الاجتناب لما ذكر بالتحلي بالأخلاق الحميدة وهي أخلاق النبي صلّى الله عليه وسلم من التواضع والحلم والصبر والإيثار والكرم ونحوها وهي مبسوطة مشروحة معانيها في شروح الحديث وجماع ذلك كله في إنصافه من نفسه وترك الانتصاف منهم وذلك بأن يرى لهم عليه من الحقوق ما لا يقدر على

---

[352] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: الترمذي | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: 28817.

القيام بنزر النزر منه ولا يرى لنفسه عليهم حقًا في شيء مما قلّ أو كثر كحال الوالد الشفيق مع أولاده الصغار فيتعطّف عليهم ويقضي حوائجهم في حال الصحة والمرض ولا يترك شيئًا من حقهم اعتمادًا على ما يعلمه ظاهرًا من صحة إرادتهم وكمال صدقهم. قال بعضهم لا تضيع حق أخيك اتّكالاً على ما بينك وبينه من المودة. والكلام في هذا الباب طويل وفي هذا القدر كفاية لما قصدنا إيراده هنا وأما قول سيدنا رضي الله عنه وأن يسعى في إصلاح في ذات بينهم لخ فهو أيضا من آكد آداب المقدم مع إخوانه فيراعي فيه ما يدل على ذلك وهو مما أفصح به القرآن العظيم ورغبت فيه السنّة الطاهرة قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[353] وفي الخبر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال ((**ألا أخبركم بخير كثير من الصلاة والصدقة قالوا وما هو قال صلاح ذات البين**))[354] وأما قوله وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير لخ فهو أيضا من وظيف المقدم مع إخوانه فيطلب منه النزول إلى حالهم من الرفق بهم وبسطهم قال بعضهم إذا رأيت الفقير ألقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فإذا فعل الداعي إلى الله المرشد إلى طريق معرفته مع الفقير بهذا الخلق الذي هو الرفق فإنه يتدرج بذلك إلى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم ويطلب منه النزول إلى إخوانه عن حقه فيما يجب له من التبجيل والتعظيم فيستعمل التواضع معهم فلا يثبت لنفسه قدرًا ولا مزية عليهم فهذا كله ما لم يخرج إلى حد المداهنة بأن يتجاوز فيه حد المدارات وإلا صار فتنة على التابع والمتبوع ولابد من إقامة ميزان الاعتدال فيما ذكر من التأويل والانبساط للإخوان لأنه إنما وضع للحاجة والشيء إذا وضع للحاجة يتقدر بقدرها من غير إفراط ولا تفريط هذا والناس في هذا الميزان باعتبار ما يتجلّى لقلوبهم من آثار الجلال والجمال فلا كلام مع أحد من الفريقين فيما اقتضاه حاله في ذلك ويحمل كل على ما اعتيد منه وغلب. وبالجملة فلا يقف على حد الانبساط إلا من قهر نفسه وكان عالمًا بأخلاقها وطبائعها سائسًا لها بوفور العلم حتى يقف على حد الاعتدال فيه قالوا ولا يصلح النزول والانبساط بالمداعبة للإخوان لمن لم يرتقّ في باطنه عن حالهم في الصفاء ورسوخ القدم في

---

[353] الحجرات 10.

[354] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الترمذي | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: 29505.

الإقبال على الله تعالى بأن صارت العزيمة غالب أوقاته لئلا تجره ممازجة طبعه لطبعهم إلى الإخلاد إلى الرخصة وعدم التشوف لطلب الحق. وبسط القول في هذا وتحقيقه يطول بنا وقد أشرنا إلى محل الحاجة لمن يفهم ذلك والله الموفق (وأما قول سيدنا رضي الله عنه) **وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم.** فقد تقدم آنفًا أن ميزان طريق الإرشاد والدعوة إلى الله هو الاستغناء عما في أيدي المدعوين. وهذا أعظم الأركان عندهم فالواجب التنزّل عن الطمع فيما في أيديهم بحيث يعد التشوف إلى ذلك إن ابتلي به في باطنه بليةً عظيمةً وعقوبةً معجّلةً من الله تعالى فليلجأ إلى الله تعالى ويتضرع إليه في رفعها ويجتهد في صرف ذلك عنه بمجاهدة نفسه وتذكيرها بما أشار إليه سيدنا رضي الله عنه بقوله معتقدًا أن الله هو المعطي المانع لخ فإن غلبته نفسه وخرج إلى حد السؤال لذلك منهم فليعلم أنه قد أخسر الميزان وطغى فيه غاية الطغيان وهو الناجي إن سلم له رأس ماله ولم يعاقب بالحرمان لأنه خرج إلى التلبّس بالدعاوي الكاذبة ومعلوم ما هو الجزاء عن ذلك والعياذ بالله وكان سيدنا رضي الله عنه أومأ في قوله فإن عقول الناس حول هذا المطاف تدور الخ إلى ما قاله قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٧﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾[355] الآية أعلمنا الله تعالى في هذه الآية أن في خروج المال إخراج الأضغان وهذا تأديب من الله الكريم جل وعلا وفي (**روح المعاني**)[356] ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ أحقادكم لمزيد حبكم للمال فإنه سبب إخراج الأضغان. وقول سيدنا رضي الله عنه: **إلا ما سمحت به نفوسكم من غير طلب**، يحقق ما أشرنا إليه من أن المذموم هو التشوف والطمع فإن انتهى الحال إلى السؤال أعني سؤال المقدّم من إخوانه فقد أفضى إلى بلاء عظيم وفتنة كبيرة في الدين نسأل الله العافية من كل بليّة بمنّه وكرمه فقام من هذا ميزان قويم وقسطاس مستقيم فيما يجريه الله تعالى من الإرفاق على أيدي بعضهم لبعض فكل ما أتى من الأخ لأخيه على وجه الهدية والمواصلة لله من غير طمع ولا استشراف نفس فضلاً عن السؤال فهو لا بأس به شريعةً وطريقةً وذلك لأن الهدية

---

[355] محمد 38.

[356] كتاب "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ).

مباحة في الجملة بل هي محسوبة في الفقه من وجوه الحلال فإن عرض عارض في المعطي أو في وجه الإعطاء فالآخذ أعرف بما يأتي وما يذر وهذا بالنسبة لمطلق الإخوان وبحسب أحوال العامة منهم. وأما أهل التمكين فأحوالهم في الأخذ مختلفة لما اقتضته الواردات والتحفّظ عن الآفات وهي في كل من الأخذ والترك كما قاله الأستاذ السري السقطي رضي الله عنه[357] للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: **احذر آفة الردّ كما تحذر آفاة الأخذ**. والحاصل أن كل من عرف بصحة العلم والعمل ومتانة الديانة فأمره موكول إلى دينه ولا سبيل للانتقاد عليه قاله العلامة اليوسي[358] ومثل ذلك في الحكم فيما سمحت به نفوس الإخوان لإخوانهم كالمقدم ومن في معناه من غيره طلب الحكم فيما إذا اضطرّ المقدم ونحوه فله الأخذ من إخوانه ولو بالتعرض لذلك ويتصرف فيه بحكم الصدقة على وجه الذي أبيح له من أجله بعذره في وقت الاحتياج لا غير فالمدار فيما نحن بصدده على ما ذكره سيدنا رضي الله عنه في وصيته السابقة آنفًا فوقوفنا عنده لازم ألهمنا الله رشدنا ووفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه آمين.

((**التنبيه الثاني**)) في تنبيه الأخ المجازى في مراعاة أمور تعرض للمقدمين فيقابل كل أمر بما يقتضيه حاله ووقته وليس الغرض من هذا الاستدراك إلا مزيد التأكيد في مراعاة الأهلية المعتبرة بوجوهها المقررة كلا أو بعضا فمن ترشحه للتقديم والانتصاب لتلقين الأوراد والتثبت التام في ذلك وعدم التساهل فيه بتمكينهم من عهد الله وعهد رسوله والكمّل من الله من يشتري به ثمنًا قليلاً فإن وبال ذلك عظيم ومرتعه وخيم لما ينشأ عنه من التلاعب بالدين وإدخال الفتن في الطريق على عباد الله المؤمنين بما يزلزل إيمانهم ويفسد عليهم طوياتهم مع ما يدخله على غيره من الاختلال بتغيير مراسمها وهدم قواعدها وإخراجها عن نهج الحنيفية البيضاء وسنن الاعتدال فيسجل على المتساهل في ذلك فإنه ممن اتّخذ دينه هزوًا ولعبًا وغرته الحياة الدنيا فيذوق عن قريب وبال أمره وتكون عاقبته خسرًا

---

[357] أبو الحسن سرى الدين بن المغلس السقطي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري وأول من تكلم في بغداد في التوحيد وحقائق الأحوال، ولد في حدود 160هـ. وتوفي سنة 251 هـ

[358] أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد ويسمى كذلك نور الدين اليوسي، فقيه مالكي أديب، أشعري العقيدة، يُنعت بغزالي عصره، من بني يوسي بالمغرب الأقصى. ولد حوالي 1040هـ/1631م وتوفي في عام 1102هـ/1691م.

لا محالة أعاذنا الله من بلائه. وعليه فعليك أيها الأخ بالتثبت التام والتحري في أمر التقديم بغاية جهدك ولا أقلّ من أن يكون المراد عقدك بالتقديم مستور الحال منزّها عن رذيلة الطمع والتشوّف والتملّق للرجال وألا يكون متجاهرًا بشيء مما يسقط العدالة ولا مهينًا دينًا لا يبالي بما عليه من الخسة والنذالة وقد فصّل ذلك والحمد لله تفصيلاً فيما تقدم من وصية سيدنا رضي الله عنه مع بيان مآخذه ويكون التثبت والتحري المذكوران بأمور كان عليها عمل سيدنا رضي الله عنه وعمل المعتبرين من نوّابه رضي الله عنهم أجمعين. منها إذا أتاك أحد من بلد مثلاً وطلب منك التقديم في بلده أن تسوفه حتى تنظر في أهل بلده أو من بإزائها فإن كان بها مقدم مجمع على رسوخ قدمه فردّه إليه حتمًا فإن أبى فاقطع عليه بأنه صاحب هوى لا خير لك ولا له في مساعدته وإن لم يكن في بلده ولا بإزائها مقدم فانظر أنت رجلاً مستور الحال ممن لا رغبة له في التقديم وقدمه بعد الاستخارة النبوية ودافع ذلك الراغب بما يظهر لك في الحال وإذا أتاك من يريد أن يستخرج منك الإذن في إعطائه الأوراد بالتحيّل بأن يقول لك مثلاً إني مسافر إلى بيت الله الحرام أو غير ذلك وربما يرغب إليّ راغب في الورد فأْذن له في إعطاء ما دام بسفره ذلك ذهابًا وإياب لا غير واشترط عليه ألا يتصدى لذلك في بلد فيه مقدم أمكن منه وأقدم منه هجرة للطريق بل يكفّ عن إعطاء الورد حتى يخرج منها كل هذا ليتقصّى الإنسان من عهدة التلاعب وليأخذ بحجز إخوانه عن الوقوع في مهواة الردى وكل هذا له قضايا اتّفقت لسيدنا رضي الله عنه ولخاصة المقدمين بعده (قال شيخنا أبو المواهب السائحي) لا يمكننا بسط القول في تلك القضايا الآن مخافة الطول لأن المراد بذلك الإشارة إلى أن مثل ذلك يقع كثيرًا. وبالجملة فإن استطعت ألاّ تأذن في إعطاء الورد إلا لمن تختاره أنت ممن لم تظهر عليه رغبة بل ولا تشوّف لذلك فهو أولى وإن امتنع فراوده على القبول بعد الاستخارة النبوية وتكررها مرارًا وإن كان ولابد من تقديم من يطلبه ويرغب فيه فالميزان في ذلك أن تثبت وتنظر في أحواله فإن ظهر في حاله أنه يريد أن يكون بذلك خديمًا للشيخ وأصحابه والمنتسبين إليه بإيصال الخير إليهم والأخذ بيدهم رجاء أن يحصل له الجزاء من الله تعالى في العاجل والآجل من خزائن فضله وجوده سبحانه فساعده بطلبته وأسعفه برغبته وإن ظهر لك من قرائن أحواله أنه يريد أن يكون مخدومًا لا خادمًا وأحرى مع ظهور التشوّف

منه إلى ما في أيدي إخوانه وأحرى مع التظاهر بالدعاوي الكاذبة واعتماد الخرافات الباطلة فلا يحل لك أن تغري عليه نفسه وهواه وتعين عليه شيطانه فامنعه ولو أدّى منعك إياه إلى انقطاعه فإنه لا خير في رؤيته فضلاً عن صحبته ولا يبقى له حق عليك إلا في دعاء الخير فلا تتركه منه بظهر الغيب لا غير وهذا كله في التقديم لإعطاء الورد اللازم لا غير. وأما الإذن للغير بمثل الإطلاق والتعميم الذي كتبته لك أيها الأخ فلابد فيه من الاحتياط التام بغاية الجهد وإن أدى الحال إلى ألا تقدم بمثل ذلك إلا واحدًا في الإقليم مثلاً أو واحدًا في عمرك أو لا تقدم بمثله أحدًا أصلاً فلا عليك وسلامة نفسك أولى لك ولا سيما وهذا فيه سلامة نفسك وسلامة إخوانك معك ولا سيما أيضًا وهذه الطريقة المحمّدية مضمونة من الانقطاع ومحفوظة من الانتساخ وإنما هذا التحرز والتحفظ مما هو جائز الوقوع في الطريق من ظهور المتلاعبين الفتانين والدجاجلة الكذابين ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[359] فالأمر للمقدمين بمراعاة الأهلية والتحفظ إنما هو للتحرز من فتن الضّالين الذين يضلّ لضلالهم خلق كثير لا أنه تحرز من انقطاع الطريق وانتساخها بعد ضمان النبي صلّى الله عليه وسلم لها أنها باقية ببقاء الدين المحمّدي في الأرض فافهم ذلك. وسأذكر لك أمرًا واحدًا مما يتميز به حال هؤلاء الدجاجيل الكذّابين عن غيرهم وهو أن كل من رأيته مؤثِرًا لذكر النوادر الغريبة من الكرامات الخارقة والأذكار الزائدة والأسرار العجيبة معتمدًا في جلّ ما يذكره من ذلك على التحلّمات المريبة منوّهًا بتلك الغرائب عوضًا عن التنويه بالورد اللازم والأذكار اللازمة بلزومه مستغرقًا في اللّهج بذلك كلما جلس إليه أحد من الإخوان فاقطع عليه من غير تردد في أمره بأنه ضال مضل فتّان وكل من رأيته لهِجًا بذكر الورد اللازم والأذكار اللازمة بلزومه مستغرقًا في التنويه به وبفضائله حاضًّا به غاية على إقامته بالمحافظة على شروطه وآدابه بعد الحضّ على التنويه به وبفضائله حاضًّا به غايةً على إقامته بالمحافظة على شروطه وآدابه بعد الحضّ على إقامة الصلوات المفروضة بإتقان شروطها ووسائلها والمحافظة على تتميم أركانها وآدابها وفضائلها مؤثرًا لإيقاعها على الوجه الشرعي المفسّر في رسائل سيدنا رضي الله عنه ونصائحه متظاهرًا بذلك كله بين الخاص والعام من الناس جاعلاً حديثه كله في الكأس فاعلم أنه صادق

---

[359] الأنفال 42.

في دعواه قد أخذ الله تعالى بيده فوقاه شر الشيطان ونفسه وهواه فالزم صحبته وموالاته واحمد الله الذي هيأ لك في سابق عمله وغيبته مصادقته ومؤاخاته واحن بقلبك عليه حنوّ الكريم على ضيفه والشجاع إلى سيفه فإنه لا محالة إن حصلت منه على الصفا عدةً في الشدة وزينةً في الرضى إلا أنه أغرب من عنقاء مغرب وأعزّ من الكبريت الأحمر في المشرق والمغرب

وإذا صفا لك من زمانك واحد * * فاشدد عليه وأين ذاك الواحد

لكن القدرة صالحة وبحر المواهب الربانية في كل زمن بكل فضل طافحة وإذا تحققت العناية فكل بارعة صالحة وما أشبه الليلة بالبارحة إذ لا إبان ولا وقت كما قيل إلا الأزل ولا سبب إلا العناية السابقة حيث لا أمل ولا عمل ((**جفّ القلم بما أنت لاق**))[360] فسبح باسم ربك الغني على الإطلاق ولا تيأس من رحمة الله الواسعة وإن ضاق الخناق. هذا وإياك أن يفضي بك التحفّظ المطلوب في بابه إلى سوء الظن المفضي إلى سوء الخلق مع عباد الله ومن انتمى بأدنى انتماء إلى جنابه فإن المقام محرز ولكل حال ومقال للخير والشر مغمز واللبيب له مندوحة عند كل منزع وإذا كان اللص ظريفًا. هذا واعذرني أيها الأخ فيما أرخيت فيه العنان فإنه وإن كان من قبيل الهذيان فالحامل عليه ما علمت من خالص محبتكم في طوايا الصدور والمحب كما قيل معذور. ثم لتعلم أيها الأخ الصادق إن شاء الله أن من الأسباب الباعثة على مواجهتك بهذا الخطاب أنه بلغنا عن بعض من ينتسب إلى الطريقة الأحمدية التجانية زاعمًا أنه شيخ المشائخ فصار يقدّم من وفد عليه من أهل الآفاق الحوزية وغيرها بمجرد رؤيتهم من غير اعتبار شيء مما سطرناه في هذه الإجازة مع أن غالب ما سطّرناه من ذلك من جملة ما أفاده لنا شيخنا خليفة سيدنا الشيخ رضي الله عنه كما صرح لنا بذلك فصار ذلك الزاعم يقدّم كل من لقيه من غير اعتبار شروط الأهلية ويبتدع في الطريق ما ليس فيها كما سنبيّنه إن شاء الله في التنبيه بعد هذا وجعل غفر الله لنا وله يتبجّح على الإخوان من الأغمار بذلك ويتبجح على من لا حقيقة له من الأوغاد ممن يعلم من حاله أنه غرّ في مدارك الأمور ويدّعي الدعاوي العريضة التي لا تستقلها

[360] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5076.

الطروس ولا تحتملها السطور حتى أوجب ذلك في الطريقة مقالاً ووجد المنكرون فيها ما يتقوّلونه علينا مجالاً حتى جاءتني مكاتب من عند الإخوان بفاس صانها الله من كل باس مؤكدون على القيام على إطفاء نار ما ابتدعه غفر الله لنا وله فاغتممت بذلك غاية الاغتمام أفضى بنا إلى الاهتمام بشأنكم هذا الاهتمام فأردنا أن يكون مثل هذا منكم على بال لتعدّوا لما كثر منه في هذا الزمان أسبغ درع وأوفى سربال

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * * ولا الدهر بالدهر الذي كنت تعرف[361]

وعندكم أيها الأخ سدّد الله أقوالنا وأقوالكم بعض خبر ذلك الزاعم المذكور على أن ما غاب عنكم أكثر وأكثر ولله عاقبة الأمور وفيما ذكر كفاية والله يلهمنا الرشد جميعا في الإعلان والإسرار وقد أوصيناك بسلوك الجادة بدلاً عن سلوك بنيات الطريق لأن لنا في جنابكم مزيد محبة وتصديق جعل الله ذلك منا ومنكم، ويناسب ما سطّرناه في هذا الاستدراك ما كتب به المقدم الأشهر السيد محمّد بن بلقاسم العلمي المكناسي رضي الله عنه لشيخنا أبي المواهب السائحي رضي الله عنه و به نختم هذا التنبيه نصه: فممّا يجب به إعلامك أنه ينبغي للفقير أن يحترز على دينه ودنياه من المتمسّين فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الأموال بالبشرى والإكرام والتلطّف في المقال ويمشون إلى أبواب الملوك على صفة التهاني في الأعياد وربما يأتي معه بأحد من الأولاد ويظهر النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلّمًا أي للدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الأموال وتفوض إليهم الوصايا ويحبهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتناديهم الملوك إلى الوصايا والأموال وهؤلاء شرّ من اللصوص والقطّاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو إلى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس بالاغترّار بهم فعليك أيها الأخ بالفرار منهم لأن الكثير من هذا الوصف يكون في الطائفة الفلانية وسماها وكنيت عنها

---

361 ينسب لابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "**الأرض هي تلك الأرض، وإنما تبدّل آكامها وجبالها وأشجارها**"، ثم أنشد هذا البيت. ورد في تفسير الثعلبي 144/2 ب بنصه.

حفظنا الله وإياك منهم ومن أمثالهم وإياك ثم إياك من معرفتهم لأنها تؤدي إلى ائتلاف النفوس وعليك بمعرفة الكمّل من أهل طريقتنا يعني الذاكرين الله كثيرًا فإن دعوتهم مستجابة وعليك بإكرام الفقراء ظاهرًا وباطنًا بالقول والفعل وهذا كله نصيحة مني إليك ففي الحديث ((**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**))[362] اهـ وفي هذه النصيحة فوائد عظيمة لأنها مشتملة بطريق الإشارة على ما نحن بصدده من التحذير عن مخالطة المبطلين والسلام.

((**التنبيه الثالث**)) في كلام جامع لأنواع الحكم وفي وصية المجازى بالوقوف عند ما حده سيدنا رضي الله عنه ولا يسلك سبيل من ابتدع في الطريق من بعض المقدمين كما تقدمت إليه في التنبيه الإشارة قبل هذا لأن ذلك ابتدع في الطريق أمورًا كان أيمتنا رضي الله عنهم من أركان الطريقة المحمّدية الأحمدية ينبّهون على أنها بدع في الطريقة كما ستقف عليها وبيان ذلك أن المبتدع لها جاهل بأحكام الصلاة وبأحوالها فصار يخبط خبط عشواء ولا غرابة في ذلك لأن أحوال سيدنا رضي الله عنه غريبة بين أهل العرفان وأحرى الجاهل بحاله وبطريقته ومن القواعد لدى السادات الكمّل من أهل الله أنه إذا انفرد المخصوص بخصائص العرفان صار غريبًا بين أهله في الأكوان ولغرابة أخلاق سيدنا رضي الله عنه فيما شرطه في اعتبار الأهلية في التقديم لإعطاء الأوراد أوتي ذلك البعض المبتدع في الطريق ولعظم همة سيدنا رضي الله عنه ومرغوبه يقل مساعده على مطلوبه من الشروط والآداب

غريـب عن الأوطان في كل بلدة * * إذا عظُم المطلوب قلّ المساعد[363]

إذا كملت المشاكلات المعنوية تعرف صاحبها بين أشكاله الحسية

---

[362] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1829.

[363] بيت شعر من قصيدة لأبي الطيب المتنبي بعنوان: عَوَاذِلُ ذاتِ الخَالِ فيّ حَوَاسِدُ. ولعلّ أصل البيت:
وَحيدٌ مِنَ الخلاّنِ في كلّ بَلْدَةٍ * إذا عَظُمَ المَطلُوبُ قَلّ المُساعِدُ

وما غربة الإنسان في شقة النوى * * ولكنها والله في عدم الشكل[364]

ولأن الحامل لذلك المبتدع على الابتداع أمران واضحان أحدهما وهو الداهية الدهيا والطامة الكبرى الجهل المركب بأحوال أهل الطريقة وما كانوا عليه من جانب الشيخ رضي الله عنه بالتأدب بآدابه ومعرفة الواسطة بينه وبين الشيخ رضي الله عنه ليعطي كل ذي حق حقه بل هو غافل أو متغافل حتى لا يميز بين الأصل والفرع في سند الطريق. الأمر الثاني أنه مسلوب العقل والعياذ بالله ولذلك يخوض مع الخائضين بل هو باعتبار ما ابتدع لا حظّ له في الطريق ولذلك قالوا العاقل اللبيب منفرد غريب لا يتجاوز هو وإخوانه جمع القلة في كل وقت وقوم وملة

لكل امرئ شكل من الناس مثله * * فأكثرهم شكلاً أقلهم عقلا
وكــــل أنــــاس آلــــفون لشكلهم * * فأكثرهم عقلاً أقلهم شكلا[365]

قال صلّى الله عليه وسلم ((**الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**))[366] فموجب أخوة الائتلاف موافقة الطباع والأوصاف سيما إذا ارتفع العناد ووافق الإمداد الامداد

---

364 بيت شعر لحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي. راجع سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرسالة سنة النشر: 1422هـ / 2001م

365 ذكره أبو الحسن علي الماوردي البصري في كتابه **أدب الدنيا والدين** طبعة دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت لبنان. ص124/ ولم ينسبه لأحد. وزاد عليه هذين البيتين:

لأنّ كثير العقل لستَ بواجدٍ * * له في طريق حين يسلكه مثلا
وكلّ سفيه طائش إذا فقدتَه * * وجدتَ له في كل ناحية عِدلا

366 صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب الأرواح جنود مجندة.

لعمرك ما الإخوان إخوان نطفة * * تصور في الأرحام في عالم الجسد
ألا إنما الإخوان من كان وصفهم * * يطابق وصف الروح في عالم المدد

والحديث يشهد له بأن المبتدع غير داخل في غمار الطريق بل هو خارج عنهم وإلى معنى الحديث أشار الشاعر السابق وقد قيل أخوك من وافقك في الأخلاق وكان عنده ما عندك من الإشراق فكان معك في حضرات البقا ومواطن السعادة باللقا والكل من معنى الحديث المتقدم وليس من شأن المريد الابتداع في الطريقة لأنه يطلب في بدايته الوصل والمراد كالتجاني يستوي عنده الوصل والفصل لأنه عبد لله على كل حالة[367]

وكنت قديمًا أطلب الوصل منهم * * فلما أتاني العلم وارتفع الجهل
تيقنت أنَّ العبد لا طلب له * * فإن واصلوا فضل وإن طردوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم * * وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

وهذا هو أدب العبودية بين يدي عز الربوبية بخلاف من ابتدع فإنه يتستر بما ابتدع لإدراك غرضه الفاسد فالواجب عليه انقياد مع التسليم ومشي على الصراط المستقيم لأن العبودية وصف العبد الفاني بمحبوبه المستعذب مر الملام لأجل قصده ومرغوبه

وهان عليّ اللوم في جنب حبها * * وقول الأعادي إنني لخليع
أصم إذا باسمي دعيت وإنني * * إذا قيل لي يا عبدها لمطيع[368]

---

[367] أبيات لابن عطاء الله السكندري 709 هـ.

[368] أبيات لأحمد بن محمد بن محمد، الغزالي الطوسي، أبو الفتوح الواعظ 520 هـ وهو أخ الإمام أبي حامد. (ميزان الاعتدال 61/1. ولسان الميزان 293/1. والمنتظم 581/17.) ذكره الخطيب البغدادي 463 هـ في تاريخ بغداد دار الكتب العلمية – بيروت. ط1، 1417 هـ. جزء 21/ ص57.

وإنما قدمت هذه المقدمات لتعلم أيها الأخ أن المبتدع في الطريق إن لم ينسلخ عنها فهو كاد بل فوائد الطريق في اقتفاء آثار المشائخ رضي الله عنهم ومخالفهم ولو في بعض البعض يخشى عليه الطرد والمقت والعياذ بالله. فهذا أوان ذكر ما بلغنا عنه من بدعه التي لا يختلف اثنان عن ابتداعها أولها وهي دعوى عريضة وفرية شهيرة هي أنه سمّى نفسه الشيخ بل شيخ المشايخ ولم يستحي من الله عزّ وجل ولا من رسوله صلّى الله عليه وسلم ولا من الشيخ القطب المكتوم رضي الله عنه ولا من أركان طريقته ولم يدر أن الشيخ في الطريقة التجانية لا يصح إطلاقه على أحد غيره رضي الله عنه لأنهم نظروا في معنى هذه اللفظة وما يئول أمر إطلاقها على أحد غيره من مخالفة الكذب مع مراعاة الأدب معه فسدّوا هذا سدًّا محكمًا يجب على كل من انخرط في سلكهم اقتفاء آثارهم في ذلك بل جمهور المتأخرين من المجددين للطريق اتّفقوا على أن التظاهر بالمشيخة مع توفر شرائطها لا ينبغي للعلة المتقدمة ولكثرة المبتدعين فيها ولذلك سدوا تلك الذريعة على أنهم قالوا في معنى الشيخ أنه من علّمك بمقاله وأنهضك بحاله والمبتدع المذكور فارغ من الوصفين. الشيخ من أفاد الطالب وفتح المطالب والمبتدع المذكور جاهل ليس عنده ما يفيد للطالب غيره. الشيخ من كمل في ذاته وكمّل بصفاته والمبتدع ناقص في ذاته فضلاً عن أن يكمّل غيره بصفاته كما تقدم. الشيخ من إذا حللت حماه وجدت به الغنى مما سواه وأين هذا من وصف المبتدع المذكور أقال الله عثارنا وعثاره. الشيخ من يفيدك في الشهادة والغيب ويظهر سرك بسره من الغيب وهذه أجل مما قبلها وأحطّ لمرتبة المبتدع حطًا بيّنًا. الشيخ من إذا طلبت همته لمهمة وجدتها سبقت لا من إذا دعوتها أدركت ولحقت. الشيخ من تلمذ له المشائخ وكان له القدم الراسخ. الشيخ من يحفظ المريد بكلاءته ويريحه من العناء بعنايته. الشيخ سر الله المحجّب بحجاب البشرية غيرة على خاصة الخصوصية. شيخ الأمير طبل كبير شيخ السلطان شيخ الشيطان اهـ من رسالة قوانين حكم الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق للقطب أبي عبد الله المهدوي رضي الله عنه فليعتبر ذلك المبتدع في هذه المعاني هل اتّصف بشيء منها أم لا ليستند إليه عند سماع من يصفه بذلك أو لا والذي يظهر من أحوال كل مبتدع في الدين وفي طرق المشائخ أنهم عن طرق من نسبوا أنفسهم إليه بمراحل لم يشموا من طرقهم رائحة فضلاً عن أن يتصفوا بشيء من أوصافهم لأنهم

بالابتداع انسلخوا عن الاقتداء بهم والعياذ بالله. وإلى مجانبة مثل هذا المبتدع المذكور والتحذير منه أشار القطب الرباني السيد الحفني في كتابه (**الكشف الرباني عن المورد الرحماني**)[369] بقوله:

وقد تصدى البعض للطريقة * * لكن بدعواه فلا حقيقة

أعني في رجز أحمد بن شرقاوي الموسومة بالمورد الرحماني وارث المعارف من القطب المذكور والشارح الشيخ أحمد الطاهر. ولقد شاعت في الآفاق فتنة المدّعين بلا تحقق بالطريقة في نفس الأمر وربما كان لا يعرف الطريقة ما هي فيجتمعون عليه ويرئسونه ويتبركون بآثاره ويقبلون يديه وكلمت في هذا الأخير غرتهم وما لهم من دافع ولا مانع بل اتّسع الخرق على الراقع وماذا يصنع من يرقّع وكثيرًا من يمزّق خلفه ويقطع

أرى ألف بان لا يقوم بهادم * * فكيف ببان خلفه ألف هادم

فإنا لله وإنا إليه راجعون فصار يدعو بالهوى ويخبط كخبط عشواء في الدجى ويسقط في لجة الغرور والحرمان إن صار هذا تصدى للإرشاد يدعو إليه لكن فلا علم ولا بيّنة من ربه بل الهوى وحظوظ النفس من طلب الاستجلاب وصرف الوجوه إليه ومحبة الاستتباع والظهور. وفي الرائية:[370]

وآيـاته ألا يميـل إلى هـوى * * فدنياه في طي وأخراه في نشر

فكيف بمن يدعو بنفس الهوى فهذا لا شك أنه كالمجذوم يريد أن يداوي بنفسه فلا يزيد القرب منه إلا جذامًا

---

[369] الكشف الرباني عن المورد الرحماني على أرجوزة وارث معارف العارف الحفناوي الأستاذ الشيخ أحمد بن شرقاوي الموسومة بالمورد الرحماني والمشرب الأحلى إلى الظمآن في علمي التوحيد والتصوف.

[370] يعني رائية الإمام الشريشي رحمه الله.

وغير تقي يأمر الناس بالتقى * * طبيب يداوي والطبيب عليل[371]

قال أبو بكر الورّاق[372] إن الله تعالى لم يجعل في الدنيا والآخرة شيئًا أخبث من الهوى المخالف للحق. وقال الفضيل الأعمال خلاف هوى النفس فإياك ثم إياك أن تجنح لمن صار يدعو بالهوى فإنه يهوي بك إلى أودية الضلال ويقودك إلى أسوء حال فالمغرور من اعتقد أنه على خير من شبهة فاسدة وأكثر الناس مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم فيه فمنهم من اغترّ بالدنيا ومنهم من اغترّ برياسة ومنهم من اغترّ بالعبادة ومنهم من اغترّ بالعلم ومنهم من اغترّ بالنسب وصلاح الآباء ومنهم غير ذلك ويكفي في ذم الغرور قوله تعالى ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[373] وقوله تعالى ﴿وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلاَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ امْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[374] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين**))[375] وقد أخبر صلّى الله عليه وسلم أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة وقد كان ما وعد به صلّى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله فيبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم في

---

371 شعب الإيمان للبيهقي فَصْلٌ فِي مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ رقم الحديث 6812. حديث مقطوع يُروى عن رجل يدعى أبا العباس وبيت الشعر منسوب له.

372 أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ بنِ العَبَّاسِ البَغْدَادِيُّ المُسْتَمْلِي الوَرَّاقُ. راجع سير أعلام النبلاء للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان. طبعة مؤسسة دار الرسالة سنة النشر: 1422هـ / 2001م عدد الأجزاء: 24 جزءا. الجزء 16. الطبقة 21. ص388. 389. 390.

373 فاطر 5.

374 الحديد 13.

375 أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

الخلوات. وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع انكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالح فإن كان هذا المراد يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلى ماذا يكون بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم اهـ من الإحياء بنقل الشيخ أحمد الطاهر قال وما كفاه هذا التصدّر والتصدي بل قد تجاوز الحد في البغي والتعدي فغدا يظهر ذوق المعاني

ويدعي الرقي للإحسان * * فأمه الجم الغفير الأحدش
أي المهزول وقليل العقل * * وهب يعنيه الأصم الأعمش

أي شرع يقصده الذي لا يسمع النصيحة الأعمش الذي عينه قريحة

وأنبت الخذلان في الطلاب * * وأثبت الغرور في الأصحاب
ولـترث صحبته العقيمة * * حالا وهت لكنها ذميمة

تجدونهم يدعون بالجذب وغرضهم بذلك دفع اللوم عنهم في أفعالهم المنبوذة شرعًا الممدوحة طبعا الخارجة عن القانون الشرعي المخلة بالآداب المرعية فإذا طالبتهم بالوقوف على الحدود الشرعية والآداب المرعية أتوا من القول بمجون يشبه الجنون

فاحذر على الدين النزيه الغالِي * * من فرقة الإبعاد والضلالِ
واجـعلهم كـأنهـم أجـارُ * * مطروحةٌ في اليم لا تختارُ

أي احذرهم غاية الحذر وانبذهم كل النبذ وهب أنهم ليسوا من جنس بني آدم إذ لا خصوصية في هؤلاء اللئام أصلاً فلا تختر منهم أحدًا

فذا زمان الخبط والبهتان * * وذا أوان الطمس والخسران

أي النقص في الدين وذلك لبعد العهد منه صلّى الله عليه وسلم روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال **لما دفن رسول الله صلّى الله عليه وسلم ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه صلّى الله عليه وسلم حتى وجدنا النقص في قلوبنا** اهـ[376] وعلى ما تقدم فلا غرابة في الابتداع لأنه جاء في وقته الموعود به فلا يسلم من وبال ذلك الزمان إلا من عصمه الله ورحمه بصحبة شيخ كامل وإمام عارف كما قال أحمد بن شرقاوي[377] في رجزه:

واطلب إماما عارفا بالسير * * ولا تسح في سيحها بالضير
والخير في سوح الشيوخ الكمل * * وألزموا عين الحشى حب العلا
واستفرغوا القلب من الأغيار * * واستمسكوا دوما بحبل الباري
ومالوا في سيرهم للحق * * إلى الدنى ولا لعذب الذوق

[376] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 6634.

[377] بن شرقاوي أحمد الخليفي المالكي: متفقه من أهل (الخليفة) بصعيد مصر، كان له مجال في التصوف والرد على أهل البدع. من كتبه نصيحة الذاكرين. راجع ترتيب الأعلام على الأعوام ½ (من أعلام الزركلي) رتبه وعلق عليه زهير ظاظا فهرسه محمد وهيثم نزار تميم. طبعة دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت لبنان. المجلد الأول. طبعة سنة 1990م.

قال القشيري[378]: وكل مريد بقي في قلبه شيء من عروض الدنيا من مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز. قال أبو الحسن علي بن المزيّن[379] في **المنح السنية:** لو زكيتم رجلا حتى جعلتموه صديقًا لا يعبأ الحق تعالى به وهو يساكن الدنيا بقلبه فقيل له فإذا ساكنها لأجل إخوانه وعياله وغيرهم من الملازم لينفقها عليهم فقال دعونا من هذه الزلقات والله ما هلك من هلك من أهل الطريق إلا من حلاوة الغنى في نفوسهم اهـ وفي هذا القدر كفاية في بطلان دعواه المشيخة. وأما ما يفعله غفر الله لنا وله من طلب المال من إخوانه مظهرًا أنه قاصد به القربة فقد تقدم الجواب في وصية سيدنا رضي الله عنه للمقدمين ألا يفعلوا ذلك وأنه شرط معتبر في الأهلية للتقديم فمتى خالفه وأخذ منهم فقد خان الله تعالى وخان رسول الله صلّى الله عليه وسلم وخان عهد الشيخ رضي الله عنه في شرطه المعتبر في الأهلية وقد تقدم مرارًا أنه الناجي إن بقي له رأس ماله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[380] واعلم أيها الأخ أن أخذ المال من الإخوان سبب لبغضه كما تقدّم قوله تعالى ﴿فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾[381] وذلك مناف لمرتبة المشيخة التي ادّعاها ولشرح رتبة المشيخة ورد الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو قوله ((**والذي نفس محمّد بيده إن شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد إلى الله تعالى الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون بالنصيحة**))[382]

---

[378] القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب "الرسالة". ولد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة. توفي صبيحة يوم الأحد 26 من ربيع الآخر، سنة 465. [سير أعلام النبلاء. الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان. طبعة مؤسسة الرسالة. سنة النشر: 1422هـ/ 2001م. عدد الأجزاء: 24 جزءا. الجزء 18. الطبقة 24. من ص227 إلى ص233.]

[379] المُزَيِّن أبو الحسن علي بن محمد، الصوفي، كان صاحب اجتهاد وتعبّد. من أهل بغداد. من أصحاب سهل بن عبد الله والجنيد. مات بمكة سنة 328 هـ. [البغدادي الخطيب. تاريخ بغداد مدينة السلام ج 13 عمر وعثمان وعلي. طبعة دار الغرب الإسلامي. ط1. 1422هـ 2001م.]

[380] الفتح 10.

[381] محمد 38.

[382] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: ابن أبي الدنيا | المصدر: كتاب الأولياء | الصفحة أو الرقم: 36.

قال في **عوارف المعارف**[383]: وهذا الذي ذكره رسول الله صلّى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعاة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحبب الله إلى عباده حقيقةً ويحبّب عباد الله إلى الله ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله تعالى. فأما وجه كون الشيخ يحبب الله إلى عباده فإن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتّباعه أحبّه الله تعالى قال الله تعالى ﴿قُلِ اِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ أَللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ أللَّهُ﴾[384] ووجه كونه يحبّب عباد الله إليه تعالى أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلي فأحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى ﴿قَدَ اَفْلَحَ مَن زَكَّيٰهَا﴾[385] وفلاحها بالظفر بمعرفة الله وأيضا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها فتنكشف للبصيرة حقيقة الدارين. وحاصل المنزلين فيحب العبد الباقي ويزهد في الفاني فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الضالين اهـ وأين هذه المرتبة من مرتبة من يجمع الدنيا من الحلال والحرام ويلحّ على الإخوان في بذلها في غير محلها إنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا من الدعاوي التي لا توبة لها إلا سوء الخاتمة والعياذ بالله. والسر في وصول السالك إلى رتبة المشيخة أن السالك مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفائها لا يزال يسلك بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطمأنينتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة التي استصحبتها من أصل خلقتها وبها تستعصي على الطاعة والانقياد للعبودية فإذا زالت اليبوسية عنها ولانت بحرارة الروح الواصلة إليها وهذا اللين هو

---

[383] عوارف المعارف، كتاب للإمام شهاب الدين عمر السهروردي المتوفى سنة 632 هـ في التصوف، يشتمل على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم، وحقائق معرفتهم وتوحيدهم، ودقيق إشاراتهم واصطلاحاتهم. [طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان. تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي. ط3. عدد المجلدات:1. تاريخ النشر 1999م.]

[384] آل عمران 31.

[385] الشمس 9.

الذي ذكره الله تعالى في قوله ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[386] تجيب إلى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين أحد وجهيه إلى النفس والوجه الآخر إلى الروح يستمد من الروح بوجهه الذي يليه ويمد النفس بوجهه الذي يليها حتى تطمئن النفس فإذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياستها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس وانقادت نفسه وفاءت إلى أمر الله هذا وإنما أثبتّ ما أثبتّ في هذا المقام لتطّلع أيها الأخ على حقيقة أمر المبتدع في الطريق ما ابتدع لجهله وظنه أن ذلك من القربات معاذ الله وإنما ذلك سبب البعد والمقت والطرد نسأل الله السلامة والعافية آمين. وبالجملة فالذي ينبغي له ألا يطالب أحدًا من الإخوان بتغريم شيء ويقف عند ما حده سيدنا رضي الله عنه من ذلك ويتخلق بأخلاق الزهاد عما في أيدي الناس عملاً بقوله الله صلّى الله عليه وسلم ((**ازهد في الدّنيا يحبّك الله وازهد في ما في أيدي النّاس يحبّك النّاس**))[387] ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُم﴾[388] إذا لم تزهد في دنى الدنيا الدنية فأنت بعيد من خير الآخرة العلية، وخلوّ قلبك من بغيضة المولى أحقّ بك أيها العاقل وأولى، لو لم يكن خبث الدنيا إلا أن حلالها حساب وحرامها عقاب لكفى فاعتبروا يا أولي الألباب، الفارغ من شغلها يا قوم لم يحترق بنار شعلها اليوم، الزهد في الشرع واجب في المحرمات ومندوب في الكثرة والمباحات وفي أحكام الحقيقة عند أهل الطريقة واجب في الجميع فقل نعم يا مطيع، تعطيل جيد دنيا العبد الزاهد السالك أعظم عند الله من حلي الراغب العفيف المالك، الدنيا كحية منظرها مزين ومسها يلين وباطنها قبيح وسمها دفين، كل يوم أهل الدنيا يرحلون عنها وكل نفس هم يبعدون منها لكنهم عميان عن الشهود وفي غفلة عن فهم المقصود، وقد ذوّقتك الدنيا ألم المشقة فبعد مسافة الشقة فاحذر عداوتها أيها الانسان فقد وعظك الملوان

---

[386] الزمر 22.

[387] الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة: 3401/7.

[388] هود 85.

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * * له عن عدو في ثياب صديق[389]

الدنيا سجن وصاحبها محبوس * * فوا عجبا لمحبوس يتنعم باللبوس

يؤتى على المرء في أيام محنته * * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن[390]

الزاهد المجرد استراح من تحمل الأثقال وخفت مؤونته من العيال. زهرة الدنيا ذبولها سريع والمرتفع بها وضيع والغني بها فقير والعزيز بها حقير. الدنيا وسيلة الآخرة ولا تجعلوا الوسيلة مقصدا. واعلم أيها الأخ أن أبناء الدنيا عبيد الشهوات وأبناء الآخرة ملوك وسادات وأن عيش أهل الدنيا بالنصب والنكد وعيش أهل الآخرة بالهناء والمدد وأرباب الدنيا أرقاء الرياء والنفاق وإخوان الآخرة خلاّص من رداءة الأخلاق ومن كانت همته الدنيا فهو جعليّ النفس لا ينتعش بغير نتنها ومن كانت همته الآخرة فهو ملاءي على الروح لا يرتاح لغير طيب عرفها. واعلم أيها الأخ أن الزهد على نوعين زهد في الدنيا وزهد في الآخرة فالأول للسعداء والثاني للأشقياء وقد يكون الزهد في الآخرة لمن لا له رغبة فيها شغلاً بالله عما سواه ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[391] ثم إن الزهد وإن كان من الوصف المحمود فهو يتفاوت باعتبار كل مشهد وشهود. فزهد المريد في أمتعة الدنيا والمال وزهد العابد في كل ما يشغل عنه البال وزهد أهل الورع في مباح الحلال والطمع وزهد السالكين فيما يحجبهم عن قيام الدين وزهد أهل الأحوال في أحوال غيرهم من الرجال وزهد أرباب المقامات فيما يصدهم عن المشاهدات وزهد أصحاب المعارف فيما يعطلهم عن العوارف وزهد أهل التحقيق الكبار فيما سوى

---

[389] من شعر ابن الرومي علي بن العباس بن جريج أو جورجيس. 221 - 283هـ / 836 - 896م من شعراء العصر العباسي. من طبقة بشار بن برد والمتنبي. [سير أعلام النبلاء. الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان. طبعة مؤسسة الرسالة. سنة النشر: 1422هـ / 2001م. عدد الأجزاء: أربعة وعشرون جزءا. الجزء الثالث عشر. الطبقة السادسة عشرة. ص496]

[390] من شعر المنذر إبراهيم بن ميخائيل منذر كحال، (1292 -1370 هـ) (1875 - 1950م) من بني معلوف المنتسبين إلى غسان. ولد في قرية المحيدثة (بكفيا - قضاء المتن) لبنان، وبها توفي. [«ديوان المنذر»، وديوان «شعر» المطبعة البولسيّة - لبنان 1973م]

[391] الأنعام 92.

الحق سبحانه من الأغيار وهؤلاء يرون مقام الزهد عندهم عين الحجاب وقشرًا أشغل به أهله عن اللباب وموجب ذلك رؤية الغير في الشهود ولهذا لم يفهم المقصود. وبهذا كله تعلم أنه لا نجاة لأحد إلا بالمتابعة التامة لساداتنا المشائخ الكرام في كل ما قالوه ورأوه مذهبًا ومخالفتهم تؤذن بالطرد عن حضرة الله تعالى وفقنا الله وإياكم لمتابعتهم وسلوك منهجهم آمين ومن بدع ذلك المبتدع في الطريق أنه يأمر أصحابه بعد عصر يوم الجمعة أن يهللوا بقدر معلوم لديه ويؤخرون البعض منها إلى أن يفرغوا من الحزب الراتب كأنه لم يعلم الحكمة في جعله في ذلك الوقت وأنه إذا فات وقته لا يقضى كما قال في منية المريد

ومن يفتها وقتها لا يلزمه * * قضاؤها بلا خلاف أعلمه

وتركها يفيت خيرًا جمًّا * * إلا لعذر عارض ألـمًّا

يكفيك في الفضل حضور المصطفى * * صلّى عليه ربّنا وشرّفا

(وقال شيخنا أبو المواهب السائحي رضي الله عنه) أراد أنه لا قضاء عنده في هذا الذكر أعني ذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة إذا فات وقته وهو كما عرفته من صلاة العصر يوم الجمعة إلى غروب الشمس ثم إن كان فاته لعذر عرض له في الوقت فلا بأس ويرجى أن يكتب له أجره بفضل الله تعالى ((**إنما الأعمالُ بالنيات**))[392]، و((**نيّة المؤمن خير من عمله**))[393] وإن فوّته لغير عذر فقد فوّت على نفسه خيرًا كثيرًا وضيّع نفسه في فضل كبير ولو لم يكن إلا الاستمداد من الحضرة المصطفوية صلّى الله عليه وسلم وشرف وكرم لكفى لأنه ثبت عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه: أن من فضائل هذه الحضرة حضور المصطفى صلى الله عليه وسلم.

---

[392] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1.

[393] الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 292/3.

((دقيقة)) قد عرفت تواطؤ جل مشائخ أهل التحقيق في مشارق الأرض ومغاربها على اختيار يوم الجمعة لهذه الحضرة وقد علمت أن المقصود الأهم من هذه الحضرة وخصوصًا على الكيفية المخصوصة بالسماع استجلاب الوجد وإثارة كامن أنوار العرفان فكأنهم رضي الله عنهم قصدوا أن يسبر السالك بذلك أحواله وأقواله وأفعاله في ذلك الأسبوع فيجني ثمرة أقواله وأفعاله من أحواله في الأسبوع كله يوم الجمعة باستغراقه في الحضرة على قدر استعداده وذلك لأن يوم الجمعة يوم المزيد لكل صادق وقد ذكروا عن بعضهم أنه كان يجعل ما يجده عند الجمعة محكّا يعيّر به أحواله في سائر الأسبوع الذي مضى فإنه إذا كان الأسبوع سالما يكون له يوم الجمعة مزيد الأنوار وإذا كان الأسبوع على العكس كان الأمر بخلاف ذلك مما يجده السالك من ظلمة القلب وسئامة النفس وقلة انشراح الصدر يوم الجمعة فهو مما ضيّعه في الأسبوع والرجاء قوي أنه إذا جاهد نفسه في سئامتها ودخل الحضرة واستعمل ما أمكنه من الحضور انجبر حاله فيما ضيعه في الأسبوع ببركة الذكر والذاكرين وشفاعة الشافعين والله تعالى أعلم وأحكم اهـ فإذا عرفت حكمة تخصيص ذكر الهيللة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة وأن الحكمة ما تقدم عن كتاب (**بغية المستفيد**) عرفت أن الذي يخرجه عن ذلك الوقت المعيّن له من سيدنا رضي الله عنه ومن جمهور المحقّقين مخالف لسيدنا رضي الله عنه غير سالك لطريقته ويعلم حقه أيضا أنه تصدر للمشيخة قبل خمود بشريّته ولم يبال بالوعيد الوارد في ذلك عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه وفي جواهر المعاني ما نصه: ذكر أهل الكشف أمورًا أن من فعل واحدًا منها ولم يتب يموت على سوء الخاتمة أعاذنا الله من ذلك وهي دعوى الولاية بالكذب وادّعاء المشيخة وهو التصدر لإعطاء الورد من غير إذن اهـ فإن قلت إن هذا المدعي المبتدع كان عنده الإذن من بعض المقدمين الجواب أنه بتضييع شروط الأهلية في التقديم التي من جملتها ما نحن بصدده ينسلخ عن التقديم ويبقى يعطي الأوراد من غير إذن وأيضًا أن الذي تصدر للمشيخة وأراد أن يكون له مريد قبل خمود بشريته وفطامه على يد شيخ كامل فإنه محجوب محب للرياسة لا يجيء منه شيء. قال الساحلي في بغية

السالك[394]: أما الانتفاع الكثير فلا يكون إلا من الوارث الكامل الذي رسخ عمله وقوي عقله وتطهرت نفسه وصدقت فراسته وترجح رأيه وسلمت فطنته وامتحن هواه وانشرح صدره بأنوار المعارف ونفحات الأسرار وأخذ عن شيخ وارث بهذه الصفات وأذن له في الانتصاب لهداية الخلق بتخليص أنفسهم من عللها وهذه هي الوراثة الحقيقية وأما من لم يبلغ هذه المنزلة من الوراثة ولم يتخلّص من تبعات نفسه فاشتغاله بصلاح نفسه أولى وأسلم من فساد الرياسة لأنه بما بقي فيه لا يخلو عن شره وبالشره تتراكم الظلم فتغيب الحكم والانفعال لها فالمعترض لهداية غيره الهداية المشار إليها بغير علم قبل أن تحصل له حقيقة الوراثة فهو بما عنده من الشره والجهل هالك مهلك ضال مضل فلله در القائل

يا من يبث لغيره تعليمه * * هلا لنفسك كان ذا التعليم[395]

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * * عار عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيّها * * فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُسمع ما تقول ويُقتدى * * بالقول منك وينفع التعليم

ومن تعرّض لهداية غيره بغير معرفة فهو خائن ومن طب غيره بغير علم فهو ضامن إذ بما عنده من الجهل ربما أخرج الأدوية عن موضوعاتها وعدل عن مقاديرها فساق المريض إلى الهلكة وعاجله بالمنية قال بعض العارفين في قوله تعالى ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[396] ومن الغرور قوله للمريد إنك بلغت منتهى المقامات وآخر الدرجات فاسكن عن مجاهدتك ورياضتك واجلس في

---

[394] كتاب: بغية السالك إلى أشرف المسالك لمؤلفه: محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم أبو عبد الله المعمّم الأنصاريّ الساحليّ المالقيّ: 754هـ/ 1353م.

[395] من شعر الدؤلي أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني. واضع علم النحو. رسم له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذه عنه جماعة. وهو - في أكثر الأقوال - أول من نقط المصحف. [سير أعلام النبلاء. الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان. طبعة مؤسسة الرسالة. سنة النشر: 1422هـ /2001م. عدد الأجزاء: أربعة وعشرون جزءا. الجزء الرابع. وممن أدرك زمان النبوة. من ص82 إلى ص86].

[396] النساء 119.

مجلس الشيوخ وتكلم بكلامهم أنت أعظم منهم حتى يدور حولك المريدون أراد بذلك الغرور أن يوقعه حب الجاه والرياسة فيهلك فيها كهلاك هؤلاء المطرودين في زماننا طهر الله تعالى وجه الأرض منهم ومن أمثالهم ا.هـ [**قلتُ**] ولهذا السبب حذّر الشيوخ من الاغترار بكل مدّع ناهق واتّباع كل متحلّ بما ليس فيه ناعق وقالوا الاغترار أصل كل غواية والحذر أصل كل هداية والمراد بالاغترار التسليم لكل مدّع وإنما يسلّم لمن ظهرت عليه آثار الخصوصية لا لكلّ مدّع بل أجمعوا على أن من ادّعى رتبة من الرتب مكلّف بإقامة الدليل على صدق دعواه وينصّب له ميزان الشرع هل يصدق فيما ادّعاه أو لا ولا يسلّم للمدعين ما ادّعوه إذ لو سلّم لهم لفسد الدين من أصله ولتولّى الأمر على غير أهله. واعلم أيها الأخ أن لهذه الطريقة حفّاظاً يحفظونها وحرّاسًا يحرسونها هم أهل الله تعالى وأنصار دينه أيّدهم الله تعالى بالعلم الباطن والظاهر وأمدّهم باسمه الحفيظ والناصر وما أوتي على كثير من الناس إلا من الغلط في التسليم فسلّموا لكل مدّع دعواه محقًا كان أو مبطلاً ورأوه التسليم المأمور به والحق أنه إنما يسلّم لمن لاحت عليه آثار الخصوصية وتأدّب بآداب الطريقة اهـ أفاده صاحب الرماح وزاد أيضًا إن من لم يكن له حد وبصيرة تامة ربما اغترّ بالمدّعين الكذابين ووقع على يد واحد من أهل الظلام الذين يجتمع عنده أهل الظلام ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[397] (حكى) في **الذهب الإبريز عن القطب سيدي عبد العزيز**[398] أنه قال وقد يكون الرجل مشهورًا بالولاية عند الناس ويقضي بالتوسل إلى الله الحوائج ولا نصيب له في الولاية وإنما قضيت حاجة المتوسل به على يد أهل التصرف وهم رضي الله عنهم الذين أقاموا ذلك الرجل في صورة الولي ليجتمع عليه أهل الظلام مثله وهم الذين يتصرّفون تبعًا للقدر فهو عندهم بمنزلة الصورة التي يجعلها صاحب الزرع في فدّانه ليطرد بها البراطيل تظن الصورة رجلاً فتهرب منه ذلك في الحقيقة من فعل صاحب الفدّان لا من فعل الصورة فكذلك أهل التصرف رضي الله عنهم يقيمون ذلك الرجل ويجمعون عليه أهل الظلام مثله والمتصرف فيهم خفي عندهم ولا يظهر لهم لأنه حق وهم لا يطيقون

---

[397] الكهف 99.

[398] كتاب الذهب الإبريز لأحمد بن مبارك - تلقاه من: الشيخ عبد العزيز الدباغ. طبعة المطبعة الميمنية بمصر. 1316هـ.

الحق. وإذا فهمت هذا علمت أن المغتر بكل مدّع خائب خاسر وأن ظهور من لم يكن صالحًا للظهور ضرر عظيم وعطب جسيم وعذاب أليم عاجلاً وآجلاً لمتّبعيه إلا إذا منّ الله عليهم بمرشد صادق ينقذهم ويخلّصهم بصحبته ويردّهم إلى طريق الفلاح. ونقل عن القشيري رضي الله عنه أنه قال: إن الشيخ إذا لم يكن عارفًا بالسلوك وما يطرأ على المريد وأخذ الطريق من الكتب وقعد يربي المريدين طلبًا للمرتبة والرياسة فإنه مهلك لمن تبعه فلابد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك اهـ وفي رسالته والخلاصة المرضية ومن آداب المريد إذا صار مرادًا قبل خمود بشريته وآفته فهو محجوب لا ينفع أحدًا بإشارته وتعلّمه اهـ فإذا تهمّد هذا وعلمت أن تبديل ما أصّله الأشياخ من ترتيب الأوراد مع تعيين أوقاتها ظهر لك أنه لا شيء أضرّ للمريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم وعدم قبول إشاراتهم فيما يشيرون به عليه كتعيين وقته مثلاً والاستقامة في جميع أمور الطريقة بحيث لا يتعدّون ما رتبوه من الأوراد على الأوقات لأن سر الذكر مرتبط بوقته فلا تحصل فائدته إلا بالمحافظة على وقته. وذلك كله يؤخذ من حد الاستقامة وهو على ما أصّلوه المتابعة على السنن المحمّدية مع التخلّق بالأخلاق المرضية وإن شئت قلت الاستقامة للعبد العليم المشي على الصراط المستقيم وإن شئت قلت الاستقامة ترك الملامة وإن شئت قلت الاستقامة هي الاتّباع مع ترك الابتداع وإن شئت قلت الاستقامة هي التخلق بأخلاق الله على ما شرّعه رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهي الكرامة ولا كرامة بدونها وما يكون فيها من خرق العادة بسبب العبادة عدوه علامة أي علامة استقامة السلوك على الصراط المسلوك التي عليها الصوفي وهو من صفا وتخلص من الجفا والصوفي آثر الأخفا وألبس خلعة الاصطفا وليس الصوفي من لبس الصوف وادّعى ولحقوق الشريعة ما رعى التصوف هداية وبعد عن الغواية الصوفي من بالشريعة اقتدى وبالحقيقة تحقّق واهتدى. ومن آداب الصوفي القبض له لشهود الجلال والبسط لمشاهدة الجمال ولهذا تراه يطير بجناحي الخوف والرجاء على صراط الاستقامة بالتضرع والالتجاء. وعليه فلا تغتر أيها الأخ بما قال أهل الظلام من نسبة الولاية إلى المبتدع لأن شأن الولاية عجيب لأن أولياء الله معدن سرّه المصون وهو لا يطلعك على غيبه المكنون

أولياء الله عرائس الحضرة أسدل عليهم حجاب الغيرة أولياء الله كنوزه الخفية عن الكثير من البريّة أولياء الله فارقوا أهل هذا العالم بالأرواح وساكنوهم بما ظهر من هياكل الأشباح وللأولياء قلوب نورها أضوء من الشمس الحسية فيا لها من أنوار مضيئة ولطائف معنوية فهم نجوم الأرض لأهل السماء ونورهم لنا ولهم أسمى

أمرتقب النجوم من السماء * * نجوم الأرض أنصع في الضياء
فتلك تبين وقتا ثم تخفى * * وهذه لا تكدر بالخفاء
هداية تلك في ظلم الليالي * * هداية هذه كشف الغطاء

ويكفي هذا الذي ذكرناه من تحذيركم من الغرور وتوكيدكم على التيقظ في جميع الأمور انتهى

((**خاتمة في بعض الوصايا**)) اعلم أيها الأخ النجيب إن أردت التقريب فخالف الطباع واتّبع الإجماع فإن الانتفاع محصور في الاتّباع وأن ضياع المريد في الابتداع ثم اجعل التقوى الأساس وراقب الخواطر والأنفاس وكن في الطلب كثير الأدب واعتمد الورع واجتنب الطمع لأنك إذا لم تزهد في الدنيا الدنية فأنت بعيد عن خير الآخرة العلية ولأن خلو قلبك من بغيضة المولى أحق بك أيها الأخ وأولى إذ لو لم يكن من خباثة الدنيا إلا حلالها حساب وحرامها عقاب لكفى وإن الفارغ من شغلها لم يحترق بنار شعلها والزهد في الشرع واجب في المحرمات ومندوب الكثرة من المباحات وفي أحكام الحقيقة عند أهل الطريقة واجب في الجميع واحذر أيها الأخ الغلط ولا تركب الشطط وتواضع للكبير وتودّد للصغير واصحب الفقراء واترك الأمراء وكن في المجاعة كثير القناعة وثق بالرازق وخلّ الخلائق. قال أمير المؤمنين سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه ورضي عنه:

أتطلب رزق الله من عند غيره * * وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصراف وإن كان مشركا * * ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

وقال بعضهم

كم من قوي قوي في تقلبه * * مهذب الرأي عنه الرزق منحرف

كم من ضعيف ضعيف في تقلبه * * كأنه من خليج البحر يغترف

هذا دليل على أن الإله له * * في الخلق سر خفي ليس ينكشف[399]

وقال سيدنا الحسن رضي الله عنه:

لا تخضعن لمخلوق على طمع * * فإن ذلك وهن منك بالدين

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

واعلم بأنك لا تعطاك خردلة * * إلا بإذن الذي سواك من طين

واسترزق الله مما في خزائنه * * فإنما الرزق بين الكاف والنون

واعلم أيها الأخ أن أعظم آفة دخلت على الأغنياء محبة تواضع الفقراء لهم وهو ذهاب دين الفقراء وبطلان ثواب الأغنياء قال صلّى الله عليه وسلم ((**من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه**))[400] هذا في غني صالح فما ظنك بالغني الطالح وإذا تواضع له بقلبه ذهب دينه كله. وقال بعض العارفين إني لأستحيي من خالقي أن أختبئ الرزق وكان يتفكر في هذه الآية ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ

---

[399] حلية الأولياء لأبي نعيم » سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. رقم الحديث: 10834.

(حديث مقطوع) قال أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْخَلالُ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي عُمَرَ، يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، فَذَكَرُوا الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ وَدَهَاءَهُ، فَأَنْشَأَ سُفْيَانُ يَقُولُ:

كَمْ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي تَقَلُّبِهِ * مُهَذَّبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ

وَكَمْ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُخْتَلِطٍ * كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ

[400] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 3270/7.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[401] ثم قال انظر وتفكر هل سألت الله عز وجل اللهم لا تمتني اللهم لا تبعثني بعد الموت لما قد وطّنت نفسك عليه هذا ما لا يكون فما بال قلبك لا يلزمه من اليقين بالرزق مثل ما لزمه من اليقين بالموت والبعث وكل هذا في آية واحدة مجموع وكما لا تستطيع أن تزيد في أجلك ولا تنقص منه كذلك الرزق فلو هرب ابن آدم من الرزق كما يهرب من الموت لأدركه كما يدركه الموت وكذلك سأل الله الرزق أو لم يسئله لرزقه قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يحرص على الدنيا إلا بالجهل ولا على العبادة إلا بالعلم**)) وسئل إبراهيم بن أدهم عن غاية التوكل فقال لو أن رجلاً أراد أن يحتال لحياة ميت أليس يعجب منه ويشهد عليه بالجنون قيل نعم قال فمن ظنّ أن رزقه يزيد باحتياله واكتسابه فهو أعجب وإلى الجنون أقرب لأن الله عز وجل قال ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[402] فهذا غاية التوكل قال الله عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[403] والحسب هو الكافي ومن علم أنه كافيه لا يستوحش من إعراض الخلق ولا يستأنس بإقبال الخلق ثقة بأن الذي قسم له لا يفوته وإن أعرضوا عنه وأن الذي لم يقسم له لا يصل إليه بحال واعلم أيها الأخ أن من توكل على مخلوق ووثق به ضيعه في وقت الحاجة إليه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[404] ألا ترى أن يعقوب عليه السلام لما وثق بمقالة بنيه حيث قالوا ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[405] كيف ضيّعوه فعلى العبد أن يتوكّل في جميع حالاته على ربه فإن الله عز وجل لا يضيعه لقوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[406] جعل بإزاء كل خصلة من خصال الخير ثوابًا إلا التوكل جعل بإزاء الدعاء الإجابة وبإزاء التوبة القبول وبإزاء المجاهدة الهداية وبإزاء الاستغفار المغفرة ولم يرض أن

---

[401] الروم 39.

[402] الروم 39.

[403] الطلاق 3.

[404] الطلاق 3.

[405] يوسف 12.

[406] الطلاق 3.

يجعل بإزاء التوكل شيئا فقال ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ والمتوكل يخلي قلبه من الشغل ويستريح بدنه من التعب ويسكن إلى خالقه ببغيته وترك التحريك والطلب ويقبل على نفسه ويترك الهموم على من طلب الدنيا ويعلم أن الله بالغ أمره ويحفظ قدر الخالق في قضائه قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[407] والمتوكل أيضا لا يهرب من الشدة ولا يطمع في الراحة فإن وصلت إليه الراحة فليحمد الله وإن وصلت إليه الشدة فليرض بذلك كما أنه يعاينه ولا يريد سواه ويكون مفوّضًا أمره إلى الله راضيًا بقضائه عالمًا ألا مفرّ لعبد مما قضى عليه خالقه قال تعالى ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[408] أي ارض بقضاء ربك وقال بعضهم من علامة التوحيد والثقة بالموعود كثرة العيال على بساط التوكل وجاء رجل إلى الشبلي رضي الله عنه يشكو إليه كثرة العيال فقال له ارجع إلى بيتك فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك وقال لبشر الحافي رضي الله عنه يقول أحدكم توكلت على الله لو توكل على الله رضي بما يفعل الله به فإن أردت أن تعرف حال الرجل هل يعرف الله تعالى أم لا فانظر إلى ما وعده الله تعالى وإلى ما وعده الناس بأيّهما يكون قلبه أوثق فإن كان بالله فاعلم أنه عارف وإن كان بالناس فاعلم أنه جاهل بالله ملعون من كانت ثقته بالأصحاب مثله ولا يكون واثقًا بربه ومن كان واثقًا بالله فقد أحرز قوته واعلم قطعًا أنك لا تقدر أن تعطي لنفسك ولا لأهلك وولدك ما لم يعطهم الله تعالى ولا تقدر أن تمنعهم الذي رزقهم الله تعالى فإنه لا مانع ولا معطي ولا رازق ولا مالك غيره فهو الذي بيده ملكوت كل شيء له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى فلا تنتظر الرزق إلا من الله ولا تتوكل إلا عليه إنما يتوكل على الله من لا يرى فاعلاً سوى الله وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته إلى الأسباب والوسائط ومن لم يصف باطنه من رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن شرك خفيّ فليتق الله عز وجل في تصفية توحيده عن كدرات الشرك وشراهيته واعلم أن أهلك وولدك إن لم يكونوا صالحين فلا تبالي على ما وقعوا كما روي أن عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه في مرضه

[407] الطلاق 3.

[408] الإنسان 24.

الذي مات فيه قيل له إنك صنعت أمورًا لم يصنعها أحد قبلك إنك تركت أولادك ولم تخلف لهم دينارًا ولا درهمًا وكانوا ثلاثة عشر فقال لهم رضي الله عنه أقعدوني فأقعدوه فقال لهم أما ما ذكرتم فإني لا أقدر أن أمنعهم الذي لهم ولا أقدر أن أعطيهم ما ليس لهم أولادي أحد رجلين من كان منهم مطيعًا لله تعالى فالله تعالى يكفيه ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[409] ومن كان منهم عاصيًا فلا أبالي على ما وقع. وكتب أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أخ له في الله أما بعد فإن يكن أهلك وولدك لله تعالى أولياء فإن الله لا يضيّع أولياءه وإن يكونوا لله أعداء فما تماسكك بأعدائه والرزق أشد طلبا للعبد من أجله لا يقدر العبد على تحصيل دفعه ولا يزيد بالطلب ولا ينقص بترك الطلب والذي قسم لك لا يفوتك وإن لم تطلبه والذي لم يقسم لك لا يحصل إليك وإن طلبته فلا تتكل على غير الله فيكلك الله إليه ولا تعجل لغير الله فيجعل الله ثوابك عليه وانقطع بهمتك إلى الله عز وجل واعط كليتك له ولا تشتغل بتدبير الدنيا فإن الله عز وجل يكفيك مؤونتها ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[410] ومن يتوكل على الله فإن الله لا ينساه فلا تقصد غير الله ولا تر غيره ولا تلتفت إلى سواه ولا ترج ولا تخف إلا إياه واقطع طمعك من المخلوقين فيهون عليك الأمر فإنهم لا يملكون لك ضرًّا ولا نفعًا فمن لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[411]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما **اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل أجمعوا ألا رازق إلا الله ولا مميت إلا الله** وفي كتاب الشهاب[412]: أوحى الله إلى الدنيا يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك يا دنيا من خدمك

---

409 الأعراف 196.

410 المزمل 8.

411 يونس 107.

412 كتاب **شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث المرويه عن الرسول المختار**. كتاب في الوصايا والأمثال. [مخطوط. معهد دراسة الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو] للقضاعي، محمد بن سلامه بن جعفر بن محمد بن علي بن نصر المصري، الشافعي، قاضي مصر. مات بمصر في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وأربعمائة. [سير أعلام النبلاء. الجزء الثامن عشر. الطبقة الرابعة والعشرون. طبعة مؤسسة الرسالة 2001م. ص92 ص93].

فاستخدميه ومن خدمني فاخدميه ومن جرى مع الله تعالى على عادة أوليائه في قوة القلب به والثقة البالغة بوعده فيرزقه من حيث لا يحتسب من غير تعب ولا نصب كما رزق أولياءه ومن جرى معه على عادة العوام في ركونهم إلى الأسباب فلا يرزقه إلا بالتعب والنصب تصديقًا لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلم ((**من انقطع إلى الله عزَّ وجلّ كفاه الله كلّ مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها**))[413] وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي لقوله تعالى ﴿وَامُرَ اَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَاَ نَسْـَٔلُكَ رِزْقاًۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۖ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوِىٰ﴾[414] وقيل لإبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ما حرفتك فقال إن عمال الله لا يحتاجون إلى الحرفة. وسئل أبو عبيدة القرشي رضي الله عنه عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال له السائل زدني فقال أترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي إربك وهو مثل توكل إبراهيم عليه السلام حين قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال أما إليك فلا إذ كان سؤاله سببًا يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له فتركه ثقةً بأن الله تعالى أراد تسخير جبريل له حتى يكون الحق هو المتولي لذلك وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ازهد في الدّنيا يحبّك الله وازهد فيما في أيدي النّاس يحبّك النّاس**))[415] والزهد أن ينزوي عن الدنيا طوعًا مع القدرة عليها فأما إن زويت عنه الدنيا وهو راغب فيها فذلك فقر ليس بزهد وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إذا أراد الله بعبده خيرا زهّده في الدنيا ورغّبه في الآخرة وبصّره بعيب نفسه**))[416] وقال ((**من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلّم وهدى بغير هداية فليزهد في الدّنيا**))[417] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**الدّنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم**

---

[413] أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط))، والبيهقي في ((شعب الإيمان)).

[414] طه 131.

[415] الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة: 3401/7.

[416] رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس.

[417] الراوي: الحسن البصري | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 340/6.

عنده وعليها يحسد من لا فقه عنده وعليها يشقى من لا يقين له))[418] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا فقالوا نعم ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية**))[419] وقال بعض الزهاد إن دنيا العبد في بطنه فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد في دنياه وبقدر ما تملك بطنه تملكه الدنيا وقال عبد الواحد بن زيد من ضبط بطنه ضبط دينه وكانت بليّة أبيكم آدم عليه السلام أكلة وهي بليّتكم إلى يوم القيامة وقال المحاسبي رضي الله عنه لا تصل إلى شيء مما ذكرت إلا بالعزم الصحيح والنية الجديدة على مخالفة الهوى فأول مخالفة الهوى ضبط البطن فإن العبد إذا ضبط بطنه ملك جوارحه وعرف قلبه وهانت المحاسبة وسائر مخالفة النفس فيما تهوى بإذن الله تعالى وإن ضيّع بطنه صعب عليه الأمر وشردت جوارحه وضاع قلبه ولم يعرف حاله ولم يقدر على المحاسبة وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه لكل شيء ضد وضد نور القلب شبع البطن وقال أفضل الأعمال مخالفة النفس وقال لأن أترك من عشاءي لقمة أحب إليّ من أقوم الليل إلى آخره وقال ترك شهوة واحدة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال إذا جاع العبد صفا قلبه ورقّ وإذا شبع عمى وضارّه وقال عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس وصفاء للقلب ويورث العلم السماوي وقال لكل شيء علم وعلم الخذلان ترك البكاء وقال لكل شيء مفتاح ومفتاح الآخرة الجوع ومفتاح الدنيا الشبع وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وقال سهل بن عبد الله خلق الله الخلق وجعل العلم والحكمة في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في أكل الحلال وقال يحيى بن معاذ الرازي الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق ولا تطفئ نار حتى يحترق صاحبه وقال من أحب الله أبغض نفسه وقال رضي الله عنه لو أن الجوع يباع في

---

418 أخرجه أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله "ولها يجمع من لا عقل له" دون بقيته وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه "ومال من لا مال له".

419 الراوي: الحسن البصري | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 340/6.

السوق لما كان ينبغي لطالب الآخرة إذا دخل ألا يشتري من غيره وقال أنت بين الله وبين خلقه فإن علّقت قلبك بالله خدموك وإن علّقت قلبك بهم خذلوك ومقتوك وقال ليس محبًا من ليس فيه ثلاث خصال يؤثر القرآن على كلام الخلق والخلوة على لقاء الناس والعبادة على طلب الدنيا وخدمة المخلوقين وقال سفيان الثوري رضي الله عنه العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجماعة وليس شيء أضر على المريدين من أكل بغير فاقة والكلام بغير ضرورة والمشي لغير حاجة وليس شيء أنفع لهم من التقلّل والصمت والخلوة ومن شأن المريد دوام المجاهدة في ترك الشهوة فإن من وافق شهوته عدم صفوته وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله عز وجل ومن شأن المريد ألا يكون له معلوم فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور القلب ومن شأن المريد قصر الأمل من وقته فإذا كان له تدبير في المستقبل وتطلّع لغير ما هو فيه من الوقت وفيما يستأنفه لا يجيء منه شيء وما من وعاء أبغض إلى الله من بطن مليء من الحلال وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بدّ فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**))[420] وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أنه قال ((**من أكل فوق الثلث إنما يأكل من حسناته**)) قال أبو حامد الغزالي رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال ((**أفضلكم عند الله تعالى أطولكم جوعا وتفكّرا وأبغضكم عند الله كلّ أكول وشروب**))[421] وقال ((**ما من عمل أحبّ إلى الله من جوع وعطش**)) وقال ((**إنّ الشّيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدّم فضيّقوا مجاريه بالجوع والعطش**))[422] وقال ((**سيد الأعمال الجوع والعطش**)) وقال ((**الفكر نصف العبادة وقلّة الطّعام عبادة**)) وقال ((**لا يدخل ملكوت السّماء من ملأ بطنه**)) وقال ((**لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء**)) وقال ((**أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السّلام حذّر وأنذر أصحابك أكل الشّهوات فإنّ القلوب المتعلّقة بشهوات عقولها عمي محجوبة. والشّهوة زمام الشّيطان من**

---

[420] الراوي: المقدام بن معدي كرب | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 674.

[421] ذكره العراقي في المغني والزبيدي في الإتحاف وأورده الغزالي في الإحياء.

[422] علي بن الحسين بن علي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 7171.

أخذها كان عبده. من أراد صفوة قلبه فليؤثر الله على شهوته. ما زاد على الخبز فهو شهوة))[423] ا.هـ
وأوصيك أيها الأخ بما وصّى به صاحب **المرشد المعين**[424] المريد الصادق من قوله

ويوقف الأمور حتى يعلما * * ما الله فيهن به قد حكما

يطهر القلب من الرياء * * وحسد عجب وكل داء

قال صلّى الله عليه وسلم ((**ثلاث منجيات وثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع وإعجاب المرء بنفسه**))[425] وقال لأبي ثعلبة ((**إذا رأيت شحّا مطاعا وهوى متّبعا وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بنفسك**))[426] وقال ابن مسعود رضي الله عنه **الهلاك في اثنين العجب والقنوط**. وقال مُطرّف: لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب من أن أبيت قائما وأصبح معجبا. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لو لم تذنبوا لخشيت عليكم أكبر من ذلك؛ العُجب**))[427] فجعل العجب أكبر من الذنوب وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئًا فقالت **إذا ظنّ أنه محسن**. وآفات العجب كثيرة لأنه يدعو إلى الكبر إذ العجب أحد أسبابه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد وأما مع الله فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها بنسيانها وما يتذكر منها يستصغره فلا يجتهد في تذاكرها وتلافيها بل يظن أنها تغفر له وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويمنّ على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق إليها والتمكن منها ثم إذا أعجب بها عمى عن آفاتها ومن لا يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعًا فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصةً تقيه عن الشوائب قلّما تنفع وإنما يتفقد من يغلب عليه الخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه تعالى ويأمن مكر الله تعالى

---

[423] وَفِي رواية: **إِنَّ أَهْوَن مَا أَصْنَع بِالْعَبْدِ مِنْ عَبِيدِي إِذَا آثَرَ شَهْوَة مِنْ شَهَوَاته أَنْ أَحْرِمهُ طَاعَتِي**. راجع تفسير ابن كثير سورة مريم الآية 59 [فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا].

[424] المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر عبد الواحد الأندلسي والمشهور بمتن ابن عاشر.

[425] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 389/2.

[426] الراوي: أبو ثعلبة الخشني | المحدث: أبو داود | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 4341.

[427] أخرجه البزار والبيهقي في الشعب وابن حبان في الضعفاء.

وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عنده حقًا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه وعلّة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة للجهل فقط إذ لا معنى لعجب العبد بعبادته لأن ذلك من فضل الله ومن أراد استقصاء حقائق أمراض القلب وأسبابها وعلاجها فعليه بالربع الثالث من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ولذاك

واعلم بأن أصل ذي الآفات * * حب الرياسة وطرح الآت

رأس الخطايا هو حب العاجله * * ليس الدوا إلا في الاضطرار له[428]

أخبر أن أصل هذه الآفات أي آفات القلوب وهي أمراضها التي يطلب من الإنسان تطهيره منها والكبر والحسد وغيرهما كما تقدم وإنما هو حب الرياسة في الدنيا الذي قيل فيها إنه آخر ما ينزع من قلوب الصديقين ونسيان الآخرة وعنه عبر بطرح الآت ثم استدلّ على ذلك بقوله صلّى الله عليه وسلم ((**حبّ الدنيا رأس كل خطيئة**)) وعن الدنيا عبّر بالعاجلة قال تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾[429] الآية ولما ذكر أن أصل الآفات هو حب الدنيا بدليل الحديث المتقدم أرشدك إلى أدواء تلك الآفات والمخلص منها هو في الالتجاء والاضطرار إليه سبحانه وتعالى في التغلب على النفس ومخالفة هواها وسوقها إلى الطاعة وهي تنفر وتميل إلى المعصية لأن ذلك طبعها قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِالسُّوٓءِ الاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى﴾[430] وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوِىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوِىٰ﴾ وقد سمّى صلّى الله عليه وسلم جهاد النفس بالجهاد الأكبر وأجمع العلماء والحكماء ألاّ طريق لسعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى وترك

[428] متن أبي عبد الله عبد الواحد ابن عاشر الأندلسي.

[429] الإسراء 18.

[430] يوسف 53.

الشهوات وقال صلّى الله عليه وسلم ((**المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده وكافر يقاتله ومنافق يبغضه وشيطان يضله وفقر ينازعه**)) وهذا الحديث ختام هذا الفصل والحمد لله.

(وأوصيك أيها الأخ) بخدمة الإخوان من الرجال على بساط الإجلال وإذا قرّبوك إليهم وأطلعوك على سرهم فلا تفش الأسرار تطرد عن الأخيار فالإبعاد بعد التقريب أعظم شقاوةً وتعذيبًا فاستعذ بالله من السلب بعد العطية فإن ذلك أكبر رزية وإذا رأيت نفسك غلبت عليها الشهوة والقلب حلته القسوة قصّر لها الأمل وتوقع بها الموت بالعجل ومثّل نفسك في القبور وتذكر يوم النشور والوقوف للحساب وهوان العذاب وتدقيق الأوزان بتحرير الميزان وخف زلة القدم على الصراط والندم فالرجل من حرص على الخلاص وطلب الاختصاص لأن من قنع بالحال النازل في أخبث المنازل فهو في الهاوية وحاد عن الطريقة الناجية

إذا ما رأيت المرء يعتاده الهوى * * فقد ثكلَته عند ذاك ثواكِلُه

وقد أشمتَ الأعداءَ جهلا بنفسه * * وقد وَجدَت فيه مقالاً عواذله

ولم ينزع النفس اللجوج عن الهوى * * من الناس إلا وافر العقل كامله

إلهي بسطت يد الفاقة والافتقار وجئت بحالة الذلة والانكسار ووقفت بالباب وتوسّلت بالأحباب فأجب سؤالي ولا تخيب آمالي إلهي جودك مبذول للسائلين وفضلك على العاصين وللطائعين تعطي بلا سؤال فكيف من طلب السؤال إلهي أخجلتني الذنوب وأحجمتني العيوب فأنّى لي بالخلاص ومقام الاختصاص إلهي كرمك دلني على الطلب والحياء ردني إلى الآداب فحرت بين وصف الجود وأدب الشهود إلهي انظر إليّ نظر العناية ووفّقني لسبل الهداية واخلع عليّ خلعة الولاية واعصمني بعد من الغواية إلهي أذقني حلاوة الوصال وأحلّ لي حضرة الجمال وامنعني سطوة الجلال وحققني بحقيقة الكمال إلهي أنت الذي اصطفيت وأنت الذي أعطيت وأنت الذي وفّقت وهديت فوفّقنا بتوفيقك واهدنا إلى سواء طريقك إلهي لا تجعلنا من المغفّلين الغافلين ولا تكتبنا من المهملين واجعلنا من

العالمين العاملين الكاملين المكمّلين لو لم ترد القبول ما وفقتنا للسؤال ولولا ما شئت العطا ما أطلقت فأجب اللهم الدعاء وعجل الإجابة وصوب هذا السهم لغرض الإصابة إلهي فكّ أسر النفوس ونجّنا من البؤس وأدخلنا حضرة الامتنان بالأمان وأشهدنا مشهد الإحسان بالإحسان أنا وجميع الأحباب آمين مع العافية إلى الأبد بدوام المدد وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ا.هـ

ثم يليه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وبعد فبإذني كتب الفقيه البركة السيد مبارك بن علي التناني هذه الإجازة من الأصل الذي كتبته بخط يدي أمرته أن يكتبها لأخينا في ذات الله تعالى الفقيه البركة سيدي علي بن أحمد الأساكي نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا للطريقة الأحمدية التجانية وأن يجعل لنا أوفر حظ ونصيب في محبتها ومحبة الذي وهبت له من الحضرة المحمّدية محبة توصلنا إلى الرضى الأكبر آمين قاله وكتبه بأول جمادى الثانية عام 1323 خديم الأعتاب التجانية أفقر الورى إلى رحمة المولى: الحسين بن الحاج أحمد بن الحاج بلقاسم الأفرني أمّنه الله من محن الدنيا والآخرة ولطف به آمين.

الحمد لله اللهم صلّ على سيدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم. فبحمد الله جلّ جلاله وعزّ كماله وتقدس مجده وكرمه أذن كاتبه الآتي اسمه في أسفله لأخينا في ذات الله تعالى المقدم البركة العلامة ميمون السعي والحركة سيدي الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي في تلقين جميع ما احتوت واشتملت عليه هذه الإجازة المباركة لمن طلب منه من جميع عباد الله المؤمنين بالشروط المشروطة فيها والآداب المبيّنة فيها وأن يجيز لمن أهّل للتقديم بما يقتضي نظره من التقديم المطلق أو المقيّد كما بيّن في الإجازة بعد التحرّز التام غاية لا سيما في التقديم المطلق كمثل هذه إذنًا عامًا شاملاً لجميع الأذكار اللازمة وغيرها وإجازة مطلقة كما بيّن في الإجازة وعليه ألا ينسانا في الدارين وكتبه العبد الجاني علي بن أحمد الأساكي السوسي عامله الله بلطفه وفضله مؤرّخًا بأواخر آخر الربيعين سنة 1337.

وأجازني العارف الأكبر والكبريت الأحمر ذو الأنوار البهية والأسرار السنية من انتشر صيته في الآفاق الخليفة على الإطلاق سيدنا وسندنا ومولانا محمود بن مولانا الخليفة الأكبر الشريف الأعظم ذي المناقب العجيبة محمّد البشير ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلّ على سيدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم الحمد لله الذي يجيز من استجازه إلى حضرة فضله ويمدّ من استمدّه بسر مدده الفياض من باب كل سر وفضله والصلاة والسلام على سيدنا محمّد المقتدى به في كل مجاز الشفيع في كل من أدلى إليه بأي سبب وإليه انحاز وعلى آله وأصحابه الذين حصلوا على أصحّ جواز وكلّهم بمتابعة نهجه القويم قد فاز أمّا بعد فيقول مقتطف جنى الفضل الداني عبد ربه محمود التجاني حفيد القطب المكتوم والبرزخ المختوم والخاتم المحمّدي المعلوم سيدنا ومولانا أحمد التجاني الحسني قدّس الله سره السني إنّي بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه قد أذنت وأجزت محبّنا الفقيه الخيّر الناسك الأبر الثقة السيد الحاج الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي في أوراد جدّنا سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه اللازمة للطريقة وجميع ما ورد عن سيدنا الشيخ من الأوراد والأذكار والآيات القرآنية والأحزاب وغير ذلك من أي ذكر كان وجميع الأسماء والمسميات إذنًا مطلقًا عامًا من غير حدّ ولا حصر وأن يقدم من شاء ومن قدمه يقدّم من شاء وهلمّ جرا بشرط الأهلية في التقديم ويجتنب تقديم العوام كقاعدة الإجازة والتقديم لابد من الأهلية في كل شيء ولا يقدم من يحب الشهرة والرياسة ولا من يكون حريصًا على طلب التقديم وهذا الاحتياط خشية الاختلال والفساد في الطريق وإني قد أذنته في جميع ما كان في جواهر المعاني من الأوراد والأذكار وجميع ما كان في كتاب الجامع إذنًا وتلقينًا في ذلك كله في الأوراد اللازمة للطريقة كورد الصباح والمساء والوظيفة وحضرة يوم الجمعة وغير اللازمة كذكر اسم اللطيف بجميع تراكيبه وأعداده بأنواعها وتصرفاتها والصلاة الغيبية وياقوتة الحقائق وحزب البحر وحزب السيفي والفاتحة بنية الاسم الأعظم الكبير والاسم نفسه والأسماء الإدريسية والآيات القرآنية وسور القرآن وكذلك الدور الأعلى المنسوب للشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن العربي الحاتمي وكذلك أجزته في

قراءة دور الأنوار وتصرفه لسيدي محمّد بن العربي الدمراوي وفي جميع ما ثبت من الأذكار عن الشيخ رضي الله عنه حيث كانت وتعينت أنها مروية عن الشيخ إذنًا صحيحًا مطلقًا خالدًا إلى الأبد والله سبحانه المتفضل بما شاء على من يشاء وأسأله النفع لحامل هذا وأن ينفع من أخذ عنه وأسأل من فضله العظيم أن يهبنا رضاه ورضى رسوله صلّى الله عليه وسلم ورضى شيخنا القطب المكتوب رضي الله عنه رضى لا سخط بعده آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمّد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وكتب في آخر شعبان الأكرم سنة 1350.

مطبوعة بطابعه الشريف مختومة بخاتم يمناه المنيف جدّد الله عليه سحائب رضاه ورحماته وسقانا من بحر فيضه آمين.

وكتب لي أيضا منيبًا منابه في التكليف بأعباء الإرشاد والقيام بمصالح الزوايا طبق المراد ناهضًا في ذلك بما نرجو به من الله الإعانة والإمداد ونصه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه. من عبد ربه الراجي منه بلوغ الأماني في الدنيا ودار التهاني سيدي محمود نجل سيدنا ومولانا البشير التجاني إلى جميع من يقف على هذا من جميع الفقراء والمحبين المنتسبين لجدنا القطب المكتوم سيدنا ومولانا أحمد التجاني الحسني رضي الله عنه وأرضاه. إني على بركة الله أجزت وأذنت وكلّفت وأقمت مقامي الفقيه الخير النبيه الثقة الصدوق السيد الحاج الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي السوسي في تفقّد جميع الزوايا بالقطر المغربي من أقصاه إلى أدناه والنظر لجميع أحوال الفقراء المنتسبين للشيخ جدنا رضي الله عنه وهم لا يعرفونه ولا يميلون لجانبه فلابد عليه أن ينبّه حامل هذا جميع الغافلين ويرشدهم إلى الصراط المستقيم الذي فيه صلاحهم ومددهم منه ولا يتركهم هملاً أذنّاه أن يرشد الأحباب أينما كانوا وتعينوا إلا وينبهم إلى الطريق والله يأخذ بيد الجميع بجاه النبي الشفيع. ولتعلموا أن هذا الوقت حكم الله عليه بالفساد وبفساد أهله ولم تبق فيه نصيحة ولا عمل لله إلا الذي رزقه الله محبة هذا الختم المحمّدي ومحبة أولاده حفظهم الله ولهذا أقمت مقامي حامل كتابي هذا ليطوف على جميع الأحباب أينما كانوا ويرشدهم لأقوم

طريق يوصلهم ويصلح أبناءهم إلى لقاء الله إن شاء الله والمسئول من الله الكريم أن يوفق الجميع لكل ما يحبه ويرضاه ويبلغ كل عبد ممتثل لأمر ربه مناه آمين آمين آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين بتاريخ 23 شعبان الأبرك سنة 1350 (مطبوعة بالطابع الأقدس الأنور).

ثم نذكر مقامات الدين أولها: ((**التوبة**)) قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً اَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[431] قال صلّى الله عليه وسلم ((**التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب**))[432] قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[433] وعلامة التوبة الندامة ((**ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب**)) قلت التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين. تاب رجع إلى محمود شرعًا وشروطها أربعة الإقلاع ونفي الإصرار والاستغفار وتدارك الممكن من الحقوق وأصل الشروط الندم وأسبابها انتباه القلب من رقدة الغفلة ورؤية سوء أفعاله (إن في القلب لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت الجسد كله) وشروط صحتها وبقائها ترك من ألفه على المعصية فإن صحبتهم بعد تفسدها عليه. وتمامها مداومة المشاهدة وبها يبرم على عدم العود ((**يا فلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا قبلناك**)) التوبة أولها التوبة ووسطها الإنابة وآخرها الأوبة. فمن تاب خوفًا تائب وطمعًا منيب ومراعاة لله آئب. والتوبة للمؤمنين والإنابة للأولياء والمقربين والأوبة للأنبياء ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[434]. علامة قبولها نسيان المعصية فإنه ما نسيها إلا لمحوها من كناشه فإذا تذكرها فهي باقية فإذا كثر خيره وتجلى له جلال سيده نسيها. توبة العامة من الذنوب والخاصة من الغفلة والعارفين من خطور غير الله. فأدناها تائب من السيئات ثم الغفلات وأكملها من رؤية الحسنات. فالتوبة النصوح لا يبالي صاحبها كيف أمسى أو أصبح لا أعود لعلي أموت والاستغفار من غير إقلاع كذب فمن لم يجد عند ذكر المعصية حلاوةً

---

[431] النور 31.

[432] أخرجه ابن أبي الدنيا في ((التوبة)) (85)، والبيهقي في ((شعب الايمان)) (6780).

[433] البقرة 22.

[434] ص 43.

تائب وهي ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا﴾[435] وتوبة من الله تنبيهه إليها. فتوبة الإنابة خوفًا وتوبة الاستجابة حياءً من كرمه فالتوبة من الله لا من العبد ((**يا آدم ورّثت أولادك التعب والنصب من دعاني بدعوتك لبيته كتلبيتك يا آدم أحشرهم من القبور مستبشرين بي ضاحكين ودعاؤهم مستجاب**)) إن تاب الله عليك تبت فالذنب يقين عندك وقبول التوبة على غير يقين فاستشعر الوجل للأجل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[436] فالسنّة دوام الاستغفار قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة**))[437] فغينه غين أنوار لا غين أغيار. زلة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾[438] رجوعهم وإن جال في المخالفات. ركب وزير في موكب عظيم فقيل من هذا فقالت امرأة على الطريق أكثرتم من هذا رجل سقط من عين الله ابتلاه الله بما ترون فوصله فتجرد من الوزارة وجاور مكة.

((**المجاهدة**)) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[439] سئل النبي صلّى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد فقال ((**كلمة عدل عند سلطان جائر**))[440] ودمعت عين السائل أبي سعيد الخدري. فمن لم يجدّ ابتداءً لم يشمّ رائحة الطريقة. غلط من أراد الوصل بلا اجتهاد. قومة الابتداء جلسة الانتهاء. بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر. فصلّ على الخلق صلاة الجنازة. فجدّ قبل الهرم أو الفوت. بنيت الطريقة على ثلاثة: أكل عند فاقة، ونوم الغلبة، وكلام الضرورة. عقبات الطريق ست: غلق باب النعمة وفتح باب الشدة، وغلق باب العزّ لفتح باب الذلّ، وغلق باب الراحة لفتح باب الجدّ، وغلق باب النوم لفتح باب السهر، وغلق باب الغنى لفتح باب

---

[435] التوبة 119.

[436] آل عمران 31.

[437] الراوي: الأغر المزني أبو مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2702.

[438] الغاشية 25.

[439] العنكبوت 69.

[440] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: أبو داود | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 4344.

الفقر، وغلق باب الأمل لفتح باب الموت. إذا قال المجدّ في خمسة أيام أنا جائع ألزم السوق. أصل الجدّ فطم النفس عن المألوفات وحملها على غير هواها والمانع من الخير انهماك في الشهوات وامتناع عن الطاعات فإن جمحت فبلجام التقوى ومن دقائق عيوبها ميلها لاستحلاء المدح وعلامته الكسل عند عدمه. حجّ رجل كذا حجة على التجريد فأمرته أمّه بشيء فثقل عليه فعلم منه حظ نفسه فإنّ أمرها حق فكيف يثقل الحق. كانت امرأة مسنّة يحصل لها في شبابها نشاط في العبادة فظنت أحوالاً فلما كبرت زال فعلمت أنه قوة شباب لا غير وهو الإنصاف. أعزّ العزّ أن يدلّك على ذل نفسك. الراحة خلاص من أمان النفس. الآفات ثلاثة: سقم الطبيعة، وملازمة العادة، وفساد الصحبة. فسقم الطبيعة أكل الحرام وملازمة العادة النظر والاستماع للحرام والغيبة. فساد الصحبة متابعة صولة النفس. فالنفس ظلمة وسراجها سرها ونور سراجها التوفيق. فمن لم يوفّق في ظلمة. هلك من لم يعرف عيبه فاتهمها في جميع الأحوال. فالمعاصي بريد الكفر. إياك وجيران الأغنياء وقرّاء الأسواق وعلماء الأمراء. فالفساد من ستة: ضعف النية بعمل الآخرة، ورهينة الأبدان للشهوات، وطول الأمل مع قرب الأجل، إيثار رضى الخلق عن الخالق، واتّباع الهوى بنبذ السنّة، وجعل قليل زلة السلف حجة للنفس ودفن مناقبهم.

((**الخلوة والعزلة**)) فالخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة أمارة الوصلة ومن رآ لنفسه مزيّةً على غيره فمتكبر. ومجاهد النفس حارس كلب فإن كان عقورًا كفّه. ولابد لأدب العزلة من علم وإلا تعلم عقائد توحيده وصحة صلاته. فالعزلة في الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة. فالعارف كائن مع الخلق بائن لهم بالسر. فارق نفسك بخطوة تربح بحضرة مولاك. فخير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة وشرهما في الكثرة والخلطة. فالخلوة بالحلال ولا يكون إلا بأداء الحقوق الإلهية. فاصحب الخلوة واجعل طعامك الجوع وحديثك المناجاة. فالموت أو الوصل. ففي الخلطة خير والسلامة في العزلة. الوحدة جليس الصدّيقين. الإفلاس الاستئناس بالناس. فلا وحشة مع الله لكن لا يقدر على العزلة إلا الأقوياء وللضعفاء الاجتماع. وامح رسمك عن القوم واستقبل الجدار للموت. فعدم الأنس بالله إفلاس. لقي بعض الخضر

فطلبه بالصحبة فاعتزل خوف إفساد توكله عليه. فالمصحف أنيس وصحّت العزلة بعزلك نفسك. فالخلوة في طريقنا قلبية مع خلطة الفقراء.

((**التقوى**)) قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[441] فالتقوى جماع كل خير والجهاد رهبانية الإسلام والذكر نور القلب. أصل التقوى اتّقاء الشرك ثم المعاصي ثم الشبهات ثم الفضلات ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[442] طاعته وعدم معصيته وذكره وعدم نسيانه وشكر نعمه. لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسوله ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر عليه. قسمت الدنيا على البلوى والآخرة على التقوى. حكّم التقوى تصل للكشف والمشاهدة. فاتّق ما سواه واترك الذنوب كلها تشتق لمفارقة الدنيا ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[443] تحقّق بها يسهل إعراض قلبك عن الدنيا. التقوى مجانبة ما يبعدك من مولاك. التقي غير مدّنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالعلالات. فظاهرها وقوف عند الحدود وباطنها النية والإخلاص. علامات التقي ثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضى فيما قد نال، وحسن الصبر على ما قد فات وهي في الحلال المحض لا غير. كلّت الألسن عن وصف التقوى وهي اتّقاء رؤية تقواك. أبو حنيفة لا يجلس في ظل شجرة غريمه. غسل بعض الأتقياء ثوبًا فجففه بيده للشمس لئلا يغطي حشيش الدواب به. سقطت عصى بعضهم على عصى غيره في الجامع فمشى إليه يستحلّه. تصبّب بعضهم عرقًا شتاءً فقال هذا موضع عصيت فيه الله قطعت فيه قطعة تراب غسل بها ضيفي يده. رآ بعض ملكين فقال أحدهما أهذا الذي سقطت درجاته بسقوط تمرة البقال على تمره ولم يردها له. سادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء قال صلّى الله عليه وسلم ((**من نظر إلى محاسن امرأة فغض بصره في أول مرة أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه**))[444].

---

[441] الحجرات 13.

[442] آل عمران 102.

[443] الأنعام 33.

[444] أخرجه أحمد (22278)، والطبراني (247/8) (7842).

((**النجاة**)) النجاة في الصدق في تقواه ومراعاة الوفاء وتحقيق الحياء ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[445] وفي الحقيقة إنما تكون بالاجتباء ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[446].

((**فصل في الورع**)) قال صلّى الله عليه وسلم ((**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**))[447] ترك شبهة وفضلات وهو ترك سبعين بابًا من الحلال خوف الوقوع في الحرام قال صلّى الله عليه وسلم لأبي هريرة ((**كن ورعا تكن أعبد الناس**))[448] وهو في الحقيقة ترك ما سوى الله فالورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبذلها في طلب الرياسة. الورع أول الزهد والقناعة طرف الرضى. الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل. وكان بعض الورعين لم يشرب من ماء زمزم إلا ما سقاه بركوته ورشائه. سقط فلس لبعضهم في بئر نجسة فأخرجه بثلاثة عشر دينارًا قال عليه اسم الله. ورع الظاهر إن تحرك لله وفي الباطن أن لا يدخل قلبك غير الله **ما حاك في نفسك فاتركه.** غايته احفظ لسانك من المدح والذم. أشد العمل ثلاثة: الجود في القلة، والورع في الخلوة، وكلمة حق عند جائر. من قلّ ورعه قلّت هيبته. وبطنك لا يزيد بلذة ولا ينقص. الحلال الصافي ما لا معصية فيه. ملاك الدين الورع وآفته الطمع. ذرة الورع خير من ألف مثقال الصلاة والصوم ولم يتقرب إلى الله بمثل الورع والزهد. جلساء الله عند أهل الورع والزهد. من لم يرع أكل الفيل ولم يشبع. شد عمر بن عبد العزيز أنفه لئلا يشم رائحة الغنائم دون المسلمين. قيل لمن ترب في بيت كراء رسالته سيعلم المستخف بالتراب غدًا.

((**الزهد**)) قال صلّى الله عليه وسلم ((**إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدًا في الدنيا ومنطقًا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة**))[449] الزهد في الحرام واجب وفضيلة في الحلال وهو الرضى زهد الله بـ﴿قُلْ

---

[445] العلق 14.

[446] الأنعام 88.

[447] أخرجه الترمذي (2317)، وابن ماجه (3976).

[448] الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 391/10.

[449] أخرجه الطبراني في ((الوسط)) (1885)، وأبي نعيم في ((حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)).

مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلۡأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[450] فالصبر أليق بالمقلّ والشكر أليق بالمثري وهو قصر الأمل لا بأكل الغليظ أو بلبس العباء. سلب الله الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[451] فالزاهد لا يفرح بالدنيا ولا يحزن بفقدها ولا يقول أبني رباطًا ولا مسجدًا. الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح وهو النظر للدنيا بعين الزوال وهو وجود الراحة عند فقدها وهو سلو القلب عن الأسباب. الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة وإن صدقت في الزهد أتتك الدنيا راغمةً. لو سقطت قلنسوة السماء لما وقعت إلا على يد كاره لها. وهو الثقة بالله وهو ترك ما يشغل عن الله وهو استصغار الدنيا ومحوها من القلب. يعطي الله للزاهد فوق ما يريد وللراغب دون ما يريد وللمستقيم وفق ما يريد. الزاهد يعطسك[452] الخل والخردل والعارف يشمّك الطيب والعنبر. وهو ترك ما فيها على من فيها. وأبلغه أن تزهد عن نفسك. إيثار الزهاد عند الاستغناء وإيثار الفتيان عند الحاجة وهو ملك لا يسكن في قلب مخلي. فمن وعظ بالزهد وهو طامع في الناس رفعت محبة الآخرة في قلبه. زهد من حرام للعوام ومن فضل الحلال للخواص ومما يشغل القلب للعارفين. الدنيا عروس طالبها ماشط لها والزاهد مسخّم وجهها والعارف في عبادة ربه تارك لها. وأشق الزهد الزهد في الناس فالشر في بيت ومفتاحه حب الدنيا والخير في بيت ومفتاحه الزهد.

((**الصمت**)) قال صلّى الله عليه وسلم ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**))[453] أوصى رسول الله صلّى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها لما سألته عن النجاة

---

[450] النساء 76.

[451] الحديد 22.

[452] لعل أصل الكلمة "يعطسك" من عَطَسَ يَعْطِسُ عَطْسًا. وقد وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يسعطك".

[453] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 251/3.

((**احفظي عليك لسانك وليسعك بيتك وابكي على خطيئتك**))[454] فالأمر والنهي والسكوت في وقته صفة الرجال والنطق في موضعه صفة أشرف الأحوال، الساكت عن الحق شيطان أخرس، والصمت من آداب الحضرة ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[455] فلما حضروه قالوا أنصتوا، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلاَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾[456] فالمتوكل يسكت قلبه عن الرزق والعارف يسكت قلبه وفاقًا للحكم، فهذا بجميل صنعه واثق وهذا بجميل حكمه قانع، فإذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فانطق، ورث الحكماء حكمة بالصمت والفكرة، واترك الماضي والمستقبل، كلّم الناس قليلاً وكلّم ربك كثيرًا، فيرى قلبك مولاه، أصون الناس لنفسه أصونهم للسانه، تعلّم الصمت كما تتعلم الكلام، صمت العامة بألسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت المحبين من خواطر أسرارهم، فاسمع من قلبك لا من الناس ثم اسمع من لسانك، لسان الجاهل مفتاح هلاكه، المحب إذا سكت هلك والعارف إذا سكت ملك، فمن عد كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه.

((**الخوف**)) قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد أبدا وقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**))[457] معناه لاستمرّ بكاؤكم وانعدم ضحككم، الخوف من عذاب الله في الدنيا أو في الآخرة وقد أوجبه الله بقوله ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ﴾[458] ﴿وَإِيَّٰىَ فَارْهَبُونِ﴾[459] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[460] والخوف من شرط الإيمان، والخشية من شرط العلم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

---

454 الراوي: عقبة بن عامر | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2406.

455 الأعراف 204.

456 طه 105.

457 الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1633.

458 آل عمران 175.

459 البقرة 39.

460 النحل 50.

ﱡ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْ ﱠ[461] والهيبة من شرط المعرفة ﱡ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُ ﱠ[462] فالخوف سوط الله يقوّم به الشاردين عن بابه، وهو سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر، فخف نفسك أكثر من الشيطان، وليس بالبكاء بل بترك ما يخاف أن يعذّب عليه، فمن كان خائفًا يرى خائفًا، فالثكلى تحب رؤية الثكلى، لو خفت من النار كما تخاف الفقر، علامة الخوف الحزن الدائم، من خاف من شيء هرب منه. ومن خاف من الله هرب إليه. لا يطمئن قلبك حتى تجاوز جسر جهنم. وهو ملك لا يسكن إلا قلب متّقٍ. الخوف حجاب بين الله وبين عبده. وهو توقّع العقوبة مع مجاري الأنفاس. خرب قلب تجرّد من خوف وزينة العبادة الخوف (علامته) قصر الأمل. القدوم على الله شديد. الخوف مما وراء الموت ﱡ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﱠ[463] الذين يصلون ويصومون وخافوا ألا يقبل منهم. إذا سكن الخوف قلبًا أحرق مواضع الشهوات وطرد رغبة الدنيا. وهو قوة العلم بمجاري الأحكام. وهو حركة القلب من جلال الرب. بالخوف ارتفعوا فإن ضيعوه نزلوا. وهو والرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج لرعونتها. فإن ظهر الحق على السرائر زال الخوف والرجاء لاستهلاكه به وهما من بقاء الإحساس بالبشرية. فلا تخف مما سوى الله فيحجبك سبعين حجابًا ويسلط الخلق عليك ﱡ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﱠ[464] لما طرد إبليس بكى جبريل وميكائيل خوفًا من المكر فقال الله هكذا كونا لا تأمنا مكري. كان بعضهم ينظر إلى وجهه عددًا في كل يوم مخافة أن يبدل بذنوبه. وخف أن ينظر إليك بعين السخط. والعمل رمز له. فلا تغتر بموضع صالح فأنفس المواضع الجنة فلقي آدم فيه ما لقي ولا بكثرة العبادة فإن إبليس لقي ما لقي بعد طول عبادته ولا بالعلم فإن **بلعام**[465]

---

[461] فاطر 28.

[462] آل عمران 30.

[463] المؤمنون 61.

[464] الزمر 44.

[465] هو رجل من بني إسرائيل، يقال له: بلعم بن أبر. كان رجلا من أهل البلقاء، وكان يعلم الاسم الأكبر، وكان مقيما ببيت المقدس مع الجبارين. وقال مالك بن دينار: كان من علماء بني إسرائيل، وكان مجاب الدعوة، يقدمونه في الشدائد،

يحسن الاسم الأعظم فلقي ما لقي ولا برؤية الصالحين فأعظمهم نبينا صلّى الله عليه وسلم ولم ينفع به كل أقاربه وإنما اصفرّت الشمس عند الغروب لعزلها عن مكان التمام مخافة المقام وإذا طلعت طلعت مضيئة كالمؤمن إن خرج من قبره مشرقًا وجهه.

((**الرجاء**)) ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ﴾[466] ((**عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئا غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بمثلها مغفرة فأغفر لك ولا أبالي**))[467] عن النبي صلّى الله عليه وسلم ((**أخرجوا من النّار من كان في قلبه مثقال حبّة شعير من إيمان ثمّ أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبّة خردل من إيمان ثمّ وعزّتي وجلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي**))[468] وهو تعلّق القلب بمحبوب في المستقبل مع الشروع في العمل وبه عيش القلوب والتمني فارقه العمل وهو معلول (**وعلامته**) حسن الطاعة وهو ثلاثة: راجي المغفرة، وراجي الثواب، والمصرّ يرجو المغفرة وهو رؤية الجلال بعين الجمال، عن عائشة عن النبي صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الله ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت بأبي وأمّي يا رسول الله أوَ يَضحك ربُّنا عزّ وجلّ فقال والّذي نفسي بيده إنّه ليضحك فقلت لا يعدمنا خيرا إذا ضحك**))[469] استضاف مجوسي إبراهيم فشرط عليه الإسلام فقال له إن أسلمت فأيّ منة لك عليّ فذهب فأوحى الله له أطعمته منذ سبعين عامًا على كفره فلو أطعمته ماذا عليك وذهب خلفه فأضافه فقال أي سبب فبين له فقال أهكذا يعاملني فأسلم على يديه. ريء بعضهم في المنام على حالة حسنة قيل له فيها قال بحسن ظني بربي. وقال آخر قدمت على ربي بذنوب كثيرة محاها حسن ظني بالله قال صلّى الله عليه وسلم ((**أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني إن**

بعثه نبي الله موسى إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه، فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام. [تفسير ابن كثير. تفسير سورة الأعراف. تفسير قوله تعالى "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها". ص508 ص509]

[466] العنكبوت 4.

[467] الراوي: عويمر بن مالك | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 1005.

[468] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الصغير | الصفحة أو الرقم: 877.

[469] الراوي: عائشة بنت عبد الله | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 4885.

ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هو خير منه وإن اقترب إليّ شبراً اقتربت إليه ذراعًا وإن اقترب إليّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))[470] طلب بعضهم العصمة في المطاف فقيل له طلبت العصمة وآخر العصمة فإن عصمتكم فمن ذا أرحم.

((**الجوع وترك الشهوة**)) ﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[471] بجميل الثواب على مُقاساة الجوع ﴿وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[472] ((**جاءت فاطمة بقرص للنبيّ صلّى الله عليه وسلم فقال ما هذه قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتّى أتيتك بها فقال صلّى الله عليه وسلم أما إنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام**))[473]. وهو قرص شعير وهو من صفات القوم وركن من أركان المجاهدة. تدرّجوا فاعتادوا وأمسكوا عن الأَكل ووجدوا أودية الحكمة في الجوع، منهم من لا يأكل إلا في خمسة أيام ولا يأكل في رمضان حتى يرى الشهر ويفطر في كل يوم بالماء القراح. فلو يباع في السوق فلا ينبغي لأهل الجدّ أن يشتري غيره. جعل الله في الشبع المعصية والجهل وفي الجوع العلم والحكمة فهو للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهّاد سياسة وللعارفين مكرمة. بكى بعضهم من الجوع فزجره غيره فقال أسكت أما علمت أن مراده البكاء، وكان بعضهم إذا جاع قوي وإذا شبع ضعف. وأكل بعضهم في أربعين يومًا وآخر في ثمانين. فمفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع، أكلة يوم للصدّيقين وأكلتان للمؤمنين وثلاثة للبهائم، الجوع نور والشبع نار والشهوة حطب نار فلا تطفأ ناره حتى يحترق صاحبه، ترك لقمة في عشاء خير من قيام الليل، من فارق شهوات الدنيا يفرّ الشيطان من ظلّه.

---

[470] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 7405.

[471] البقرة 154.

[472] الحشر 9.

[473] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: التاريخ الكبير | الصفحة أو الرقم: 127.

((**الحزن**)) ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[474] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ما من شيء يصيب العبد المؤمن من وصب أو نصب أو حزن أو ألم يهمّه إلاّ كفّر الله من سيئاته**))[475] وهو حال يقبض القلب على التفرق في أودية الغفلة وهو وصف السالكين، في الخبر ((**إنّ الله تعالى يحبّ كلّ قلب حزين**))[476] وفي التوراة **إذا أحب الله عبدًا جعل في قلبه نائحة وإذا أبغض عبدًا جعل في قلبه مزمارًا**، وكان صلّى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة، الحزن ملك غيور لا يسكن معه أحد، خرب قلب خلي منه بكاء، الحزن يعمي ومن الشوق يعشي ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[477] وهو حصر النفس عن الطرب، قال بعض واحزناه فأجابته رابعة وا قلّة حزناه لو صدقت ما تنفّست، لو بكى محزون واحد في الأمة لرحم الله تلك الأمة، وهو يمنع من الطعام والخوف من المعصية (**وعلامته**) كثرة الأنين وهو خير إن لم يوجب تخصيصًا يوجب تمحيصًا، أكثر حسنات الصحيفة الهمّ والحزن، زكاة العقل الحزن فاجتهد في طلبه ثم سل.

((**الخشوع والتواضع**)) ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[478] قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبْر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان،** فقال بعض الناس إنا نحب الثوب الحسن فقال صلى الله عليه وسلم: **إن الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمص الناس**))[479]، ((**كان صلّى الله عليه وسلم يعود المريض ويشّيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف**))[480]، الخشوع الانقياد للحق والتواضع الاستسلام للخلق وترك الاعتراض على

[474] فاطر 34.

[475] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 2573.

[476] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الحاكم | المصدر: المستدرك | الصفحة أو الرقم: 7954.

[477] يوسف 84.

[478] المؤمنون 2.

[479] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 5466 127.

[480] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1017.

الحكم وهو قيام القلب بين يدي مولاه، خشوع القلب قيد العيون عن النظر، الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم في قلبه فماتت شهوته وحيي قلبه فخشعت جوارحه وهو تذلل القلوب لعلام الغيوب قال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[481] أي متواضعين متخاشعين، ورآ رسول الله صلّى الله عليه وسلم رجلاً يلعب بلحيته في صلاته فقال ((**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**))[482] وشرطه في الصلاة عدم معرفة من على يمينك ويسارك وهو ذبول يرد على القلب عند اطّلاع الرب وهو ذوبان القلب بسلطان الحقيقة وهو مقدمة غلبات الهيبة. من لم يتّضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره، ولا يسجد عمر بن عبد العزيز إلا على التراب ويسرع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المشي وقال **إنه أسرع للحاجة وأبعد من الزهو، ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر**. وكان صلّى الله عليه وسلم يعلف البعير ويقمّ البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله وكان يصافح الغني والفقير ويسلّم مبتدئًا ولا يحتقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر وكان هيّن المؤونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسّامًا عن غير ضحك محزونًا من غير عبوسة متواضعًا من غير مذلة جوادًا من غير سرف رقيق القلب رحيمًا بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده إلى طمع. فمن رآ لنفسه قيمةً فهو متكبر وفي بعض الكتب المنزلة (**إني أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلّمته**) فالمتواضع لا يرى في الخلق شرًا منه. وهو نعمة لا حسد عليها والكبر محنة لا يرحم عليها والعز فيه لا في الكبر. الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة. أعز الخلق خمسة: عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكر، وشريف سنّي والتكبر في الفقراء أسمج من الأغنياء وهو قبول الحق ممن كان. **ركب زيد بن ثابت فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال مه يابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول**

---

[481] الفرقان 63.

[482] أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة.

الله صلى الله عليه وسلم[483]. أحس عمر بنخوة لما وفد عليه الوفود سامعين مطيعين فحمل قربة على عاتقه ومضى بها إلى امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها كسرًا للنخوة. وهو ترك التمييز في الخدمة. لا يذوق حلاوة الخدمة من رآ لنفسه قيمةً. عرض مملوك على بعض الملوك بألف درهم فاستغلاه فقال له العبد فاشترني فإن فيّ خصالاً كل خصلة بألف درهم فقال ماهي فقال لو قدمتني على سائر ملكك لم أغلظ فاشتراه وقال له أنا عبدك. قوّمت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثني عشر درهمًا قباءً وعمامةً وقلنسوةً وقميصًا وسراويل ورداء وخفين. والتواضع ألا ترى للناس إليك حاجة لا في الدين والدنيا. قال بعضهم ما سررت غير مرة جلست وجاء رجل وبال عليّ. تشاجر أبو ذر وبلال فعيّره أبو ذر بالسواد فقال صلّى الله عليه وسلم بقي فيك يا أبا ذر أثر كفر فحلف أبو ذر حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرفع حتى فعل. مرّ الحسن بن علي على الصبيان فاستضافوه بكسر خبز فنزل فأكل معهم واستضافهم وأطعمهم وكساهم وقال اليد لهم لأنهم فعلوا جهدهم.

((**مخالفة النفس وذكر عيوبها**)) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾[484] قال صلّى الله عليه وسلم ((**أخوف ما أخاف على أمّتي إتباع الهوى وطول الأمل فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة فاذبح نفسك بسيوف المخالفة**))[485] فاذبح نفسك بسيوف المخالفة مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى وهي ترك شهوتها والنفس مجبولة على سوء الأدب فلا يصح الرضا عنها ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾[486] إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فالنعمة العظمى الخروج عن النفس وهي أعظم حجاب بينك وبين ربك. أقرب شيء لمقت الله الرضى عن النفس فـ((**من عرف نفسه عرف ربّه**))[487] فلا يخفى عليه

---

483 رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق 19/326.

484 سورة النازعات 39 و40.

485 الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: ابن أبي الدنيا | المصدر: كتاب قصر الأمل | الصفحة أو الرقم: 2\1\1.

486 يوسف 53.

487 "من عرفَ نفسَهُ فقد عرفَ ربَّهُ ومن عرَفَ ربَّهُ كَلَّ لسانُهُ."

شيء. جرّد قلبك عن السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت. إن أحسنت في ليلك كوفئت في نهارك بعكس فإن صدقت في ترك شهوة كفيت مؤونتها ولا يعذب قلب ترك شهوته (**يا داوود حذّر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المعلّقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة فاترك الهوى يسخّر لك الهواء**) فالمؤمن يخرج ألف شهوة بالخوف والفاجر تخرج منه شهوة الخوف فزمام الهوى يقود إلى الظلمة ولا يخرج الشهوة إلا خوف مزعج أو شوق مقلق. وأخلاقها الحسد.

((**الحسد**)) قال صلّى الله عليه وسلم ((**ثلاث هنّ أصل كلّ خطيئة فاتّقوهنّ واحذروهنّ إيّاكم والكبر فإنّ إبليس حمله الكبر على ألاّ يسجد لآدم وإيّاكم والحرص فإن آدم حمله على أن يأكل من الشّجرة وإيّاكم والحسد فإنّ ابني آدم إنّما قتل أحدهما صاحبه حسداً**))[488] الحسود لا يسود. الحاسد عدوّ نعمة الله. كل امرئ تقدر على إرضائه إلا الحاسد فلا يرضى إلا بزوال النعمة وهو ظالم غشوم لا يبقي ولا يذر وهو ظالم أشبه مظلومًا في غمّ دائم ونفس متتابع. (**وعلامته**) تملقه بالحضرة واغتيابه في الغيبة ويشمت بمصيبة نزلت يقتل نفسه قبل المحسود (**يا داوود لا تغتبن صالح عبادي ولا تحسدن أحدا من عبادي**) رآ موسى رجلاً عند العرش فغبطه فقيل له لا يحسد الناس وإذا رآ نعمة بهت أو مصيبة شمت فلبّس عليه أمرك تسلم منه ومن أوصافها الغيبة.

((**الغيبة**)) ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً اَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّاكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[489] لمّ أدبر رجل من الصحابة فقالوا ما أعجزه فقال صلّى الله عليه وسلم ((**أكلتم أخاكم واغتبتموه**))[490] نزل على موسى عليه السلام ((**من مات تائبًا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرًّا عليها فهو أوّل من يدخل النار**)). نال أحد من الحَجَّاج فقال ابن سيرين كما يأخذ الله من

---

[488] عن عبد الله بن مسعود في تاريخ ابن عساكر رحمه الله.

[489] الحجرات 12.

[490] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط الصفحة أو الرقم: 145/1.

الحَجَّاج يأخذ له وأصغر ذنب عملته مثل أعظم ذنب عمله. فمن اغتاب فقد فرّق بمنجنيق حسناته على البلدان فيعطى المغتاب كتابًا خاليًا من الحسنات فيقول أين صلاتي وصيامي فيقال له فوّتتها. فمن اغتيب غفر له نصف ذنوبه. سلم منك الترك والروم وما سلم منك أخوك. قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الله يبغض أهل البيت اللّحميين**))[491] هم أهل الغيبة، اغتاب أحد الحسن البصري فأهدى له طبقا من حلواء مكافأة على إهداء حسناته له.

((**القناعة**)) ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[492] وهي القناعة قال صلّى الله عليه وسلم ((**كن ورعًا تكن أعبد النّاس وكن قنعاً تكن أشكر النّاس وأحبّ للنّاس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمنًا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا وأقلّ الضّحك فإنّ كثرة الضّحك تميت القلب**))[493] الفقراء أموات إلا من أحياه الله بعز القناعة، والقناعة ملك لا يسكن إلا قلب مؤمن، القناعة من الرضى بمنزلة الورع من الزهد، هذا أول الرضى وهذا أول الزهد. فدبر الدنيا بالقناعة والآخرة بالحرص والدين بالعلم والاجتهاد، وهي ترك التشوف للمفقود والاستغناء بالموجود، قوله تعالى ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقاً حَسَناً﴾[494] وهو القناعة، فسمّن قناعتك يطب لك كل هزيل، أقنع الناس أكثرهم معونة وأقلّهم عليهم مؤونة، وفي الزبور القانع غني وإن كان جائعًا، العز في الطاعة والذل في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة. انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوّك بالقصاص. من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه، من قنع استراح من الشغل واستطال على الكل. من تبعت عينه ما في أيدي الناس طال حزنه، فإن قنعت لم تحتج لخدمة أحد لما تطمّع

---

491 الراوي: كعب الأحبار | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 5247.

492 النحل 97.

493 الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن ماجه | المصدر: سنن ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: 13560.

494 الحج 56.

موسى عليه السلام ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذتَّ عَلَيْهِ أَجْراً﴾[495] قيل له ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾[496] فوقف عليهما ظبي مشوي جانب الخضر وجانب موسى غير مشوي ﴿إِنَّ ٱلاَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ هي القناعة في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[497] هو الحرص فيها ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[498] أي فكّها من ذلّ الطمع ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[499] هو البخل والطمع والتطهير بالسخاء والإيثار قوله تعالى ﴿وَهَبْ لِى مُلْكاً لاَّ يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِى﴾[500] أي مقامًا في القناعة أنفرد به عن أشكالي وأرضى فيه بقضائك ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَاباً شَدِيداً﴾[501] بسلب القناعة.

((**التوكّل**)) ﴿وَمَن يَّتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[502] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُومِنُونَ﴾[503] قال صلّى الله عليه وسلم ((**رأيت الأمم بالموسم فرأيت أمّتي قد ملأت السّهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي أرضيت فقلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب لا يكتوون ولا يتطيّرون ولا يسترقون وعلى ربّهم يتوكّلون، فقام عكاشة الأسديّ فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلّى الله عليه وسلم اللّهمّ اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله لي فقال سبقك إليها عكاشة**))[504] المتوكل لا يسأل ولا يردّ ولا يحبس (**وعلامته**) لو أن أهل الجنة فيها وأهل النار فيها وحصل لك تمييز عليهما لخرجت عن التوكل وهو أن تكون ميتًا بين يدي مولاك يقلّبك كيف شاء

---

[495] الكهف 76.

[496] الكهف 77.

[497] الانفطار 14.

[498] البلد 13.

[499] الأحزاب 33.

[500] ص 34.

[501] النمل 21.

[502] الطلاق 3.

[503] التوبة 51.

[504] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم 6084.

بإسقاط حركة وتدبير وهو الاعتصام بالله ﴿وَلِلهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[505] ومحله القلب. وتسبّب امتثالاً لربك لا غير. جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله أدعها وأتوكّل فقال ((**اعقلها وتوكّل**))[506] وهو الرضى بفعل الله اقطع رجاءك من البلدان وتوكّل فاعلم أن الله يعلم ويرى فتفنى بالتوحيد وهو رد عيش ليوم واحد وإسقاط همّ غد وهو خلع الأرباب وقطع الأسباب وهو إلقاء النفس في بحر العبودية وإخراجها من الربوبية فلا تترك درهما في ذمتك ولو عندك آلافًا مخافة الفوت وهو ترك سبب يوصل إلى سبب لتولية الحق عليك وهو حالة النبي صلّى الله عليه وسلم والسبب سنّته فلا تتركها وسوّ قليلاً بكثير واستسلم لجريان القضاء ولا تأكل وفي البلد من هو أحوج منك ولا تصحب الخضر لئلا تسكن إليه فيفسد توكلك وهو قلب عاش مع الله بلا علاقة وهو ثلاث درجات توكل ثم تسليم ثم تفويض. فالأول يسكن لوعده والثاني يكتفي بعلمه، والثالث يرضى بحكمه وهو بداية والتفويض نهاية. فانظر لعيالك فمن ليس رزقه على الله فاطرده. الطاعن في السبب طعن في السنّة وفي التوكّل طعن في الإيمان. وهو الأخذ من الله فاتهم فقيرا بلا سبب وهو صفة المؤمنين والتسليم للأولياء ولسيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم والمتوكّل صبي لا يعرف غير ثدي أمه. أخذت الدراهم من الجيب والمتوكّل من الغيب. ولا تعبد زمزم وإن غارت فما تشرب. دخل بعض على ألا يجعل واسطة بطعام فاستكفى. فلا تمل إلاّ إلى من إليه الكفايات. وهو نفي الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك. إن علمت موضع رزق فاطلبه فالرب لا ينساك والحيلة تركها. وهو ثقة بالله لا بما في يدك ولا بما في يد الناس. وهو فراغ السر في أمر الرزق ولا تضر خطرات فلا تطمع في الناس. هتف هاتف بالنووي أسبب أحب إليك أم كفاية فقال كفاية فترك الأكل سبعة عشر يوما. مد بعض يده لقشر بطيخ بعد ثلاث فألزموه الحرفة. خذ من الله عليك الأخذ وعليه العطاء ولا تتوكل على زاد الحجيج. فالفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل ولا يأخذ وهو من جنس الروحانيين وفقير لا يسأل ويقبل الكفاية فكفارته صدقة. فالوكيل هو الله ثقة فمن أخذ فلسًا من حرام غير متوكل. سقط بعضهم في بير

---

[505] المنافقون 7.

[506] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2517.

فعزم ألا يستغيث بغير الله فجاء رجلان فغطيا البير دفعا للضرر وهو ساكت ففي الليل فتح عليه سبع وأدلى له رجله وهمهم له فتعلق به وهتف به نجيناك من التلف بالتلف. فالله المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى.

((**الشكر**)) ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[507] قيل لعائشة أي عجب رأيته منه صلّى الله عليه وسلم فبكت فقالت كلّه عجب أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي حتّى مسّ جلدي جلده ثمّ قال **يا بنت أبي بكر ذريني أتعبد لربّي** قلت إني أحبّ قربك فأذنت فقام إلى قربة فتوضأ فأكثر الصبّ فقام يصلّي حتّى سالت دموعه على صدره ثمّ ركع فبكى ثمّ سجد فبكى ثمّ رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتّى جاء بلال فآذنه بالصّلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ((**أفلا أكون عبداً شكوراً ولم لا أفعل وقد أنزل عليّ إنّ في خلق السّماوات**))[508] الآية[509] وهو اعتراف بنعمة المنعم بخضوع. وشكر الله إعطاؤه كثير ثواب على عمل يسير. من شكرت الدابة إذا سمنت بقليل علف. وهو نطق اللسان وإقرار القلب بالنعمة. وهو ثلاث: شكر اللسان باعتراف بالنعمة، وشكر الأركان باتصاف بوفاق وخدمة، وشكر القلب بعكوف على بساط شهود بإدامة حفظ الحرمة. فشكر العالمين أقوال وشكر العابدين أفعال وشكر العارفين بالاستقامة في الأحوال. شكر النعمة شهود المنة وحفظ الحرمة. فعلة الشكر طلب المزيد لوقوفه مع الله بحظّ وأبلغه معرفة العجز عن الشكر. الشكر على الشكر أتمه برؤيتك شكرك بتوفيقه فاشكره على الشكر ثم على شكر الشكر إلى غير نهاية وهو نسبة النعم لموليها استكانة وهو عدم رؤيتك لنفسك أهلاً للنعمة. فالشاكر على الموجود والشكور على المفقود والشاكر على الرفد والشكور على الرد. الشاكر على النفع والشكور على المنع. الشاكر على العطاء والشكور على البلاء. الشاكر على البذل والشكور على المطل. وهو ألاّ تعصي الله بنعمة وهو رؤية المنعم لا النعمة وهو قيد الموجود وصيد المفقود شكر العامة على ظاهر

---

[507] إبراهيم 9.

[508] الراوي: عائشة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 620.

[509] آل عمران 190.

النعمة والخواص على أسرارها فإن عرفت أن الشكر من الله فقد شكرته فلو دخل لص بيتك ونهبه فاشكر فلو سلطه على قلبك فنهبه بإفساد التوحيد فاشكر. شكر العين الإغضاء عن العيوب وشكر الأذن ستر عيب سمعته. إلهي فلا يكون من الكريم إلا الكرم فإن قصرت يدك فأطل لسانك بالشكر. طلب إدريس عليه السلام المغفرة فأعطيها فسأل الحياة ليعبده تجريدًا فإن عبادته أولاً للمغفرة فرفعه الملك. مر بعض الأنبياء على حجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فقال الحجر منذ سمعت قوله تعالى ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[510] أبكي فرقّ له النبي فدعا له فأوحي له أنه أعتقه فمرّ عليه فوجده على البكاء فعجب فقال له لم تبكي وقد غفر لك فقال الحجر ذلك بكاء حزن وخوف وهذا بكاء الشكر والسرور. الشاكر مع المزيد والصابر مع الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[511] قال عمر بن عبد العزيز الكبر الكبر لشاب فقال الشاب لو كان الأمر بالكبر لكان في المجلس من هو أكبر منك. فاصبر على البلاء واشكر العافية. الحمد على الأنفاس والشكر على نعم الحواس. الحمد ابتداء منه والشكر افتداء منك. عشق رجل بنت عمه فتزوجها ففي الليلة الأولى قال لها نصلّي الليلة شكرًا لله على جمعنا ففي كل ليلة كذلك حتى مرت عليهما سبعون سنة فلم يلتقيا لشهود سطوة النعمة.

((**اليقين**)) ﴿وَالذِينَ يُومِنُونَ بِمَآ انزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ انزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالاَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[512] قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا ترضينّ أحداً بسخط الله ولا تحمدنّ أحداً على فضل الله عزّ وجلّ ولا تذمنّ أحداً على ما لم يؤتك الله تعالى فإنّ رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يردّه عنك كراهة كاره وإنّ الله تعالى بعدله وقسطه جعل الرّوح والفرح في الرّضى واليقين وجعل الهمّ والحزن في الشّك والسّخط فنقطة يقين في القلب تملؤه نوراً وتنفي كلّ ريب وتملؤه شكراً وخوفًا**))[513] فنقطة يقين في القلب تملأه نورا وتنفي كل ريب وتملأه شكرا وخوفا جلس بعض على بركة ماء ستة عشر يوما

---

[510] البقرة 23.

[511] البقرة 152.

[512] البقرة 3.

[513] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 130/4.

يميز بين العلم واليقين فإن غلب العلم شرب أو اليقين مر. وهو عدم الاهتمام لغد وهو من زيادة الإيمان وتحقيقه وهو دون التصديق وهو علم مستودع في القلوب ابتداؤه المكاشفة ثم المعاينة والمشاهدة وهو تحقق الأسرار بأحكام المغيبات. فأول المقامات المعاينة ثم اليقين ثم التصديق ثم الإخلاص ثم الشهادة ثم الطاعة والايمان اسم جامع. ذكر اللسان فضلة القلب فلا تشم رائحة اليقين وفي قلبك سكون لغير الله. وهو سبب قصر الأمل ومسببه سبب الزهد وهو للحكمة وهي للنظر في العواقب. واليقين النظر إلى الله في كل شيء والرجوع له في كل أمر والاستعانة به في كل حال. وهو استقرار العلم في القلب وأصل التقوى مباينة النهي وهي مباينة النفس. فاليقين على قدر خلاف النفس. فاليقين مكاشفة وهي ثلاثة: مكاشفة بالاخبار، ومكاشفة بإظهار القدرة، ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان، والمكاشفة ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره من غير ريب ويطلق على مرتبة بين اليقظة والنوم وهي الثبات. واليقين رؤية العيان بقوة الإيمان وهو زوال المعارضات وهو ارتفاع الريب في مشهد الغيب قال صلّى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام ((**لو زاد يقينًا لمشى في الهواء**))[514] فتم يقينه سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم فترك البراق ومشى وهو سكونك للقضاء فلا ترد بهمتك شيئا فالحضور وطنات واليقين خطرات وهو ملاك القلب وكمال الإيمان ومعرفة الله والعقل يعقل عن الله. مشى رجال على الماء باليقين ومات بالعطش أعلى منهم يقينًا. حافظ السماوات يوصلك بلا زاد فإن استكملته صار البلاء نعمة والرخاء نقمة. وهو ثلاثة: يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة. فارفع رأسك فلا ترى غيره. العلم استعملك واليقين حملك. اصطاد بعض حوتًا فقيل له ألم تجد معاشًا حتى تقتل عبادنا فتركه.

((**الصبر**)) قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[515] قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الصّبر عند الصّدمة الأولى**))[516] وهو قسمان على مكتسب وغيره فالصبر على المكتسب قسمان على ما أمر

---

[514] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين.

[515] النحل 167.

[516] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 222/6.

به وعلى ما نهى عنه والصبر على غير مكتسب هو على مجاري الأقدار مما هو جار على النفس. فسير من الدنيا للآخرة هين وهجران الخلق في الله صعب. وسير النفس إلى الله صعب شديد والصبر مع الله عز وهو تجرع المرارة من غير تعبيس وهو من الإيمان كرأس في جسد. ﴿وَاصْبِرْ﴾ أمر بالعبادة. ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾ أمر بالعبودية. فإن رقّيت من درجة لك إلى ربك فعبادة لعبودية. بك أحيا وبك أموت. ما صبرت على ما تحب فكيف على ما تكره. وهو بعد عن المعصية والسكون بالبلية وإظهار الغنى مع فقر في معيشة. وهو الوقوف بالأدب مع البلية بلا شكوى. الصبّار من عوّد نفسه المكاره وهو المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالعافية. الجزاء على عبادة الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[517] وهو الثبات مع الله بلقاء بلائه بالرحب والسعة وهو الثبات على السنّة والكتاب فصبر المحبين أقوى من صبر الزاهدين وهو الاستعانة بالله وهو كاسمه

الصبر يجمُل في المواطن كلّها * * إلاّ عليكَ فإنه لا يجمُل[518]

آخر

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة * * وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

وصاحبه ثلاثة: متصبّر، وصابر، وصبّار. وهو مطية لا تكبوا. أشد الصبر. الصبر في الله ولله ومع الله وعن الله ولا تفرّق بين نعمة ونقمة مع سكون. فالتصبّر سكون مع بلية مع ثقل ألمها. فاز الصابرون بعز الدارين مع معية لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[519] ﴿إصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾[520] إصْبِرُواْ على

---

[517] النحل 96.

[518] بيت ينسب للرازي أبي زكريا يحي بن معاذ 258 هـ.

[519] البقرة 152.

[520] آل عمران 200.

الطاعة ﴿وَصَابِرُواْ﴾ بقلوبكم على البلوى ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بأسراركم على الشوق لله. ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ في الله ﴿وَصَابِرُواْ﴾ بالله ﴿وَرَابِطُواْ﴾ معه. نزل على داوود عليه السلام: تخلّق بأخلاقي ومن أخلاقي الصبور تجرع الصبر فإن قتلك كنت شهيدًا وإن أحياك أحياك عزيزًا. الصبر لله عناء وبه بقاء وفيه بلاء ومعه وفاء وعنه جفاء. فالصبر في الطلب ظفر وفي المحن فرج. حالك رباطك وما دون الله أعداؤك. فالمصابرة صبر على الصبر حتى تفني الصبر في الصبر فيعجز الصبر عن الصبر.

صابر الصبر فاستغاث به الصبر * * فصاح المحب بالصبر صبرا

(**من أحبني فليصبر على بلاءي**) فكذب من لم يصبر عليه ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[521] يدعي أنه يهواني فمن ثلاث ما رآني فجرمه كبير، فارق بعض حبيبه فدمعت عين ولم تدمع الأخرى فحرمها رؤية الدنيا إلى الموت ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[522] وهو ألا يدري صاحب المصيبة من هو، لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال على أي واحد منهما ركبت، فالبلاء سحابة تنقشع، سئل النّبي صلّى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال ((**الصّبر والسّماحة**))[523] تكلّم بعضهم في الصبر فلدغته عقرب فاستحيا أن يحرك رجله من الله، الفقراء الصبّر جلساء الله يوم القيامة، أنزل على بعض الأنبياء (**أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته بالإجابة فشكاني فقلت عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك**) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[524] لما أخذوا برأس الأمر صاروا أمراء رؤساء فإن أظهر البلاء بلا قصد الشكوى فلا يصرفه عن الصبر مثاله طبيب أعطى دواءً حارًّا مرًّا للمريض فتألم منه مع قبوله وإنما هربت منه طبيعته فأكرهها عليه محبة الامتثال المؤدي للبرء فالطبيب لا يعتب عليه باستثقال

---

[521] الطور 46.

[522] المعارج 5.

[523] أخرجه أبو يعلى وابن حبان بلفظ: سئل عن الإيمان. ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عنبسة بلفظ: ما الإيمان؟ قال "الصبر والسماحة" ورواه البيهقي في الزهد.

[524] السجدة 24.

طبيعته لأنه علم مرارته وإنما لزمه العتب إن لم يقبله على وجه الامتناع وأحرى إن قال له أشقيتني وظلمتني لم أعطيته لي وهو مر فافهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾[525] ولم ينافه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ وهو العار والغيرة على زوجته لما باعت شعرها بخبزة ((**الغيرة من الايمان**))[526]، ((**اقتلوا من لا غيرة له**)) ولم يقل الله صبورًا لأنه عليه السلام يستلذّ المرض ففي حاله ليس بصابر فالصبر إن استثقلته لا إن استحليته وهو الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه كحالة أيوب عليه السلام ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[527] ولم يقل ارحمني، فصبر المحبين أحسنه مرفوض وصبر العابدين أحسنه محفوظ.

((**المراقبة**)) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾[528] ((**قال جبريل للنبي صلّى الله عليه وسلم يا محمّد ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره قال صدقت فقال ما الإسلام قال أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال صدقت فقال ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت**))[529]. فإن لم تكن تراه مقام المراقبة وهي علم العبد باطّلاع الرب عليه واستدامته مراقبة لربه وهي بعد الفراغ من المحاسبة فحاسب نفسك ولازم الحق وأحسن بينك وبين الله وراع القلب واحفظ مع الله الأنفاس وراقب الله في عموم الأحوال فهو رقيب ومن قلبك قريب يعلم أحوالك ويرى أفعالك ويسمع أقوالك فإن غفلت عزلت عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة فحكّم بينك وبين الله التقوى والمراقبة تصل الكشف والمشاهدة. كان بعض الملوك يفضّل بعض عبيده على غيره وهو أقلّهم ثمنا فقيل له فيه فأراد إظهار قدره فأمر بالخيل وخرج الملك وجنده إلى محل فيه ثلج فوقف الملك ينظر فيه فأسرع ذا العبد لجلب الثلج بلا كلام فقال له الملك من أمرك به فقال يا سيدي رأيتك تنظره ونظر الملوك لا يكون

---

[525] ص 43.

[526] الراوي: زيد بن أسلم | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الايمان | الصفحة أو الرقم: 3465/7.

[527] الأنبياء 82.

[528] الأحزاب 52.

[529] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 168.

بلا قصد فقال الملك إنما خصصت هذا بإقبالي وإكرامي لأن لكل واحد شغلاً وشغله مراعاة لحظاتي ومراقبة أحوالي فافهم راقب الله في الخواطر يعصمك في جوارحك، فراع غنمك سياسة من راقبك، قال عبد الله بن عمر لراع أتبيع لي شاة فقال ليست لي فقال قل لربها أكلها الذيب قال أين الله قال لا يتفكّرها إلا بعد حين قال أين الله، خصّ بعض الشيوخ تلاميذه بصفاء الود فقيل له فيه فدفع لكل واحد طائرًا فقال له اذبحه من حيث لا يراك أحد فذبح كل واحد ورجع المخصوص بطائره فقال لم يكن موضع لا يراني فيه أحد فقال لهم لذلك أقبلت عليه (**وعلامتها**) إيثار ما آثره الله وتعظيم ما عظّمه الله وتصغير ما صغّره الله. الرجاء يحرّك للطاعة، والخوف يبعد من المعصية، والمراقبة تؤديك إلى طرق الحقائق. وهي مراعاة السر لملاحظة الحق سبحانه مع كل خطوة. فألزم نفسك المراقبة واجعل العلم على ظهرك قائمًا، فراقب سرّك بملاحظة الغيب في كل لحظة ولفظة أفضل الطاعة مراقبة الحق على الدوام وهي تورث خلوص السر والعلانية، فحاسب نفسك بالمراقبة وسسها بالعلم. فعظ قلبك ونفسك فلا تغترّ باجتماعهم أي الناس عليك فهم يراقبون ظاهرك والله مراقب لباطنك. أفضل الطاعات حفظ الأوقات، ولا تطالع غير حدك ولا تراقب غير ربك.

((**الرضى**)) ﴿رضىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[530] قال صلى الله عليه وسلم: ((**بينما أهل الجنّة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنّة فرفعوا رؤوسهم فإذا الرّبّ تعالى قد أشرق عليهم قال يا أهل الجنّة سلوني قالوا نسألك الرّضى عنّا قال رضاي قد أحلّكم داري وأنالكم كرامتي هذا أوانها فاسألوني قالوا نسألك الزّيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمّتها زمرّد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله عزّ وجلّ بأشجار عليها الثّمار وتجيء الجواري من الحور العين وهنّ يقلن نحن النّاعمات فلا نبؤس ونحن الخالدات فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام ويأمر الله عزّ وجلّ بكثبان من مسك أبيض أذفر فتثير عليهم ريحاً يقال لها المثيرة حتّى تنتهي بهم إلى جنّة عدن وهي قصبة الجنّة فتقول الملائكة يا ربّنا قد جاء القوم فيقول الله مرحبًا بالصدّيقين مرحبا بالطّائعين فيكشف**

---

[530] البينة 8.

لهم الحجاب فينظرون إلى الله عزّ وجلّ فيتمتّعون بنور الرّحمن حتّى لا يبصر بعضهم بعضا، فذلك قوله: (نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ).))[531] فقيل إن الرضى مقام مكتسب وقيل حال غير مكتسب فاختلفت العبارات والشرب والنصيب فيه مختلف فالراضي هو غير معترض على تقديره وإن أحس بالبلاء فارض بما أمرك به لا بالمعاصي من أكرم بالرضى لقي بالترحيب الأوفى وأكرم بالتقريب الأعلى الرضى باب الله الأعظم وجنة الدنيا وهو مرتب على رضى الله عنك فلا تعلم رضاه عنك فإنه غيب علامة رضاه عنك رضاك عنه، قال موسى دلني على عمل إذا عملته رضيت عني به فقال لا تطيقه فخرّ موسى ساجدًا متضرعًا فقال يا ابن عمران إن رضاي في رضاك بقضاءي إذا سلوت عن الشهوات فأنت راض. فالزم ما فيه رضاه وهو قسمان رضى به ورضى عنه فالرضى به مدبّرًا والرضى فيما يقضي. فطريق السالكين أطول وهو الرياضة وطريق الخاصة أقرب وأشق، عملك بالرضى والرضى بالقضى وهو لو جعلت جهنم عن يمينه ما سأل تحويلها إلى يساره وهو إخراج الكراهية من القلب استعمل الرضى ولا يستعملك فتحجب بلذّته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع فالسكون للأحوال حجاب عن المحول فإن وجدت راحة الرضى حجبت عن شهود حقه فلا تستحلّ طاعةً فإنه سمّ فسرّ بمصيبة كسرورك بنعمة تكن شاكرًا ولا تقل لا حول ولا قوة إلا بالله ضيّق الصدر فإنه إسقاط الرضى بالقضى وهو ألا يسأل جنة ولا من نار. علامة الرضى ثلاث: ترك الاختيار قبل نزول القضى، وفقد المرارة بعده، وهيجان الحب في حشو البلاء. قال السبط الحسين رضي الله عنه: من اتّكل على حسن اختيار الله لم يتمنّ غير ما اختاره. الراضي لا يتمنّى فوق منزلته قال صلّى الله عليه وسلم ((**أسألك الرّضى بعد القضاء**))[532]، فقبله عزم على الرضى وبعده هو الرضى فارض ولو أدخلك النار وهو ارتفاع الجزع في أي حكم وهو رفع الاختيار وهو نظر القلب لقديم اختيار الله للعبد وهو ترك التسخّط وهو الفرح بالأحكام وهو فرح القلب بمرّ القضاء فارض بدون قدرك يرفعك فوق غايته فلا

---

[531] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 226/6.

[532] الراوي: أم الدرداء | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 165/6.

ترضى وللدنيا عندك مقدار قال صلّى الله عليه وسلم ((**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا**))[533] الخير كله في الرضى فإن استطعت فارض وإلاّ فاصبر، إن رحمتني رحمت محبك وإن عذبتني عذبت محبك فلا تكره مراد الله فيك.

((**العبودية**)) ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَاتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[534] قال صلّى الله عليه وسلم ((**سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، إمام عادل، وشابّ نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد إذا خرج منه حتّى يعود إليه، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل تصدّق فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفقه يمينه**))[535] العبودية أتم من العبادة فالعبادة للعوام والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخاص العبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين والعبودة لمن له حق اليقين، العبادة لأهل المجاهدات والعبودية لأهل المكابدات والعبودة صفة أهل المشاهدات، وهي ترك الاختيار والتبرّي من الحول والقوة والإقرار بما أعطاك من الطول والمنة وهي معانقة ما أمرت ومجانبة ما نهيت فاطرح نفسك على مولاك واصبر معه على بلواه ولا تجزع من جوع وعري وفقر وذلّ تكن عابدًا (**وعلامتها**) ترك التدبير وشهود التقدير وكن عبده في كل حال كما هو ربك في كل حال، عبيد النعم كثير وعبيد المنعم قليل وجودهم فإن أسرتك نفسك صرت لها عبدًا وإن أسرتك الآخرة كذلك وإن أسرتك دنياك فكذلك. قال صلّى الله عليه وسلم ((**تعس عبد الدّرهم تعس عبد الدّينار تعس عبد الخميصة**))[536] فاشهد أعمالك رياء وأحوالك دعاوي، العبد عبد ما لم يطلب لنفسه خادمًا وهي شهود الربوبية، قيمة العبد بسيده وشرف العارف بمعروفه. فزينتك العبودية وإلاّ تعطلت، أصل العبادة ثلاثة: لا تترك من حكمه شيئًا ولا تدّخر عنه شيئا ولا تسأل غيره حاجة، وهي الوفاء بالعهود والرضى بالموجود والصبر عن المفقود والحفظ للحدود فضيّق على

[533] الراوي: العباس بن عبد المطلب | المحدث: مسلم | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 34.

[534] الحجر 99.

[535] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 4486.

[536] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 2887.

نفسك ووسّع على الناس شرّفك الله بإضافته لنفسه ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[537] فلا تسكن للذة ولا تعتمد على حركة فاحذر لذة العطاء فإنها غطاء لأهل الصفاء فالرضى دار العبودية والصبر بابه والتفويض بيته فالصوت على الباب والفراغة في الدار والراحة في البيت فالربوبية نعت للحق فالعبودية نعت للعبد فالعبودة إسقاط رؤية التعبد في مشاهدة المعبود وهو ترك الأشغال والاشتغال بالشغل الذي هو أصل الفراغة فلا تطلب ربحًا فإن وقوفك ببابه في الأوقات عينه وإن تعرضت للربح طلبت البعد من الربح فليس ربح للعبد من غير سيادة ربه فإن طلبت أن يوليك طلبت الخروج عن حكمه لتحكم على غيرك كصبي طلب الخروج عن تربية المؤدب فهو عين القطع والبعد.

((**الإرادة**)) قال تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[538] قال صلّى الله عليه وسلم ((**إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله**))[539] وهو توفيقه لعمل صالح قبل الموت وهي بدء طريق السالكين وأول منزلة القاصدين ومقدمة كل أمر والمريد من له إرادة كالعالم من له علم. وفي عرف العارفين متجرّد عن الإرادة فمن لم يتجرّد منها لا يسمى مريدًا وهي ترك العادة التي هي الغفلة والشهوة والإخلاد إلى ما دعته المنية وخروجها عنها دلالةً على صحة إرادته فهي نهوض القلب في طلب الحق وهي لوعة تهوّن كل روعة. فأحوال الفقراء جدّ فلا تمازحهم، مزح بعض بعضَهم طلب منه عصيدةً فقال ممازحًا إرادة وعصيدة فأمر بها فعملت ففتّش عليه فلم يجده فقيل خرج للبادية يقول إرادة وعصيدة حتى مات. ضاق صدر بعضهم في البادية يا إنس كلموني يا جنّ كلموني فهتف به إيش تريد الله فقال له متى تريد الله إنكارا عليه. فالمريد لا يفتر نعته في الظاهر بالمجاهدة وفي الباطن بوصف المكابدة، فارق الفراش ولازم الانكماش وتحمّل المصاعب واركب المتاعب وعالج الأخلاق ومارس المشاق وعانق الأهوال وفارق الأشكال، وهي لوعة في الفوائد لذعة في القلب غرام في الضمير.

537 الزمر 50.

538 الأنعام 53.

539 الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2142.

عقد بعض عدم مخالفة لشيخه فأمره بوقد التنور فجاء فأخبره بسجره ولم يجبه ثم ثانيًا فقال له ادخله واقعد فيه تأديبًا له فتبعوه فوجدوه قاعدًا فيه فلم تحترق منه شعرة. فتحبّب له بالنوافل وأخلص النصيحة للأمة وآنس بالخلوة واصبر على الأحكام وآثر لأمره واستحيي من نظره وابذل مجهودك في محبوبك وتسبّب بكل سبب يوصل إليه واقنع بالخمول ولا يقر قلبك حتى يصل لربك فالزم مرادك فنم غلبةً وكل فاقةً وتكلّم ضرورةً واصحب الصوفية وجانب الفقراء. نهاية الإرادة إشارة إلى الله فإنك تجده بلا إشارة إن صححت ولا تصح حتى لا يكتب عليك صاحب الشمال عشرين سنة فإن لم تصححها تمر الأيام إدبارًا فاعمل بما سمعت تنفع به عمرك كله وإلا كان حكاية فأرد الحق بإسقاط إرادتك فلا تعاشر الأضداد فلا تشتغل بالرخص فحكاية أحوال الصوفية جند القلب قال تعالى ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[540] فكل مريد مراد لأنه لو لم يرد إرادته لم تكن فإن أرادك للخصوصية وفّقك للإرادة. فعرف القوم المريد المبتدئ والمريد المنتهي فالمريد متعن والمراد مرفوق به فسنّة الله فيهم مختلفة أكثرهم يوفّقهم للمجاهدة ثم يصلون وكثير منهم يكاشفون في الابتداء ويصلون أكثر ما أدركه أهل الرياضات ثم يردون لإتمام ما بقي لهم من العقبات، المريد متحمّل والمراد محمول. فسيدنا موسى مريد فقال ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾[541] وسيدنا محمّد مراد فقيل له ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾[542] وقال موسى ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾[543] وقال لسيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[544] والمقصود ألم تر إلى ربك ومد الظل ستر للقضية وتحصين للحالة. فالمريد تتولاه سياسة العلم، والمراد تتولاه رعاية الحق. فالمريد يسير والمراد يطير. إلى متى الراحة والنوم وقد

---

[540] هود 119.

[541] طه 24.

[542] الشرح 4.

[543] الأعراف 143.

[544] الفرقان 45.

جازت القافلة. فالعارف ينام الليل ويصبح في المنزل قبل القافلة فلم تصله أحوال المريدين، واجتهد شكورًا وإن وصلت وخاطبك بالراحة والتهنئة فإن مراده فيك الزيادة في الأدب والعمل علامته.

((**الاستقامة**)) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[545] الآية قال صلّى الله عليه وسلم ((**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أنّ خير دينكم الصّلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن وهي درجة بها كمال الأمور ونظام الخيرات فاستقم وإلاّ ضاع سعيك**))[546] وهي درجة بها كمال الأمور ونظام الخيرات فاستقم وإلا ضاع سعيك ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ اَنكَـٰثاً﴾[547] فاستقم ترتقي وتبني[548] سلوكك على صحة. فشرط المستأنف الاستقامة في أحكام البداية وشرط العارف الاستقامة في آداب النهاية (**علامتها**): في المبتدي ألاّ يلحقه فتور وفي المتوسط ألا تصحبه وقفة وفي المنتهي ألا تلحقه حجبة (**مدارجها**) ثلاثة: التقويم وهو تأديب النفس والإقامة وهي تهذيب القلب والاستقامة وهي تقريب الأسرار ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قيل لم يشركوا قال عمر رضي الله عنه **لم يروغوا روغان الثعالب** وقيل استقاموا بانفراد القلب بالله. كن صاحب الاستقامة لا صاحب كرامة فالكرامة تحبها والله يريد منك الاستقامة قال صلّى الله عليه وسلم ((**شيّبتني هود وأخواتها**))[549] ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[550] وهي الخروج عن المعهودات فهي شأن الأكابر. فالمحاسن بالاستقامة وانقلاب المحاسن بضدها وإن أردتها فاشهد الوقت قيامة وهي في الأقوال بترك الغيبة وفي الأفعال بترك البدعة وفي الأعمال بترك الفترة وفي الأحوال بنفي الحجبة. السين والتاء فيها لطلب إقامتهم على توحيدهم ثم على استدامة عهودهم وحفظ حدودهم وهي توجب الكرامة ﴿وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى

---

[545] الأحقاف 12.

[546] الراوي: ثوبان مولى رسول الله | المحدث: البيهقي | المصدر: الشعب | الصفحة أو الرقم: 1045/3.

[547] النحل 92.

[548] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "ترتق وتبن".

[549] الراوي: وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة | المحدث: أبو نعيم | المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 388/4.

[550] هود 112.

ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقاً﴾[551] أسقيته إذا جعلت له سقيًا وهو الدوام. لزم بعض موضعًا فقيل له فقال حال فقدته هنا ثم لزم موضعًا قريبًا منه فقيل له فقال وجدت فيه حالي فافهم.

((**الإخلاص**)) قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾[552] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ثلاث لا يغل عليهنّ قلب مسلم إخلاص العمل لله تعالى ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين**))[553] وهو إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد وهو تقرّب الله دون شيء من تصنّع أو طلب محمدة أو مدح من خلق أو غيره وهو تصفية الفعل من حظ المخلوق قال صلّى الله عليه وسلم قال الله تعالى ((**الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببتُ من عبادي**))[554] فالإخلاص التّوقي من ملاحظة الخلق والصدق التّنقي من مطالعة النفس فالمخلص لا رياء والصادق لا إعجاب له فشهودك الإخلاص يحتاج إلى إخلاص فسوّ المدح والذم وانس العمل في العمل وانس اقتضاء ثواب الآخرة فإخلاص العوام ما لا حظّ لهم فيه وأمّا للخواص هو ما يجري عليهم لا بهم فيطيعون وهم عنها بمعزل ولا يرونها ولا يعدونها. رؤيتك الإخلاص نقصان أسقط رؤيته تكن مخلصًا ولا يعرف الرياء إلا مخلص. فرياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين فالإخلاص نسيان الخلق بالحق وهو استواء الفعل ظاهرًا وباطنًا وهو ما قصد به الحق وأريد به الحق. من تزيّن للناس بما ليس فيه سقط من عين الله فترك العمل لأجل الناس رياء خفي والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وهو سر بين العبد وربه لا يكتبه ملك ولا يفسده شيطان ولا يميله الهوى وهو العمل بلا حظّ الدارين وهو أشد على النفس فلا نصيب لها فيه فالمخلص لا يخاف غير الله وهو قليل فما أخلص أحد أربعين إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فأخلص تنقطع عنك الوساويس والرياء فافهم.

---

[551] الجن 16.

[552] الزمر 3.

[553] الراوي: زيد بن ثابت | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 680.

[554] الراوي: الحسن البصري | المحدث: العراقي | المصدر: تخريج الإحياء | الصفحة أو الرقم: 104/5.

((**الصدق**)) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[555] قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يزال العبد يصدق ويتحرّى الصّدق حتّى يكتب عند الله صدّيقا، ولا يزال يكذب ويتحرّى الكذب حتّى يكتب عند الله كذأبًا**))[556] ودرجته تالية لدرجة النبوة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[557] والصادق اسم فاعل والصدّيق مبالغة أقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق من أقواله والصديق من أفعاله وأقواله وأحواله فاصدق تكن مع الله إن الله مع الصادقين الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة فلو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه لم يطقه لسانه وهو النطق بالحق في مواطن الهلكة وهو موافقة السر النطق وهو منع الحرام من الشدق وهو الوفاء لله عزّ وجلّ بالعمل فمن داهن نفسه أو غيره فلا يشم رائحة الصدق وهو يحب الموت ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[558] وهو صحة التوحيد والقصد. سئل بعضهم ما أنحلك فقال هوى دائم وكتمان دائم فقال له اسكت ما أجرأك فقال إلهي إن كنت صادقًا فخذني فخرّ ميّتًا. كان بعضهم تعرّض له لصّ فقال له كم عندك من الدراهم فقال له خمسون دينارًا فقال ناولنيها فناولها له فعدّها فوجدها فردّها عليه فقال له خذها فقد أخذني صدقك فنزل له اللصّ على الدابة فقال له اركبها فأنا لاحق بك فتبعه فتجرّد حتى مات معه وهو صدقك في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب فالحلاوة والملاحة والهيبة كسوة الصادق. **يا داوود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيّته** فعامل الله بالصدق وهو سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه أول خيانة الصادقين حديثهم مع أنفسهم ليلة الصدق أفضل من الجهاد بالسيف وهو أن تكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما تكون (**وعلامته**) ألا يبالي لو خرج من قلوب الخلق وألا يحب اطّلاع الناس على سر عمله وألا يكره اطّلاعهم على قبح

---

[555] التوبة 120.

[556] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2607

[557] النساء 68.

[558] الجمعة 6.

عمله فمن لم يؤدّ الفرض الدائم وهو الصدق فلا يقبل منه الفرض الموقت فإن طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تنظر فيها جميع المخلوقات الدنيوية والأخروية فالزم الصدق من حيث تخاف أن يضرك ودع الكذب من حيث تظن أن ينفعك فإنه يضرك **(وعلامة)** الكذب جوده باليمين بغير مستحلف. ما أملق تاجر صدوق.

((الحياء)) ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[559] قال صلّى الله عليه وسلم **((الحياء من الايمان فاستحيوا من الله حقّ الحياء قالوا إنّا نستحي يا نبيّ الله والحمد لله قال ليس ذاك ولكن من استحيا من الله حقّ الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلا ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدّنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء))**[560] فأحي الحياء بمجالسة من يستحيى منه العلم الأكبر الهيبة والحياء فإن ذهبا لم يبق فيه خير وهو وجود الهيبة من القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك فالحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق من تكلم في الحياء وهو لم يستحي فهو مستدرج. الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجد الزهد والورع حطا وإلا رحلا ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[561] وهو استحياء الكرم مخافة ألا يجيبها **(عبدي إنك ما استحييتني أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلتك وإلا أناقشك الحساب يوم القيامة)** صلى بعضهم خارج المسجد فقال عصيته فاستحييت أن أدخل بيته **(وعلامته)** ألا يُرى في موضع يستحيا منه، قال بعضهم استحييت أن أخاف غيره **(يا عيسى عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس)** وإلا فاستحيي منه أن تعظ الناس وهو وجوه: حياء الجناية كآدم عليه السلام لما قيل له أفرارًا منّا قال بل حياءً منك. وحياء التقصير كالملائكة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. وحياء الإجلال كإسرافيل عليه السلام تسربل بجناحه حياءً من الله. وحياء الكرم كالنبي صلّى الله عليه وسلم كان يستحيي من أمته أن يقول اخرجوا فقال الله ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ

---

[559] العلق 14.

[560] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 232/4.

[561] القصص 25.

لِحَدِيثٍ﴾[562] وحياء حشمة كعليّ رضي الله عنه حين سأل المقداد حتى سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن حكم المذي لمكان بنته. وحياء الاستحقار كموسى عليه السلام قال إني لتعرض لي الحاجة من الدنيا فأستحي أن أسألك يا ربي فقال الله له سلني حتى ملح عجينتك وعلف شاتك. وحياء الإنعام هو حياء الرب سبحانه يدفع إلى العبد كتابًا مختومًا بعد ما عبر الصراط وإذا فيه فعلت ما فعلت ولقد استحييت أن أظهر عليك فاذهب فإني قد غفرت لك. فسبحان من يذنب العبد فيستحيي منه. (**علامة الشقوة**) خمس: جمود العين، وقسوة القلب، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل (**ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحيي أن أرده ويعصني فلا يستحيي مني**) من استحيا من الله مطيعًا استحيا الله منه وهو مذنب وهو ذوبان الحشا لاطلاع المولى وهو انقباض القلب لتعظيم الرب. عظ نفسك بما تعظ به أخاك وإلا فاستحيي من سيدك فإنه يراك وهو رؤية الآلاء ورؤية التقصير فلم يذق لذعات الحياء من لبس خرق جد أو نقض عهد فضل المستحيي العرق وهو ترك الدعوى بين يدي مولاك. كان بعضهم ينصرف من صلاة ركعتين حياء كأنه سرق فاستحيا من الله بالتفويض له.

((**الحرية**)) قال تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾[563] لتجردهم عما خرجوا منه وآثروا به، قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه وإنّما يصير إلى أربعة أذرع وإنّما يرجع الأمر إلى آخره**))[564] وهي أن تخرج من رق المخلوقات ولا يجري عليك سلطان المكونات فتستوي عندك أخطار الأشياء. قال حارثة لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ((**عزفتُ نفسي عن الدّنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها**))[565] من دخل الدنيا حرًّا دخل الآخرة وهو عنها حر

---

[562] الأحزاب 53.

[563] الحشر 9.

[564] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: ابن أبي الدنيا | المصدر: القبور | الرقم: 118.

[565] لما قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم: أنا مؤمن حقا فقال "**وما حقيقة إيمانك؟**" قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم "**عرفت فالزم عبد نوّر الله قلبه بالايمان**"

وحقيقة الحرية في كمال العبودية فإن صدقت عبوديتك خلصت من الأغيار حريتك فمن خلع عذار العبودية بترك الأوامر وهو مكلّف عاقل فقد لفظته أرحية الدين ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَاتِيَكَ اَلْيَقِينُ﴾[566] يعني الأجل فإذا تجردت من الدارين صرت فرد الفرد فلا تكن رقًّا للدنيا ولا لهوى ولا لآخرة ولا سؤال ولا قصد ولا أرب ولا حظّ. قال بعضهم منذ عرفت رحمة الرحمن ما سألته أن يرحمني فمقام الحرية عزيز.

أتمنى على الزمان محالا * * أن ترى مقلتاي طلعة حرّ[567]

وإن أردتها فصل العبودية فالمكاتب عبد ما بقي عليه درهم فصريح الحرية تلاشي عبوديتك وهو العبودة فهي مقام القلم بين يدي الكاتب فطهّر سريرتك من غير الله فإذا استتمت مقام العبودية صرت حرًّا من تعبها فيرسم بالعبودية بلا عناء بكونك محمولاً لا تلحق قلبك مشقة وهو مقام الصدّيقين وإن كنت متحلّيًا بها شرعًا ومعظمها في خدمة الفقراء. ((**يا داوود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادما**))[568] ((**سيّد القوم خادمهم**))[569]فأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار وأبناء الدنيا تخدمهم العبيد والخدم فلا تصحب إلا حرًّا كريمًا يسمع ولا يتكلم.

((**الذكر**)) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ اُذْكُرُواْ اُللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾[570] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذّهب**

أخرجه الطبراني من حديث الحارث بن مالك.

[566] الحجر 99.

[567] بيت شعر كان يردده القاسم بن القاسم السياري أبو العباس 342 هـ [طبقات الأولياء. ابن الملقن عمر بن علي بن أحمد، سراج الدين أبو حفص المصري الشافعي].

[568] الراوي: سهل بن عبد الله| المحدث :أبو نعيم |المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 15251.

[569] أخرجه الديلمي في ((الفردوس)) (3473) وأبو نعيم في ((الأربعين الصوفية)) كما في ((الجامع الصغير)) للسيوطي (481/1).

[570] الأحزاب 41.

والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا ما ذاك يا رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال ذكر الله تعالى))[571] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا تقوم السّاعة على أحد يقول الله الله))**[572] وهو ركن قوي في طريقة أهل الله بل وهو العمدة فيها ولا تصل إليه إلا بدوام الذكر وهو قسمان ذكر اللسان والقلب فذكر اللسان سبب لذكر القلب دوامًا فالتأثير للقلب فاذكر بلسانك وقلبك تكن كاملاً. فالذكر منشور الولاية فمن وُفّق للذكر فقد أعطي المنشور وإلا عُزل فذكر القلب سيف يقطع الأغيار والآفات فافزع إلى الله في الحال يزل ما تكرهه فالذكر الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب فاذكره على الحقيقة تنس كل شيء ويحفظ عليك كل شيء ويكن لك عوضًا عن كل شيء فاحمده أن زيّن جارحتك بطاعته قال صلّى الله عليه وسلم ((**إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا فقيل وما رياض الجنّة قال مجالس الذّكر))**[573] وقال ((**يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قال مجالس الذكر قال اغدوا وروحوا واذكروا فإن الله ينزّلك حيث نزّلته إن ذكرته ذكرك وإن نسيته نسيك))**[574] قال تعالى ((**أنا جليس من ذكرني))**[575]. فاستفد من مجلسه وإلا فلم تجالسه كمن حضر مجلس عالم وهو غافل أو نائم فليس له وقت يخصّه فوقته أنفاسك والصلاة أشرف العبادات موقتة لثقل صولتها أعظم من الذكر والذكر بالقلب مستدام في عموم الأوقات ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[576] فالذكر أتم من الفكر فإنه يوصف به الله ولا يوصف بالفكر فلولا أن فرض عليّ الذكر ما ذكرته تعظيمًا له أمثلي يذكره ولم يغسل فمه بألف توبة متقبّلة عن ذكره فإن ذكرته زجرك سرّك وقلبك وروحك وإياك والتذكار فإنه يستلزم النسيان كيف تنساه حتى

---

[571] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الترمذي | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3377.

[572] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 148.

[573] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 3510.

[574] أخرجه في جزءه الأول البزار وأبو يعلى في مسنديهما والطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك.

[575] الراوي: كعب الأحبار | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 7928

[576] آل عمران 191.

تذكره فمقابلة ذكرك له ذكره لك ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[577] وإن نسيته نسيك ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[578] وإن حضرت دائمًا حضر معك ((**لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**))[579] قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام **أعطيتُ أمتك ما لم أعط أمة من الأمم** ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. قال موسى عليه السلام يا رب أين تسكن قال له **في قلب عبدي المؤمن**. ومعناه سكون الذكر في القلب وهو منزّه عن سكون وحلول فإنما هو إثبات ذكر وتحصيل. فحقيقة الذاكر غيبته عن الذكر.

لا لأني أنساك أكثر ذكرا ك ولكن بذاك يجري لساني[580]

(**عبدي ما أنصفتني أذكرك وتنساني وأدعوك إليّ وتذهب إلى غيري وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا، يا ابن آدم ما تقول غدا إذا جئتني**) فإذا شرعت في الذكر شرعت الملائكة في غرس الأشجار في قيعان الجنة فإن فترت أمسكت فتفقد الحلاوة في الذكر والصلاة وقراءة القرآن فإن وجدت وإلا فالباب مسدود فذق وحشة الغفلة تذق طعم الذكر ((**إذا كان الغالب على عبدي ذكري عشقني وعشقته في فافرحوا وبذكري فتنعموا**))[581] فعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر. وفي الإنجيل: اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصرتي لك فإن نصرتي لك خير لك من نصرتك لنفسك. فصم بذكره فإن ذكرت غيره أفطرت فإذا تمكن الذكر من القلب يصرع الشيطان لقربه فتقول الشياطين مأنوس. فلا معصية أقبح من نسيان الرب فالذكر الخفي سر بين العبد وبين ربه. كلّف سبع ببعض

---

[577] البقرة 151.

[578] التوبة 68.

[579] أخرجه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه.

[580] أورده الحصري القيرواني في كتابه "جمع الجواهر في الملح والنوادر" ونسبه لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن اليتيم.

[581] الراوي: الحسن بن يسار | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الرقم أو الصفحة: 8325.

الذاكرين فكلّما غفل عضّه. يكثر بعض في الذكر الله الله فسقطت عليه خشبة فأدمته فكتب دمه في الأرض الله الله.

((**الفتوّة**)) قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾[582] قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم**))[583] ولم يكمل هذا الخلق إلا في رسول الله صلّى الله عليه وسلم والناس له أسوة فالأنبياء في القيامة يقولون ((**نفسي نفسي**)) وهو يقول ((**يا ربّ أمّتي أمّتي**))[584]. وهي الصفح عن عثرات الإخوان وهي ألاّ ترى فضلاً لنفسك على إخوانك. الفتى من لا خصم له وهي كونك خصمًا لربك على نفسك ولا تخاصم أحدًا وهي بكسر الصنم وهو العادة والراحة والشهوة ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾[585] وهي أن تنصف ولا تنتصف وهي حسن الخلق وهي ألاّ تنافر فقيرًا ولا تعارض غنيًا. المروءة شعبة من الفتوة، وهي الإعراض عن الكونين وهي استواء المقيم عندك والطارئ وهي ترك ما تهوى لما تخشى وهي ألا تميز أن يأكل عندك وليّ أو كافر وهي كفّ الأذى وبذل الندى وهي اتّباع السنّة وهي الوفاء وهي فضيلة تأتيك ولا ترى نفسك فيها وهي ألاّ تهرب من سائل وهي ألا تحتجب من القاصدين وهي ألا تدّخر ولا تعتذر وهي إظهار النعمة وإسرار النقمة وهي إن دعوت عشرة ألاّ تتغير إن جاءك تسع أو أحد عشر وهي ترك التمييز، دعا بعضهم الفتيان فناموا عند السماع فقال بعضهم أي سبب النوم فقال رب الدار اجتهدت في الطعام غير الباذنجان فسألوا صاحبه فقال لم يبق له شيء فسرق الباذنجان فباعه فافهم فحملوه إلى ربه ليستحله فقال لهم ربه وهبت له ألف باذنجانة وسورين وحمارين وتلك الأرض وآلة الحرث لئلا يعود. تزوج فتى امرأة فقبل الدخول ظهر فيها جدري فحك عينه فقال مرضت ثم

---

[582] الكهف 13.

[583] أخرجه الطبراني (118/5) (4801)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (2921)، والديلمي في ((الفردوس)) (7560).

[584] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 4712.

[585] الأنبياء 60.

عميت فغطى عينه بحجاب فلما ماتت حل عينه لئلا يحزنها بالنظر إلى مرضها وهي عروس. وهي ألا تربح في سلعتك على خليلك. دخل بعضهم على بعض الفتيان فدخلت جارية لغسل الأيدي فانقبض بعضهم فقال ليس من المروءة أن تخدمنا النسوان فقال أعلى منه أنا منذ سنين ما عرفت من يغسل لنا هنا رجل أم امرأة. باع أحدهم جارية حسنة لبعضهم اختبارًا وشرط عليه غلامًا فبقيت شهورًا ما تفطن بأنها جارية فقالت ما مسها يظنها غلامًا. طلب بعض السلاطين بعض الفتيان في جارية فامتنع فضربه ألف سوط فاحتلم مرة في ليلة باردة فقصد واديًا فاغتسل فيه فقيل أهلكت نفسك فقال صبرت على ألف سوط لمخلوق فاستحييت ألا أصبر للبرد. قدم بعضهم إلى بعض الفتيان فقالوا للغلام قدم السفرة فأبطأ ولم يمتثل فسألوه فقال وجدت فيها نملاً فاستحييت أن أقدمها واستحييت من النمل حتى دب على خاطره فقالوا له دقّقت مثلك يُخدم. نام بعض الحجاج في المسجد فظن أنه سرق هميانه فخرج فوجد جعفرًا الصادق فتعلق به فقال له إش عندك فيه فقال ألف دينار فأدخله داره فحسبها له ثم وجد هميانه فمشى إليه يرده له فقال شيء أخرجته لله لا أرده. والفتوة إن أعطيت شكرت وإن منعت آثرت واسترعيت الأصدقاء وأحرى إن فيه شماتة الناس احمله على رقبتك إلى منزله. دخلت طائفة منهم على فتى مريض فقيل له أتحب أن تبرأ فقال نعم فقال لأصحابه تحملوا عنه فتحملوا فبرئ ومرضوا يعادون فلتكن فيك همتهم ونيتهم وحالهم ورضاهم وصدقهم وطاعتهم لمربيهم فإن مربيك في طريقك أعظم خطرًا وحقًّا.

((**الفراسة**)) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[586] أي المتفرّسين قال صلّى الله عليه وسلم ((**اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله تعالى**))[587] وهي خاطر يهجم على القلب فينفي ما يضاده فأقوى إيمانًا أحدّ فراسةً وهي حكم حق جرى على لسان عبد يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها فيتكلم عن ضمير الخلق وهي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب والمتوسم العارف بالقلوب بالاستدلال

---

[586] الحجر 75.

[587] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3127

والعلامات وأعظم منه الرباني ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّينَ﴾[588] كونوا ربانيين أي علماء حكماء متخلقين بأخلاق الحق نظرًا وخلقًا مع الفراغ من الخلق والنظر إليهم إذا استولى الحق عن سر ملكه الأسرار فيخبر عنها وهي نظر مشاهدة لا ظن وتخمين ومنبعها ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[589] وهي تتقى فلا تدعى فجالس أهل الصدق بالصدق فإنهم جواسيس القلوب فالحاجة التي تبديها للخلق يعلمها الله.

((**الخلق**)) قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[590] قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ((**أي المؤمنين أفضل إيمانا قال أحسنهم خلقا**))[591] وكان صلّى الله عليه وسلم أعظم خلق لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله فلا يخاصم ولا يخاصم من شدة المعرفة بالله لم يؤثر فيك جفاء الخلق ولم تكن لك همة غير الله. من زاد خلقًا زاد تصوّفًا. ابن عمر: إذا سمعتموني أقول لمملوك أخزاه الله فهو حر وإن أسأت إلى دجاجة فلست من المحسنين. فقدت ثلاثة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الأمانة وحسن الإخاء مع الوفاء. وهو استصغار ما هو منك واستعظام ما منه إليك. سقط سفود شواء من يد خادم على ولد فمات فأعتقها سيدها قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّكم لن تسعوا النّاس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق**))[592] أكثر الناس همّا أسوءهم خلقًا فإن تخلّقت أربعين صار خلقا ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[593]. أي خلقك فحسّن، قال أحد ما فرحت إلا مرتين مرة بال عليه أحد والأخرى صفعه إنسان والخلق أن تكون قريبًا من الناس وفي وسطهم غريبًا وهو قبول جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر. وفي الإنجيل: عبدي اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب. إنما يعرف الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والأخ عند الحاجة إليه. قال موسى عليه السلام أسألك ألا يقال

---

[588] آل عمران 78.

[589] الحجر 29.

[590] القلم 3.

[591] الراوي: أبو ذر | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 361.

[592] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 2742/6.

[593] المدثر 4.

لي إلا ما فيّ فأوحى إليه ما فعلت ذلك لنفسي فكيف أفعله لك. لبعضهم عبد سوء فقيل له لم أمسكته قال ليتعلم منه الحلم ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[594] فالظاهرة تسوية الصورة والباطنة تصفية الباطن. صحبة فاجر حسن الخلق أفضل من عابد سيء الخلق وهو احتمال المكروه بحسن المداراة. لما ضربتني سألت الله لك الجنة لأني أوجرت عليه فأحب أن أؤجرك معي فلو دعاك أحد سبعين مرة فردك ونهرك فلا تجد عليه فإن الوجد بقية بشرية ولا تر نفسك فإنه يوجد في الكلاب إذا زجر انزجر. من سوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق غيرك، ((**سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال سوء الخُلُق**))[595]. سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يدعو على المشركين فقال ((**إنّما بعثتُ رحمة، ولم أبعث عذابا**))[596].

((**الجود والسخاء**)) قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[597] قال صلّى الله عليه وسلم ((**السّخي قريب من الله تعالى قريب من النّاس قريب من الجنّة بعيد من النّار والبخيل بعيد من الله تعالى بعيد من الجنّة قريب من النّار والجاهل السّخيّ أحبّ إلى الله من العابد البخيل**))[598] فالسخاء ثم الجود ثم الإيثار فعطاء قليل سخاء وكثير جود وإيثار الغير بالبلغة مع الاحتياج إيثار فالكريم من علّمك الكرم. أخذ السلطان طائفة من الصوفية فبسط نطعًا للقتال فتقدم الإمام النووي ليؤثر غيره على نفسه بفضلة ساعة فقال له السيّاف لماذا فقال أؤثر أصحابي بفضل حياة ساعة فتحيّر وأخبر الملك فردهم إلى القاضي فألقى على النووي مسائل فقهية فأجاب عن الكل فقال إن لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله ونحوه فبكى القاضي فقال للخليفة إذا كانت هذه الطائفة

---

[594] لقمان 19.

[595] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 38/6.

[596] "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" لأبي العباس ضياء الدين أحمد بن عمر القرطبي في شرح ألفاظ وأسباب الحديث الشريف "إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة". وخرجه أبو داود في مراسيله من حديث خالد بن أبي عمران.

[597] الحشر 9.

[598] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 27/3.

زنادقة ما على وجه الأرض مسلم. كان بعضهم يشتري من باعة السوق فقيل له فقال إن هؤلاء نزلوا بقربنا طمعًا في إكرامنا. وكان شيخنا رضي الله عنه وأرضاه يفرق السميد على غيران النمل حيثما رآه وكان يوصل بيده الخبز للفار في محله فقيل له إنه يتحمّل المشاقّ للخبز فقال ما جاورونا إلا طمعًا في إكرامنا ولا نتعبه ومرّ رضي الله عنه على فرس منبوذة على السباطة خارج فاس فأمر صاحبه أن يأتي لها بعلفها ثمنيا في كل يوم وعاشت ثلاث سنين ورزقها جارٍ عليها منه ومرّ على بعض الغلمان عريانًا فقال حاشى أن يشم أربابهم رائحة الجنة لتضييعهم أمر المماليك. عطش عبد الله بن أبي بكرة فقصد منزل امرأة فاستسقى فأعطت لهم فقالت تنحوا عن الباب وليأخذ عبدكم فإني امرأة مات خادمي منذ أيام فقال عبد الله لغلامه احمل لها عشرة آلاف فاستعظمها العبد فقال له أخرج لها عشرين ألفا فقال العبد سبحان الله فقال له احمل لها ثلاثين ألفًا فحملها لها والجود إجابة الخاطر الأول. استضاف بعضهم بعض العرب في يوم شاتٍ فنحر ناقة وفي الغد أخرى فقال لا أطعم ضيفي الغاب وفي الثالثة كذلك فلما انصرفوا وضعوا مائة دينار وقالوا لامرأته اعتذري له فخرجوا فتبعهم فقال قفوا يا لئام أعطيتموني ثمن قراي فخذوه وإلا طعنتكم بالسيف فأخذوه فقال:

وإذا أخذت ثواب ما أعطيته * * فكفى بذاك لنائل تكديرا

فكان عبد الله بن جعفر يعطي الكثير ويضمن فقال أبذل مالي وأضمن بعقلي. خرج عبد الله بن جعفر فنزل في نخيل فدخل كلب على عبد الحائط فأعطى له خبزة ثم أخرى ثم أخرى فقال له جعفر يا غلام كم خبز عندك حتى تطعم الكلب ما رأيت فقال الغلام ماهي بأرض كلاب كلب جاءنا من بعد وندّخر عليه فقلت أعطي له وأطوي أيامًا فقال جعفر هذا أجود مني فاشترى النخيل والعبد وما فيها من الآلات وأعتق العبد وأعطى له بستانه هبة. سأل بعض رجلاً يتوضأ فلم يجد شيئًا فقال له اصبر فلما توضأ قال احمل قمقمة فأخذها فقال سرقها أحد فلم نبلغه تسترًا لئلا يغيّبوا عليه صولة الكرم. ودفع بعضهم جبته ولم يجد ما يلبس فخرج يدّرس بجبة النساء وكان بعضهم يضع المال في الأرض ليأخذه

المستوهب لئلا تكون يده سيدة يده ((**اليد العليا خير من السّفلى**))[599]. مدح بعض الشعراء بعضهم فقال له ما عندي ما أعطيك لكن ادعني للقاضي وادع عليّ عشرة آلاف درهم وأقرّ لك بها تحبسني بها فإن أهلي يغرمونها لك فأدّيت له وخرج من السجن. سأل أحد سيدنا الحسن السبط شيئًا فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار فأتى السائل بحمّال فأعطى له الحسن طيلسانه وأدّى له الأجرة. وسألت امرأة بعضهم سكرجة عسل فأعطاها زقّا فقيل له فقال سألت بقدر حاجتها ونحن نعطي بقدر نعمتنا. دخل الشافعي من صنعاء ومعه عشرة آلاف دينار فقيل له تشتري بها قيّنة فضرب خيمته خارج مكة فيعطي منها فما وصل الظهر حتى أنفدها. اجتمع بعضهم مع بعض فسلّم عليه سلامًا ناقصًا فقيل له هو فلان كبير فقال عرفته لكن إذا التقى المسلمان قسمت عليهما مائة رحمة تسعون لأبشّهما فآثرته بتسعين. بكى علي بن أبي طالب فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام فأخاف أن الله قد أهانني. قال الإمام مالك زكاة الدار بيت الأضياف. قال في ﴿هَلَ اَتىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ اَلْمُكْرَمِينَ﴾[600] خدمته لهم بنفسه لأن ضيف الكريم كريم فلا يأنف شريف وإن كان أميرًا من قيامه لأبيه وخدمته لضيفه وخدمته للعالم يتعلم منه ومن السؤال عما لا يعلم ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَن تَاكُلُواْ جَمِيعاً اَوَ اَشْتَاتاً﴾[601] كانوا يتحرجون أن يأكل أحدهم وحده فنزلت. نزل بعضهم عند بعضهم فأحسن قراه فلما أراد أن ينصرف أبت خادمه أن تعينه على الرحيل فقيل له فقال لا تعين خادمنا من يرتحل عنّا فسخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من السخاء بالبذل. دخل بعضهم على بعض فوجده ينفضه البرد فقيل له فقال تذكرت الفقراء وما هم عليه ولم يكن عندي ما أعطيهم فتجردت موافقة لهم بنفسي في مقاساة البرد ليس السخاء أن يعطي الواجد المعدم وإنما هو أن يعطي المعدم الواجد. جاء بعضهم من السوادن بتجارة كثيرة فتلقته محلته ففرّق عليهم جميعها وتخلّف واحد فجاء فأعطاه خادم فرشه واستعذر له وبات فقيرًا فجمعت له كرماء بلده فأصبح غنيًا. وكان سيدنا ومولانا الشيخ رضي

---

[599] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1429.

[600] الذاريات 24.

[601] النور 59.

الله عنه يخبز سبعة مائة خبزة في كل يوم ويطبخ في غالب أحواله سبعة عشر ساقطة من الأكباش الفحولة يفرّق ذلك على الفقراء والضعفاء ويفرّق عددًا كثيرًا من الدراهم على الأشراف في كل يوم.

((**الغيرة**)) ﴿قُلِ اِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[602] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ما أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن إنّ الله يغار وإنّ المؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي العبد المؤمن ما حرّم الله تعالى عليه**))[603] وهي كراهية مشاركة الغير فالله لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق من طاعة عبده ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالاَخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً﴾[604] والحجاب حجاب الغيرة وهي أنه لم يجعل للكافرين معرفة صدق الدين فأهل الكسل عن عبادته ربط أقدامهم مثقلة الخذلان واختار لهم البعد عنه فقال بعضهم لا أريد أن أراه تنزيهًا لذلك الجمال عن نظر مثلي. قيل لبعضهم متى تستريح قال إذا لم أر له ذاكرًا فالغيرة من عمل المريد فليست من شيم العارفين وهي غيرتان غيرة بشرية على النفوس وغيرة الإلهية على القلوب غيرة الله على الأنفاس أن تضيع. فالغيرة غيرتان غيرة الحق على العبد فلا يجعله للخلق فيضنّ به عليهم وغيرة العبد للحق ألا يجعل أنفاسه وأحواله للخلق فلا يقال أغار على الله فقل أغار لله فالغيرة على الله جهل يوجب ترك الدين ولله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له فعادة الله مع أوليائه إذا سكنوا غيرًا ومالوا إلى غيره أنه يجردهم منه تشويشًا عليهم بفتنة يقيمها لهم حتى يتجرّدوا ويقطعوا اليأس من غيره فتصفو سرائرهم له تعالى فآدم لما وطّن نفسه بالخلود في الجنة أخرجه منها وإبراهيم لما سكنت نفسه بإسماعيل أمره بذبحه ليخرجه من قلبه فلمّا تلّه للجبين وقنع منه في الله افتداه بكبش ويعقوب لما مال ليوسف أحزنه به فاحذره فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه ومن غيرته لم يجعل إليه طريقًا سواه. نزل على بعض الأنبياء إن لفلان إليّ حاجة ولي أيضًا إليه

---

[602] الأعراف 31.

[603] الراوي: المغيرة بن شعبة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1499.

الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2761.

[604] الإسراء 45.

حاجة إن قضى حاجتي قضيته حاجته فتضرع النبي إلهي كيف الحال فقال له تعالى إنه ساكن بقلبه غيري فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته. رآ بعضهم حور الجنة فأعجبنه ففقد أحواله أيامًا فرآهن مرة أخرى فلم يلتفت إليهن وقال إنّكنّ شواغل. نظرت رابعة العدوية الجنة فأمرضها فقالت أدّبني فله العتبى لا أعود. كان رجل بجبل يدعو للمرضى في كل سنة مرة فيبرؤون فترصّده بعضهم فلما لقيه قال له فيّ علة باطنية فما دواؤها فقال له اتركني فإنه غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه ومن غيرته أن من ذكره بغفلة لا يمكنه رؤيته ويشقّ عليه فمن عرف جلاله شقّ عليه سماع ذكره بالغفلة وطاعة من لا يعبده بالحرمة فذاكر الغفلة سمّ ونباح الكلاب حضور ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ اِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[605] قال بعضهم عند ذكر ﴿محَمَّدٌ رَّسُولُ اُ۬للَّهِ﴾[606] لولا أنك أمرتني ما ذكرت معك غيرك [**قلتُ**] لكن ذكر الله متوقّف على ذكر النبي صلّى الله عليه وسلم ولذلك قال أمرتني فالله أوقفك بحجر حبيبه وجعل طاعته طاعته فوساطته بين الحق والخلق مرادة في الآزال سياسةً لملكه لا غير.

((**الولاية**)) ﴿آلَاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اَ۬للَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[607] قال صلّى الله عليه وسلم ((**يقول الله تعالى من آذى لي وليًا فقد استحلّ محاربتي وما تقرّب إليّ العبد بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبّه وما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض روح عبدي المؤمن لأنّه يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابدّ له منه**))[608] فالولي له معنيان فعيل بمعنى مفعول من تولى الله سبحانه أمره ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى اَ۬لصَّـٰلِحِينَ﴾[609] فلا يكله إلى نفسه طرفة عين بل تولّى رعايته والثاني مبالغة من الفاعل وهو يتولى عبادة الله وطاعته على التوالي من غير عصيان فشرط الولي

---

[605] الإسراء 44.

[606] الفتح 29.

[607] يونس 62.

[608] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 138/9.
الراوي: أنس بن مالك | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 355/8.

[609] الأعراف 196.

الحفظ من المعصية وشرط النبوة العصمة فمن اعترض عن الشرع فهو مغرور مخدوع. قصد بعضهم بعضًا فانتظره فلمّا خرج تنخّم في المسجد فتولى عنه فقال غير مأمون من أدب الشريعة فكيف على أسرار الحق فلا يجوز للولي أن يعرف أنه ولي لأنه ينظر نفسه بعين التصغير وإن ظهرت كراماته خاف من مكره تعالى فيستمر خوفه ويخاف على زواله. وشرط الولاية وفاء المآل فلا يعرف عنده وقيل بالجواز بناء على أنه لا يشترط وفاء المآل وقد بشّر صلّى الله عليه وسلم العشرة بالجنة فصدّقوا الرسول وخافوا من الله وربما يطلع الله بعض أوليائه على حقيقته في علم ربه وعلى خاتمته وأنه يموت على الولاية فيكون ذلك كرامة له وكذلك يعرف تربته ويوم وفاته ومقعده في الجنة ومقامه في الولاية بإلهام من الله وذلك كرامة ويسّره ذلك ولا يغرّه وذلك كله غير الله وغير الله غرور ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ اِلْغَرُورُ﴾[610] بل يجب عليه أن يخاف مقام ربه وهو الأدب لانسحاب الملك في الدنيا والآخرة فلا يأمن المكر ولو في الجنة وإن صحّ شرعًا ألاّ يخرج منها من دخلها لا عقلاً فالحكم في الآخرة حكم عقلي وهو أن الفاعل يفعل في ملكه ما يشاء فإن قال لك اخرج داري فماذا تقوله وإن كان لا يقوله وما قلته هو الأدب فافهمه. فالولاية لله لا للعبد فولايته مجازية فإذا ظهرت الحقيقة ارتفع المجاز ولذلك زالت الأملاك في الآخرة لأنها موضع الحقائق لا تسع المجاز مالك يوم الدين فإن أحببت الولاية فلا ترغب في الدنيا والآخرة والبرزخ وفرّغ نفسك لله وأقبل بوجهك عليه فيقبل عليك ويواليك فالولي عبد تسربل بالأنس بعد المكابدة واعتنق الروح بعد المجاهدة بوصوله للولاية مقامًا فالولي عروس الله فلا يراها إلا محرمها جعله في خدر الأنس وحجبه عن غيره لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة فالولي يحب الخفاء فلا يحب من يشهّره بالألواح على قبره ولا بالقباب فالحق تعالى لا يريد إلا إخفاءه فمن أظهره الله رغمًا منه ظهر حتى في الآخرة والمخصوص أعظم وإذا شهر لا يفتتن فلا سؤال لهم إنما هو ذبول وخمول فنهاية الأولياء بداية الأنبياء. فالولي من توالت أفعاله على الموافقة لمقام المشاهدة والمراقبة فالولي لا يرائي ولا ينافق وهو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق تولّى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولّي لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار فمشارب الأولياء متباينة في أربعة

---

[610] فاطر 5.

أسماء فمن فني عنها بعد ملابستها كامل تام. فمن شرب من الاسم الظاهر ظهرت له عجائب قدرته ومن الاسم الباطن شهد ما جرى في السرائر من أنواره ومن الاسم الأول شغله بما سبق ومن الاسم الآخر ارتبط بما يستقبله وكل كوشف على قدر طاقته و﴿هُوَ ٱلاَوَّلُ وَالاَخِرُ وَالظَّـٰهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[611] فمن تولاه الله بسرّه وقام عنه بنفسه ارتقى عن الأقسام الأربعة وهم الخواصّ فلا ذكر لهم للعواقب ولا فكر لهم في السوابق ولا سجن لهم في الطوارق. فأهل الحقائق أعلى منهم محوّين عن نعوت الخلائق ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾[612] الولي ريحان الله في أرضه يشمّه الصديّقون فيصل إلى قلوبهم فيشتاقون إلى مولاهم ويزدادون تفاوتًا على حسب استعدادهم وأخلاقهم يغذي الله الولي في بدايته بعبادته وفي كهولته بستره بلطافته ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته ثم يذيقه طعم قيامه به في أوقاته فعلامة الولي ثلاثة شغله بالله وفراره إلى الله وهمّه إلى الله تعالى وسببها أن يفتح الله له ذكر الله فإذا استلذّ الذكر فتح له باب القرب ثم رفعه إلى مجلس الأنس به ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا رآ الجلال بقي بلا هو فصار زمنًا فانيًا فتولّى الله حفظه وبرأه من دعاوي نفسه. فاعلم أن القلب إذا ألف الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في الناس من الأولياء وغيرهم فصفة الولي انمحاق خوفه لأنه من شهود نفسه بتوقع مصالحها ومكروهاتها والولي ابن وقته فلا ماضي ولا استقبال له من صفته عدم الرجاء لأنه من لوازم النفس وهو في ولاية الله وكلاءته فالرجاء انتظار محبوب يقع في المستقبل أو زوال مكروب فهو ابن وقته فالوقت لا يسع الرجاء والخوف. ومن علامته عدم الحزن لأنه من حزونة الوقت ومن كان في نور الرضى وبرد الموافقة فأنى يكون له حزن ﴿أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[613] فخوف وحزن ورجاء النبي صلّى الله عليه وسلم على أمته ولها لأنه رسول والنبي المجرد من الرسالة لا خوف ولا رجاء ولا حزن له لاستهلاكه في بحر الرضى وبرد المعاينة فلم يشوّش عليه

---

[611] الحديد 3.

[612] الكهف 18.

[613] يونس 62.

أحد لعدم البعثة فهو في تمام المعرفة والراحة واللذة والرسول مشتغل بأمته يهتمّ بها فإذا تغيّم الجو انقبض لسر فعل الله وإذا زاد الريح أو شمس أو جوع أو خصب أو سمع رعدًا أو برقًا أو زلزلةً أو كسوفًا أو خسوفًا أو تذكّر كفرًا أو نفاقًا أو تهوّر لسان من الغافلين انقبض صلّى الله عليه وسلم مخافة عقوبة الله على أمته. فاعلم أن النبي صلّى الله عليه وسلم اندرجت فيه أجزاء أمته وأركانهم فإذا تضرّع لأمته المندرجة فيه ويتكلم عن لسانهم نيابة وإذا فزع فزعت قلوب الأمة وإذا صلّى صلت قلوب الأمة وإذا عبد عبدت فيه كل الأمة وإذا تحقّق تحققت وإذا رحم رحمت وإذا رحمه الله رحم كل الأمة وإذا صلى الله عليه صلى على كل الأمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[614] بعد أن صلى عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[615] الآية فهو إمام الأمة حمل عنها السهو والغلط والإكراه فلا يجب عليها إلا الاتّباع أقوالاً وأفعالاً فهو العارف ومركز الولاية والنبوة والإيمان والإسلام والإحسان ومنبع الأخلاق الإلهية ومركز الفهوم والعلوم والأنوار والأسرار والشهادة والغائب والظواهر والبواطن وهو الساري سرّه في كل شيء وهو مشهد العارفين في كل حقيقة وهو الظاهر في الظواهر الباطن في البواطن المتجلّي في كل قلب المفيض لكل بحر المعلّم لكل علم فهو منبت الكمالات الإلهية وواهب الأسرار العلمية والذوقية وهو العابد على الحقيقة وما اندرج من سائر أجناس الأمة والأنبياء والملائكة والجواهر والأعراض إنما في سرية حجاب عبوديته صلى الله عليه وسلم. فانظر أيها الولي سر نوره في كل شيء وزره في كل شيء وسلّم له الأمور في كل شيء فهو الذي ولاّه الله على كل الخلق وجعله بحر سعادتهم وشقاوتهم فهو الشفيع لا أنت وهو القطب لا أنت وهو القاسم لا أنت وما أنت وإن كنت قطبًا إلا عرقًا من عروقه الأصلية وفرعًا من فروعه الكتمية فلا يظهر لك في شؤونك كلها إلا حجابته صلّى الله عليه وسلم ولا تدّع الاستقلال بالولاية وأنت وكيله صلّى الله عليه وسلم لا غير ومستخدمه وعسكر من عساكره وهو الذي جعله الله ملكًا على بحر الخليقة وهو الحامل عنك سطوة سبحات جلال الله فلو ظهرت لك ذرة من صفاء الحق لصرت عدمًا محضًا وأنت الآن

---

[614] الأحزاب 43.

[615] الأحزاب 56.

عدم ظلّي خياليّ فأنت في بركة ظلّيته صلّى الله عليه وسلم فلا تقل تلقيت من الله بلا واسطة فإن الشرع أخبرنا بعدم وقوعه في علم الله فصار بعد محالاً عقليًا فتأدّب لحضرة الله فإنها غيور على حبيبها وخليفتها فاعلمه.

((**الدعاء**)) ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[616] ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[617] قال صلّى الله عليه وسلم ((**الدّعاء مخّ العبادة**))[618] وهو مفتاح الحاجة ومستروح أصحاب الفاقة وملجأ المضطرّين ومتنفس ذوي المآرب وقد ذمّ الله من تركه بقوله ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾[619] أي لا يمدونها للدعاء خلق الله مفعوله فقال ناجزوني وإلا فانظروا إليّ وإلا فاسمعوا مني وإلا فكونوا ببابي وإلا فأنزلوا حاجتكم بي أقرب للإجابة دعاء الحال وهو دعاء الاضطرار فلابد من الإجابة ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[620] وصورة الاضطرار لو سقط مثلاً في الوادي فنظر ولم يجد من كل جهة شخصًا مسلمًا أو كافرًا يستغيث به له فأيس قلبه مما سوى الله إياسًا كاملاً وأما لو ظهر له شخص في النواحي لمشت همته طبعًا إليه فليس بمضطرّ ولا يتوجه كل التوجّه لله مع ظهور شخص وهو في الوادي إلا من استهلكه الله بغاية الفناء فيه كسيدنا إبراهيم عليه السلام **عِلمه بحالي يغني عن سؤالي** فإن أتاك أحد يطلب دعاءك فقل له على وجه التربية اذهب واصبر فإن عيل صبره قضيت حاجته فالدعاء في حق المخلص أفضل والسكوت والرضى أسلم للعارف كإبراهيم عليه السلام فالدعاء عبادة كصلاة مثلاً فإن استجيب وإلا عبد ربه وعمله غير ضائع ثم هو حق الحق وهو إظهار فاقة العبودية لكن إذا كان مقصوده الإظهار مع استسلام قلبه فهو عين سلامة العارف وجنّته لأن أحرم الدعاء أشد من أن

---

[616] الأعراف 54.

[617] غافر 60.

[618] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3371.

[619] التوبة 67.

[620] النمل 64.

أحرم الإجابة فـ((**إنما الأعمال بالنيات**))[621] يكثر من الأدعية بنية إظهار مقام العبودية لأنه مخّ العبادة ويقصد العبادة لا الإجابة فلا يحصل له ملل من الدعاء أجيب أم لا فالولي ومن دونه يلحّ بنية الإجابة ولا يقصد به العبادة لأنه لم يدرك والكل خير مأمور به لطوائف أهل المقامات الدينية فالنبي صلّى الله عليه وسلم يدعو جلبًا لأمته ودفعًا عنها لا غير وهو فانٍ في طلسم رضى ربه ولذلك يطلب الدعاء بالمرويّ لأنه ما ذكره إلاّ لأمته فافهم قال صلّى الله عليه وسلم عن الله ((**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السّائلين**))[622] فاللسان يطلب والقلب يرضى جمعًا بين عبادته والتفويض والعارف ابن وقته فإن وجد في قلبه إشارة للدعاء دعا وإشارة للسكوت سكت فإن أحس ببسط في الدعاء دعا وإن بقبضٍ أمسك وإن لم يحس بأحدهما فهما سيان فإن غلب في وقته العلم دعا وإن غلبت المعرفة والحال والسكوت فضل السكوت فما فيه حق لله وللمسلمين فيه نصيب فضل الدعاء ما فيه حظّ نفسك فضل السكوت. ففي الخبر ((**إنّ العبد يدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول يا جبريل أخّر حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع دعوته وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي حاجته فإني أكره أن أسمع صوته**))[623] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**والذي نفسي بيده إنّ العبد ليدعوا الله تعالى وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثمّ يدعوه فيعرض عنه ثمّ يدعوه فيعرض عنه ثمّ يدعوه فيقول الله تعالى لملائكته أبى عبدي أن يدعو غيري فقد استجبت له**))[624] وآداب الدعاء حضور القلب قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه**))[625] وشرطه حلال القوت قال صلّى الله عليه وسلم لسعد ((**أطب كسبك تستجب دعوتك**))[626] الدعاء مفتاح الحاجة وأسنانها لقم الحلال كيف تدعوه وأنت عاصٍ وكيف لا تدعوه وهو كريم. مر موسى على داع

---

[621] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1.

[622] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2926.

[623] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

[624] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 225/6.

[625] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3479.

[626] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط.

وقال موسى إلهي لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فقال يدعوني وقلبه عند غنمه فلا أجيب لقلب غافل لسانه عندي وقلبه عند غيري فمن دعا من لا يعرفه لا يجيبه ولا يعرفه إلا الخاشع ولا يخشع إلا العالم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا﴾[627] اللهم كما أريتنا ذل المعصية فأرنا عز الطاعة وعافنا من كل بلاء وفتنة فمن لازم بابا فتح له فالعارف انفتحت له الخزائن والمريد على الباب المغلق. قالت رابعة العدوية متى أغلق الباب حتى يفتح. تعني مفتوحًا أبدًا وإنما خيّل غلقه وما منعك وجود غيره ولا وجود له وقد حجبت بما ليس كائن وإنما هو خيال لا حقيقة له علمت امرأة وجهل من دونها فإن استدعاك أحد فقل اللهم خر له فلا تنفذ دعوتك فيما رواه الله عن أوليائه وأنبيائه عمي بعض فرآ في المنام قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيفا لما يشاء فقالها فبرئ. رمد بعضهم فسمع قائلا ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[628] فبرئ وما رمد بعد. رئي الإمام ابن حنبل فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وتوّجني وألبسني نعلين من ذهب وقال يا أحمد بقولك القرآن كلامي فادعني بدعوات بلغتك عن سفيان فكنت تدعو بها: يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء فقال يا أحمد هذه الجنة فادخلها فدخلتها. **(فائدة)** الدعاء إظهار الفاقة وإلا فالله ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[629]. دعاء العامة بالأقوال ودعاء الزاهدين بالأفعال ودعاء العارفين بالأحوال لسان المبتدئ منطلق بالدعاء ولسان العارف أخرس عنه إن سألت مالك عندنا اتّهمت وإن سألت ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا وإن رضيت أجرينا لك ما قضينا لك في الدهور. إن بكى المذنب فقد سأل الله. الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب. الإذن في الدعاء خير من العطاء لم يفتح لك باب المعذرة إلا لفتح باب المغفرة. الدعاء يوجب الحضور والعطاء يوجب الصرف عن الباب. الدعاء مواجهة الرب بلسان الحياء وشرطه الوقوف مع القضاء بوصف الرضى قيل لبعضهم ادع لي فقال كفاك من الأجنبية أن تجعل بينك وبينها واسطة. أسر بعض للروم فطلبت أمه من تقيّ واشتكت له فحرّك

[627] فاطر 28.

[628] الزمر 35.

[629] البروج 16.

شفتيه ثم بعد أيام جاءت بولدها يكلّم التقي في شأنه فقال له كنت أخدم بقيد والعسّاس علينا فإذا بقيد انحل فأعادوه فسقط فقالوا له ألك والدة قال نعم استجيبت دعوتها فالله سرّحك ووافق وقت تحريك التقيّ شفتيه فزودوه وأصحبوه من وصله إلى ناحية المسلمين.

((**الفقر**)) قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ اِ۬لذِينَ أُحْصِرُواْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباٗ فِے اِ۬لَارْضِ﴾[630] الآية قال صلى الله عليه وسلم: ((**يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بخمس مائة عام: نصف يوم**))[631] وقال ((**ليس المسكين الذي تردّه اللّقمة واللّقمتان والتّمرة والتّمرتان فالمسكين الذي لا يجد ما يغنيه ويستحيي أن يسأل النّاس ولا يفطن له فيتصدّق عليه**))[632] أي يستحيي من الله أن يسأل والفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختياره سجية لخواصّ عبيده الأتقياء والأنبياء والفقراء صفوة الله عز وجل ومواضع أسراره بهم يصون الخلق وببركتهم يبسط عليهم الرزق وهم جلساء الله يوم القيامة إن صبروا قال صلّى الله عليه وسلم ((**لكلّ شيء مفتاح ومفتاح الجنّة حبّ المساكين والفقراء الصّبّر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة**))[633] حمل بعضهم لبعضهم عشرة آلاف درهم فامتنع من قبولها فقال أتحب أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بها ولم تهلك قرية ولو عملت ما عملت حتى استخفّوا بفقرائهم. فالفقير غني بالله ورسمه ترك الأسباب فالفقر لباس يورث الرضى إن تحقق فيه. لبس بعض الفقراء جلدًا فباسطه بعض فقال بكم اشتريته فقال اشتريته بالدنيا وطلب مني بالآخرة فلم أبعه فالفقر سر الله فلا يضعه فيمن يحمله لغيره. فلم يفرح إبليس بمثل ثلاثة من قتل نفسًا ومن مات كافرًا وقلبًا فيه حب الدنيا وخوف الفقر. فالفقير يعرف بالله وينسب لله فيجب عليه أن يصدق مع الله في خلوته فصحة الافتقار إلى الله هو صحة الاستغناء وصحة الاستغناء هو الغنى به فهو يرسل نفسه في أحكام الله فوصفه حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره. فالفقير مراد بالبلاء وممنوع مما بأيدي الأغنياء لعدم الحلّيّة. قيل

---

[630] البقرة 282.

[631] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2353.

[632] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1479.

[633] أخرجه ابن حبان في ((المجروحين)) (175/1).

لسيدنا موسى إذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب فسقوطك في جبل خير من مجالسة غني قال صلّى الله عليه وسلم ((**إيّاكم ومجالسة الموتى**))[634] فسئل من الموتى فقال ((**الأغنياء والأغنياء أهون على الله أن يجيعهم وإنّما يجيع الفقراء الأولياء**)) فالخوف من الفقر فقر والغنى الأمن بالله فالفقير يحترز من الغنى لئلا يفسد عليه فقره كما يحترز الغني من الفقر لئلا يفسد عليه غناه فأعز ما يقدم به الفقير على مولاه الفقر. نزل على موسى عليه السلام: أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الناس أجمع قال نعم قال عد المريض وكن لثياب الفقراء فاليًا فألزم نفسه سبعة أيام في كل شهر يطوف عليهم ويفلي لهم ويعود المرضى. فمن جوهر النفس فقير يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع ومحزون يظهر الفرح ورجل بينه وبين رجل عداوة يظهر له المحبة ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر الضعف. أفضل المقامات اعتقاد الصبر إلى القبر فسخط الله على فقير يخاف الفقر. علامات الفقر لو كانت له الدنيا فصدقها كلها فخطر في قلبه لو ترك منها شيئا فليس بصادق. **اختلفوا في الأفضل هل الفقر أم الغنى أقول إعطاء الكفاية مع الصيانة أفضل.** سئل بعضهم عن الفقر فخرج ورجع فقال كانت لي أربع دوانيق فاستحييت أن أتكلم في الفقر حتى أخرجتها فقعد وتكلّم فالفقير إذا لم يكن له فهو له وإذا كان له فليس له صحبته ألا يستغني في فقره إلا بمن إليه فقره. إظهار الغنى في الفقر أكمل من الفقر. حمل إلى شاب كيس فلم يقبله ففي المساء نزل للوادي يطلب فيه شيئًا فقيل له لو ادّخرته لوقتك فقال لم أعرف أن أعيش للوقت. أفضل ما يطلبه دوام الفقر وملازمة السنّة وحلّيّة القوت فلا تسبق همته خطوته. أربعة: يوسف بن اسباط لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان ورث سبعين ألف درهم ولم يأخذ منه ويعمل الخوص. أبو إسحاق الفزاري يأخذ من السلطان ومن الإخوان ينفقه في المستورين وما أخذه من السلطان يخرجه إلى أهل طرسوس. عبد الله بن المبارك يأخذ من الإخوان ويكافئ عليه ولا يأخذ من السلطان. مخلد بن الحسين يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان يقول السلطان لا يمنّ والإخوان يمنّون قال

---

634 أخرجه الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث عائشة رضي الله عنها.

صلّى الله عليه وسلم ((**من تواضع لغنيّ لأجل غناه ذهب ثلثا دينه**))[635] فلو تواضع له بلسانه ونفسه وقلبه ذهب دينه كله فأقل ملازم الفقر علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه فمن اختار الفقر لشرفه مات فقيرًا ومن اختاره لئلا يشتغل عن الله مات غنيًا. فالفقر أصحّ الطرق إلى الله فوصف الفقير سكونه عند عدمٍ وإيثاره عند وجودٍ وحقيقة الفقر عدم الاستغناء بغير الله فالفقر عزّ بل وعرش لا أرض قال صلّى الله عليه وسلم ((**كاد الفقر أن يكون كفرًا**))[636] معناه أن الفقر شرف يقابله الكفر كالإيمان فلعظم خطره قال كاد إن لم يتقنه كما أن الإيمان من لم يتقنه بالرياء كان شركًا فالق الفقير بالرفق فإنه يؤنسه والعلم يوحشه فإن كان صادقًا وطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص في النار فالفقير لا يحمل إلى الله حاجة فأركان عبوديته حاجة بين يدي مولاه فلا يحسن أن يطلب غير العبودية وهو عين التفويض فالفقر عدم الأملاك والخروج عن أحكام الصفات فالفقير من يحب العطاء عن الأخذ. لولا شرف التواضع لتبختر فقير على غني. فقيران لأحدهما قميص واحد وللثاني قميصان فسبق صاحب القميص إلى الجنة. والفتح فلا تر غير وقتك تسترح فلا يوزن غدًا الفقر والغنى وإنما يوزن الصبر والشكر. ففي بعض الألواح: إن أردت أن تعرف رضاي عنك فانظر كيف رضى الفقراء عنك. فمن لم تصحبه التّقى في فقره أكل الحرام المحض فلا رغبة للفقير وإن كان ولابد فالكفاية فدوام الفقر مع التخليط أخفّ من دوام الغنى مع الصفاء فسوء أدب الفقر انحطاطه مع الحقيقة إلى العلم. دخل بعضهم مسجدًا فتعلق به فقير فقال له تعطف عليّ فإن محنتي عظيمة فقدت البلاء وقويت بالعافية فنظر إليه فوجد عنده شيئًا من المال وهو الذي أزعجه. فطوبى للفقير في الدنيا وفي الآخرة حرّره الفقر من خراج ملوك الدنيا وحرّره من غضب ربه في الآخرة ومن الحساب فهو حماية احتمى به في الدنيا من جميع الأجناس فلا يحسده أحد ولا يهارجه ولا يغبطه إلا العارفون.

[635] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 3270/7.

[636] أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (253/8).

((**التصوف**)) فالصفاء محمود بكل لسان وضدّه الكُدورة مذمومة خرج صلّى الله عليه وسلم متغيّرًا على الصحابة فقال ((**ذهب صفو الدّنيا وبقي الكدر فالموت اليوم تحفة كلّ مسلم**))[637] وهو لقب لأهل الصفاء، واحدٌ صوفيّ والجماعة صوفية ومن يتوصّل له متصوّف والجماعة متصوّفة وهذا اللفظ لقب لم تساعده عربية صناعةً وحقيقته الدخول من وصف حميد والخروج عن كل وصف ذميم وهو أن يميتك الحق عنك ويحييك به. فالصوفيّ وحدانيّ الذات لا يقبل أحدًا ولا يقبله أحد (**وعلامته**) افتقاره بعد الغنى وذلّه بعد عزّ وخفاؤه بعد الشهرة. وعلامة الكاذب استغناؤه بعد فقر وعزّه بعد ذلّ وشهرته بعد خفاء. والتصوّف كون العبد في وقته بما هو أولى له في وقته وهو أخلاق كريمة في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام وهو أن تملك نفسك ولا يملكك شيء وهو استرسال النفس مع الله على ما يريد وهو أن تكون مع الله بلا علاقة وهو مبني على ثلاثة: التمسك بالفقر، والافتقار، والإيثار بالبذل وترك التعرّض والاختيار. وهو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق. فاصحب الصوفيّة فإنهم يقبلون المعاذير ولا يعظّمونك بحسنك وهو عنوة لا صلح فيها والصوفية أهل بطن واحد لا يدخل معهم غيرهم وهو ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتّباع فالصوفيّ أرض يطرح عليها كل قبيح وتنبت كل مليح يطئها البرّ والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء فإن عني الصوفي بظاهره فباطنه خراب وهو يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا. ونعته السكون بعدم والإيثار عند وجود فمن زاد عليك بالخلق زاد بالصفاء وهو الإناخة على باب الحبيب وإن طرد عنه وهو صفوة القرب بعد كدر البعد. أقبح كل قبيح صوفيّ شحيح وهو كف فارغ وقلب طيب وهو المقام مع الله بلا همّ. فالصوفيّ منقطع عن الخلق متصل بالحقّ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[638] قطع عن الغير فـ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[639] فالصوفيّ طفل في حجر الحق وهو برقة محرقة وهو العصمة عن رؤية الكون فالصوفية بخير ما تنافروا وإن اصطلحوا زال الخير وهو مراقبة الأحوال ولزوم الأدب وهو الانقياد

[637] أخرجه الطبراني (169/9) (8774) وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (35657).

[638] طه 41.

[639] الأعراف 143.

للحق فالصوفيّ لا يكدّره شيء ويصفو به كل شيء والصوفيّ لا يزعجه سبب ولا يتعبه طلب هم قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء فلهم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا الحسرات. والصوفي من سمع السماع وآثر الأسباب وهو لا تقلّه الأرض ولا تظلّه السماء وإن استقبله حالان أو خلقان كلهما حسنان مال إلى الأحسن وإنما سموا بهذه التسمية لبقية في نفوسهم فلو تجرّدوا لم تجد التسمية موقعًا كأهل طريقتنا فإنهم تصفّوا وتجرّدوا من نسبة الصفاء فولاّهم الله فتجرّدوا منها وتفقّروا فتجرّدوا من نسبة الفقر واختفوا فتجرّدوا من نسبة الخفاء وظهروا فتجرّدوا من نسبة الظهور وعلموا فتجرّدوا من نسبة العلم وتحقّقوا فتجرّدوا من نسبة التحقيق فكملوا فتجرّدوا من نسبة الكمال فتواضعوا وتجرّدوا وأخلصوا وتجرّدوا وتغلغلوا وتجرّدوا فوصلوا فتجرّدوا فزهدوا فتجرّدوا فلم تجد التسمية ولا الكنية ولا اللقب موقعًا ولا موضعًا لأنهم لا ثبات لهم مع حال بل هم كبحر مضطرب لا يعرف لونه ولا قعره فلم يصح لهم إلا النسبة لشيخهم فيقال التّجانيون وهي أفضل ما عندهم وأثبت لتجرّدهم عن دعوى فصل ووصل وحركة وسكون ومقام وحال فلا نعرف صوفيّا من جهة العلم وإنما نعرف فقيرًا مجرّدًا عن الأسباب كان مع الله بلا مكان ولم يمنع من علم كل مكان فسميّ صوفيًّا. والتصوّف إسقاط الجاه في الدنيا وفي الآخرة وهو حال تضمحل فيه الحال الإنسانية والصوفي مع الواردات لا مع الأوراد فلا تليق طريقتهم إلا لأقوام كنس الله بأرواحهم المزابل فالفقير لو عرض روحه على الكلاب لعافوها وهو الإعراض من الاعتراض فلا تأثير للحادثات في الصوفيّ وهو المصطلم عنه بما لاح له من الحق وهو مقهور بتصريف الربوبية مستور بتصرّف العبودية فلا يتغيّر وإن تغيّر لا يتكدّر فقال بعضهم تصدّقوا عليّ فإني كنت صوفيًّا فضعفت فتصدّق عليه بعض فقال مر ليس ذلك لعله ضعف على صواعق الجلال وعن سحائب الجمال فاستمدّ من همم الجبال الراسيات.

((**الأدب**)) قال تعالى ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[640] وهو حفظ أدب الحضرة ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[641] أي فقّهوهم وأدّبوهم قال صلّى الله عليه وسلم ((**حقّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأن يحسن مرضعه ويحسن أدبه**))[642] فمن لم يعرف ما لله عليه ولم يتأدب بأمره ونهيه فمعزول عن الأدب قال صلّى الله عليه وسلم ((**أدّبني ربّي فأحسن أدبي**))[643] وحقيقته اجتماع خصال الخير ومنه المأدبة اسم لجمع العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله. مدّ بعضهم يده في الصلاة إلى أنفه فقبضت يده. التوحيد يوجب الإيمان فالإيمان يوجب الشريعة والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا توحيد ولا إيمان ولا شريعة له فعامل الله بسر وعلانية تكن أديبًا وإن كنت عجميًا

إذا نطقت جاءت بكل ملاحة * * وإن سكتت جاءت بكل مليح[644]

ولا تمد رجلك للقبلة حيثما كنت فمن صاحب الملوك بلا أدب أسلمه جهله للقتل وهو معرفة بربوبيته وعمل بطاعته وحمده على السرّاء وصبره على الضرّاء فلا تترك أدبك مع معروفك فتهلك فترك الأدب يوجب الطرد فمن أساء على البساط رد إلى الباب ومن أساء على الباب رد إلى سياسة الدواب وهو التفقّه في الدين والزهد والمعرفة بما لله عليك. من تأدّب بأدب الله صار من أهل محبة الله فاستعن بالله على أمره واصبر على آدابه فقليل الأدب أنفع من كثير عمل وعلم

يزين الغريب إذا ما اغترب * * ثلاث فمنهن حسن الأدب

وثانية حسن أخلاقه * * وثالثة اجتناب الريب

---

[640] النجم 17.

[641] التحريم 6.

[642] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البيهقي | المصدر: الشعب | الصفحة أو الرقم: 2901/6.

[643] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: السخاوي | المصدر: المقاصد الحسنة | الصفحة أو الرقم: 50.

[644] ذكره صاحب الرسالة القشيرية نسبةً إلى ابن عطاء.

أدب الباطن يرشّح لأدب الظاهر فالأدب للعارف كالتوبة للمستأنف فمن أدّبه الصوفية أديب. فأدب أهل الدنيا في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب. وأدب أهل الدين في رياضة النّفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات. وأدب أهل الخصوصية في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب فاقهر نفسك بالأدب تكن مخلصًا. وكمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء والصدّيقين وهو معرفة النفس فالانبساط بالقول مع الله سوء أدب. أدب العارف فوق كل أدب من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي ألزمته الأدب ومن كشفته عن حقيقة ذاتي ألزمته العطب فاختر الأدب أو العطب فالأدب عدم اختيار أحدهما ترك الأدب بين أهل الأدب أدب. كشف النبي صلّى الله عليه وسلم فخذه مع أبي بكر وعمر وستر مع عثمان فقال: ((**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**))[645].

(**تنبيه**) إن حشمة عثمان وإن كانت عظيمة فالحالة معها أصفى إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب بل تأكدت. من لم يتأدب للوقت فوقته مقت فإذا ترك المريد الأدب سقط على رأسه ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[646] ولم يقل ارحمني حفظا لمقام الأدب قال عيسى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[647] ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[648] ولم يقل لم أقل. مكّن بعضهم لبعض الأدباء لقمة وقال كل فهذه أحب إليّ من عشرة آلاف درهم فانقبض ولم يزد بسبب دناءة همة صاحب الطعام حيث ذكر ما في الدنيا في جانب ما كان لله فالأديب لم يرض له جنة وهو مع مشاهدة الدنيا فتاب ومشى معه مرة أخرى وفرّحه بالأكل. فتأدّب مع الله بإسقاط غيره ومع عبيده بمحبتهم وتعظيمهم ونصيحتهم والرفق بهم والمسامحة لهم ولا

---

[645] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2401.

[646] الأنبياء 82.

[647] المائدة 120.

[648] المائدة 118.

تفضّل نفسك على أحد منهم واخدمهم بقضاء حوائجهم وأرشدهم ولا تر شرًّا منهم فقل يا رب احفظ خلقك من شرّي ولا تقل احفظني من شر الخلق فإنه لا شر لهم وإنما هم أقلامه فكل ما ظهر منهم لك فمن الله لا منهم وانظر بعين التولية عليك وأنت سهم قهر عبيده ولا تر نفسك أهلاً لأن تنظرهم فضلاً عن أن تفضلهم وإنما تكرّم عليك وأجرى إحسانه مما هو حلو أو مرّ على أيديهم وهم كلهم أعوانك وأنت رعيتهم فلا تغتر بمخلوق فإنما هم أعوان الحق مظاهره واقطع الإياس مما في أيديهم ومن أيديهم ولا تخرج تحت سهام الأقدار فإنك محل تجليات قدرته ألم تفرح حيث جعلك أهلاً لإظهار أحكامه فيك وهذا لله الحمد وصف أهل طريقتنا.

((**أحكام السفر**)) ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[649] كان صلّى الله عليه وسلم إذا استوى على البعير للسفر كبّر ثلاثًا وقال ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾[650] ((**اللّهمّ إنّا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتّقوى ومن العمل ما ترضى وهوّن علينا سفرنا اللّهم أنت الصّاحب في السّفر والخليفة في الأهل والمال اللّهم إني أعوذ بك من وعثاء السّفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والأهل، فإذا رجع قالهنّ وزاد آئبون تائبون لربّنا حامدون**))[651] فبعض الناس توافقهم الإقامة وبعضهم لا يوافقهم إلا السفر وهو على قسمين سفر بدن بانتقال من حيز إلى آخر وسفر قلب بالارتقاء من صفة إلى صفة وقلّ من يسافر بقلبه. قيل لبعضهم هل سافرت فقال سفر الأرض لا وسفر السماء نعم. سافر إليه بعض في شقة فقال له لو سافرت عن نفسك لكفتك خطوة فالمهلكة واسعة تحمّل الطفيلي فكن ضيف مسجد كل ليلة ولا تمت بين منزلين. جلسة خير من ألف حجة. سافر أربعة واحد يقوم الليل كلّه والثاني يستقبل القبلة الليل كله والثالث يتفكر مستلقيًا الليل كله ويصلون الصبح بوضوء العشاء ورابع ينام الليل كلّه واعتقدوا أنه أفضلهم. فأدب السفر ألا يجاوز همه قدمه وحيثما وقف قلبه جعله منزله. أوحي إلى موسى عليه السلام اتخذ

---

[649] يونس 22.

[650] الزخرف 11.

[651] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1342.

نعلين من حديد وعصى من حديد ثم سح في الأرض واطلب الآثار والعبر حتى تنخرق النعلان وتنكسر العصى. كان بعضهم إذا تحلّل من حجّ أحرم ثانيًا للقابل ولم ينسج له ثوب ولا طال له ظفر ولا شعر ولم يمد يده إلى ما مسته يد الآدمي وكان طعامه من النبات. فكل صاحب تقول له قم فيقول إلى أين فلا تصاحبه. طلب أحدهم صحبة أحدهم فقال له أتحبّ أن تكون أنت الأمير أو أكون أنا أميرًا فقال له الطالب بل أنت فحمل المطلوب مخلاته فكلما طلبه الطالب يقول له أنا الأمير عليك فكانت عليهم شتاء في ليلة فوقف الأمير على رأسه من جهة الشتاء إلى الصباح فقال له إذا صحبت غيري فاصنع معه مثل ما صنعت فندم الطالب على أن قدّمه على نفسه. رآ بعضهم عقربًا على آخر منهم فقام ليقتلها فقال له اتركها كل شيء مفتقر إلينا ونحن لا نفتقر إلى شيء. فلا تترك وردك في سفرك فالرخص لمن كان سفره ضرورةً ولا ضرورة للمتجرّدين وسمّي سفرًا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال. باتت طائفة منهم في مسجد ولم يكن له باب فوقف أحدهم في موضع الباب إلى الصباح ليدفّيهم. استأذن بعضهم أمه في السفر فأذنت فخرج ثم أصاب ثوبه بول فرجع فوجدها على الباب فقال لها فقالت عزمت ألا أخرج عن هذا المقام حتى أراك فإذا كانت الأبدان هادئة والقلوب ساكنة فالتلاقي أيسر. صحب بعضهم بعضًا فبقوا ثلاثةً بلا شيء فوجد أحدهما قرعة فأكلها فنظر إليه صاحبه وطرحها ففتح عليهم بخمس دنانير فدخلا مدينة ولم يشتر شيئًا وخرجا منها فمرَّا على بلد فأعطاها لواحد ينفقها على عياله وعليهما فلمّا خرجا قال له إلى أين قال أصحبك فقال له لا خنتني في قرعة لا أصحبك أبدا. سفر أحدهم فاضطرّه الجوع فأضافه إنسان فأخرج له طعام عليه لحم متغيّر فلقمه المضيف لقمة لحم فكرهته طبيعته فخجل رب المنزل فخرج واضطرّه الحال يومًا حتى اشترى كلبًا وأكله وعلم أنه من خجلة ذلك الرجل فرجع معتذرًا إليه وسامحه لله.

((**الصحبة**)) قال تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[652] فالحرّ شفيق على من صحبه قال صلّى الله عليه وسلم ((**متى ألقى أحبابي قالوا له بأبينا وأمّنا أنت أو**

[652] التوبة 40.

لسنا أحبابك فقال أنتم أصحابي أحبابي قوم لم يروني وآمنوا بي وأنا إليهم بالأشواق لأكثر))[653] والصحبة ثلاثة: صحبة من فوقك وهي صحبة وخدمة، وصحبة من دونك وهي تقتضي الشفقة والرحمة على التابع بالوفاء والحرمة، وصحبة الأكفّاء والنظراء فهي مبنيّة على الإيثار والفتوّة. فمن صحب شيخًا أدبه ترك الاعتراض وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقي أحواله بالإيمان به فقل خدمته مدة. فالخيانة من الشيخ ترك تنبيهه على ما فيه من نقصان حاله فوزر جهل الفقير عليه بعدم تأديبه وإن صحبت كفأك فالأدب الإغضاء عن عيوبه وتأويل ما ترى منه بوجه جميل فإن لم تجد له وجهًا فتب وارجع إلى نفسك بالتهمة وإلى التزام الأيمة. قال بعضهم فلان لا يقع في قلبي وقال وأنا كذلك لكن خفنا أننا أوتينا من أنفسنا فلَم نحبّ أولياءه. صاحب بعضهم آخر فقال له عند الفراق إن رأيت مني عيبًا فنبهني فقال له ما يمكنني أن أرى منك عيبًا فإنني نظرتك بعين التعظيم فسل غيري. فلا تصحب من يقول فعلي. صحب بعضهم طائفة فقال مرة أين إزاري فسقطت حرمته عندهم. قيل لبعضهم أريد صحبتك فقال فإذا مات أحدنا من يصحب الآخر فقال الله فقال له اصحبه الآن. طلب بعض المتصاحبين المفارقة فقال بشرط ألا تصحب إلا من فوقنا فلا تصحبه أيضًا لأنك صحبتنا فزال حب المفارقة. صحب بعضٌ بعضهم فأحس بثقله عليه فأعطاه مالاً ليزول الثقل فلم يزل فدعاه إلى بيته فقال له ضع رجلك على خدي حتى يزول ما بي فأبى فحتّم عليه فوضعها عليه حتى برئ قلبه فأمره فأزالها. ويعمل بعضهم في الحصاد وينفق على أصحابه. إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبني فاصحب من لا تكتم عليه شيئًا يعلمه الله منك. أنفق رجل أصلع على صاحبه مائة ألف درهم واستدان عليه مائة ألف درهم فجره شيخه ومنعه من الكلام وهو المنفق عليه. فاصحب مع الله بالموافقة ومع الخلق بالمناصحة ومع النفس بالمخالفة ومع الشيطان بالتيقّظ. فاصحب من إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عليك. فإذا نبتت الشجرة بنفسها تورق ولا تثمر وإذا نبّتت أثمرت فالمريد بلا مرب كذلك لا يجيء منه شيء فإن أردت مجلس الشيخ فاغتسل فلا يكفيك وضوء. فمن أصحاب سيدنا رضي الله عنه نوع لم يجر كلمة اسم الشيخ على لسانه تعظيمًا ومنهم من لا يذكره حتى يغتسل ومنهم حتى يتوضأ وضوء الصلاة ومنهم من

---

[653] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الديلمي | المصدر: مسند الفردوس | الصفحة أو الرقم: 148\4.

لم يدخل إلا صائمًا ومنهم من لا يستطيع أن يدخل زاويته تعظيمًا وهيبةً. وكنت بمجلس سندي مولاي الحاج الحسين اليفرني رضي الله عنه إذا حضرت مجلسه تنصبّ عليّ صواعق الخوف والأنس والفرح والهيبة فأعرق عرقًا مفرطًا تهرب بي الحصيرة تحتي فأقول اللهم انفعني ببركة هذا الرجل وارزقني السلامة فأحسّ بي فتلطّف بي فيلاطفني فلم أقدر على أن أسأله فعلمه فصار كلّ ما خطر ببالي يخبر به على وجه الخفاء والعلم لمقام الناس معنا فإذا غبت فلا يفارقني فإن نظرت إلى يميني وجدته وإلى شمالي وجدته ويخبر بالمسائل العلمية والوهبية. أوحي إلى موسى: يا موسى كن يقظانًا وارتد لنفسك إخوانًا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فإنه يقسّي قلبك وهو عدوّ لك وأكثر من ذكري تستوجب عليّ شكري والمزيد من فضلي فاصحب مع الله وإلا فاصحب مع من يصحب مع الله لتوصلك بركة صحبته إلى صحبة الله عزّ وجلّ.

((**التوحيد**)) قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[654] قال صلّى الله عليه وسلم ((**بينما رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيرا قطّ إلاّ التّوحيد فقال لأهله إذا متّ فأحرقوني ثمّ اسحقوني ثمّ ذرّوا نصفي البرّ ونصفي في البحر في يوم ريح ففعلوا فقال الله عزّ وجلّ للرّيح أدي ما أخذت فإذا هو بين يديه فقال له ما حملك على ما صنعت فقال استحياء منك فغفر له**))[655] فالتوحيد الحكم بأن الله واحد والعلم بأن الشيء واحد أيضا توحيد وحّدته إذا وصفته بالوحدانية كما تقول شجعت فلانًا نسبته للشجاعة. وحد يحد فهو واحد ووحد ووحيد كفرد فهو فارد وفرد وفريد وأصل أَحَدٌ وَحَدٌ قُلبت الواو همزة فمعنى كونه واحدا أنه لا يصح أن يوصف بالوضع والرفع بخلاف إنسان واحد فإنه لا يصح إنسان ناقص يدًا وزائد إصبع وهو سبحانه أحدي الذات ومعنى واحد عند المحققين نفي القسيم لذاته ونفي التشبيه عن حقه وصفاته ونفي الشريك معه في أفعاله أو مصنوعاته. فالتوحيد ثلاثة: توحيد الحق للحق وهو علمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد والثاني توحيد الحق سبحانه للخلق وهو حكمه بأن العبد موحّد

---

[654] البقرة 162.

[655] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2757.

وتوحيد العبد خلقه وفعله والثالث توحيد الخلق للحق سبحانه وهو علم العبد بأن الله واحد وحكمه وإخباره بأنه واحد عنه وحده العلم بقدرة الله في الأشياء بلا مزاج وبصنعه للأشياء بلا علاج وعلّة كل شيء صنعه ولا علّة لصنعه فالله بخلاف ما يخطر بالعقول وهو أيضًا إفراد الموحّد بتحقيق وحدانيّته بكمال أحديّته إنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[656] فإذا تناهت عقول العقلاء تناهت إلى الحيرة وهو أيضًا معنًى تضمحّل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل. فأصول العقلاء في التوحيد خمسة رفع الحدث وإفراد القدم وهجر الإخوان ومفارقة الأوطان ونسيان ما علم وجهل. وهو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام وإن الحسنات لا تغيّر الأقسام من الشقاوة والسعادة. وهو صفة الموحّد حقيقةً وحليته رسمًا. فتوحيد الخاصة كون العبد شبحًا بين يدي الله تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيّته في حقيقة قربه بذهاب حسّه وحركته لقيام الحق له فيما أراد منه وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوّله فيكون كما كان قبل أن يكون. وهو أيضًا غير مشبّه ولا منفيّ الصفات. فذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول وتراه العيون في العقبى ظاهرًا في ملكه وقدرته قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلّهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية. فأشرف كلمة في التوحيد كلمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: **سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.** فالعجز عجز عن الموجود لا عن المعدوم فالمقعد عاجز عن القيام والقيام موجود فيه فالعارف عاجز والمعرفة حاصلة فيه لأنها ضرورية. فمعرفة الله عند الخاصة ضرورية في الانتهاء فالمعرفة الكسبية في الابتداء صحيحة لكن لم يعدوا ما اكتسبوا شيئًا لتجردهم عن العلم الكسبيّ فالمعرفة الكسبية كالسراج تنفع في ظلمة النفس فعند طلوع شمسها بالمعاينة جمع الجمع فانبسط شعاعها في سماء

---

[656] الشورى 9.

القلب تلاشى ضوء السراج بصولة نور التجلي فليس الخبر كالعيان[657]. فمن وقع في بحار التوحيد لم يزدد على ممر الأوقات إلا عطشًا فالتوحيد مباين لوجوده مفارق لعلمه فعلم التوحيد مطويّ وإنما الكلام في حواشيه فهو معلّ الأنام ولا يعتلّ فمن اطّلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقّة لثقل ما تحمله فالتوحيد في القلب فمن أجاب بالعبارة فملحد وبالإشارة فثنوي وبالإيماء إليه فعابد صنم ومن نطق فغافل ومن سكت جاهل ومن وهم أنه وصل فليس له حامل ومن رآ قربه فهو بعيد ومن توجّد فاقد وكل مدرك بالعقول مصروف إلى العقل مردود عليه محدث مثله. وتوحيد الخاصة أن تكون بقلبك وبسرك ووجدك كأنك قائم بين يدي الله تجري عليك تصاريف تقديره وتدبيره وأحكام قدرته في بحار توحيده بالفناء عن نفسك وذهاب حسك بقيام الحق سبحانه لك في مراده منك فتكون كما أنت قبل أن تكون في جريان حكمه سبحانه عليك. فالتوحيد للحق والعبد طفيليّ فالتوحيد إسقاطك أن تقول لي وبي ومنّي وإليّ. وهو محق آثار البشرية وتجرّد الألوهية وعلامة التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم وهو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة وأنت شاكر حامد فما شمّ رائحة التوحيد من تصوّر عنده التوحيد فأول مقام علم التوحيد وتحقق به فناء الأشياء عن قلبه وانفراده بالله عز وجل فالتوحيد لا يصحّ إن طلبته بك فعلامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو أن يكون القائم بك واحدًا. فمن كوشف له بالأفعال يرى الحادثات بالله تعالى ومن كوشف بالحقيقة اضمحّل إحساسه بما سواه فهو يشاهد الجمع سرًّا بسر وظاهره بوصف التفرقة.

((**المعرفة**)) قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[658] أي وما عرفوه حق معرفته قال صلّى الله عليه وسلم ((**إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدّين المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع، فقالت عائشة رضي الله عنها ما العقل القامع قال: الكفّ عن معاصي الله والحرص على طاعة الله عزّ**

---

[657] قال صلى الله عليه وسلم: ((**ليسَ الخَبَرُ كالمعَايَنَةِ: إنَّ اللهَ تعالَى أَخْبَرَ مُوسَى بِما صَنَعَ قَوْمُهُ في العجْلِ فَلَمْ يُلْقِ الألْوَاحَ فلمَّا عايَنَ ما صَنَعوا ألْقَى الألْواحَ فانْكَسَرَتْ.**)).
تخريج السيوطي في الجامع الصغير الراوي: عبد الله ابن عباس | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط.

[658] الزمر 64.

وجلّ))[659] فالمعرفة عند العلماء العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم فكل عالم عارف وكل عارف عالم وعند الخاصة صفة من صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنقّى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل إقباله وصدق لله تعالى في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره فإذا صار من الخلق أجنبيًّا ومن آفات نفسه بريًّا ومن المساكنات والملاحظات نقيًّا ودام في السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثًا من قبل الحق سبحانه بتصريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمّى عند الله عارفًا وتسمّى حالته معرفةً فبمقدار أجنبيّتك عن نفسك تحصل معرفتك بربك عز وجل فعلامتها حصول الهيبة من الله فكلّما ازدادت معرفتك ازدادت هيبتك والمعرفة سبب سكون القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازداد سكونه فليس لعارف علقة ولا لمحب شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف قرار ولا لأحد من الله فرار. فأول المعرفة الله وآخرها ما لا نهاية له فالمعرفة توجب الغيبة عن نفسه باستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشاهد غير الله ولا يرجع إلى غيره كالعاقل يرجع إلى قلبه وتفكّره وتذكّره وفيما يسنح له من أمر أو يستقبله من حال فالعارف رجوعه إلى ربه فإذا لم يكن مشتغلاً إلا بربه لم يكن راجعًا إلى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له فافهم الفرق بين من عاش بربّه وبين من عاش بقلبه وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾[660]. للخلق أحوال ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره وغيّبت آثاره بآثار غيره فلا تصحّ المعرفة وفيك استغناءٌ بالله وافتقار إليه لأنهما علامة بقائه وصحوه والعارف لا بقاء ولا فناء له بل هو مركّب منهما تركيب الذات مع الروح ممحوّ في ربه بربه لاستهلاكه في وجوده واستغراقه في شهوده إن لم يبلغ الوجود مختطف عن إحساسه بكل وصف هو له فمن عرف الله انقطع بل خرص وانقمع قال صلّى

[659] الراوي: أم المؤمنين عائشة | المحدث: الديلمي | المصدر: إرشاد القلوب |الصفحة أو الرقم: 322.

[660] النمل 35.

الله عليه وسلم ((**لا أحصي ثناء عليك**))[661] فهذا صفة من بعد مرمى رمزه فمن دونه تكلّم بقدر وسعه فراجع كتابنا (**سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار**) تقف على مطامح أهل طريقتنا المحمّدية التجانية. فإن من كان بالله أعرف كان بالله أخوف ومن عرفه تبرم بالبقاء وضاقت عليه الدنيا بما رحبت وصفي له العيش وهنؤ المساغ[662] وطابت حياته وهابه كل شيء وذهب عنه خوف غير الله وآنس بالله وذهبت عنه رغبة الأشياء وكان بلا فصل ولا وصل واستحيا ورضي وسلّم. فالمعرفة مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه. ركضت أرواح الأنبياء عليهم السلام في ميدان المعرفة فسبقهم النبي صلّى الله عليه وسلم إلى روض الوصال. فمعاشرة العارف كمعاشرة الله يحتملك ويحلم عنك تخلّقًا بأخلاق الله. فبشهادة العارف ببدوّ الشاهد وبفناء الشواهد وذهاب الحواس واضمحلال الأخلاق. يلهم الحق للعارف أزل الغير فيك (**وعلامته**) فراغه من الدنيا والآخرة. فغاية المعرفة الدهش والحيرة. أعرف الناس أشدهم تحيّرًا في الله. فالعارف أخذ العمل عن الله إلى الله رجع ولو بقي ألف عام ما نقص من البر ذرة فلا يرى الغير فضلاً أن يتأسف عليه فينظر بعين الفناء والزوال فالعارف طيّار والزاهد سيّار والعارف تبكي عينه ويضحك قلبه وهو كالأرض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب فوطر العارف بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه فضيع ماله بالوقوف مع ماله فلو أعطيت مثل ملك سليمان عليه السلام ما شغلك عن الله طرفة عين. فأركان المعرفة الهيبة والحياء والأنس فاعرف ربك بربك. فالعالم يقتدى به والعارف يهتدى به وهو لا يكون لغيره لاحظًا ولا بكلام غيره لافظًا ولا يرى لنفسه غير الله حافظًا فهو أنس بذكر الله فأوحشه من خلقه وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه وذل لله فأعزه في خلقه. فالمعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة الأنوار. فالعارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول. فيفتح الله للعارف على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم. فالعارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت. فعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله فسكوت العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب. فالزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين فلون الماء لون

---

[661] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 1406/3.

[662] مُساغ: اسم المفعول من أَسَاغَ. ساغَ الطَّعامَ / أساغ الشَّرابَ: ساغَه، وجده سائغًا، ابتلعه واستمرأه، استطابه

إنائه يتلون بوقته فلا تر غير ربك يقظةً ونومًا ولا توافق ولا تطع غير ربك فاعرف بلمعة لمعت بلسان مأخوذ من التمييز المعهود ولفظة جرت على لسان هالك مفقود ولا يكدّرك شيءٌ فيصفو بك كل شيءٌ واستضئ بالعلم فتبصر به عجائب الغيب واستهلك في بحار التحقيق فالمعرفة أمواج تغط وترفع وتحط فالعارف كائن بائن. فعلامته ثلاثة: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنًا من العلم ما ينقض عليه ظاهرًا من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله فلا تصْف المعرفة عند أبناء الآخرة فضلاً عن أبناء الدنيا وابذل مجهودًا تأتيك المعرفة من عين الجود فلا تحصرك حال عن حال ولا منزل عن المنازل ولا عبادة عن عبادة فيحيا قلبك مع ربك فالبكاء يجفوه العارف لأنه وصف سلوك وقد زال عنهم حكم السلوك بحقائق القرب وبذوق طعم الوصول من بره فالمعرفة حياة القلب مع الله تعالى فأنت عبد الله وهو ربك والدنيا داره والآخرة داره وسيدك منزّه عن الحلول فيهما وعن الاحتياج إلى العبد ولا إليهما فهو غني غنًى مطلقًا وأنت مقيّد بسيّدك كيفما قلبك فالدنيا والآخرة لا يعطيانك شيئًا وربك المعطي ولا يسكن في الدارين إلا العبيد لذلك خلقهما ومقصوده فيك الأدب بمعرفتك أنه سيد وإنك عبد فتعامله كما تحب أن يعاملك عبدك فتذكره بقلبك أشدّ من ذكر أبيك وأمك فكما لا يتصوّر في عقلك أنك كنت بلا أب علمًا طبعيًا فكذلك اعلم ربك علما طبعيا وأحبّه محبة طبعيّة وشرعيّة وعاديّة فالطبعيّة علمك بمالكيته والشرعية علمك بقهره والعادية علمك بإحسانه فالطبيعية محبة الذات والشرعية محبة الأسماء والأفعال والعادية محبة النعم فمن بنيت أركانه على الثلاثة عارف وعلى الشرعية وليّ وعلى العادية شاكر وإنما بينت لقوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرْ﴾[663] وقد أمرنا من الحضرة المصطفوية بالدلالة على حضرة الله فالفاعل المختار هو الله والفعل صفة الفاعل لكونها قامت به أو حصلها رجز

الفاعل ألذ فرغ العامل له * * لكونه قام به أو حصله

---

[663] الحجر 94.

فالفعل القائم بالله هو القدرة الصلاحية والفعل الذي حصله هو القدرة المتعلقة بالممكن وجودًا وعدمًا والفاعل قديم والقدرة الصالحة قديمة والقدرة المتعلقة بالممكن حادثة أحدثها الفاعل والفعل واحد من الفاعل والمفعول واحد فهو الشيء المنصوب للقدرة بتخصيص الإرادة وهو حادث أحدثته يد تحصيل الفعل فالمفعول ومتعلّقاته من زمان ومكان ومعيّة وعلة حادث كبيضة بين يدي الله وهو مديرها وناظرها ومدبّرها ومعظّمها وموجدها ومفنيها وهو الفاعل فيها الساري فعله فيها فلم يكن غيره فمتعلّق القدرة فانٍ بوجود الفاعل فإن رآ نفسه أهلكها. **وجودك ذنب لا يقاس له ذنب**[664]. أي مشاهدة وجودك ظلم لأنك مصطلم بنفسك فأسقط نفسك ترى فاعلك فأسقط تدبيرك يكفك تدبيره وإنما البيضة وما فيها كالقلم بين يديّ الكاتب فهو جامد يابس ميت منشق منجور معدّ للكتابة وشرفه أن جعله آلة ليده يحركه الجبّار الكاتب على وفق مراده أو يحرقه أو ينجّره أو يهمله ولا حظّ للقلم في العمل ولا في الإهمال وإنما يتجلّى فيه الكاتب بقوّته تحريكًا وتسكينًا فلا تلاحظ شيئًا كالقلم وافن عن نفسك تكن عارفًا فافهم.

((**المحبة**)) قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَّرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَاتِےاِ۬للَّهُ بِقَوْمٖ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ﴾[665] قال صلّى الله عليه وسلم ((**من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ومن لم يحبّ لقاء الله لم يحبّ الله لقاءه**))[666] وقال عن ربه ((**من أهان لي وليّا فقد بارزني بالمحاربة وما تردّدت في شيء كتردّدي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابدّ له منه وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا**))[667] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إذا أحبّ**

[664] بيت شعر عن محادثة النفس ولعل أصله:

إذَا قُلْتُ ما أذنبتُ قالت مجيبةً * وجودُكَ ذنبٌ لا يُقاسُ به ذنبُ

[665] المائدة 56.

[666] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2685.

[667] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 355/8.

الله عزّ وجلّ عبدا قال لجبريل يا جبريل إني أحبّ فلانا فأحبّه فيحبّه جبريل ثمّ ينادي جبريل في أهل السّماء إنّ الله تعالى قد أحبّ فلانا فأحبّوه فيحبّه أهل السّماء ثمّ يضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله عزّ وجلّ عبدا قال في البغض مثل ذلك))[668]. فالمحبة حالة شريفة شهد بها الله للعبد وأخبر أنه يحب العبد وهي على لسان العلم الإرادة فإرادة الله توصيل الثواب للعبد رحمة وإرادته التقريب له والأحوال العليّة محبة وهي في حقه تعالى صفة واحدة واختلفت بحسب التعلّقات فإن تعلقت إرادته بالعذاب فغضب وبعموم النعم رحمة وبخصوصها محبة فالمحبة خاصة بإنعام مخصوص والرحمة لإنعام مطلق ومحبة العبد لربه حالة لطيفة في القلب تدق عن العبارة فتحمله عن تعظيم وإيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج إليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستيناس بدوام ذكره له بقلب فليست محبة لله تعالى متضمنة ميلاً ولا اختطاطًا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللّحوق والدرك والإحاطة والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب أولى منه بأن يوصف بالاختطاط ولا حد لها أوضح من المحبة فلا استعجام ولا استبهام فيها فلا يحد إلا اللفظ المبهم وهي ظاهرة فالمحبة اسم لصفاء المودة من حبب الأسنان إذا صفت والحباب ما يعلو الماء كعين عند المطر وعليه فهي غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب وقيل من حباب الماء معظمه لأنها غاية معظم ما في القلب من المهمات وقيل من أحب البعير إذا لزم البروك فالمحب لزم بقلبه ذكر محبوبه وقيل من الحب وهو القرط لقلقه ولزومه الأذن وقيل من الحب جمع حبة وحبة القلب ماله قوامه من باب نسيمة اخال باسم المحل وقيل من الحب بزر الصحراء لأن الحب لباب الحياة كما أنه لباب النيات وقيل الحب الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة لأنه يتحمل عن محبوبه كل عزّ وذلّ وقيل من الحب الذي فيه ماء لأنه يمسك ما فيه فلا يسع غير امتلائه فإذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه فالحب الميل الدائم بالقلب الهائم وهو إيثار المحبوب على جميع المصحوب وهو موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وهو محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته وهو مواطأة القلب لمرادات الرب وهو خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة وهو استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو معانقة

---

[668] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2637.

الطاعة ومباينة المخالفة وهو دخول صفة المحبوب على البدن من صفات المحب وهو الموافقة وهو أن تهب كلّك لمن أحببت وهو محو ما سوى المحبوب من القلب وهو إقامة العتاب على الدوام وهو لذة ومواضع الحقيقة دهش والعشق مجاوزة الحد في المحبة فلا تقل عشقت الله فلو اجتمعت محبة الخلق كلهم لما وصلوا ذرة واحدة مما لله علينا ولنا وبنا وفينا فلا يوصف الله بالعشق والحب أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وهو أغصان تنبت في القلب وتثمر على قدر العقول محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء ذهب المحبّون بالشرف قال صلّى الله عليه وسلم ((**المرء مع من أحبّ**))[669] فهم مع الله تعالى وهي لا تنقص بالجفاء. كذب من ادّعى محبته ولم يحافظ على حدوده فإذا صحّت المحبة سقطت شروط الأدب

إذا صفت المحبة بين قوم * * ودام ودادهم سمج الثناء[670]

فلا ترى أبًا شفيقًا يبجّل ابنه في الخطاب فالأب يقول يا فلان وهي الإيثار للمحبوب وهي نسيانك حظك من الله وحوائجك إليه وهي قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك وهي مجانبة السلو على كل حال وهي سقوط كل محبة في القلب إلا محبة الحبيب وهي إفراط الميل بلا نيل وهي تشويش في القلوب من المحبوب وهي فتنة تقع في الفؤاد من المراد. أول الحب ختل وآخره قتل حبّك الشيء يعمي ويصم يعمي عن الغير غيرةً وعن المحبوب هيبةً وهي ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرًا وجهرًا ثم علمك بتقصيرك في حبه فلا تصح المحبة بين اثنين حتى يصحّ أن يقول كل واحد للآخر يا أنا فالمحب إذا سكت هلك والعارف إن لم يسكت هلك وهي نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب وهي بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء وهي هتك الأستار وكشف الأسرار فلا يصح إلا بالخروج عن رؤيتها إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة. ثلاث أبيات خير من سبع مائة

---

[669] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2385.

[670] بيت شعر ينسب لأبي علي الدقاق. راجع الرسالة القشيرية.

ولما ادعيتُ الحب قالت كذبتني * * فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشى * * وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقي لك الهوى * * سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

تكلم بعض في المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها. تكلّم بعضهم فيها فجاء طائر يدنو حتى وقف على يده ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه دم فمات فمحبة الغرض تزول بزواله (**فمن أحبني فليصبر على بلاءي**) فسكرك بقدر شربك فلو شربت بحور السماوات والأرض ما رويت ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[671] فالذي تطلبه أمامك عمر الدنيا والآخرة فلا تصل إلى حقيقة الحق وإنما ترى حقائق نفسك متلاشية بحقائق ربك فلا زالت الحضرة تنادي سيد المحبين والمحبوبين صلّى الله عليه وسلم الذي تطلبه أمامك ولا أمام وراء أماميته صلّى الله عليه وسلم وإنما هو رمز

شربت الحب كأسا بعد كأس * * فما نفد الشراب وما رويت

نزل على عيسى عليه السلام (**إني إذا اطّلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي)**. ففي بعض الكتب (**عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي كن لي محبا**) فمن أعطي شيئا من المحبة ولم يعط الخشية فهو مخدوع فالمحبة ما يمحو أثرك وهو سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه والسكر عند الشهود لا يوصف

فأسكر القوم دور الكأس * * وكان سكري من المدير

آخر

---

[671] النجم 41.

لي سكرتان وللندمان واحدة * * شيء خصصت به من بينهم وحدي

وهي إقامة العتاب على الدوام فخردلة من الحب خير لك من عبادة سبعين سنة بلا حب. شعر لشاب ظهر يوم العيد

من مات عشقا فليمت هكذا * * لا خير في عشق بلا موت

فمات. عشق بعض جارية فرحلت فدمعت عين واحدة فغمض التي لم تدمع أربعا وثمانين سنة عقوبة لها هذا في مخلوق فكيف بمحبة الخالق، ذكرت المحبة في مجلس فقيل كفّوا عنها فلا تدّعيها النفوس

الخوف أولى بالمسي * * ء إذا تألّه والحزن

والحب يجمل بالتقي * * وبالنقي من الدرن

فمن نشر المحبة عند غير أهلها فهو دعيّ. فالقتل أجر من ادّعى هوانا وينظر إلى سوانا. وكان بعضهم يقدم المحبة على المعرفة والحق أن المعرفة أشرف وأعز وأتم فالفرق أن المحبة استهلاك في لذة والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة فالمحب عبد ذاهب بنفسه عن نفسه متّصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله (**يا داوود إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري فيها**) اللهم بحبي لك إلا ما أحببتني. فلما تناهت محبة امرأة العزيز قالت ﴿أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾[672] وفي الابتداء ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾[673] لخ فأولاً نسبت الذنب له وآخرًا لها. رآ بعضهم النبي صلّى الله عليه

672 يوسف 51.

673 يوسف 25.

وسلم في المنام فقال له اعذرني يا رسول الله فإن محبة الله تعالى شغلتني عن محبتك فقال له يا مبارك من أحب الله فقد أحبّني. نادت رابعة إلهي أتحرق بالنار قلبًا يحبك فقيل لها ما كنا نفعل فلا تظني بنا ظن السوء. فالمحبة الموافقة وأشدّ الموافقات والموافقة بالقلب والمحبة توجب انتفاء المباينة فإن المحب مع محبوبه ((**المرء مع من أحبّ**))[674] فساد الأحوال من ثلاثة: فسق العارفين، وخيانة المحبين، وكذب المريدين. ففسق العارفين بإطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها وخيانة المحبين باختيار هواهم على رضى الله عز وجل فيما يستقبلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله ورؤيته. راود خطاف خطافة في قبة سليمان عليه السلام فامتنعت فقال لم وإن شئت قلبت القبة على سليمان وقال له ما حملك فقال يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون فقال له صدقت.

((**الشوق**)) قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾[675] وهو اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق فالفرق بين الشوق والاشتياق أن الشوق يسكن باللقاء والرؤية والاشتياق لا يزول ومن دخل في مقام الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار

يا من شكى شوقه من طول فرقته * * اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

(**وعلامته**) حب الموت مع الراحة وعلامته فطام الجوارح عن الشهوات فلما قلى داوود عليه السلام الخلق من أجل المحبوب قال له ارجع إليهم فإنك إن أتيتني بعبد آبق أثبّتك في اللوح المحفوظ جهبذا. قدم قريب عجوز ففرح الناس وبكت هي فقيل لها قالت فقد ذكرني يوم القدوم على ربي وهو احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد فالمحبة أصل له وهو تلهّب القلب عند الفرقة ولا ينطفئ إلا

---

[674] الراوي: صفوان بن عسال | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3535.

[675] العنكبوت 4.

باللقاء فإذا غلبت المشاهدة انعدم الشوق فإنما الشوق لغائب ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[676] أي شوقًا إليك فستر بالرضى وهو تمني الموت عند العافية كيوسف عليه السلام ألقي في الجب ولم يقل توفّني وكذلك في السجن ولما جمعه بأبويه وبإخوته وبالملك والنعم قال ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[677] .

من سره العيد الجد * * يد فقد عدمت به السرورا

كان السرور يتم لي * * لو كان أحبابي حضورا

وهو ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء والقرب فلو حجب العارف في الجنة طرفة لاستغاث من الجنة كأهل النار فالعارف سكر فلا يفيقه إلا اللقاء فاخرج من الدنيا مشتاقًا يبح لك للنظر فقلب المشتاق منوّر بالله فإذا تحرّك اشتياقهم أضاء الآفاق. فهؤلاء المشتاقون إليّ فأشهدكم يا ملائكتي إني إليهم أشوق. قال صلّى الله عليه وسلم ((**أسألك الشّوق إلى لقائك**))[678] وأخذ منه أنه ليس بتعمّل وإنما بقهر إلهي ولذلك سأله. فالشوق مائة جزءٍ تسعة وتسعون له صلّى الله عليه وسلم وجزء للناس فطلبه فكأنه طلب شظيّة ليكمل له مائة شوق أهل القرب أتم

وأبرح ما يكون الشوق يوما * * إذا دنت الخيام من الخيام

فحلاوة الموت أحلى من الشهد من روح الوصول فأجل مقام العارف تحققه فيه قوله تعالى ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ تعزية للمشتاقين حيث وقّت لهم أجلاً ينتظرونه وقصدهم الانغماس بلا أجل. أوحي لداوود عليه السلام: قل لشبان بني إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق لكم ما هذا الجفاء لو عرف المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقًا إليّ وانقطعت

---

[676] طه 81 و82.

[677] يوسف 101.

[678] الراوي: عمار بن ياسر | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 1971.

أوصالهم من محبتي يا داوود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين إليّ. وفي التوراة: شوّقناكم فلم تشتاقوا وخوّفناكم فلم تخافوا ونحنا لكم فلم تنوحوا. بكى شعيب عليه السلام مرة حتى قرب عماه فردّه الله له وثانيًا وثالثًا فأوحى له ما هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك وإن كان لأجل النار فقد أجرتك منها قال لا بل شوقًا إليك فقال له لأجل ذلك أخدمتك نبيّ وكليمي عشر سنين. فاشتق إلى الله يشتق إليك كل ما سواه. اشتاقت الجنة إلى ثلاثة عليّ وعمّار وسلمان. فمن تسوّق سوق الشوق اشتاق له كل شيءٍ وهو حر من كل شيءٍ. وفي التوراة شوّقناكم فلم تشتاقوا وزمّرنا لكم فلم ترقصوا. فبكاء المحب إذا لقي سرور ووجد. تعانق أخوان فقال أحدهما وا شوقاه والآخر وا وجداه. مات كثير من الجن والإنس بحسن صوت داوود عليه السلام وهو الزمر. حفظ قلوب المشائخ بالطاعة.

((**الاتّباع**)) قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾[679] حفظ شرط الأدب بالاستئذان أولًا فشرط عليه الخضر ألا يخالفه ولا يعارضه في شيء لمّا خالفه موسى أغضى عنه أولاً وثانيًا وفي الثالث كلّفه الفراق ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾[680] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ما أكرم شابّ شيخا لسنّه إلاّ قيّض الله تعالى له من يكرمه عند سنّه**))[681] بدء كل فُرقة المخالفة فمن صحب شيخًا ثم اعترض عليه بباطنه فقد نقض عهد الصحبة فعقوق الأشياخ لا توبة عنه فمن قال لأستاذه لم لا يفلح أبدًا فمن لم يحفظ قلب الشيخ سلّط عليه كلب يؤذيه. صام شاب خادم لبعضهم فدخل عليه بعضهم فقال أفطر يا شاب فقال أمسكت فقال له فلك صوم شهر بالفطر فقال له فلك صوم سنة إن أفطرت فأبى فقال له شيخه دعه فإنه سقط من عين الله فاشتغل بالسرقة قبل سنة وقطعت يده بعد سنة نعوذ بالله من المخالفة. استصغر بعض بعض المشائخ فطلب منه شيئًا فكاشفه استصغرتني فلا تنتفع بكلامي فلم يكلمه فمن استصغر شيخًا حرم فائدته فارجع بالحرمة تنتفع منه فمن رضي عنه

---

[679] الكهف 65.

[680] الكهف 77.

[681] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2022.

شيخه فلا يكافئ حياته فإذا مات شيخه كوفئ بلباسه ومن تغيّر عنه فلا يكافئ حتى يموت لئلا يلين له قلبه لأن شأنهم الكرم فإن مات شيخه كوفئ بالنقمة لباسًا فحافظ على حرمة المقدمين المشايخ وإنما سموا مقدمين أدبًا مع شيخهم وإلا حرمتَ هديهم ولو كنتَ أعبد أهل الزمان وإنما هم رسل شيخك يحبونك ويعظونك ويكثرون لك أعوانًا وإخوانًا فمن دلّ واحدًا على الله فهو شيخ جهبذ وإياك أن تحرم بركة أهل زمانك فإنهم محل نظر الله في خلقه ومع كثرتهم عطش كثير ممن استصغرهم.

((**السماع**)) قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[682] ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[683] السماع فسماع الأشعار بالألحان الطيبة إذا لم يعتقد المستمع محظورًا ولم ينخرط في سلك هواه ولم يسمع على مذموم شرعًا مباح أنشدت بين يدي النبي صلّى الله عليه وسلم ولم ينكرها ثم إن رقق المسمع القلوب لطاعة الله وشوق لهم حضرة الله أو حضرة رسوله أو شيخه فمندوب ومختار في الشرع وقد استعمل صلّى الله عليه وسلم ألفاظًا تنحو نحو الشعر ولم يقصدها شعرًا قالت الأنصار في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمّدا * * على الجهاد ما بقينا أبدا

فأجابهم ((**اللّهم لا عيش إلاّ عيش الآخره فأكرم الأنصار والمهاجره**))[684] فقال بإباحته مالك بن أنس الإمام وأهل الحجاز يبيحون الغناء وأما الحداء فبإجماع وكرهه الشافعي في العوام فمن احترفه سقطت شهادته عنده وجعله مسقطا للمروءة فسماع أهل القلوب لا يستمعونه سهوًا ولا لهوًا ولا لغوًا وإنما هو يسوق أسرارهم إلى حضرة الله وإلى حضرة الطاعة فعمر بن الخطاب وولده عبد الله وعبد الله بن جعفر رضي عنهم أباحوه. دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلم فوجد عند عائشة رضي الله عنها

---

[682] الزمر 17.

[683] الروم 14.

[684] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1805.

جاريتين تغنّيان على وجه السرد فليستا من أهله وإنما تقصّان ما وقع بين الأوس والخزرج زمن الفترة في محاربتهم وافتخارهم فلم ينههما فدخل أبو بكر فنهاهما لأنه وجد النبي صلّى الله عليه وسلم مائلاً وجهه عنهن فظنّ أنه نائم فقال له دعهما فلما غفل أبو بكر غمزتهما عائشة فخرجتا. أنكحت عائشة ذات قرابتها من الأنصار فجاء النبي صلّى الله عليه وسلم فقال أهديتم الفتاة فقالت نعم قال فأرسلت من يغني قالت لا فقال إن الأنصار فيهم غزل فلو أرسلتم من يقول ((**أتيناكم أتيناكم فحيّانا وحيّاكم**))[685] قال صلّى الله عليه وسلم ((**حسّنوا القرآن بأصواتكم فإنّ الصّوت الحسن يزيد القرآن حسنا**))[686] وهو دليل على فضيلة الصوت الحسن قال صلّى الله عليه وسلم ((**لكلّ شيء حلّية وحلّية القرآن الصّوت الحسن**))[687] قال صلّى الله عليه وسلم ((**صوتان ملعونان صوت ويل عند مصيبة وصوت مزمار عند نغمة**))[688] فدل الحديث أنه يباح في غيرهما قال صلّى الله عليه وسلم ((**ألا وإن حسن الصوت مما أنعم الله به على صاحبه من الناس**)) قال تعالى ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[689] وهو الصوت الحسن ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[690] فالطفل يسكن لصوت طيب والبعير يهيج به قال صلّى الله عليه وسلم ((**ما أذن الله تعالى لشيء كإذنه لنبيّ يتغنّى بالقرآن**))[691]. يستمع لقراءة داوود عليه السلام الجن والإنس والطير والوحش ويموت من مجلسه أربع مائة جنازة مما سمعوا وقال صلّى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري ((**لقد أعطي مزمارا من مزامير داوود**))[692] وقال معاذ لرسول الله صلّى الله عليه

---

[685] الراوي: عمرة بنت عبد الرحمن | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 289/7.

[686] الراوي: البراء بن عازب | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 868/2.

[687] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 292/7.

[688] أخرجه البزار (7513)، والديلمي في ((الفردوس)) (3778).

[689] فاطر 1.

[690] لقمان 18.

[691] الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 793.

[692] الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 97/2.

وسلم ((**لو علمت أنّك تسمع لحبّرته لك تحبيرا**))[693] فلما نادى الله في عالم الذر الأرواح ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلىٰ﴾[694] شربت الأرواح لذة الخطاب فإذا سمعت السماع تذكرت وأرادت الخروج عن الذات بالكلية فمنعتها الملائكة فاضطربت العروق شوقًا إلى اللقاء فكانت الروح في قفص الجسم فلو وجدت سبيلاً لنفرت عند السماع وإن خرجت مات صاحبها كأهل حلقة داوود عليه السلام. أبو علي الدقاق حرّمه على العوام لبقاء نفوسهم وأباحه للزهّاد لحصول مجاهدتهم وهو مستحبّ للخاصة لحياة قلوبهم. فقد حسن الوجه مع الصيانة وحسن الصوت مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء فحسن الصوت مخاطبة وإشارة أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة السماع مزعج للقلوب إلى الحق تعالى فمن أصغى إليه بحق تحقّق وبنفس تزندق. تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة عند السماع لأنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد وعند أكل فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء فالسماع فتنة لمن طلبه وترويح لمن صادفه وهو يحتاج إلى زمن ومكان وإخوان فظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة وإلا استمع فتنة وبلية فمن ماتت نفسه صح له وله قلب حي ذبحت نفسه بسيوف المجاهدة وقلبه حي بنور الموافقة فهو حال يبدي الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق وهو لطف عند الأرواح كأهل المعرفة وهو طبع إلا عن شرع وخرق إلا عن حق وفتنة إلا عن عبرة وهو قسمان سماع بشرط العلم والصحو فمن شرط صاحبه معرفة الأسامي والصفات وإلا وقع في الكفر المحض وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية والتنقي عن آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة فيفضل من إثنين على واحد فليتنا تخلصنا منه رأسا برأس فمن ادّعى السماع ولم يسمع صوت الطيور وصرير الباب فهو مدّع فإن استطبته فاجلس فإن الفقير مع قلبه فإن لم تستطبه فالسماع لأرباب القلوب فاذهب عنه فأهل القلوب يسمعون من إشارات السماع إليّ إليّ فينعمون بالخطاب فرحًا فإن نزل الحجاب صار بكاءً ما تعمل بسماع ينقطع بسكوت المسمع فاسمع من الحق دائمًا فاظمأ دائمًا واشرب دائمًا فالسماع نداء

---

[693] الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 7197.

[694] الأعراف 172.

والوجد قصد فقلوب العارفين حاضرة وأسماعهم مفتوحة فالمستمع بين استتار يوجب التلهيب وبين تجل يوجب الترويح فالاستتار يتولّد منه حركة ورعدة من ضعف صاحبه والتجلي يوجب سكون الواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وذلك صفة الحضرة وليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة قال تعالى ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُوا﴾[695] وهو وجوه ثلاثة فوجه للمريدين والمبتدئين يستدعون به أحوالاً شريفةً وتخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراءات والثاني للصادقين يطلبون زيادة أحوالهم ويستمعون ما يوافق أوقاتهم والثالث لأهل الاستقامة من العارفين فلا يختارون على الله تعالى فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون فعلامة المغلوب تحسين المجلس بوجده فلا يبقى محقٌّ إلا أَنِس ولا مبطلٌ إلا استوحش فأبناء الحقائق يردّهم إلى الحق ومخاطب لله بما سمع فيطلب منهم الصدق فيما يشيرون وفقير من الدنيا والآخرة يسمع طيبًا قلبه وهو أقرب للسلامة ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾[696] فارقبه ولا يكذب. كان شيخان فاجتمعا بتلامذهما فقرأ واحد من طائفة آية فمات واحد من الطائفة الأخرى وفي غد قرأ ثانيًا آية فمات هو فقال شيخه واحد بواحد والبادي أظلم. قص موسى عليه السلام فمزق واحد ثوبه فأوحى إلى موسى قل له مزّق لي قلبك ولا تمزق ثيابك. إن اجتذبك إليه عطف منه ولطف وإن رجعت إلى نفسك شفقة منه عليك لعدم صحة التبري منك في التوجه ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[697] إظهار لصولة الخطاب للأحباب. سمع بعضهم آية فغشي عليه فقال بعض أهل القلوب رددها ثانيًا فرددها فبرئ. فقميص يوسف أزال بصر يعقوب ورده ثانيًا. منع شيخ بعض الشبان من الزعقة لآية فقال له إن عدت فلا تصحبني فصبر وتغيرت حالته ثم زعق زعقة ومات

رأيتك تبني دائمًا في قطيعتي * * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

[695] الأحقاف 28.

[696] الشعراء 217.

[697] الإسراء 86.

غنت جارية بهذا في قصر سيدها:

في سبيل الله ودي * كان مني لك يبذل * كل يوم تتلون

فقال سيدها أعيدي فأعادت غير هذا بك أجمل فسمعها شاب فقير بيده ركوة فقال لها كل يوم تتلون فأعادت ثالثًا فقال هذا والله تلوّني مع الحق وشهق شهقة ومات فحررها سيدها فلما فرغوا من دفنه قال سيدها أشهدكم أن كل ما أملك حر وتصدق بجميع أملاكه واتّزر وارتدى وخرج فلم يعلم له أثر. فالفقراء عند السماع كالقطيع إذا وقع فيها ذئب. قال لهم بعضهم أقيموني فأقاموه فتواجد فقال أنا الشيخ الزفان.

بالله فاردد فؤاد مكتئب * * ليس له من حبيبه خلف

كان بعضهم لا يتواجد فسمع يوما ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُوخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾[698] اضطرب واصطلم فقيل له فقال يا حبيبي ضعفنا فالأكابر لا يرد عليهم وارد إلا وهم أقوى منه تقول البكرة الله الله فالناقوس يقول سبحان الله حقًّا حقًّا. عن عليّ كرم الله وجهه اجتمع الناس في محل وفيهم قوّالون يتواجدون فنظر إليهم بعض الأكابر فسكتوا فقال لهم عودوا فلو اجتمع ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي. قصّ موسى عليه السلام فزعق واحد فنهره موسى فأوحي إليه يا موسى (**بطيبي فاحوا وبحبي باحوا وبوجدي صاحوا فلم تنكر على عبادي**) سمع بعضهم قائلاً الخيار عشرة بدانق فزعق فكل قلب يحب الصوت الحسن ضعيف يداوى كصبي فيه نوم فالصوت الحسن إنما يحرك ما في القلب قوله تعالى ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّينَ﴾[699] أي سمّاعين من الله قائلين الله وهو برقة تزول ونور يبدو ثم يزول ما أحلاه لو بقي وفيه حظّ لكل الجوارح فالعين تدمع واليد تخبط والرأس يضطرب. فالسماع خير من الغيبة وغيبة ثلاثين سنة أخف من أن تظهر في السماع ما ليس فيك. فدرجاته ثلاث متسمّع يسمع

---

[698] الحديد 14.

[699] آل عمران 78.

بوقت والمستمع بحال والسامع بالحق فكلّ ما جمع قلبك مع مولاك حسن وأنت بصير على نفسك أوحي إلى موسى عليه السلام: **إني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني وأحب ما تكون إليّ وأقربه إذا أكثرت الصلاة على محمّد صلى الله عليه وسلم.** رآ بعضهم النبي صلّى الله عليه وسلم فقال **الغلط في هذا أكثر** يعني به السماع. قال إبليس لبعضهم ما وجدت مدخلاً إليكم إلا من السماع. سمع شاب جارية تقول

كبرت همة عبد * * طمعت في أن تراك

أو ما حسب لعين * * أن ترى من قد رآك

فشهق شهقة ومات. قال سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه (**وأما السماع الموجود عند فقراء الوقت فينبغي تركه**) يعني بلا حضور ولا حال لأن المسمعين جعلوه حرفة يتمعّشون به ويكتسبون منه أموالاً ويمشون إلى كل وليمة يسمعون النساء والصبيان والأخلاط من غير شعور. بمعنى الأشعار بل يقنعون بمجرد الحكاية والسرد ويقولون في كل مقام ما يناسبه فمع الفقراء يذكرون الأمداح ومع العامة يشعرون بالسفه والأباطيل ويعملون هيئة مخصوصة بهم ويشترطون على من استخدمهم الأجرة فيقولون خدمنا عند فلان كالغياطة فإن قلّل لهم الأجرة ناولوا منه وهتكوا حرمته ويغتابون الناس فلان ليس بكريم إنما أعطانا كذا وفلان كريم وربما يمتنعون من الخروج في الدار حتى يرضيهم ويتشاجرون معه وصارت قلّة حياء ديدنًا لهم وأخرجتهم طبيعتهم الفاسدة عن امتثال شيخهم فإن تكلّم معهم عالمهم نالوا منه وشتموه وادّعوا الرياسة على غيرهم فعظمت عليهم المصيبة فلا تجدهم يحترمون أحدًا من أكابر طريقتهم حتى إن كبير طريقتهم يخاف من شر لسانهم ويداريهم ويتركهم على ما كانوا عليه وهو عين الشقاوة فمن تركه شيخه مخافة لسانه فهو عين الطرد فتجدهم يتناولون من أشياخ طريقتهم فلان ليس بشيء ويبحثون في عورات الناس ففي حال السماع يتكلمون بكلام الأولياء فإذا أمسكوا اشتغلوا بالضحك والسخرية والهمز واللمز الأخذ من أعراض الناس وتعصبت طائفتهم على ضعفاء الفقراء ويسمعون بلا إذن من الكبير ويقطعون المذاكرة ولا يحبونها ولا يعرجون على نصيحة لرياسة صولة ما هم عليه من خدمة نفوسهم والركون إليها فمن لم يتكلّم بحال فيه بحيث لا يقول بيتًا فيه

إشارة إلى حضرة المحبوب ويسري[700] في أجزاء كليته ويتنغم حلاوة الإشارة وإنما يسدد أقوالا بلا فهم ولا حال وهمته في امتلاء البطن بألوان الأطعمة فكيف يصحّ لمن له عقل سليم أن يقول بجوازه وبالعكوف عليه فيجب تركه حتى يوجد من هو أهله والسماع جائز بشروطه وهو في محله فمهما وجدت شروطه استعمل وإن عدمت اجتنب كما شاهده سيدنا رضي الله عنه في فقراء زمانه وأما زماننا فلينظر ما أحدثوه وإنما تكلمنا فيما أحدث خارج طريقتنا وأما هي فمؤسسة بيد النبي صلّى الله عليه وسلم وشيدت بكلام الشيخ رضي الله عنه وبالعلماء أهل التمكين والمربين المشائخ العظام أهل الهمة والأحوال وأهل الغيرة على حريم الطريقة الذابّين عنها السالّين سيوفهم على حرمة خدمتها فمن ضيّع حرفًا واحدًا منها يرمونه بسهام في نحره ويكسى نكال الطرد ووبال الصَّغار والمحنة فتنصب عنه أنواع المحن حتى يتوب كل ذلك بسياسة الباطن بحيث لا يشعر أحد إلا من له فراسة نافذة وعقل غوّاص على المخدرات فلا أظن واحدًا من أصحاب سيدنا يقدر على أن يغير رسم الطريقة أبدًا لأنه قد تقرّر في أذهان أهلها خصوصًا وعمومًا أن الشيخ غيور على طريقته محافظةً منه رضي الله عنه على إبقاء السنّة النبوية إلا من سبق له شيء من الشقاوة نعوذ بالله من الطرد بعد الوصل فطريقتنا محرّرة فلا غبار عليها إلى يوم القيامة فكلّ ما ساعدته نصوص الشريعة فهو عينها وما لا فلا ولا سيّما ما اشتملت عليه من أصناف العلماء الراسخين فيه فلعله لأجل ما قلنا تسافر أولاد سيدنا رضي الله عنهم لحسم ما يتّهم في أهلها رضي الله عنهم فلقد نصحوا الأمة وحرّضوا وبشّروا وخوّفوا كما فعل صلّى الله عليه وسلم في حجة الوداع ((**ألا هل بلّغت، ألا هل بلّغت**))[701] فقالوا بلّغت يا رسول الله فكذلك يجب على كل واحد منا أن يقول قد بلّغتم رضي الله عنكم وأرضاكم فإنهم هداة الطريقة وشموسها وقوّاد رحاها وقطب دائرتها وروحها ولحمها وعظمها ودمها ومنبع كوثرها ومعدن جواهرها فلقد نبّهوا رضي الله عنهم إلى ما سطرناه من أمر السماع نصرة للسنّة الحنيفية فاضمحلّ ما كاد أن يظهر من أمر المسمّعين وسببه اختلاطهم مع المسمّعين خارج الطريقة فكادت الأخلاق أن تسرق فخلّصهم الله على يد كبير رؤساء مملكة الحقائق والمعارف الجهبذ الغيور على الأمة والسنّة لا يخاف في الله لومة لائم حامل

---

[700] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يسر".

[701] الراوي: نفيع بن الحارث الثقفي أبو بكرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 7447.

سيف ولواء الطريقة هادم لذة الهوى محيي السنّة أبو الشريعة وعمادها وأسّ الفضائل والفواضل تاج المناقب وطراز الشرف عروس الدين أهداه لنا مزفوفًا بأنوار الحكم والحكم والأخلاق القرآنية سيد الكاملين صلّى الله عليه وسلم فيا سعادة من عرفه باتّباع إشارته وتصريحاته ويا خسارة من أعماه الهوى حتى لا ينظر إلى شموس سمائه وحقائق أرضه فهو إكليل ملوك الآخرة والدنيا ومعلّم سرايا شجعانهم الرماية والسياسة وهو سيدنا ومولانا جبل قاف الأرض والسماء محمّد الكبير بن سيدنا ومولانا محمّد البشير حسًا ومعنًى بحر العارفين الغارفين المغترفين ابن سيدنا ومولانا محمّد الحبيب ترياق العلماء العارفين بن سيّدنا ومولانا القطب المكتوم رضي الله عنهم وأرضاهم ومتّعنا بسرّ رضاهم وبسرّ اتّباعهم وآدابهم وإيّاي وإيّا غيري من الزيغ والانحراف مما أشاروا إليه فإنه سمّ قاتل وهلاك عاجل وآجل فشدّ يدك على ما كان في زمن الشيخ رضي الله عنه واترك غيره كل التّرك ولا تتّبع الأقوام فاتّبع السنّة فالثور للحرث إن استقام مع الخط وعمل طاقته ولم ينحرف يمينًا ولا شمالاً واتّبع سياسة العمل فلا يحتاج إلى أبي المصالح الذي هو السوط لأنه خرج من الجنة وإن تصنّع في عمله وتراخى وأظهر الإعياء وتشيطن وترك الخط فإنه إما أن يؤدّب وإما أن يجزر وعلى كل حال فمصائب تنصبّ عليه في كل يوم بالضرب والإحراق بكل ما أمكن من أنواع السياسة العملية فافهم. فالإشارة غنية عن التطويل فلا أخاف حدوث شيء في طريقتنا لأنها معصومة من فتنة البدع وإنما ألمت للمدّعين المحاولين رسوم أهلها وليسوا منها فافهم. وإنما بيّنت مقامات الدين كل البيان وإن كانت محفوظةً معمولاً بها عند كل أحد من أهل طريقتنا تنبيهًا للمقدّمين فيها ليتفرسوا ويتدربوا بحقائق الطريقة ويميّزوا الصادق من الفقراء والدعيّ والدخيل والطفيليّ ويتفطّن لأوصاف أولياء طريقتنا ويتنبّه لعظيم مقامهم ويتخلّق بالسيرة النبوية وبسيرة كبراء طريقتنا ليتخلّص من شبهة التخليط والتبديل ثم إنه لما بيّنا الصلاة أحكامًا وكيفيةً أحببنا أن نذكر ما قرن معها وهي الزكاة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[702] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[703] ﴿خُذْ مِنَ

---

[702] البقرة 43.

[703] البينة 5.

ﭐمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[704] ﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ ٱلِيمٍ ٣٤ يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهَا فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهَا جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ٣٥﴾[705] قال صلّى الله عليه وسلم **((ما من صاحب ذهب ولا فضّة لا يؤدّي زكاتها إلاّ صفّحت له يوم القيامة صفائح من نار ثمّ تحمى في نار جهنّم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلّما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتّى يقضى بين الخلائق ثمّ يرى سبيله إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار))**[706] وقال **((من أتاه مالا فلم يؤدّ زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ثمّ يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثمّ يقول أنا مالك أنا كنزك** ثمّ تلا ﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتِيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْراً لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾[707]))[708]. وقال **((ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدّي زكاتها إلاّ أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر أي مكان مستو تطأه ذات الظّلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها ليس فيها يومئذ جمّاء ولا مكسورة القرن وتطأه الإبل بأخفافها وتعضّه بأفواهها كلّ ما مرّ عليه أخراها ردّ عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتّى يقضى بين الخلائق ثمّ يرى سبيله إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار))**[709] ا.هـ

ثم إنه قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلذِےٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدىٰ وَالْفُرْقَانِۖ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضاً اَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنَ اَيَّامٍ اُخَرَ﴾[710] قال صلّى الله

704 التوبة 104.

705 التوبة 35.

706 الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 987.

707 آل عمران 180.

708 الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 4565.

709 الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 383/8.

710 البقرة 184.

عليه وسلم ((**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه**))[711]. وقال ((**من أفطر يوما من رمضان في غير رخصة رخصها لم يقض عنه صيام الدّهر وإن صامه**))[712].

ثم إنه قال ﴿وَلِلهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[713] قال صلى الله عليه وسلم ((**من حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه**))[714] وقال ((**حجّة مبرورة خير من الدّنيا وما فيها وليس لها جزاء إلاّ الجنّة**))[715] ثم إنه قال تعالى في أمر الجهاد ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[716] قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدّرجتين كما بين السماء والأرض وقال غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**))[717] ثم يليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يؤد إلى منكر أكبر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[718] قال صلّى الله عليه وسلم ((**من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان**))[719] وقال ((**إنّ النّاس إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه أوشك أن يعمّهم الله بعذاب**))[720] فلا تسكت عنه وأحرى أن ترضى وأحرى أن تعين عنه قالت زينب أم المؤمنين ((**أنهلك وفينا الصّالحون يا رسول الله قال نعم إذا كثر الخبث**))[721]. أوحى

---

[711] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1901.

[712] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن الكبرى للبيهقي | الصفحة أو الرقم: 228/4.

[713] آل عمران 97.

[714] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1819.

[715] أخرجه البيهقي في الشعب والدارقطني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[716] التوبة 41.

[717] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1651.

[718] آل عمران 110.

[719] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 308.

[720] الراوي: أبو بكر الصديق | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 305.

[721] الراوي: زينب بنت جحش أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 2880.

الله إلى يوشع ابن نون عليه السلام إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستون ألفًا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال لأنهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم. قال صلّى الله عليه وسلم ((**أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا على أهلها قال يا ربّ إنّ فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فإنّ وجهه لم يتغيّر فيّ ساعة واحدة قطّ**))[722]. وقال ((**إنّ الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون قبضوا معهم ثمّ بعثوا على نيّاتهم وأعمالهم**))[723] وقال ((**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهمّوا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الّذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا لو خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا**))[724] وقال ((**من أذلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره أذلّه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة**))[725].

ثم برّ والديك وإن كانا فاسقين أو كافرين فقد قرن سبحانه ذكرهما بذكره وأوجب شكرهما لشكره ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلِانسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِے عَامَيْنِ أَنُ اُشْكُرْ لِے وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[726] ﴿وَاعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـٔاًۖ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾[727] ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ۝٢٣ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ اِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَٰنِے صَغِيراً﴾[728] ((**قال رجل للنبيّ صلّى الله**

---

[722] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: البيهقي | المصدر: الشعب | الصفحة أو الرقم: 2581/6.

[723] الراوي: عائشة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 7314.

[724] الراوي: النعمان بن بشير | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 2493.

[725] أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف عن أبيه رضي الله عنهما.

[726] لقمان 13.

[727] النساء 36.

[728] الإسراء 24.

عليه وسلم من أحقّ بحسن صحابتي قال أمّك قال ثمّ من قال ثمّ أمّك ثمّ من قال ثمّ أبوك))[729] وقال ((رضى الرّبّ في رضى الوالدين وسخط الرّبّ في سخط الوالدين))[730] وقال ((رغم أنفه ثمّ رغم أنفه ثمّ رغم أنفه من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثمّ لم يدخل الجنّة))[731] وقال ((ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر فقلنا بلى يا رسول الله فقال الإشراك بالله وعقوق الوالدين))[732] الخ وقال ((إنّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرّجل والديه قيل يا رسول الله كيف يلعن الرّجل والديه قال يسبّ الرّجل أبا الرّجل فيسبّ أباه ويسبّ أمه))[733] وقال ((كلّ الذنب يؤخّر الله تعالى منه ما شاء إلى يوم القيامة إلاّ عقوق الوالدين فإنّ الله يعجّله لصاحبه في الحياة الدّنيا قبل الممات))[734] فأكرم ضيفك وصل رحمك وأحسن إلى الجار والمساكين والأيتام قال تعالى ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾[735] قال صلّى الله عليه وسلم ((من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه))[736] وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۝﴾[737] قال صلّى الله عليه وسلم ((لا يدخل الجنة قاطع))[738] وقال ((إنّ الرّحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم))[739] وقال ((من أحبّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل

---

[729] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2548.

[730] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: ابن حبان | المصدر: بلوغ المرام | الصفحة أو الرقم: 434.

[731] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2551.

[732] الراوي: نفيع بن الحارث الثقفي أبو بكرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5976.

[733] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5973.

[734] الراوي: نُفيع أبو بكرة الثقفي | المحدث: الحاكم | المصدر: المستدرك على الصحيحين | الرقم: 7345.

[735] الحجر 51 و52.

[736] الراوي: أبو شريح العدوي الخزاعي | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 6019.

[737] محمّد 24.

[738] الراوي: جبير بن مطعم | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2556.

[739] الراوي: ابن أبي أوفى | المحدث: البخاري | المصدر: الأدب المفرد.

رحمه))[740] وقال ((**إنّ الله خلق الخلق حتّى إذا فرغ من خلقه قالت الرّحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يا ربّ قال فهو لك**))[741] وقال ((**الرّحم شجنة من الرحمان فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته**))[742] وقال ((**ليس الواصل بالمكافئ ولكنّ الواصل إذا قطعت رحمه وصلها**))[743] وقال ((**مازال جبريل يوصيني على الجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه**))[744] وقال ((**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل يا رسول الله ومن قال الّذي لا يأمن جاره بوائقه قيل له وما بوائقه قال شرّه**))[745] وقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[746] قال صلّى الله عليه وسلم ((**أنا وكافل اليتيم كهاتين**))[747] وقرن بين أصبعيه الكريمتين السبابة والوسطى وقال ((**السّاعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله وكالّذي يصوم النّهار ويقوم اللّيل**))[748] ثم يجب عليك الطاعة للإمام وجميع من ولاّهم الله عليك من القضاة وسائر الحكاّم وإن استعمل عليك عبدًا حبشيًّا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[749] قال صلّى الله عليه وسلم ((**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد كأنّ رأسه زبيبة**))[750] فيجب عليك أن تحب الخير لجميع الأنام وأن تعظم العلماء وآل النبي صلّى الله عليه وسلم قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه أو قال لجاره ما**

---

[740] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5986.

[741] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5987.

[742] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5988.

[743] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5991.

[744] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 5854.

[745] الراوي: أبو شريح العدوي الكعبي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6016.

[746] البقرة 82.

[747] الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 5150.

[748] الراوي: صفوان بن سليم | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6006.

[749] النساء 58.

[750] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 7142.

يحبّ لنفسه))[751] وقال تعالى ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[752] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**اثنان لا يستخف بهما إلا منافق صاحب العلم والإمام المقسط**)). وقال ((**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنّة وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب علم رضى بما يصنع وإنّ العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتّى الحيتان في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإنّ العلماء ورثة الأنبياء وإنّ الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما وإنّما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظّ وافر**))[753] وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[754] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**معرفة آل محمّد براءة من النّار وحبّ آل محمّد جواز على الصّراط والولاية لآل محمّد أمان من العذاب**))[755]. وقال ((**لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّهم لله ولرسوله**))[756] وقال ((**مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف هلك**))[757]. وقال ((**والّذي نفسي بيده لا يغضبنا أحد أهل البيت إلاّ أكبّه الله في النّار**))[758]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من أحبّهم أحبّه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**))[759]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من أهان قريشا أهانه الله**))[760]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من مات على حبّ آل محمّد مات مغفورا له ألا من مات على حبّ آل محمّد مات تائبا ألا من مات على حبّ آل محمّد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى**

---

[751] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 45.

[752] المجادلة 11.

[753] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2682.

[754] الشورى 21.

[755] الراوي: المقداد بن الأسود | المحدث: الكلاباذي | المصدر: بحر الفوائد | الصفحة أو الرقم: 249.

[756] الراوي: عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3758.

[757] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 9/4.

[758] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 435/15.

[759] الراوي: البراء بن عازب | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 75.

[760] الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 6269.

الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح الله إلى قبره بابا إلى الجنّة ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره قرار ملائكة الرّحمة ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنّة)).

ويجب عليك تجنب جميع ما نهى الله عنه كالزور والكذب والغيبة قال صلّى الله عليه وسلم ((**ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر، فقلنا بلى يا رسول الله فقال الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متّكئا فجلس فقال: ألا وشهادة الزّور أو قول الزور، فما زال يكرّرها حتّى قلنا ليته سكت**))[761]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثلاث مرّات ثم قرأ «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ»**))[762] وقال ((**من شهد على مسلم شهادة ليس بها بأهل فليتبوّأ مقعده من النار**))[763]. وقال ((**لن تزول قدما شاهد الزور حتّى يوجب الله له النّار**))[764] وقال ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[765]. قال صلّى الله عليه وسلم ((**أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النّفاق حتّى يدعها إذا ائتمن خان وإذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**))[766]. وقال ((**آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**))[767]. وقال ((**إنّ الصّدق يهدي إلى البرّ وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة وإنّ الرّجل ليصدق حتّى يكون عند الله صدّيقا وإنّ الرّجل ليكذب حتّى يكتب عند الله كذّابا**))[768]. وقال

---

761 الراوي: نفيع بن الحارث الثقفي أبو بكرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6273.

762 الراوي: خريم بن فاتك الأسدي | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 3599.

763 أخرجه أحمد (10617)، وابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (258).

764 الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن الكبرى للبيهقي | الصفحة أو الرقم: 122/10.

765 آل عمران 60.

766 الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 34.

767 الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 59.

768 الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 274.

تعالى ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾[769] قال صلّى الله عليه وسلم ((**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**))[770]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الرّجل ليتكلّم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النّار**))[771]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من أراد أن يفرق حسناته يمينًا وشمالاً فليغتب الناس**)). وقال صلّى الله عليه وسلم ((**وهل يكبّ النّاس على وجوههم أو قال على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم**))[772] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**الغيبة أشدّ من الزّنى**))[773] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**أتدرون ما الغيبة، قالوا الله ورسوله أعلم قال: ذكرك أخاك بما يكره قال أرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه**))[774].

واترك **الكبر والحسد والعجب والنميمة** قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتِيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[775] وقال ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ اِذَا حَسَدَ﴾[776] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ليس منّي ذو حسدٍ ولا نميمةٍ ولا كهانةٍ ولا أنا منه ثمّ تلا رسول الله صلّى الله عليه وسلم هذه الآية** ﴿وَالذِينَ يُوذُونَ ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا اَكْتَسَبُواْ فَقَدِ إِحْتَمَلُواْ بُهْتَٰناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[777]))[778]. وقال ((**إيّاكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**))[779]. ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلَّٰفٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ

---

769 الحجرات 12.

770 الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6484.

771 الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 13269.

772 الراوي: معاذ بن جبل | المحدث: الترمذي| المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2616

773 الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 2298/5.

774 الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2589.

775 النساء 53.

776 الفلق 5.

777 الأحزاب 58.

778 أخرجه الطبراني عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه.

779 الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 4903.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾[780]. مرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم بقبرين يعذبان فقال ((**إنّهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير بلى إنّه كبير أمّا أحدهما فكان يمشي بالنّميمة وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله**))[781]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**أشدّ النّاس عذابا يوم القيامة المشّاؤون بالنّميمة والقاطعون بين الإخوان**)) وقال صلّى الله عليه وسلم ((**تجد من أشدّ الناس عذابا يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الّذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**))[782]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يدخل الجنّة قتّات[783] والقتّات النّمّام**))[784] وقال تعالى ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي اِ۬لاَرْضِ مَرَحاً﴾[785]، ﴿إِنَّهُۥ لاَ يُحِبُّ اُ۬لْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[786] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبر**))[787]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ما من رجل يتعاظم في نفسه ويختال في مشيه إلاّ لقي الله وهو عليه غضبان**))[788]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من كان في قلبه مثقال حبّة خردل من كبر كبّه الله على وجهه في النّار**))[789]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم المسبل والمنّان والمنفق سلعته بالحلف الكذب**))[790] وقال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ اَ۬لنَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اَ۬للَّهَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾[791]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ اُ۬لذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ ۝ اُ۬لذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ

[780] القلم 12.

[781] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 292.

[782] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3493.

[783] رَجُلٌ قَتَّاتٌ: نَمَّامٌ، مُخْبِرٌ، من يُبلِّغ كلامَ الناس على جهة الإفساد.

[784] الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6056.

[785] لقمان 17.

[786] النحل 23.

[787] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 91.

[788] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: الأدب المفرد | الصفحة أو الرقم: 549.

[789] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: ابن ماجه | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 26748.

[790] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 106.

[791] النساء 141.

ﭐلۡمَاعُونَ﴾[792] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ثلاثة تسعر بهم النّار يوم القيامة أوّلا القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدّق المرائي**))[793]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يقبل الله عملا فيه مثقال حبّة من خردل من الرّياء**))، وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من سمّع سمّع الله به ومن يرائي يرائي الله به**))[794]. واجتنب اللواط والمساحقة واللواط اشتغال شرار الرجال بالرجال صبيًّا أو غيره والمساحقة اشتغال شرار النساء بالنساء فإنهما من أكبر الفواحش وأعظم المناكر وقال تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾[795] وقال: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾[796] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ملعون من عمل بعمل قوم لوط**))[797] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إن أخوف ما أخاف على أمّتي من عمل قوم لوط**))[798] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سماوات وردّد اللّعنة على واحد ثلاثا قال ملعون من عمل بعمل قوم لوط ثلاثا**))[799] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من مات من أمّتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم حتّى يحشر معهم**))[800] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**وإذا كثرت اللّوطية رفع الله يده عن الخلق ولا يبالي في أيّ واد هلكوا**))[801] ويقال (**يهتز العرش ويغضب الرحمن لقتل نفس بغير حق وغشيان الذكر الذكر والأنثى الأنثى ولو اغتسل اللوطي بماء البحر ما غسله**) واجتنب الزنى فإنه يوجب العقوبة في الدنيا وفي الآخرة النار قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ

[792] الماعون 4.

[793] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2382.

[794] الراوي: جندب بن عبد الله | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 6499.

[795] الشعراء 165.

[796] الأعراف 81.

[797] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 234/8.

[798] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: الترمذي | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 1457.

[799] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 234/8.

[800] الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[801] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. أخرجه الطبراني (184/2) (1752).

فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[802] ﴿وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ أللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ أَلنَّفْسَ أَلتِے حَرَّمَ أَللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ أَلْعَذَابُ يَوْمَ أَلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴿٦٩﴾﴾[803] قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن**))[804]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الزّناة يأتون يوم القيامة تشتعل وجوههم نارا**))[805] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه**))[806]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزّكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذّاب وعائل مستكبر**))[807] والعائل الفقير. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الأرضين السّبع والسّماوات السّبع والجبال لتلعن الشيخ الزاني وإنّ فروج الزّناة ليؤذي أهل النّار نتون ريحها**))[808]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**الزّاني بحليلة جاره لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزّكيه ويقول له أدخل النّار مع الداخلين**))[809] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ما تقولون في الزّنى قالوا حرام حرّمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال: لأن يزني الرّجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره.**))[810]

---

802 الإسراء 68 و69.

803 الفرقان 68.

804 الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 2475.

805 عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

806 الراوي: أبو هريرة | المحدث: الحاكم | المصدر: المستدرك على الصحيحين | الصفحة أو الرقم: 65.

807 الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 107.

808 تخريج السيوطي في الجامع الصغير: (البزار) في مسنده.

809 الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الديلمي | المصدر: مسند الفردوس | الصفحة أو الرقم: 3371.

810 أخرجه أحمد (23854)، والبزار (2115) واللفظ له، والطبراني (257/20) (605) ، من حديث المقداد بن الأسود.

فيجب عليك ترك السرقة وشرب الخمر وأكل الحرام قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾[811] قال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يسرق السّارق السّرقة حين يسرقها وهو مؤمن**))[812] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لعن الله السّارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده**))[813] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[814] قال صلّى الله عليه وسلم ((**ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**))[815] ((**لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلم في الخمرة عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له**))[816]. وقال ((**من شرب الخمر في الدّنيا ومات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة**))[817]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**الخمر أمّ الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوما فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهليّة**))[818]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**شارب الخمر كعابد الوثن وشارب الخمر كعابد اللاّت والعزّى**))[819]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لم يزل الإنسان في فسحة من دينه ما لم يشرب الخمر فإذا شربها خرق الله عنه ستره وكان الشّيطان وليّه وسمعه وبصره ورجله يسوقه إلى كلّ شرّ ويصرفه عن كل خير**))[820]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ليشربنّ ناس من أمّتي الخمر يسمّونها بغير اسمها ويضرب**

---

[811] المائدة 40.

[812] الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5578.

[813] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6783.

[814] المائدة 90.

[815] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 57.

[816] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1295.

[817] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2003.

[818] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 81/4.

[819] أخرجه ابن ماجه (3375)، وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (24545).

[820] الراوي: قتادة بن عياش | المحدث: الطبراني | المصدر: الكبير | الصفحة أو الرقم: 21 (19/14-15).

على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردة وخنازير))[821]. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ﴾[822] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمِىٰ ظُلْماً اِنَّمَا يَاكُلُونَ فِے بُطُونِهِمْ نَاراًۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[823] قال صلى الله عليه وسلم: ((**أربع حقّ على الله أن لا يدخلهم الجنّة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وآكل الرّبى وآكل مال اليتيم بغير حقّ والعاقّ لوالديه**))[824] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يكتسب عبد مالا حراما فيبارك له فيه ولا يتصدّق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلاّ كان زاده إلى النار**))[825]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**يأتي على النّاس زمان لا يبالي المرء بما أخذ من الحرام فهنالك لا تستجاب لهم دعوة**))[826]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**اللّحم النابت من حرام النّار أولى به**))[827] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إنّ الله أمر عباده المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين فقال** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَاعْمَلُواْ صَٰلِحاًۖ﴾[828] **وقال** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[829] **ثمّ ذكر الرّجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يده إلى السّماء يا ربّ يا ربّ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّي بالحرام فأنّى يستجاب له**))[830]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إن لله ملكًا على بيت المقدس ينادي كل يوم ألا من أكل الحرام لم يقبل منه صرف ولا عدل**)). وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من اشترى ثوبا**

---

821 الراوي: أبو مالك الأشعري | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 221/10.

822 النساء 29.

823 النساء 10.

824 الراوي: أبو هريرة | المحدث: الحاكم | المصدر: المستدرك | الصفحة أو الرقم: 2197.

825 أخرجه أحمد في المسند (387/1).

826 الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 2083.

827 الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: أبو نعيم | المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 281/5.

828 المؤمنون 52.

829 البقرة 171.

830 الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1015.

بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه))[831]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُومِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِداً فِيهَا وَغَضِبَ اَ۬للَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَاباً عَظِيماً﴾[832] قال صلى الله عليه وسلم: ((**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا**))[833]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**أوّل ما يقضى بين الناس في الدماء**))[834]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لو أنّ أهل السّماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبّهم الله عزّ وجلّ في النّار**))[835]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله**))[836]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**))[837]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَّظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾[838] وقال: ﴿وَالظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً اَلِيماً﴾[839] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾[840] وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ اَ۬للَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ اُ۬لظَّـٰلِمُونَ﴾[841] قال صلّى الله عليه وسلم ((**الظلم ظلمات يوم القيامة**))[842]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**اتّق دعوة المظلوم فإنّها ليس بينها وبين الله حجاب**))[843]. وقال صلّى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ ((**يا عبادي إنّي حرّمت الظلم**

---

[831] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 2104/5.

[832] النساء 93.

[833] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيحه | الصفحة أو الرقم: 6862.

[834] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيحه | الصفحة أو الرقم: 6864.

[835] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الترمذي | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 1398.

[836] الراوي: محمد بن مسلم بن شهاب الزُهري | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 22/8.

[837] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الترمذي | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 1395.

[838] الفرقان 19.

[839] الإنسان 31.

[840] طه 108.

[841] إبراهيم 44.

[842] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2578.

[843] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البخاري | المصدر: صحيحه | الصفحة أو الرقم: 2448.

على نفسي وجعلته بينكم محرّما فلا تظّالموا))[844]. وقال صلّى الله عليه وسلم بمنًى: ((**أتدرون أيّ يوم هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنّ هذا يوم حرام أفتدرون أيّ بلد هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال بلد حرام أتدرون أي شهر هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال شهر حرام فإن الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**))[845]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**))[846]. فمن كان حاكما فليتق الله في أحكامه فإن الله قال ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[847] وقال ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[848] وهم الجائرون. قال صلى الله عليه وسلم: ((**ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمّة فلم يعدل فيها إلاّ أكبّه الله في النّار**))[849]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لكلّ شيء آفة تفسده وآفة هذا الدّين ولاة السّوء**))[850]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لعن الله الرّاشي والمرتشي والرائش الّذي يمشي بينهما**))[851]. قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنما هلك من كان قبلكم؛ أنهم كانوا يقيمون الحدّ على الوضيع ويتركون الشريف**))[852] وقال تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾[853] قال صلّى الله عليه وسلم ((**اتّقوا الله في الضّعيفين المملوك والمرأة**))[854]. وقال

---

[844] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2577.

[845] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيحه | الصفحة أو الرقم: 1742.

[846] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2564.

[847] ص 25.

[848] الجن 15.

[849] مَعْقِلُ بْنِ سِنَانٍ الْأَشْجَعِيِّ رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين | الصفحة أو الرقم: 7097.

[850] أخرجه الديلمي في ((الفردوس)) (5003) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[851] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1336.

[852] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 6787.

[853] النساء 36.

[854] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 10297.

((إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه ممّا يأكل ويلبسه ممّا يلبس ولا تكلّفوهم ما يغلبهم فإنّ كلّفتموهم فأعينوهم))[855].

ومن المناكر التي يجب تجنبها النياحة على الميت والغش وعدم العدل بين الزوجات قال صلّى الله عليه وسلم **((أربع في أمّتي من أمر الجاهليّة لا يتركونهنّ: الفخر في الأحساب، والطّعن في الأنساب، والاستسقاء بالنّجوم، والنّياحة))**. وقال: صلّى الله عليه وسلم **((النّائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب))**[856] وقال صلّى الله عليه وسلم **((من غشّنا فليس منّا))**[857]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتَ أَيْمَانُكُمْ﴾[858] وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[859] قال صلّى الله عليه وسلم **((استوصوا بالنِّساء خيرًا))**[860] وقال صلّى الله عليه وسلم **((والرّجل في أهله راع وهو مسؤول))**[861] وقال صلّى الله عليه وسلم **((استوصوا بالنّساء خيرا فإنّهن عندكم عوار لا يملكون لأنفسهنّ شيئا وإنّما اتخذتموهنّ أمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله تعالى))**[862]. قال صلّى الله عليه وسلم **((إذا كان عند الرّجل امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقّه ساقط))**[863]. **((كان صلّى الله عليه وسلم يعدل بين نسائه ويقسم لهنّ حضرا وسفرا وصحّة ومرضا))**[864]. وقال صلّى الله

---

[855] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 2545.

[856] الراوي: أبو مالك الأشعري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 934.

[857] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 4905.

[858] النساء 3.

[859] النساء 128.

[860] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1468.

[861] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 2409.

[862] الراوي: عمرو بن الأحوص | المحدث: ابن ماجه | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 42652.

[863] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 32271.

[864] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: النسائي | المصدر: سنن النسائي | الصفحة أو الرقم: 3943.

عليه وسلم ((**فمن رغب عن سنّتي فليس منّي**))[865]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**سبعة لعنتهم وكل نبيّ مستجاب الدعوة: الزائد في كتاب الله والمكذّب بقدر الله والمستحلّ حرمة الله والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله والتّارك لسنّتي والمستأثر بالفيء والمتجبّر بسلطانه ليعزّ من أذلّ الله ويذلّ من أعزّ الله**))[866].

فيجب على الإخوان أن يتناصحوا وأن يتناصروا وأن يتزاوروا وألا يتقاطعوا وألا يتدابروا وأن يكونوا عباد الله إخوانًا قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[867] قال صلّى الله عليه وسلم ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا ثمّ شبك بين أصابعه**))[868]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى**))[869]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض ويعرض هذا وخيرهما الّذي يبدأ بالسّلام**))[870]. وقال ((**إن شر الناس عند الله منزلة القيامة من تركه الناس اتّقاء شره**)) وقال صلى الله عليه وسلم: ((**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**))[871].

وخذ منا نصائح نبوية أحببت أن أذكرها لاشتمال كل حديث على الدين كله. فإن أهل طريقتنا أولى بأفضل النصائح. قال عليه الصلاة والسلام ((**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلّ امرئ ما نوى**))[872]. ((**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**))[873]. ((**اتّقوا الدنيا فوالذي**

---

[865] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5063.

[866] أخرجه الطبراني (43/17) (89).

[867] الحجرات 10.

[868] الراوي: أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 6026.

[869] الراوي: النعمان بن بشير | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6011.

[870] الراوي: أبو أيوب الأنصاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2560.

[871] الراوي: مصعب بن سعد | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 2896.

[872] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1.

[873] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 420/4.

نفسي بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت))[874]. **((أجملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له))**[875]. **((أحبّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ))**[876]. **((أحبّ حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما مّا))**[877]. **((احفظ الله يحفظك))**[878]. **((أخلص دينك يكفك القليل من العمل))**[879]. **((أدّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك))**[880]. **((إذا أحب الله قوما ابتلاهم))**[881]. **((إذا أراد الله بعبده خيرًا فقّهه في الدين وألهمه رشده))**[882]. **((إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودّع منهم))**[883]. **((إذا سرّتك حسناتك وساءتك سيّئتك فأنت مؤمن))**[884]. **((إذا غضب أحدكم فليسكت))**[885]. **((إذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع ولا تتكلم بكلام تعتذر منه واجمع الإياس مما في أيدي الناس))**[886]. **((إذا لم تستحي فاصنع ما شئت))**[887]. **((ازهد في الدّنيا يحبّك الله وازهد فيما في أيدي النّاس يحبّك النّاس))**[888] **((استعدّ للموت قبل نزول الموت))**[889]. قال صلّى الله عليه

---

[874] أخرجه الحكيم الترمذي في ((نوادر الأصول)) (130/1).

[875] الراوي: أبو حميد الساعدي | المحدث: أبو نعيم | المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 304/3.

[876] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 783.

[877] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1997.

[878] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الترمذي | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 2516.

[879] الراوي: معاذ بن جبل | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 2337/5.

[880] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1264.

[881] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 302/3.

[882] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الإشراف)) (31)، والبزار (1700) واللفظ لهما، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (174/1).

[883] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 18/8.

[884] الراوي: أبو أمامة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 176.

[885] أخرجه أحمد (2556)، والبزار (4872) باختلاف يسير، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (1320) واللفظ له.

[886] الراوي: أبو أيوب الأنصاري | المحدث: أبو نعيم | المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 444/1.

[887] الراوي: عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3484.

[888] الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة: 3401/7.

[889] عن طارق بن عبد الله المحاربي أخرجه الطبراني (376/8) (8174).

وسلم ((**استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإنّ كلّ ذي نعمة محسود**))[890]. ((**استنزلوا الرّزق بالصّدقة**))[891]. ((**أشكَر النّاس لله أشكَرهم للنّاس**))[892]. ((**أفضل الجهاد عند الله كلمة حقّ عند سلطان جائر**))[893]. ((**أكثروا من ذكر هاذم اللّذّات الموت فإنّه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلاّ وسّعه عليه ولا ذكرها في سعة إلاّ وضيّقها عليه**))[894]. ((**إنّ الله كريم يحبّ الكرم ويحبّ معالي الأخلاق ويكره سفسافها**))[895]. ((**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنّما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**))[896]. ((**إنّما الصّبر عند الصّدمة الأولى**))[897]. ((**إنّ المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم**))[898]. ((**إنّ أشدّ النّاس ندامة يوم القيامة رجل باع آخرته بدنيا غيره**))[899]. ((**إنّ المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤونة وإنّ الصّبر يأتي من الله على قدر المصيبة**))[900]. ((**أنزلوا النّاس منازلهم**))[901]. ((**إنّ من كنوز البرّ كتمان المصائب**))[902]. ((**الاقتصاد في النّفقة نصف المعيشة والتودّد إلى النّاس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم**))[903]. ((**برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم وعفّوا عن النّساء تعفّ نساؤكم ومن تنصّل إليه فلم**

---

[890] الراوي: معاذ بن جبل | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 100/6.

[891] الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 538/2.

[892] عن أسامة بن زيد رضي الله عنه | أخرجه الطبراني (172/1) (427)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (9118).

[893] الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: ابن ماجه | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 30907.

[894] عن أنس بن مالك رضي الله عنه | أخرجه البزار (6987).

[895] الراوي: طلحة بن عبيد الله بن كريز | المحدث: البيهقي | المصدر: سننه الكبرى للبيهقي | الصفحة أو الرقم: 191/10.

[896] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2564.

[897] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1283.

[898] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: أبو داود | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 4798.

[899] الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: ابن ماجه | المصدر: ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: 791.

[900] عن أبي هريرة رضي الله عنه | أخرجه البزار (8878)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (115/4)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (9956) باختلاف يسير.

[901] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: أبو داود | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 4842.

[902] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 213/8.

[903] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 2239/5.

يقبل لا يرد عليّ الحوض يوم القيامة))[904]. **((ترك الشرّ صدقة))**[905]. **((تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة))**[906]. **((تعلّموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله حتّى تعملوا بما تعلمون))**[907]. **((التّؤدة في كلّ شيء خير إلاّ في عمل الآخرة))**[908]. **((جفّ القلم بما أنت لاق))**[909]. **((حبّ الشّيء يعمي ويصمّ))**[910]. **((حصّنوا أموالكم بالزّكاة وداووا مرضاكم بالصّدقة وأعدّوا للبلاء الدّعاء))**[911]. **((حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النّار بالشّهوات))**[912]. **((الحرب خُدعة))**[913]. **((الحياءُ خير كلّه))**[914]. **((خير الأمور أوسطها))**[915]. **((خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشرّ الناس من طال عمره وساء عمله))**[916]. **((الخلق السيّء يفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل))**[917]. **((الدّالّ على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللّهفان))**[918]. **((الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر))**[919]. **((الدين يسر ولن يغالب الدين أحد إلاّ غلبه))**[920].

---

[904] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما | أخرجه العقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (249/3)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (207/5) باختلاف يسير، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (1029) مختصراً.

[905] الراوي: أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 6022.

[906] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البيهقي | المصدر: الاعتقاد للبيهقي | الصفحة أو الرقم: 147.

[907] الراوي: معاذ بن جبل | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 839.

[908] الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: أبو داود | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 4810.

[909] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 5076.

[910] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 5130.

[911] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البيهقي | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 382/3.

[912] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2822.

[913] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3029.

[914] الراوي: عمران بن الحصين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 37.

[915] الراوي: كنانة الثقفي | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 273/3.

[916] الراوي: نفيع بن الحارث الثقفي أبو بكرة | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2330.

[917] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البيهقي | المصدر: الشعب | الصفحة أو الرقم: 2736/6.

[918] عن أنس بن مالك رضي الله عنه | أخرجه الترمذي (2670)، والبزار (7521)، وأبو يعلى (4296).

[919] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2956.

[920] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 39.

((الدّين النّصيحة))[921]. **((ربّ قائم حظّه من قيامه السّهر وربّ صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش))**[922]. **((رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم))**[923]. **((الرّجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))**[924]. **((زر غبّا تزد حبّا))**[925]. **((السّعيد من وعظ بغيره))**[926]. **((السّكينة مغنم وتركها مغرم))**[927]. **((الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه))**[928]. **((صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السرّ تطفئ غضب الربّ وصلة الرّحم تزيد في العمر))**[929]. **((الطّاعم الشّاكر بمنزلة الصّائم الصّابر))**[930]. **((الظّلم ظلمات يوم القيامة))**[931]. **((عند الله خزائن الخير والشّرّ مفاتحها الرّجال فطوبى لمن جعله مفتاحا للخير مغلاقا للشّرّ وويل لمن جعله الله مفتاحا للشّرّ مغلاقا للخير))**[932]، **((العبد عند ظنّه بالله وهو مع من أحبّ))**[933]، **((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم))**[934]، **((القرآن حجّة لك أو عليك))**[935]. **((القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى))**[936]، **((كفى بالمرء إثما أن يحدّث**

---

921 الراوي: تميم الداري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 55.

922 الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 3481.

923 أخرجه أحمد في ((الزهد)) (1578) وابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (41).

924 الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 4833.

925 الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 9/6.

926 الراوي: عامر بن واثلة أبو الطفيل | المحدث: مسلم | المصدر: صحيحه | الصفحة أو الرقم: 2645.

927 الديلمي في ((الفردوس)) (3565).

928 الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 364/8.

929 الراوي: معاوية بن حيدة | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 289/1.

930 الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2486.

931 الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2578.

932 الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: أبو نعيم | المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 370/8.

933 تخريج السيوطي في الجامع الصغير الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح.

934 الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2685.

935 الراوي: أبو مالك الأشعري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 556.

936 الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 6922.

بكلّ ما سمع))[937]. ((**كفى بالمرء إثما أن يضيّع من يعول**))[938]، ((**كفى بالمرء علما أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بنفسه**))[939]، ((**كما تدين تدان**))[940]، ((**كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل**))[941]، ((**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني**))[942]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**))[943]، ((**ليس الخبر كالمعاينة**))[944]، ((**ليس الشّديد من غلب على النّاس إنّما الشّديد من غلب نفسه**))[945]، ((**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر**))[946]، ((**ما أسرّ عبد سريرةً إلّا ألبسه الله رداءها إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ**))[947]، ((**ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد**))[948]، ((**ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه**))[949]، ((**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلّا عزّا. وما تواضع أحد لله إلّا رفعه الله**))[950]، ((**مداراة النّاس**

---

[937] الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 4992.

[938] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: أبو داوود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 20112.

[939] الراوي: مسروق | المحدث: الدارمي | المصدر: سنن الدارمي | الصفحة أو الرقم: 386.

الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 301/8.

[940] الراوي: أبو قلابة عبد الله بن زيد | المحدث: البيهقي | المصدر: الأسماء والصفات | الصفحة أو الرقم: 140/1.

[941] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيحه | الصفحة أو الرقم: 6416.

[942] الراوي: شداد بن أوس | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2459.

[943] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2312.

[944] تخريج السيوطي في الجامع الصغير الراوي: عبد الله ابن عباس | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط.

[945] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 717.

[946] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الترمذي | المصدر: سننه | الصفحة أو الرقم: 1921.

[947] الراوي: جندب بن سفيان البجلي | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 43/8.

[948] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 365/6.

[949] الراوي: المقدام بن معدي كرب | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيحه | الصفحة أو الرقم: 674.

[950] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2588.

صدقة))[951]، **((ملاك الدين الورع))**[952]، **((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))**[953]، **((من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى))**[954]، **((من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن أرضى النّاس بسخط الله وكله الله إلى النّاس))**[955]، **((من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه))**[956]، **((منهومان لا يَشبعان طالب علم وطالب دنيا))**[957]، **((المجاهد من جاهد نفسه))**[958]، **((المستشار مؤتمن فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه))**[959]، **((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه))**[960]، **((المؤمن من أمنه النّاس))**[961] **((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))**[962]، **((لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك))**[963]، **((لا تنزع الرحمة إلا من شقيّ))**[964]، **((لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له))**[965]، **((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه))**[966]، **((لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين**

---

951 الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 471.

952 الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البيهقي | المصدر: الشعب | الصفحة أو الرقم: 2001/5.

953 الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2317.

954 الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 709.

955 الراوي: القاسم بن محمد بن أبي بكر | المحدث: البخاري | المصدر: العلل الكبير | الصفحة أو الرقم: 332.

956 الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن ماجه | المصدر: سنن ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: 20510

الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: ابن عدي | المصدر: الكامل في الضعفاء | الصفحة أو الرقم: 315/6.

957 أخرجه الطبراني (223/10) (10388).

958 الراوي: فضالة بن عبيد | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1621.

959 الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 349/2.

960 الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 6484.

961 الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 510.

962 الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 194.

963 الراوي: واثلة بن الأسقع | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 110/4.

964 الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 4942.

965 أخرجه بن حبان عن سهل بن سعد رضي الله عنه في روضة العقلاء.

966 الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 13.

حتى يدع ما لا بأس به حذرا ممّا به بأس))[967]، ((**لا يجني جان إلّا على نفسه**))[968]، ((**لا يغني حذر من قدر**))[969]، ((**لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين**))[970]، ((**أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل ملكا فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقيا أم سعيدا فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**))[971]، ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**))[972]، ((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**))[973]، ((**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتّقى المشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في المشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**))[974]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((**الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأيمة المسلمين وعامتهم**))[975]، ((**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**))[976]، ((**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ

[967] الراوي: عطية بن عروة السعدي | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2451.

[968] الراوي: عمرو بن الأحوص | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2159.

[969] الراوي: عائشة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 66/3.

[970] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن الكبرى للبيهقي | الصفحة أو الرقم: 320/6.

[971] الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2643.

[972] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1718.

[973] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1718.

[974] الراوي: النعمان بن بشير | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 52.

[975] الراوي: تميم الداري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 55.

[976] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1337.

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾[977] **وقال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[978] **الآية))**[979]، ((**لا تغضب**))[980]، ((**إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**))[981]، ((**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك رفعت الأقلام وجفت الصحف**))[982]، ((**واعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**))[983]، ((**قل لي في الإسلام قولا لا أسئل عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم**))[984]، ((**الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**))[985]، ((**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص**

---

[977] المؤمنون 52.

[978] البقرة 171.

[979] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1015.

[980] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6116.

[981] الراوي: شداد بن أوس | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 2815.

[982] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2516.

[983] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البيهقي | المصدر: الاعتقاد | الصفحة أو الرقم: 147.

[984] الراوي: سفيان بن عبد الله الثقفي | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 38.

[985] الراوي: أبو مالك الأشعري | المحدث: مسلم | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 223.

ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل في البحر يا عبادي إنما أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن عمل خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلوم إلا نفسه))[986]، ((**أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر))**[987]، ((**كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الإثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها صدقة أو يرفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها إلى المسجد صدقة ويميط الأذى عن الطريق صدقة))**[988]، ((**البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس))**[989]، ((**استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك))**[990]، ((**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة))**[991]، ((**لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تؤمن بالله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل** ثمَّ تلا رسول الله صلّى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا

---

986 الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2577.

987 الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1006.

988 الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 2989.

989 الراوي: النواس بن سمعان | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2553.

990 الراوي: وابصة بن معبد الأسدي | المحدث: أبو نعيم | المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 275/6.

991 الراوي: العرباض بن سارية | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2676.

رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[992]، **ألا أخبرك برأس الأمر وعماده وذروة سنامه رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ألا أخبرك بملاك ذلك كله كف عليك هذا وأشار للسانه، ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))**[993] **((من نفس على مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه))**[994] **((إن الله كتب الحسنات ثم بيّن ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ومن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة))**[995]، **((إن الله تعالى قال. من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته وإن استعاذني لأعيذنه))**[996]، **((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ وما استكرهوا عليه))**[997]، **((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به))**[998]، **((يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك**

---

992 السجدة 16 و17.

993 الراوي: معاذ بن جبل | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2616.

994 الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2699

995 الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 131.

996 الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 347.

997 الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 356/7.

998 الراوي: عَبْد اللهِ بِن عَمْرو بْن العَاصِ | المحدث: البيهقي | المصدر: المدخل | الصفحة أو الرقم: 209.

على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة))[999]، قال صلّى الله عليه وسلم ((**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله أو شوقا إليه تعالى))**[1000]، وزيد على السبعة على طريقة البخاري ((**ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدو فانكشفوا فحمي آثارهم أو أخبارهم حتى نجوا ونجى أو استشهد ورجل تعلم القرآن في صغره فهو يتلوه في كبره ورجل يراعي الشمس لمواقيت الصلاة ورجل إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت عن حلم ورجل تاجر اشترى وباع فلم يقل إلا حقا ومن أنظر معسرا أو وضع له أو ترك لغارم أو تصدق عليه أو أعان أخرق**[1001] **يعني من لا صنعة له لعجز ومن أعان مجاهدا أو غارما في عسرته أو مكاتبا في رقبته ومن أظل رأس غاز ومن توضأ على المكاره أو مشى في ظلمة إلى المساجد أو أطعم جائعا حتى يشبع**، ((**إن سيد التجار رجل لزم التجارة التي دل الله عز وجل عليها من الإيمان بالله ورسله وجهاد في سبيله فمن لزم البيع والشراء فلا يذم إذا اشترى ولا يحمد إذا باع وليصدق الحديث ويؤد الأمانة ولا يتمنى للمؤمنين الغلاء**))، ((**أوحي إلى إبراهيم عليه السلام يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار وإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأسقيه من حظيرة قدسي وأدنيه من جواري ومن كفل يتيما أو أرملة))**[1002]، ((**أتدرون من السابق إلى ظل الله يوم القيامة الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سألوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم))**[1003]، ((**وصل على الجنازة**

---

[999] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3540.

[1000] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 1423.

[1001] الْأَخْرَقُ مَنْ لَا صَنْعَةَ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَعَلَّمَ صَنْعَةً (معجم المعاني).

[1002] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 315/6.

[1003] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 213/2.

لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله))[1004]، الوالي العادل فمن نصحه في نفسه أو في عباد الله أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، من أراد أن يظله الله بظله فلا يكن على المؤمنين غليظا وليكن بالمؤمنين رحيما، من عزّى الثكلى [1005]، ((**قال سيدنا موسى عليه السلام أي رب من تظل تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك قال يا موسى الذين يعودون المرضى ويشيّعون الهلكى**))[1006]، وروى شيعة عليّ ومحبوه، عن موسى يا رب من يساكنك في حظيرة القدس ومن يستظل بظلك يوم لا ظل إلا ظلك قال أولئك الذين لا ينظرون بأعينهم الزنى ولا يبتغون في أموالهم الربى ولا يأخذون على أحكامهم الرشى[1007]، **ورجل لم تأخذه في الله لومة لائم ورجل لم يمد يده إلى ما لا يحل له ورجل لم ينظر إلى ما حرم عليه**[1008]، **من قرأ إذا صلى الغداة ثلاثة آيات من سورة الأنعام إلى ويعلم ما تكسبون**[1009]، **واصل الرحم وامرأة مات زوجها وترك لها أيتاما صغارا فقالت لا أتزوج على أيتامي حتى يموتوا أو يغنيهم الله وعبد صنع طعاما وأحسن نفقته ودعا اليتيم والمسكين فأطعمهم لوجه الله**،[1010] **ورجل حيث توجه علم أن الله معه**[1011] **ورجل يحب الناس لجلال الله**[1012]، **المؤذن في ظل رحمة الله**

[1004] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو الرقم: 3066/7.

[1005] قال ابن حجر العسقلاني: من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه | المصدر: الأمالي المطلقة.

[1006] أخرجه ابن أبي الدنيا في "كتاب العزاء".

[1007] الراوي: خيرة بنت أبي حدرد أم الدرداء الكبرى | المحدث: العسقلاني | المصدر: الأمالي | الصفحة أو الرقم: 203.

[1008] تخريج السيوطي في الجامع الصغير: الأصبهاني في ترغيبه عن ابن عمر.

[1009] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَرْفُوْعاً قَالَ: **"مَنْ قَرَأَ إِذَا صَلَّى الغَدَاةَ ثَلاَثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ إِلَى "وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ"[الأَنْعَامُ: 3]، نَزَلَ إِلَيْهِ أَرْبَعُوْنَ أَلْفَ مَلَك يُكْتَبُ لَه مِثلَ أَعْمَالِهِم، وَيُبعثَ إِلَيْهِ مَلَكٌ مِنْ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَمَعَهُ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيْدٍ، فَإِنْ أَوْحَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِهِ شَيْئاً مِنَ الشَّرِّ ضَرَبَهُ حَتَّى يَكُوْنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سَبْعُوْنَ حِجَاباً، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ قَالَ اللهُ: "أَنَا رَبُّكَ وَأَنْتَ عَبْدِي، وَامْشِ فِي ظِلِّي، وَاشْرَبْ مِنَ الكَوْثَرِ، وَاغْتَسِلْ مِنَ السَّلْسَبِيلِ، وَادْخُلِ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ"**. ذَكَرَهُ السُّيوطِيُّ فِي "الدُّرِّ المنثُوْرِ" (245/3 – 246).

[1010] أخرجه الديلمي في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[1011] عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أخرجه الطبراني (286/8) (7935).

[1012] تخريج السيوطي في الجامع الصغير: الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

حتى يفرغ يعني من أذانه،[1013] **من فرج عن مكروب من أمتي وأحيا سنتي وأكثر الصلاة عليّ،**[1014] **حملة القرآن في ظل الله مع أنبيائه وأصفيائه،**[1015] **المريض،**[1016] **أهل الجوع في الدنيا الصائمون،**[1017] **من صام من رجب ثلاثة عشر يوما،**[1018] **من صلى ركعتين بعد ركعتي المغرب قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشر مرة،**[1019] **أطفال المؤمنين،**[1020] **أما ترضى أن يكون ابنك مع ابني إبراهيم يلاعبه تحت ظل العرش،**[1021] **عن موسى عليه السلام من ذكر الله بلسانه أو قلبه،**[1022] **رجل لا يعقّ والديه ولا يمشي بالنميمة ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله،**[1023] عن موسى عليه السلام **الطاهرة قلوبهم النقية قلوبهم البرية أبدانهم الذين إذ ذكر الله ذكروا به وإذا ذكروا ذكر الله بهم وينيبون إلى ذكره كما تنيب النسور إلى وكرها ويغضبون لمحارمه إذا استحلت كما يغضب النمر ويكلفون بحبه كما يكلف الصبيّ بحب الناس،**[1024] عن موسى عليه السلام **الذين يعمرون مساجدي ويستغفروني في الأسحار،**[1025] **يا رب من في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك قال الذين أذكرهم ويذكروني،**[1026]

1013 القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وقال فيه عند الحرث بن أبي أسامة عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم.

1014 القسطلاني وقال فيه عند الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

1015 شرح القسطلاني وقال فيه في مسند الديلمي عن علي بن أبي طالب مرفوعًا.

1016 شرح القسطلاني وقال فيه عند أبي يعلى عن أنس بن مالك.

1017 شرح القسطلاني وقال فيه عند ابن شاهين عن عمر بن الخطاب.

1018 شرح القسطلاني وقال فيه في أمالي ابن ناصر عن أبي سعيد الخدري.

1019 شرح القسطلاني وقال فيه عند الحرث بن أبي أسامة عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

1020 شرح القسطلاني وقال فيه للديلمي في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

1021 شرح القسطلاني وقال فيه في المعجم الكبير عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

1022 شرح القسطلاني وقال فيه عند أبي نعيم في الحلية عن وهب بن منبه.

1023 شرح القسطلاني وقال فيه في شعب البيهقي عن موسى عليه الصلاة والسلام.

1024 شرح القسطلاني وقال فيه في الزهد للإمام أحمد عن عطاء بن يسار عن موسى عليه الصلاة والسلام.

1025 شرح القسطلاني وقال فيه في الزهد لابن المبارك عن رجل من قريش عن موسى عليه الصلاة والسلام.

1026 شرح القسطلاني وقال فيه لأبي نعيم في الحلية عن إدريس عائذ الله عن موسى عليه السلام.

قربوا أهل لا إله إلا الله من ظل عرشي فإني أحبهم،[1027] **شهداء أحد أرواحهم في أجواف طير خضر تأوي إلى قنادل من ذهب معلقة في ظل العرش.**[1028] **من جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى قتل فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت ظل عرشة.**[1029] **اللهم اغفر للمعلّمين وأطل أعمارهم وأظلهم تحت ظلك فإنهم يعلمون كتابك المنزل.**[1030] في التوراة **من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعا الناس إلى طاعتي فله صحبتي في الدنيا وفي القبر وفي القيامة ظلي.**[1031] **أنا سيد ولد آدم ولا فخر وفي ظل الرحمن عز وجل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ولا فخر.**[1032] **حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه، ويسير عليٌّ يوم القيامة بلواء الحمد وهو حامله والحسن عن يمينه والحسين عن يساره حتى يثبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.**[1033] [**قلتُ**] وإن كان في بعض أسانيد ما زيد على السبعة بعض الضعف والوهي إنما هو باب فضائل الأعمال قال صلى الله عليه وسلم: **قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل أذنه مستمعة وعينه ناظرة.**[1034] وقال صلى الله عليه وسلم: **إذا كان آخر الزمان صارت أمتي ثلاث فرق فرقة يعبدون الله خالصا وفرقة يعبدون الله رياء وفرقة يعبدون الله تعالى ليستأكلوا به الناس فيقول الله عز وجل للمخلصين اذهبوا بهم إلى الجنة ويقول للآخرين أمضوا بهم إلى النار** الحديث[1035]

[1027] شرح القسطلاني المسمى إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وقال فيه للديلمي في مسنده عن أنس مرفوعًا.

[1028] شرح القسطلاني المسمى إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وقال فيه عند أبي داود والحاكم وقال على شرط مسلم عن ابن عباس مرفوعًا.

[1029] شرح القسطلاني المسمى إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وقال فيه عند الدارمي وصححه ابن حبان عن عتبة بن عبد السلمي مرفوعًا.

[1030] عند الحسن بن محمد الخلال عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

[1031] في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني عن كعب الأحبار رضي الله عنه.

[1032] في جزء من أمالي أبي جعفر بن البختري.

[1033] في مناقب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند أحمد مرفوعًا.

[1034] أخرجه أحمد (21310) واللفظ له، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (1141)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (216/5) باختلاف يسير.

[1035] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 209/5.

قالت عائشة رضي الله عنها **من رآ نفسه من المخلصين كان من المراءين ومن رآ نفسه من المراءين كان من المخلصين**. فليس مراد الأكابر في حثهم على العمل مجرد الثواب بل هم لا يلاحظونه البتة وإنما مقصودهم مجالسة الله ورسوله ولا تكون إلا بالشريعة المسنونة فلا يجالس من اتّبع مبتدعًا إلا إياه فإن الجلوس مع الله إنما يكون بالشريعة فالعبد لا يملك مع سيّده شيئا وإن أعطاه أخذه وقبله من باب المنة لا من باب الاستحقاق وإن حققت هذا المشهد تكن من العارفين وتنزع منك العلل النفسية فلا تكمل عبادة عابد حتى يشاهد الشرع في كل عمل عمله فإنه يعمله بحضرته على سبيل الشهود والمعاينة لا على الإيمان والحجاب وهو أن تعمل العمل مع مشاهدتك للشرع حين العمل وبعده وإنما يكون بإحاطة أدلة كل المذاهب الباقية والمندرسة حتى لا يخفى دليل من أدلتهم بعد التجرد من النفس والتحلي بالروح. وكان ابن عمر شديد الاتّباع للسنّة حتى أنه يحب أن يقضي حاجة من موضع قضى فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلم ويميل في الطريق في موضع مال فيه صلّى الله عليه وسلم ويصلّي محلولة أزراره كما شاهده صلّى الله عليه وسلم فكن كابن عمر في الاتّباع تكن أهدى الناس طريقة وهو طريقة سيدنا رضي الله عنه فإن كل ما فعله صلّى الله عليه وسلم بصحة ونقل عن أصحابه فهي طريقته وما لم يثبت عنه فإن أخذه عنه هو مشافهة فكذلك وإلا فلا وإن استحسنه كل الناس فلا حسن في أمر لم يكن عليه الشارع فإن أردت أن تأخذ عنه صلّى الله عليه وسلم فكن محبًّا له صلّى الله عليه وسلم محبةً حاليّةً بحيث لا تحب من يذكر غيره عندك واستحضر نعمته عليك وأكثر من الصلاة عليه مع ملاحظة المعاني وملامحة معنى المصلى عليه فإنك تنظره وتأخذ عنه بوساطة شيخك وتحقق عنه ما ورد وتعمل به ولا يكون إلا موافق ظاهر الشريعة فاستبق للخير لتكون من الرعيل الأول ليستن بك الناس فاستر عملك ما استطعت واستبق في التهجد في أول الثلث الأخير ليقتدي بك غيرك فتسن خيرًا واصبر لمجار أقدار الله فإذا بلغ الصبر غايته فأظهر الضعف كأيوب عليه السلام ولا يظهر العمل إلا الأكابر العلماء العاملين المربين من دسائس النفس فاعتمد على فضل الله لا على العمل بحيث إذا رأيت رجلاً كثير الخير والأتباع فإنك لا تحسده عليه واحمد له عليه الله ولا تر شيئًا لنفسك إنما أنت عبد مثله وإياك أن تنقبض عند رؤيته فإنه ظلم فإن أدخلك الجنة فبرحمته

لا بعملك ولو فر جماعتك عليك ولم يبق من يأخذ عنك العلم أو الطريقة فاشرح صدرًا بالله لأنه الفاعل وإن انقبضت كنت مرائيًا فلا تدرس حتى تجد نية صالحةً ولو طول عمرك لئلا يفسدك كثرة رؤية الناس لك فإذا فرغ من صلاة الجمعة فاترك سورة الكهف حتى يخرج الناس ثم اشرع قطعًا للرياء فطلب العلم من الإخلاص أفضل من النافلة فلولا مذاكرة الإخوان في العلم والتهجد في الليل ما أحب الإنسان البقاء في هذه طالب العلم كالمحارب فإذا أفنى عمره في كيفية الرماية فمتى يقاتل فما ورد في فضل العلم إنما هو للمخلص فلا تغالط فإن الناقد بصير فلو كنت قاضيًا لضربت فقيهًا غير محدّث ومحدّثًا غير فقيه قال صلّى الله عليه وسلم ((**نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها**))[1036] فجالس العلماء ولو كنت عالمًا فربما أعطاهم الله ما لم يعطك فمن قال إني عالم فهو جاهل، خير الجلساء من ذكرّك الله رؤيته. قال لقمان **يا بنيّ عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام الحكماء فإن الله تعالى ليحيي القلب الميّت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر.**[1037] قال صلّى الله عليه وسلم لما سئل أي جلسائنا خير ((**من ذكّركم الله رؤيته وزاد في عملكم منطقه وذكّركم بالآخرة علمه**))[1038]. فأكرم العلماء وعظّمهم فلا تدّع أنك أديت حقّهم ولو أنفقت عليهم صحتك مع جميع ما تملك وإياك من تضييع حق معلّم في الدين فإنه هلاك وإيّاك أن تفخر على شيخك حتى يتملّق لك فإنه بلاء عظيم فكان الإمام النووي لا يأكل مع شيخه لعذر وهو أنه خاف أن تسبق يده يد شيخه إلى ما أراده شيخه وكان يتصدّق في مشيه إلى مجلسه طلبًا أن يستر الله عنه عيب شيخه بحيث لا يرى نقيصته وهذا اعتناء كبير فاسلكه فإنك إن اعتقدت في شيخك ينطلق لسانه بالإيضاح وإلا عي فلا تنتفع منه وخاطب شيخك بالإجلال والإطراق وغضّ البصر كمخاطبة الملوك ولا تجادله إلا على سبيل التعرّف فتقول يا سيدي سمعناكم أمس تقرّرون كذا بكذا ولا تقل له قال فلان فما صوبتموه لنعتقده ولا تتزوج امرأته حياته وبعدها ولا تسع على وظيفته أو خلوته أو بيته حيًّا وميتًّا إلا لضرورة شرعيّة ترجع إلى الأدب

[1036] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: أبو نعيم | المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 122/5.

[1037] الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: البيهقي | المصدر: المدخل إلى السنن الكبرى | الصفحة أو الرقم: 23/2.

[1038] الراوي: عبد الله بن عباس | أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الأولياء)) (25)، وأبو يعلى (2437) باختلاف يسير.

مع الشيخ ولا تسع على أحد من أصحابه فضلاً عن أولاده أو جيرانه فحافظ على خاطر شيخك قال صلّى الله عليه وسلم ((**البركة مع أكابركم**))[1039] وقال ((**ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**))[1040] وفي رواية **ويعرف شرف كبيرنا**[1041] وقال ((**تواضعوا لمن تعلمون منه**))[1042] وقال ((**ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق ذو الشيبة في الإسلام وذو العلم والإمام المقسط**))[1043] وقال ((**إذا كنت في قوم عشرون رجلاً أو أقلّ أو أكثر فتصفحت وجوههم فلم تر فيهم رجلاً يهاب في الله عز وجل فاعلم أن الأمر قد رقّ**)).[1044] وقال ((**لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خصال فذكر منها وأن يروا ذا علم فيضيعونه ولا يسألون عليه**))[1045]. فيجب على العالم أن يدل من يعمل بعلمه وإن لم يعمل به هو. فمن الناس من حظّه العلم لا العمل ومنهم من قسم له العلم والعمل به ومنهم من لم يقسم له واحد منهما فلم يكن عالم إلا وهو عامل بعلمه من وجه فإن عمل به فهو على يقين وإلا علم أنه مخالف للعلم فيتوب وما ورد في ذم غير عامل به إن لم يتب ولابد أن يتوب فلا يشترط في العالم عدم اقتحام الذنب وإنما يشترط فيه عدم الإصرار عليه أو عدم إصراره على الإصرار قال صلّى الله عليه وسلم ((**إنما يلحق المؤمن من علمه وعمله وحسناته بعد موته علم علمه ونشره**))[1046] وقال ((**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**))[1047] أو قال عامله. وقال ((**الدّال على الخير كفاعله**))[1048]. وقال ((**من دعا**

[1039] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 559.

[1040] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 101/6.

[1041] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الترمذي | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 1920.

[1042] أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (6184).

[1043] عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. أخرجه الطبراني (238/8) (7819).

[1044] الراوي: عبد الله بن بسر | أخرجه أحمد (17715) واللفظ له، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (1008)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (9077).

[1045] رواه الطبراني مرفوعًا.

[1046] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن ماجه | المصدر: سنن ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: 200.

[1047] الراوي: عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1893.

[1048] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2670.

إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا))[1049]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[1050] أي علّموهم الخير. فأكرم بيوت الله من المساجد والزواوي ولا تقض حاجة الإنسان قريبًا منها فلا تقدر أن تبول قرب قصر السلطان وهو ينظر إليك فافهمه فلا تدخل بيت الله إلا على وضوء فارتعد إن دخلت إجلالاً حتى تفرغ من العبادة واخرج. وقد نهانا الشارع من تشبيك الأصابع وقلب الحصى في المسجد ولم ينهنا خارجه فقد طولبت بأكثر الآداب في المسجد ولم تطلب خارجه ولا تترك أحدًا يعظّمك في المسجد لأن الكبير إذا عظّم بين يدي السلطان يذوب حياءً. المسجد حضرة الله ولا يسبق إليها إلا المقرّبون الذين لا خطيئة عليهم ولا تدنست جوارحهم قط بمعصية أو وقعوا وتابوا نصوحًا كالأولياء الذين سبقت لهم عناية الله العظمى في عدم العدم وعلموا بالكشف الصحيح أن الله تعالى قبل توبتهم وبدل سيّآتهم حسنات بحيث لم تبق لهم سيئة يستحضرونها فإن استحضرت فغير مقبولة فلو بدلت لم يبق لها صورة في الوجود ولا في ذهنهم ولا في الخارج ولست منهم ومالي والدخول قبل الناس. **نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يبال بأبواب المساجد.**[1051] فأسبغ الوضوء صيفًا وشتاءً ولا تستلذّ برودة الماء في الصيف لئلا تعبد الحلاوة فاعبد ربّك بكلفة ولا تتبع العوائد بل جميع مأمور به افعله امتثالاً لأمر الله وكل منهيّ عنه فاتركه اجتنابًا لما نهاك الله عنه ولا تقتحم المباحات إلا بنية تلحقها بالواجبات أو المندوبات فإذا بلغت فتأمّل في قواعد التوحيد وصحّحها على مذهب أهل السنّة ثم اعبد ربك امتثالاً لا عادةً فالعادة هي البطّالة ولا تذكر سيئة تقدمت لك قال صلى الله عليه وسلم: **إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء.**[1052] وقال **إن الحلية تبلغ من المؤمن مواضع الطهور**[1053] وفي رواية **حيث يبلغ الوضوء.**[1054]

[1049] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2674.

[1050] التحريم 6.

[1051] الراوي: مكحول | المحدث: أبو داود | المصدر: المراسيل | الصفحة أو الرقم: 109.

[1052] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 136.

[1053] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 250.

[1054] الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 242/7.

والحلية ما يتزين به أهل الجنة من الأساوير ونحوها قيل له صلّى الله عليه وسلم كيف تعرف أمتك ممن لم يرك قال ((**إنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين بلقا من آثار الوضوء.**))[1055] **ليس ذلك لأحد غيرهم**[1056] قال ((**وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وتسعى بين أيديهم أنوارهم**))[1057]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يده كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت خطاياه وكل خطيئة مسّتها رجلاه مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب**))[1058] وقال **من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره.**))[1059] وقال ((**ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها**))[1060]. وقال ((**لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**))[1061]. وقال ((**إسباغ الوضوء على المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلاً**))[1062]. وقال ((**من أسبغ الوضوء في البرد الشديد كان له كفلان من الأجر**)).[1063] وقال ((**من توضأ ثلاثًا فذلك من وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي**))[1064] وكان الإمام البخاري يقلل من الأكل حتى تقنعه تمرة أو لوزة بلا ضرر ومالك الإمام يأكل أكلة في ثلاثة أيام استحياءً من تردده للخلاء بين يدي الله تعالى. وقد حجّ بعضهم فمكث عشرة أيام لم يبل حياء من أن ينجس الحرام فإذا

[1055] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 1046.

[1056] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 230/1.

[1057] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 230/1.

[1058] الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 244.

[1059] الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 245.

[1060] الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 1041.

[1061] الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 241/1.

[1062] الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 39/2.

[1063] الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 298/5.

[1064] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: ابن حبان | المصدر: المجروحين | الصفحة أو الرقم: 151/2.

عرفت عظمة الله وذقت حلاوة حضرته يشقّ عليك مفارقتها حتى أنك ترى الضرب بالسيف أهون عليك من الانقطاع عنها قال صلى الله عليه وسلم: ((**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**))[1065] وفي رواية ((**مع الوضوء عند كل صلاة**))[1066] وفي رواية ((**لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء** قالت عائشة **ما زال النبي صلّى الله عليه وسلم يذكر السواك حتى خشيت أن ينزل فيه القرآن**))[1067]. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ومجلاة للبصر**))[1068] عن النبي صلّى الله عليه وسلم ((**أربع من سنن المرسلين الحناء والتعطر والسواك والنكاح**))[1069]. عائشة **أول ما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يبتدئ به إذا دخل بيته السواك**[1070] الطبراني[1071] ((**ما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يخرج من بيته لشيء من الصلوات حتى يستاك**)). البزّار[1072] عنه صلّى الله عليه وسلم ((**إن العبد إذا استاك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيسمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهّروا أفواهكم للقرآن**)). أبو نعيم بإسناد جيد حسن: ((**ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك.**))[1073] فحافظ على السنّة ولا تغتر بما يفعل من كثرة المآكل والمشارب مع كثرة البول والنوم والغفلة ومن عدم مبالاة الناس اليوم إلى سنّة بل اقتفوا عادة أهل البطون والبطالة وهم يعتقدون أنهم الخواصّ. فواظب على ركعتين دبر كل وضوء على شرط ألا يخطر لك غير الله فيهما واعلم أن المقصود في هذا ألا يميل قلبك لغير الله من دنيا وآخرة فإنما يكون مقصودك الوقوف بباب الله تعالى

[1065] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 887.

[1066] الراوي: عائشة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 1069.

[1067] الراوي: العباس وعائشة | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 226/1.

[1068] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الطبراني | المصدر: الأوسط | الصفحة أو الرقم: 278/7.

[1069] الراوي: أبو أيوب الأنصاري | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 1080.

[1070] الراوي: أم المؤمنين عائشة | المحدث: البيهقي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 131.

[1071] في المعجم الكبير رواية عن خالد الجهني.

[1072] أخرجه البزار في "مسنده".

[1073] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى عَن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها (ج1 ص38).

في أي زمان وفي أي مكان وفي أي حركة وفي أي سكون فتكون بصيرتك في الحضرة وذاتك حيث أراد الله ولا تختر لها زمانًا ولا مكانًا ولا حركةً ولا سكونًا لسكون بصيرتك بباب الله أبدًا دنيا وأخرى ولا تر غير الوقوف بباب الله فإنه ما خلقنا إلا له بأدب مقرون بعمل ولا تهمل سنّة مرة في عمرك واحك الآذان. روى الشيخان مرفوعًا: ((**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ فإنه من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة**))[1074] الحديث. وفي رواية ((**من قال مثل ذلك إذا سمع المؤذن وجبت له شفاعتي يوم القيامة.**))[1075] وألحّ في الدعاء بنية الإجابة وبنية الاضطرار إليه فإن العبد مضطرّ أصالةً قال صلى الله عليه وسلم: ((**الدعاء بين الآذان والإقامة لا يردّ قالوا فماذا نقول قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**))[1076]. وفي رواية ((**فإذا انتهيت فسل تعطه**))[1077]. وفي رواية ((**إذا نُودي بالصّلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التّأذين فإذا قضي الآذان أقبل فإذا ثوّب بها أدبر**))[1078]. والتثويب الإقامة وروى أحمد مرفوعًا ((**إذا ثوب بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء**))[1079] وفي رواية ((**ساعتان لا يردّ على داعٍ دعوته حين تقام الصلاة وساعة الصف في سبيل الله تعالى**))[1080]. فإذا بنيت مسجدًا فابنه بحلال وإخلاص ولا تزخرفه بالرّخام الملوّن الرقيق وطلي سقفها بالذهب فإن المساجد لا تبنى إلا على وجه مشروع وإن بنيته بحرام أو شبهة أو بغير إخلاص أثمت فانهار به يوم القيامة في جهنم وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا ((**من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله تعالى له بيتا في الجنة**))[1081]. وفي رواية ((**من بنى**

[1074] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 384.

[1075] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 1691.

[1076] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3594.

[1077] الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: أبو داود | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 524.

[1078] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 1663.

[1079] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: أحمد بن حنبل | المصدر: مسند بن حنبل | الصفحة أو الرقم: 14394.

[1080] الراوي: سهل بن سعد | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 1764.

[1081] الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 450.

لله مسجدًا قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنّة))[1082]. وفي رواية ((**كمفحص قطاة أو أصغر**))[1083]. وفي رواية ((**كمفحص قطاة لبيضها**))[1084]. وهو مجثمها فهو قدر جبهة المصلي وخصّ الشارع القطاة لأنها لا تروّث فيه فافهم. وفي رواية ((**من بنى بيتًا يعبد الله فيه من مال حلال بنى الله له بيتًا في الجنّة من درّ وياقوت**))[1085]. واكنس المساجد فإن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: ((**ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها، فمن بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنّة فقال رجل: يا رسول الله وهذه المساجد التي تُبنى في الطريق؟ قال: نعم، وإخراج القمامة منها مهور الحور العين**[1086])). الترمذي ((**أمرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن نتّخذ المساجد في ديارنا، وأمرنا أن ننظّفها**))[1087]. الطبراني مرفوعا ((**جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع**))[1088]. والتجمير التبخير وعلامة صحة الإيمان المشي إلى المساجد. وروى الطبراني ((**إنّ الله تعالى ليغمر الّذين يتخللون إلى المساجد في الظُّلم بنور ساطع يوم القيامة**))[1089]. وروى أيضا بإسناد حسن مرفوعا ((**من توضأ في بيتِهِ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر اللهِ وحقٌّ على المزور أن يكرم الزائر**)).[1090]

وطوّل الجلوس في المسجد وخفّفه في السوق فلتكن حركاتك وسكناتك محمودة في المسجد وإلا فاخرج ولا تكن كالمجاورين للمساجد من التجّار وغيرهم ممن يتفكّه في المسجد بكل كلام فإن الناقد بصير ونزّل نفسك منزلة واقف بين يدي سلطان قاهر فإنك تهاب أن تحك جسدك بحضرته

[1082] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: ابن حبان | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 1610.

[1083] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: ابن ماجه | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 13560.

[1084] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 2/10.

[1085] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: المجروحين | الصفحة أو الرقم: 420/1.

[1086] الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 533.

[1087] الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 594.

[1088] الراوي: واثلة ابن الأسقع | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الكبير | الصفحة أو الرقم: 132/8.

[1089] الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 257/1.

[1090] الراوي: عائشة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 142/4.

فالجلوس مع الله أولى. قال سيدي علي الخواص **مثلي لا يطيل الجلوس بالمسجد.** احتقارًا لنفسه والمقصود تعظيم المساجد لا غير فلا تجلس فيه لحظة واحدة وأنت محدث ولا يخطر في بالك أنك أفضل من أحد من المسلمين فإنه ذنب إبليس فأخرج من حضرة الله لأجله فلا تهتمّ فيه بأمر الرزق فإنه اتّهام له على ما ضمنه ولا تردّ وجه الله إن سئلت شيئًا ولو عمامةً إلاّ تعنّتًا واختبارًا ولا تمش فيه بتاسومة[1091] إلا لعذر كجرح واشغل نفسك بالعبادة.

ولما علمت بالضرورة أن أهل هذه الطريقة اشتملوا كلهم على ولاية خاصة دقيقة المدرك حتى على كبار الأولياء أحببت أن أورد لك بعض أحوال العارفين لتتفرس فيه أذواقهم بخفاء الأخفى مع وجوب كتمان أمرهم إلا لأهل دائرتهم فإن محبتهم تزيد بالاطّلاع على بعض ذرّات إيمانهم. اعلم أن الأنبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا صلّى الله عليه وسلم عين الرحمة قد دعا إلى الله بالبصيرة الواضحة والبيّنة الفائقة وقرّب المدارك وبيّن المسالك وحثّ على سلوك سبيل الهدى وعلى اجتناب سبيل الردى فما ترك شيئًا يقرب من الله إلا بينه ودعا إليه ولا أدبًا للحضرة القدسية إلا حثّ عليه ولا شيئًا شغل عن الله إلاّ وحذّر العباد منه ولا عملاً يقطعهم عن الله إلاّ ونهاهم عنه وما ترك من النصيحة للعباد مما يخلّصهم عن أوحال القطيعة ومواطن الهلكة شيئًا. قالت الصحابة **لقد تركنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم وإن الطير ليتحرك في السماء فنستفيد منه علمًا بحق**[1092] [**قلتُ**] لأن الخلائق إنما خلقهم ليدل بعضهم بعضًا إلى حضرة الملك الحق قال تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[1093] وقال ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1094] وقال صلّى الله عليه وسلم ((**تركتها بيضاء نقية**))[1095] فلما اختار صلّى الله عليه وسلم الرفيق

[1091] تَاسُومَةٌ (جمعها) تَوَاسِيمُ. كندرة، حذاء إفرنجيّ، مداس، شبشب، خف، سرماية. كلمة تركية (معجم المعاني).

[1092] الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 266/8.

[1093] البقرة 255.

[1094] المائدة 4.

[1095] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 187/1.

الأعلى نصّب الله دعاةً في أمته إلى قيام الساعة بما ورثوا وأخذوه عنه فجعلهم الله أهلاً لمنصب الوراثة بقوله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[1096] أي على معاينة تعين سبيل كل أحد من الاتبّاع فتحمله عليها وعلامته اختلاف وصاياه صلّى الله عليه وسلم لأصحابه بحسب اختلاف طرقهم فقال لبلال ((**أنفق بلالا ولا تخف من ذي العرش إقلالا**))[1097]. وقال لآخر نوى انخلاعه من ماله ((**أمسك عليك مالك فإنك إن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكفّفون النّاس**))[1098]. استوصاه رجل فقال له ((**استحيي من الله كما تستحيي من رجل صالح من قومك**))[1099]. وآخر فقال له ((**لا تغضب**))[1100]. فمن اتبّع النبي صلّى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على بصيرة فالرسول صلّى الله عليه وسلم يدعو على بصيرة الرسالة الكاملة والأولياء يدعون على حسب بصائرهم قطبانيةً وصديقيّةً وولايةً وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((**العلماء ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لا يورّثون دينارًا ولا درهمًا وإنما يورّثون العلم**))[1101]. وقال ((**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**)). أي يأتون مقررين وموكدين وآمرين بما جئت به لا أنهم يأتون بشرع جديد فمهما سمعت فضل العلم في كتب الشرع فاعلم أنه منحصر في العلم النافع المخمد للهوى القامع الذي تكتنفه الخشية وتكون معه الإنابة لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1102] فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علمًا. قال داوود عليه السلام **يا رب ما علم من لم يخشك وما خشية من لم يطع أمرك**. فنتيجة العلم الخشية ونتيجة الخشية الموافقة فالعالم إن رغب في الدنيا أو تملق لأهلها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادّخار والمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة فهو أبعد بعيد من إرث الأنبياء فلا

[1096] يوسف 108.

[1097] الراوي: أبو هريرة | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 298/6.

[1098] الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: البخاري | المصدر: الصحيح | الصفحة أو الرقم: 5354.

[1099] الراوي: سعيد بن يزيد أبو سلمة | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 287/10.

[1100] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6116.

[1101] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 3641.

[1102] فاطر 28.

ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه. فمثل من لم يعمل بعلمه كشمعة تضيء الناس وتحرق نفسها وهو حجة عليه وسبب تكثير العقوبة عليه ولا يغرّنه انتفاع الناس بعلمه لقوله صلى الله عليه وسلم: ((**إنّ الله تعالى ليؤيد هذا الدّين بالرّجل الفاجر**)).[1103] ومثل من تعلّمه بلا عمل كمن حمل نجاسة بملعقة من ذهب فالوسيلة شريفة والنجاسة مستقذرة فمثل من تعلّم العلم مدة أربعين سنة ولم يعمل به كمثل من أفنى عمره في الوضوء ولم يصلّ صلاة واحدة فإن العلم وسيلة والعمل مقصود وتزكية العمل بعلم الأدب رباح فالفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وهو من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه والدعاء إلى الله مستمر أبدًا فأنوار الأولياء من إشراق أنوار النبوة عليهم فالحقيقة المحمّدية كالشمس وأنوار قلوب الأولياء كالأقمار وإنما اكتسب [القمر] من الشمس بمقابلته إياها فإذا فالشمس ليلاً ونهارًا فلا غروب لها لمكان نورها في الأجرام الصقيلة فوجب عليه دوام أنوار الأولياء لدوام ظهور نور رسول الله صلّى الله عليه وسلم فيهم فالأولياء آيات الله يتلوها على عباده بإظهاره إياهم واحدًا بعد واحد ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾[1104] فما من ولي لله إلا ويأتي الله بولي خير منه أو مثله فلو نقص واحد من الأولياء ما أرسلت السماء قطرة ولا أبرزت الأرض نباتها وفساد الوقت لا يكون بنقص منهم ولا بنقص امدادهم وإذا أراد الله فساده أخفاهم مع وجودهم فإذا أعرض الناس عن الله وآثروا غيره فلا تنجح فيهم الموعظة ولا تميلهم إلى الله التذكرة لم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيهم فالأولياء عرائس ولا يراها المجرمون. وقال صلّى الله عليه وسلم ((**لا تؤتوا الحكمة غير أهلِها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهمْ** [1105])). وقال صلّى الله عليه وسلم ((**إذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك.**))[1106] فسمعوا وصية رسول الله صلى لله عليه وسلم فاختاروا الخفاء بل آثر لهم الله ذلك مع أنه ولابد من أيمة

[1103] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3062.

[1104] الجاثية 5.

[1105] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 253/3.

[1106] الراوي: أبو أمية الشعباني | المحدث: ابن ماجه | المصدر: سنن ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: 4014.

ظاهرين منهم قائمين بالحجة سالكين للمحبة لقوله صلّى الله عليه وسلم ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناواهم إلى قيام الساعة**))[1107] قال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجه **اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجتك أولئك الأقلون عددًا الأعظمون عند الله قدرًا قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في عباده وبلاده وا شوقاه إلى رؤيتهم**. قال صلى الله عليه وسلم. ((**أمّتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره**))[1108]. وقال ((**خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر**))[1109]. وقال في قضية ((**لا تبكوا إنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتلب رواكيها وهيأ مسالكها وحلق سعفها فأطعمت عامًا فوجًا ثم عامًا فوجًا فلعل آخرها طعمًا يكون أجودها قنوانًا وأطولها شمراخًا والذي بعثني بالحق ليتخذنّ ابن مريم خلفاء من حواريه.**))[1110] وقال صلى الله عليه وسلم: ((**إنَّ في أصلابِ أصلابِ أصلابِ رجالٍ من أصحابي رجالًا ونساءً يدخُلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ثم تلا** ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1111] الآية[1112] وقال ((**في كلّ قرن من أمّتي سابقون**))[1113] فسواء الظاهر منهم والخفي والصدّيق والولي ففساد الوقت لا يكدّر أنوارهم ولا يحط مقدارهم لأنهم مع الموقّت لا مع الأوقات فلا يتغيرون أبدًا بتغيّر الزمان وإنما يتغير من كان مع الأوقات أعاذنا الله من أن نكون مع غير الله من الأقضية والحوادث فالتجانيون يعبدون الله على الصفاء ووفاء التوحيد عن كشف الغطاء وهم أهل اليقين غير ملتفتين بإقبال الزمان وإدباره وإلى مقامهم الإشارة بقوله صلّى الله عليه وسلم إن لله عبادًا يغذوهم برحمته يحييهم في عافيته تمر بهم الفتن

1107 الراوي: ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث: أبو داود | المصدر: السنن الصفحة أو الرقم: 4252.

1108 الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن حبان | المصدر: المجروحين | الصفحة أو الرقم: 438/2.

1109 تخريج السيوطي: الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

1110 راجع كنز العمال رقم 34570 وعزاه لأبي نعيم عن عبد الرحمان بن سمرة.

1111 الجمعة 3.

1112 الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد | الصفحة أو الرقم: 411/10.

1113 الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: أبو نعيم| المصدر: الحلية | الصفحة أو الرقم: 1\8.

كقطع الليل المظلم فلا تضرهم وكقوله ((**يكون في أمتي فتن لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم.**))[1114] يعني العلم بالله فيما يرى. فرجال الليل هم الرجال وإن أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشيء من الغنى واليقين فالغنى لكثرة ما عند الناس من الإفلاس واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك فأولياء الله إن اشتدّت عليهم الظلمة قويت أنوارهم كالنجوم كلما قويت الظلمة أشرقت فالنجوم تكدر وقلوب الأولياء لا تكدير فيها فنور النجوم يهدي إلى الكون ونور الأولياء للمكوّن فهم في أوقات المحن لا تضرهم كالملائكة مثلا خزنة النار لا تضرهم فالدنيا كالنار وهي تقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نور قناعتك لهبي فشأن الولاية وأهلها عظيم قال صلى الله عليه وسلم ((**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته: كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ويده الّتي يبطش بها، ورجله الّتي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس عبدي، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه**))[1115]، وفي طريق آخر ((**كنت له سمعًا وبصرًا ولسانًا وقلبًا وعقلاً ويدًا ومؤيّدًا**))[1116]، فافهم مضمّنه تستفد منه قدر الولي وفخامة رتبته حتى أحلّه الله هذه الرتبة وإنما أذن الله بالحرب لأن الولي لا ينتصر لنفسه وقد خرج عن تدبيره إلى تدبير الله وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1117] ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1118] لأنهم جعلوا همتهم في سيدهم ولا همّ يهمّهم فدفع عنهم الأغيار وقام لهم بوجود الانتصار. قيل لبعضهم عبدي اجعلني مكان همك أكفك همك عبدي ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت بي فأنت في محل القرب واختر لنفسك. قال صلى الله عليه وسلم: ((**من شغله**

[1114] الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: ابن ماجه | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 3952.

[1115] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6502.

[1116] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 355/8.

[1117] الطلاق 3.

[1118] الروم 46.

ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين))[1119]. فإذا عرفت الله انسدّ عنك باب الانتصار لنفسك لاقتضاء معرفتك أن الفعل كله لله ما عدى فعل المباشرة كمباشرة القلم للكتابة فإنه أفاضه الحق على العبد تفضّلاً منه وفي الحقيقة كل شيء منه فكيف تنتصر من الخلق وأنت رأيت الله فعّالاً فيهم فقد ألقوا نفوسهم سلمًا بين يديه تعالى وهو ناصرهم من حيث لا يعلمون وحاجبهم من كل شيء إلا من ذكره وقاطعهم عن كل شيء إلا عن حبّه ومختارهم من كل شيء إلا من وجود قربه ألهج ألسنتهم بذكره وبهج قلوبهم بأنواره فخامت قلوبهم بحضرته وأسرارهم محققة لشهود أحديته. كانت امرأة تطوف على ولدها رضيعًا فحنت عليه وألقمته الثدي فقال صلّى الله عليه وسلم ((**الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها**))[1120]. ومن هذه الرحمة برز انتصار الحق لهم ومحاربته لأعدائهم إذ هم حمال أسراره ومعادن أنواره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1121] غير نصرة الحق لهم لا يلزم أن تكون معجّلة لقصر مدة الدنيا عن العقوبة الشديدة فلم يرض الدنيا أهلاً لعقوبة أعداء أوليائه كما لا يرضاها أهلاً لإثابة أحبابه فقد تكون معجّلة قساوة في القلب أو جمودًا في العين أو تعويقًا عن طاعة أو وقوعًا في ذنب أو فترة في الهمة كم عاقبتك ولم تشعر ألم أسلبك لذة ذكري ولذاذة مناجاتي فكل من أذى وليًّا من أصحاب سيدنا أو من محبّيه فقد قطع بعدم سلامته فإن لم تر عليه محنة في ماله أو ولده فقد صرفت إلى دينه أعاذنا الله بمنّه من شرور أنفسنا ولا شرّ إلا في نفسي فالناس كلهم مضطرّون لله بالله.

وهذا ما قصدت تقييده من الجزء الأول فلله تمام الحمد ونهاية الشكر وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وكل من سبق في علم الله أنه مؤمن وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير.

[1119] الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الترمذي | المصدر: السنن | الصفحة أو الرقم: 2926.

[1120] الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم: 232/3.

[1121] الحج 36.

انتهى الجزء الأول بحمد الله ويليه الجزء الثاني.

فهرس الجزء الأول

... اللهم عظّم من عظّمه وافتح لمن قرأه وسعى في تحصيله بكتابة أو بيع أو شراء وأفض رضوانك وفضلك على من تسبّب في نشره والنفع به وأدم على من ملكه السعادة الأبدية وفي داره إلى قيام الساعة اللهم افتح بصائر جميع من طالعه واحفظه من غوائل الجهل وعوائق الوصول اللهم اجعله سببًا لفتح قلوب الأمة واجعله معظما في قلوب الأمة وصلّى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم الناصر الهادي العظيم القدر والمقدار الصراط المستقيم وعلى آله وجميع صحابته وجميع أمته آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحاج الأحسن البعقيلي